تاريخ الخليج العربي
الحديث والمعاصر

تأليف
د. مصطفى النجار
د. حسين القهواتي
د. خليل علي مراد
د. علاء نورس
د. صالح العابد



طبع على نفقة جامعة البصرة

تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر

تأليف

الدكتور مصطفى عبد القادر النجار
كلية الاداب/ جامعة البصرة

الدكتور حسين محمد القهواتي
كلية الاداب/ جامعة البصرة

الدكتور خليل علي مراد
كلية التربية/ جامعة البصرة

الدكتور علاء موسى كاظم نورس
كلية الاداب/ جامعة بغداد

الدكتور صالح محمد العابد
كلية الاداب/ جامعة بغداد

١٩٨٤

الطبـــعة الأولـى

مُقَدّمَة

الخليج العربي جزء لايتجزأ من الوطن العربي الكبير، وكان على مر العصور معبراً لحضارة وادي الرافدين الى الامم الاخرى، ونظراً لأهميته الستراتيجية والتجارية حاولت قوى اجنبية متعددة السيطرة عليه، اذ بدأ البرتغاليون غزوهم له في مطلع القرن السادس عشر واعقبهم الهولنديون فالفرنسيون فالبريطانيون، كما سعت الأسر الفارسية الحاكمة في ايران هي الاخرى بسط هيمنتها على مياهه.

الا ان عرب الخليج البواسل وقفوا بشجاعة في وجه تلك المطامع الأجنبية وبخاصة عندما شهدت المنطقة ولادة دول عربية مهمة مثل دولة اليعاربة في عمان وتزايد القوة البحرية العمانية في الخليج العربي والمحيط الهندي وظهور القواسم كقوة بحرية مجاهدة، ولكن رغم المقاومة العربية الباسلة لم تتوقف الصراعات بين القوى الأستعمارية المختلفة البريطانية والفرنسية والروسية القيصرية في القرن التاسع عشر للسيطرة على منطقة الخليج العربي بل دخلت المانيا الصراع في نهاية القرن ايضاً.

وشهدت بداية القرن العشرين تمركز النفوذ البريطاني اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً في منطقة الخليج العربي.

غير ان رياح القومية العربية التي هبت على الوطن العربي اثرت على الشعب العربي في المنطقة الذي انضم الى الحركات الوطنية واخذ يطالب بالحرية والاستقلال وبضرورة انسحاب القوى الاجنبية، ورفع شعارات وطنية متعددة في مقدمتها شعار المحافظة على عروبة الخليج العربي، ولقد شاءت الاقدار ان تقع على عاتق الجمهورية العراقية هذه المهمة القومية:

وقد وجدت جامعة البصرة ان هذه المنطقة التي اخذت تحظى باهتمام اوساط سياسية وعلمية وعالمية متعددة انما هي جديرة بان تجد اهتماماً متميزاً من لدن ابنائها واستجابة منا لتكليفها شرعنا بتأليف كتابنا هذا عن تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر لنلقي بعض الضوء على دور واهمية هذا الجزء الهام من وطننا الكبير عبر العصور. وقد حاولنا جهد الامكان تصويب بعض الاراء والمزاعم والتفسيرات التي روجها الباحثون الغربيون عن تاريخ المنطقة ردحاً من الزمن ولكي تتوحد الجهود بين التدريسيين في الجامعات المختلفة بادرنا الى اضافة بعض الفصول اليه لأساتذة في جامعة بغداد وذلك اتماماً للفائدة.

وقد اشرنا في فهرس الكتاب الى اسم المؤلف ازاء الفصل الذي كتبه، ورغم ان هذا الكتاب جاء مطابقاً للمنهج المقرر لطلبة اقسام التاريخ في كليات الاداب والتربية في جامعات القطر الا ان ذلك لايعني بان الطالب الجامعي هو وحده الذي سينهل منه فحسب وانما نعتقد بان الافادة ستشمل القاري العربي المثقف المهتم بالدراسات الخليجية.

ونرجو ان نكون قد وفقنا في مسعانا هذا والله من وراء القصد.

المؤلفون

تمهيد جغرافي لمنطقة الخليج العربي

يقع الخليج العربي في جنوب غرب قارة اسيا، على شكل ذراع بحري يتصل في طرفه الجنوبي بخليج عمان فالبحر العربي فالمحيط الهندي.

وينحصر بين خطي عرض ٢٤ ـ ٣٠ ـ ٣ / ٣٠° شمالا وخطي طول ٤٨ ـ ٥٧ شرقا. وتطل عليه من الشمال مقاطعة عربستان ومحافظة البصرة في الجمهورية العراقية ومن الشمال الغربي دولة الكويت ومن الغرب مقاطعة الاحساء في المملكة العربية السعودية ودولة البحرين ودولة قطر. ومن الجنوب الغربي والجنوب دولة الامارات العربية المتحدة التي تضم (ابو ظبي، دبي، الشارقة، رأس الخيمة، عجمان، ام القيوين والفجيرة) وكذلك مضيق هرمز وخليج عمان. ومن الشمال الشرقي والشرق ايران.

والخليج العربي عبارة عن منخفض مائي كبير ضحل المياه نسبيا يبلغ متوسط عمقه حوالي ٣٠٠ قدم او ٩١ متراً ويزداد العمق في الشرق وكلما تقدمنا جنوبا حتى يصل بالقرب من مضيق هرمز حوالي ٣٦٠ قدماً اي ١١٠ متراً اما في الاقسام الغربية فيقل العمق حتى يصل الى ١٢٠ قدماً اي حوالي ٣٧ متراً.

طول الخليج العربي يقدر بحوالي ٦١٥ ميلاً او ٩٩٠ كم اعتبارا من مصب شط العرب في الشمال حتى مضيق هرمز في الجنوب الشرقي. ويتراوح عرضه بين ٢٩ ميلاً او ٤٧ كم عند مضيق هرمز و٢١٠ اميال حوالي ٣٤٠ كم في اوسع مناطقه بالقرب من وسطه وشماله.

اما مساحة الخليج العربي الكلية فتبلغ حوالي ٩٢/٥٠٠ ميلاً² او ٢٤/٠٠٠ كم² وحجم مياهه حوالي ٨٥٠٠ كيلو متر مكعب. وبذلك تكون مساحته حوالي نصف مساحة البحر الاسود او بحر الخزر (بحر قزوين).

يبلغ طول سواحل الخليج العربي حوالي ٣٧٦٠ كم ويشغل الساحل الغربي من هذا الطول حوالي ٢٦٠٨ كم اي ضعف طول الساحل الشرقي، وذلك لكثرة تعرجاته وخلجانه واخوارة، ويطل العراق على ٦٠ كم من هذا الساحل والكويت على ٤٤٨ كم والسعودية على ١١٥٢ كم اما الساحل الشرقي للخليج العربي فيبلغ طوله ١١٥٢ كم بما في ذلك اقليم عربستان. والخليج العربي عبارة عن ثنيه مقعرة يزداد عمقها في الشرق، وذلك بسبب الضغط الذي احدثته الحركات الالتوائية التي كونت جبال زاكروس القريبة من معظم الساحل الشرقي ولهذا السبب فان خطوط الملاحة الدولية في الخليج العربي تحاذي في الغالب هذا الساحل.

وتوجد بالقرب من سواحل الخليج العربي مجموعة من الجزر تزيد على المائتين تتفاوت في مساحاتها واهميتها الاقتصادية والستراتيجية، فبالقرب من السواحل الشمالية الغربية تقع جزيرة بوبيان التي هي اكبر الجزر وتقع عند مدخل خور عبد الله وام قصر، وهناك جزيرة فيلكا ودوربة وام المرادم وقاروة وام النمل ومسكان وعوجة وگير.

اما اهم الجزر التي تقابل الساحل السعودي فهي الجريد وجنة والكرين والكران والهاركس والعربية.

ثم تأتي مجموعة جزر البحرين التي تتالف من ٣٣ جزيرة اكبرها جزيرة المنامة (التي تسمى البحرين ايضا) ثم المحرق وسترا وأم نعسان.

كما ان هناك مجموعة من الجزر القريبة من الساحل الغربي وهي جزيرة حوار وتعتبر اكبرها، ثم جزر ركان وابروك وجنان وحالول وشراعوه ودينية والعالية والساحلية والبشرية والأسماط. . وتقابل دولة الامارات العربية المتحدة مجموعة كبيرة من الجزر تزيد على المائة جزيرة اهمها ابو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى وهناك مجموعة من الجزر المهمة تقع بالقرب من مضيق هرمز اهمها جزيرة هرمز وقشم وهنكام ولارك وام الغنم وسلامة. اما اشهر الجزر التي تحاذي الساحل الشرقي من الخليج العربي فهما قيس وخارج.

ومن حيث المظاهر التضاريسية يعتبر سهل العراق امتدادا طبيعيا لحوض الخليج العربي الشمالي، كما تعتبر سهول عربستان امتدادا للسهل العراقي اذ لاتظهر اية حدود واضحة بينهما وتجري فيها انهار عديدة أهمها شط العرب والكارون وروافدهما وفروعهما. ويلي هذا السهل من الشرق جبال البختيارية والتي هي عبارة عن قوس يقترب رأسه الجنوبي من ساحل الخليج العربي جنوب مدينه بوشهر ويلتصق رأسه الشمالي بالجبال العراقية في شمال محافظة واسط، وتفصل جبال بشتكوه ـ التي هي جزء من جبال زاكروس ـ بين الاراضي الايرانية والعراقية.

اما الساحل الغربي فيمتاز بشكل عام بكونه رمليا منبسطا يختلف اتساعه من منطقة الى اخرى اعتباراً من الكويت في الشمال الغربي وحتى رأس مسندم في الجنوب.

اما مناخ منطقة الخليج العربي فيتميز عموما بارتفاع درجات الحرارة ويكون صيفها عادة طويلاً وحاراً حيث تتراوح درجات الحرارة خلال اشهره من (مايس ـ تشرين الاول) حوالي ٢٨ ـ ٤٨°م او ١٠٠ ـ ١٢٠°ف في منطقة الظل في حين نجد ان الرطوبة تصل في الغالب الى حوالي ١٠٠٪

في معظم مناطقها ويكون لها اثر كبير على درجات الحرارة وان ارتفاعها يؤدي الى جعل المناخ حارا وخما لا يطاق من قبل السكان وعلى الاخص في الايام التي تسود فيها الرياح الجنوبية الشرقية (التي يصطلح عليها محليا بالشرجي) وتهب احيانا في هذا الفصل رياح شمالية لطيفة تلطف من حرارة الجو.

ويتسم شتاء المنطقة بالبرودة والطقس العاصف المتقلب الا ان درجات الحرارة العظمى في شهر كانون الثاني وهو ابرد شهر في فصل الشتاء لاتقل عن ١٨ م°. حوالي ٦٥°ف وللرياح الجنوبية الشرقية في هذا الفصل اثر ايجابي على درجات الحرارة لانها تجعلها معتدلة ومقبولة. اما بالنسبة للأمطار التي تسقط على منطقة الخليج العربي فتتميز اولا بانها فصلية تتركز في فصل الشتاء (بين تشرين الثاني - ونيسان) وثانيا بانها ذات كميات شحيحة لاتتجاوز ١٢ سم في معظم انحاء المنطقة.

ورغم ان منطقة الخليج العربي تفتقر الى الانهار باستثناء تلك التي تجري في سهول العراق وعربستان وتقل فيها الأمطار الا ان الطبيعة عوضتها بمخزون كبير من المياه الجوفية التي تختلف نسبتها وعذوبتها من قطر الى اخر من اقطار الخليج العربي.

اما من حيث السكان. فتعتبر منطقة الخليج العربي من المناطق قليلة السكان في الوطن العربي قياسا الى ثروتها الاقتصادية الكبيرة وهذه الحالة شجعت الهجرة الاجنبية الى المنطقة. ويمكن توزيع سكان الساحل الغربي بالشكل الاتي.

محافظة البصرة ٩٤٧ الف نسمة والكويت ٩٩٢ الف نسمة ومنطقة الأحساء ٧٧٠ الف نسمة وقطر ١٨٠ الف نسمة والبحرين ٢٢٥ الف نسمة ودولة الامارات العربية المتحدة ٧٧٥ الف نسمة.

واخيرا تتميز المنطقة من الناحية الستراتيجية لكونها تتوسط العالم القديم وتمر بها اشهر الطرق التجارية التي تربط اوربا بالشرقين الادنى والاقصى ويكتنز جوفها اكبر نسبة من احتياط النفط العالمي. كل ذلك دفع القوى السياسية الدولية الكبرى الى التنافس على هذه المنطقة بواجهات مختلفة، وبخاصة بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي. فالولايات المتحدة الامريكية صارت تدعي بان لمنطقة الخليج العربي اهمية خاصة لأمنها القومي لا في وقت الحرب فحسب وانما في حالة السلم لانها المستودع الحقيقي للبترول العالمي وهي كذلك مستودع رأس المال العالمي السائل الصالح لعمليات الاستثمار الدولي.

ومن جهة اخرى فان الاتحاد السوفياتي اخذ يعتقد بان وصول الولايات المتحدة الامريكية الى هذه المنطقة سوف يهدد أمنه، لان الخليج العربي يعتبر اقرب بقعة في المحيط الهندي الى وسط روسيا الاوربية والى اهم مواقع التجمع السكاني والصناعات الثقيلة في روسيا الاسيوية لان المسافة التي تفصل شط العرب عن جنوب بحر قزوين حيث الابار البترولية في الاتحاد السوفياتي لاتتجاوز الخمسمائة ميل.

ولهذه الاسباب ومهما كانت الادعاءات والمبررات، صارت المنطقة محورا تدور حوله الكثير من الاحداث العالمية.

الفصل الاول

الغـزو الاوربـي والتـنافـس الـدولي فـي الخليــج العربــي

لمحة موجزة عن تاريخ الخليج العربي قبل الغزو الاوربي.

كان للخليج العربي دور متميز خلال مراحل تطور الحضارة الانسانية، ففي العصور القديمة كان ممرا تجاريا رئيسيا، لكونه الطريق الوحيد للمواصلات في العالم القديم الذي يربط بين اقليمين مناخيين متميزين مختلفين في نتاجهما الزراعي والحيواني، هما اقليم البحر المتوسط والاقليم الاستوائي، واثبتت التنقيبات الاثرية ان حضارة وادي الرافدين اثرت بشكل واضح في منطقة الخليج العربي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وفكريا، لأن الاثار التي وجدت في كل من الكويت وقطر والبحرين والشارقة وابو ظبي اشارت الى صلة هذه المنطقة بحضارة وادي الرافدين العريقة واكدت الوحدة الحضارية للمنطقة، لان السلالات السومرية والاكدية والبابلية والاشورية استطاعت ان تؤسس لها مراكز تجارية هامة في منطقة الخليج العربي، حيث كانت الفترة مابين عام ٢٥٠٠ ق.م وحتى سقوط بابل على يد الفرس الاخمينين عام ٥٣٨ ق.م عهد ازدهار سياسي واقتصادي يحتله العراق القديم بين امم العالم.

ورغم ضعف تجارة المنطقة ردحاً من الزمن بعد سقوط بابل الا ان الخليج العربي شهد تطورا كبيرا في التجارة الدولية وفي الفنون البحرية وبناء الاساطيل، وبخاصة عندما توالت عليه هجرات القبائل العربية من الحجاز واليمن خلال الاخمينية والسلوقية وغدت البحرين ابرز تلك المراكز الحضارية العربية في الخليج العربي آنئذ واستطاع سكانها بفضل ثروتهم التي وفرتها لهم التجارة بالاضافة الى قوتهم وعزمهم منازلة الساسانيين، لذلك اضطر سابور الثاني (٣٠٩ - ٣٧٩ م) الى محاربتهم وايقاف زحفهم باتجاه الاقسام الجنوبية الغربية من بلاد فارس.

الا ان تلك الانتكاسات الوقتية لم توقف النشاط التجاري في الخليج

العربي بل واصل العرب سيرتهم التاريخية الطويلة حتى وصلت تجارتهم الى الصين شرقا واصبحت (الابلة) [البصرة في العهد الاسلامي] مركزا رئيسا لتجارة الخليج العربي تصلها سفن الهند والصين.

وظلت المنطقة تتمتع باهميتها طيلة فترة ازدهار الحضارة العربية الاسلامية وارتبطت اوضاعها السياسية الى حد كبير بالاوضاع العامة في العراق واصبح الخليج العربي واحدا من اهم المعابر التجارية في اسيا وعن طريقه تمر منتجات الهند والصين وجزر الهند الشرقية الى الاسواق في بلاد فارس والشام والعكس من ذلك كانت تعبر السلع الواردة من الجزيرة العربية وبلاد فارس واوربا من نفس هذا الطريق الى الهند والشرق الاقصى، كما قامت وازدهرت على سواحل الخليج العربي كثير من المدن التجارية المعروفة كالبصرة والبحرين وسيراف وتيس وهرمز وبوشهر، غير ان هذه المدن تعرضت للمحن والاضطرابات وقلت اهميتها تحت ضغط الاحداث التي توالت على المنطقة مثل حركة القرامطة وسقوط الخلافة العباسية عام ١٢٥٨ بايدي المغول كل ذلك كان عاملا اساسيا في تفشي الفوضى ليس في العراق فحسب، وانما في منطقة الخليج العربي ايضا وتدهورت تجارة المنطقة اكثر عند اكتشاف البرتغاليين للطريق البحري الى الهند في نهاية القرن الخامس عشر (١٤٩٨) ومنذ ذلك الحين تحولت جميع الطرق التجارية الرئيسة التي تربط اسيا باروبا الى الجنوب بعيدا عن منطقة الخليج العربي والبحر الاحمر اي عبر المحيطات الجنوبية وراس الرجاء الصالح.

الغزو البرتغالي للخليج العربي

منذ نجاح فاسكودي كاما في عبور راس الرجاء الصالح عام ١٤٩٨ فكر البرتغاليون بالتوجه الى مياه بحر عمان والخليج العربي طمعا في ثروة مسقط ولؤلؤ البحرين ومحاولة منهم للاستحواذ على خيرات وادي

الرافدين وبلاد فارس ووصولا الى الهند وجزرها، ولم تمض سوى سنين قليلة على اكتشافهم الطريق الجديد حتى حاول الفونسودي البوكرك القائد البرتغالي الوصول الى الهند بالاستيلاء على مداخلها التقليدية، البحر الاحمر والخليج العربي وافلح في تاسيس المستعمرات البرتغالية في كوا ومالقا في شبه القارة الهندية واستولى في عام ١٥٠٦ على مراكز هامة من بحر عمان والخليج العربي وبخاصة مسقط التي كانت تابعة انئذ لملوك هرمز العرب بعد ان وجه نيران مدفعيته اليها وفي العام التالي توجه الى جزيرة هرمز واجبر ملكها على دفع الرسوم له وكرر المحاولة عام ١٥١٤ واحتل على اثرها الجزيرة وسيطر تماما عليها ومنذ ذلك الحين اعتبر سيف الدين ملك الجزيرة العربي تابعا له وما ان انتصف القرن السادس عشر حتى كانت البرتغال قد وضعت اليد تماما على معظم كمارك الخليج العربي بالاضافة الى تملكها.لجزيرة هرمز التي تحولت من جزيرة صغيرة كانت تفتقر الى الماء وعلف الحيوان ولايسكنها سوى بضعة انفار من الصيادين، الى واحد من المراكز الرئيسة للتجارة في العالم يقطنها اكثر من ٢٠٫٠٠٠ نسمة.

وحاول البرتغاليون تعزيزا لمراكزهم في جزيرة هرمز احتلال ميناء كمبرون وريشهر وقشم وبسيدُو وكنك وكنكون على طول الساحل الشرقي للخليج العربي.

لقد وصل البرتغاليون الى الخليج العربي باساطيل قوية تضم سفناً كبيرة ذات اسلحة نارية فتاكة وقد احتلوا اغلب موانيه وبسطوا سيطرتهم عليه طيلة القرن السادس عشر رغم المقاومة العربية الباسلة ورغم التحدي العثماني لهم في منتصف القرن المذكور، وفي اوائل القرن السابع عشر تضافرت عوامل عدة في اضعاف البرتغاليين وفي تقليص نفوذهم في الخليج العربي، اولا لكره العرب لهم وذلك لظلمهم وتعصبهم الديني واحتكارهم لتجارة وملاحة الخليج العربي، وثانيا لتغير وضع البرتغال

السياسي في اوربا لانها خضعت في عام ١٥٨١ للعرش الاسباني وسخرت اسبانيا موارد البرتغال لمصالحها الامر الذي اضعف الامبراطورية البرتغالية فيما وراء البحار وثالثاً لظهور الصفويين في بلاد فارس (١٥٠١ - ١٧٢٢) وتزايد اطماعهم في الخليج العربي.

وعندما تبوأ الشاه عباس عرش الدولة الصفوية (١٥٨٧ - ١٦٢٩) بادر الى محاولة سياسية توسعية واراد ان يطرد البرتغالين من مياه الخليج العربي ليحل محلهم، وبدأت محاولاته الاولى في عام ١٦١٦ عندما اتفق مع وكلاء شركة الهند الشرقية الانكليزية لمساعدته في ذلك، واستجاب هؤلاء واستطاعت سفنهم تحطيم مجموعة من السفن الحربية البرتغالية في عام ١٦٢٠ قرب «جاسك» الا ان الضربة القاضية للوجود البرتغالي حول هرمز وفي منطقة الخليج العربي جاءت في عام ١٦٢٢ عندما سيطر اسطول شركة الهند الشرقية بمساعدة المشاة الفرس على القلعة البرتغالية في جزيرة قشم حيث افلحوا بعدها في للتوجه الى هرمز الا ان عرب عمان هم الذين انهو الوجود العسكري البرتغالي في المنطقة هم عرب عمان.

وفي اواخر عام ١٦٢٤ حاول البرتغاليون باسطول قوامه ٢٤ سفينة استعادة الموانيء التي فقدوها في الخليج العربي ولكنهم اندحروا امام اربع سفن تابعة لشركة الهند الشرقية تساعدها اربع سفن هولندية اخرى وتقهقروا الى مسقط ثانية. وفي عام ١٦٢٥ اضطروا الى عقد اتفاقية عدم تعرض مع الشاه عباس، تنازلو بموجبها عن جزء من امتيازاتهم في الخليج العربي، ولم يستطيعوا بعد ذلك التاريخ ايجاد موضع قدم ثابت لهم في مياه الخليج العربي.

ولا بد ان ننوه هنا بعد ماذكرنا من اسباب ضعف النفوذ البرتغالي في المنطقة. ان معظم المؤرخين الاوربيين وبعض الكتاب العرب اخذوا يصورون تاريخ الخليج العربي في العصور الحديثة وكانه تاريخ الصراع

بين القوى الاجنبية ، من اجل السيادة على مياه الخليج العربي وسواحله ، وهم بهذا التصور يتجاهلون او يحاولون طمس حقيقة هامة ، الا وهي دور عرب الخليج في تحرير مياهه وسواحله من السيطرة الاجنبية كما سنطلع على ذلك في بحث المقاومة العربية .

التغلغل الهولندي في الخليج العربي

لقد تأسست شركة الهند الشرقية الهولندية في عام ١٦٠٢ من اتحاد مجموعة من الشركات التجارية في هولندا ، وقد اصبحت هذه الشركة اداة الاستعمار الهولندي فيما وراء البحار ودخلت في صراع مرير مع الاسبان والبرتغالين في هذه المناطق ، ففي سنة ١٦٠٧ وصل الهولنديون الى الملايو واندوسيا واستمر نشاطهم التجاري حتى عام ١٧٦٩ الا ان تاريخ تواجد الهولنديين في الخليج العربي يرجع الى عام ١٦٢٣ على وجه التحديد عندما حصلوا على سماح من الدولة الصفوية في تاسيس وكالة لهم في جزيرة هرمز ، الا انهم سرعان مانقلوا تلك الوكالة الى كاميرون التي صارت تسمى ايضا (بندر عباس) وبادروا الى فتح مركز اخر لهم في اصفهان عاصمة الصفويين آنئذٍ وباشروا بتصدير قوالب السكر (القند) الى بلاد فارس ، مقابل شراء الحرير منها ولم تكتف هولندا بممارسة النشاط التجاري فحسب وانما بادرت الى ارسال سفرائها الى عاصمة الدولة الصفوية منذ عام ١٦٥٢ وغدت لها مراكز تجارية وموانيء هامة في كل من ديلم وريق وكنج ولارك وفتحت وكالة لها في جزيرة قشم الا انها لم تستقر هناك سوى عام ١٦٤١ . هجرت على اثرها الجزيرة بسبب وخامة هوائها ، وبعد هذا التاريخ سجل الهولنديون تفوقا على الانكليز في تجارة الخليج العربي حتى اصبحت السيطرة التجارية فيه في عام ١٦٥٤ للسفن الهولندية وتوقفت التجارة الانكليزية تماما وغدا مستودع كمبرون الانكليزي مشلول الحركة حتى ابرم الصلح بين هولندا وانكلترا ، وبالرغم من هذا لم تكسب الشركة الانكليزية اسبقية التجارة في الخليج

العربي، ومن جهة اخرى استمرت اوضاع الوكالة الهولندية جيدة في الخليج العربي حتى عام ١٧٢٢ عندما سقطت الدولة الصفوية على اثر استيلاء الافغانيين على عاصمتها، الا ان نشاط هولندا التجاري ظل قائما نسبيا في بلاد فارس وبخاصة في تجارة القند واحتفظت ببعض مصالحها في الخليج العربي خلال القرن الثامن عشر، وبخاصة عندما اسست وكالة لها في البصرة ولكنها لم تستطيع الاستمرار في حماية تلك المصالح لعدم نجاحها في التعاون مع الدولة العثمانية وعلى اثرها اضطرت الى ترك البصرة الى جزيرة (خارج) عام ١٧٤٨، وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر ضعف مركز هولندا في الخليج العربي بسبب المقاومة العربية من جهة، وتزايد النشاط البريطاني من جهة اخرى، والذي توسعه على حساب المصالح الهولندية في الخليج العربي، بدأ ففقدت شركة الهند الشرقية الهولندية مكانتها في الخليج العربي وبخاصة منذ عام ١٧٦٥، وتحولت هولندا من دولة تجارية من الدرجة الاولى الى دولة من الدرجة الثانية، بعد ان فقدت الاساس الاقتصادي لعظمتها على الرغم من محافظتها على بعض مستعمراتها.

ويبدو ان مركز الهولنديين في منطقة الخليج العربي اصبح منذ ذلك الحين ضعيفا منذ ذلك الحين، لدرجة مكنت القبائل العربية في الساحل العماني من استعادة موانئها، وافلح البطل العربي ميرمهنا شيخ ميناء ريق من الوصول الى جزيرة خارج، بل واستطاع ان يطرد الهولندين من الساحل العماني، وان يستقر مكانهم، ومع ذلك احتفظ الهولنديون بدار قنصلية لهم في ميناء ابو شهر حتى القرن التاسع عشر، الا ان علاقتهم التجارية بالخليج العربي لم تكن بالصيغة التي شهدتها في القرون السابقة.

الغزو الفرنسي للخليج العربي

تعود علاقة الفرنسيين بالخليج العربي الى ايام ريشيليو وكولبير وهما من

اشهر رؤساء الوزارات الفرنسية في القرن السابع عشر، وعندما تأسست شركة الهند الشرقية الفرنسية في عام ١٦٠٤، بادرت الى ارسال بعض السفن الفرنسية الى الخليج العربي، ورغم انها قعدت عن العمل بعد حين الا ان نفراً من التجار المتحمسين افلحوا في تأسيس مركزين تجاريين احدهما في ميناء بندر عباس والآخر في البصرة، واعتباراً من عام ١٦٢٣ اخذ المبشرون الكرمليون بالأقامة في البصرة واظهروا اهتمامات تجارية ويمكن اعتبار عام ١٦٦١ التاريخ الحقيقي لتأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية لأن روادها الأوائل وصلوا الى السواحل الهندية عام ١٦٦١ وفي عام ١٦٦٨ نجح الفرنسيون في تشييد اول مستودع لهم في سورات وفي عام ١٦٦٩ استدعوا لأول مرة ثلاث سفن تابعة لشركة الهند الشرقية الفرنسية الى الخليج العربي ومن الجدير بالذكر ان احد عشر راهباً فرنسياً قد تتابعوا كقناصل فرنسين في البصرة حتى عام ١٧٣٩ عندما جاء اول قنصل مدني وهو بيردو مارتن ڤيل الذي توفي فيها عام ١٧٤١ واستمر الوضع القنصلي للفرنسين في الخليج العربي جيداً طيلة الفترات اللاحقة هذا وان فعاليات المراكز التجارية الفرنسية وتجارتها في الخليج العربي كانت واسعة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وان حرب السنوات السبع (١٧٥٦ - ١٧٦٣) بين بريطانيا وفرنسا انهت النفوذ الفرنسي في الهند لحساب بريطانيا وانسحبت فرنسا الى الهند الصينيه. وبصورة عامة فان اخر مركز تجاري فرنسي قد تلاشى تقريباً عام ١٧٧٠ وهو تأريخ حل الشركة الهند الشرقية الفرنسية ومع ذلك احتفظ التجار المبشرون الفرنسيون لهم بنفوذ متزايد ودور واضح في اصفهان وشيراز وبغداد الا ان مراكز سفنهم اقتصر على البصرة وبندر عباس، وحاول الفرنسيون تحسين اوضاعهم في الخليج العربي والمحيط الهندي عندما سنحت الفرصة بالتعاون مع طيبو سلطان حاكم ميسور عام ١٧٨٧ وبخاصة عندما وصلت الى فرنسا بعثة ارسلها العاهل المذكور للتعاون مع الفرنسيين ضد البريطانيين ومن جهة اخرى كانت علاقة الفرنسيين جيدة وكان للسلطان في مسقط علاقاته الطيبة مع حكام جزيرة ابل دي فرانس (موريشوش) غير ان حروب

الثورة الفرنسية ودخول الهولنديين وبداية الأضطرابات التي اخذتها السفن الفرنسية في المنطقة جعلت الشركة الأنكليزية والدولة الفرنسية تتسابقان في الوصول الى مسقط ومياه الخليج العربي وحاول الفرنسيون من جهتهم ارسال المبعوثين الى الشرق وكانوا يهدفون من وراء ذلك تلمس دروب اعادة النفوذ الفرنسية الى فارس عن طريق الخليج العربي ومحاولة عقد تحالف فارسي عثماني لمجابهة روسيا وعندما حققت مصر بعد معركة الأهرام عام ١٧٩٨ البرنابوت صرح هنري وفداس رئيس هيئة الهند الذي كان ايضاً وزير الدولة لشؤ ون الحرب في لندن ان بونابرت حين يصل الى شرق البحر المتوسط ستنفتح امامه اربعة مسارات من المحتمل ان يطوق واحد انه بجيشه الى الهند وتلك الطرق :

اولاً : من مصر الى اسطنبول ثم على طول البحر الأسود وينعطف جنوباً حتى املاك الدولة العثمانية.

ثانيا: عن طريق السويس ثم يركب البحر الاحمر بعدها الى الهند.

ثالثا: الى جدة ثم يخترق الحجاز واليمن وينزل بساحل حضرموت ثم يواصل الى الهند مع الساحل.

رابعا: عن طريق الصحراء السورية فولاية بغداد ثم البصرة فالخليج العربي فالهند وكان من رأي ونداس ان الطرق الثلاثة الاولى تعتريها بعض الصعوبات الا انه اكد بان الطريق الرابع هو اكثرها احتمالا وربما يسلكه بونابرت لذلك ارسلت بريطانيا حوالي ٤٠٠٠ جندي لتقوية جيشها في الهند كما كلفت الأميرالية بارسال ثلاث سفن الى البحر الاحمر لمراقبة الاوضاع فيها ولتكون على اهبة الاستعداد او المواجهة الطوارىء التي قد تنجم عن غزو بونابرت وهكذا تجد ان بريطانيا غزوة بونابرت وارادت ان تتحكم في كل الطرق المؤدية الى الهند وغدت مسقط هي النقطة التي يجب ان تتركز حولها معالجة الوضع الجديد ومن جهة اخرى فان الاخطار التي كانت تهدد الهند قد تحققت في اعقاب الفترة النابليونية ورغم ان محاولة فرنسية اخرى قد جرت في منتصف القرن التاسع عشر لاعادة العلاقات

والنشاط في الخليج العربي إلا انها لم تكلل بالنجاح وحاول الفرنسيون ثلاث مرات اخرى تاسيس مراكز تجارية لهم في البصرة والمحمرة في اعوام ١٨٨٠ و ١٨٨٢ و ١٨٨٣ ولكن دون جدوى الا انهم نجحوا الى حد ما في عام ١٨٨٤ من دفع تجارتهم في الخليج العربي الى امام عندما استطاعت سفنهم بيع قوالب السكر المخروطي (القند) مباشرة في موانيء الخليج العربي وفامت تجارة القند الفرنسية مثيلتها الالمانية والبلجيكية ولكن شركة تجارية فرنسية معينة لم تستقر بشكل ثابت في الخليج العربي. ومن جهة اخرى تاسست في عام ١٨٩٥ شركة فرنسية للنقل البري للملاحة بين بومباي والبصرة وكانت تمتلك اثنتي عشرة باخرة الا انها لم تستطع تحقيق ارباح تجارية لفرنسا لان الذين استفادوا من تلك السفن هم التجار البريطانيون والهند والفرس والعرب. ومنذ عام ١٨٩٩ لم تشاهد السفن الفرنسية في مياه الخليج العربي واستمر ذلك الغياب حتى عام ١٩١٢ عندما استأجر احد تجار البصرة سفينة فرنسية لنقل بضائعه اليها ورغم ان الاعلام الفرنسية كانت احيانا ترفرف فوق ساريات بعض السفن الشراعية المسقطية والعربية الاخرى الا ان ذلك لم يكن ذا اهمية تجارية لفرنسا ورغم كل هذا فان السلع الفرنسية ظلت ترد الى منطقة الخليج العربي ولكن على متن سفن بريطانية.

ومن جهة اخرى نجح الفرنسيون عام ١٨٩١ في الحصولب على امتيازات خاصة من سلطات فقط فيص بن تركي بموجب اتفاقية سرية وقعها معه القنصل الفرنسي «اوتافي» ضمن لفرنسا حق الحصول على مواضع لخزين القمم بالقرب من مينائي صور ومطروح.

ومن زاوية العلاقات الدبلوماسية الفرنسية في الخليج العربي فان فرنسا فتحت لها قنصلية في بوشهر في عام ١٨٨٩ بالاضافة الى احتفاظها بقنصليات في كل من شيراز ولفكة رغم ان هذه الاخيرة قد اغلقت مثلما اغلقت من قبل قنصليتها في البصرة لذلك لم يبق لفرنسا في كل منطقة

الخليج العربي سوى قنصلية واحدة في بوشهر الا ان علاقاتها التجارية وبخاصة في تجارة اللؤلؤ مع البحرين ظلت مستمرة عن طريق الشركات التجارية البريطانية.

النفوذ البريطاني في الخليج العربي.

في عام ١٥٨١ تاسست شركة الليفانت التجارية «الشرق الادنى» (شركة انكليزية عثمانية) لتصدير الحرير الفارسي عن طريق البصرة - بغداد - حلب - البحر المتوسط، وكان هدف انكلترا الوصول الى الهند واتخاذ بلاد فارس حلقة وسطى لتلك التجارة، وكان توماس thomas stophens اول بريطاني يصل الى الهند عام ١٥٧٩ عن طريق بلاد فارس، وبعد عامين (١٥٨١) وصل جون نيوبري الى هرمز وعاود الكره عام ١٥٨٣ برفقة التجار البريطانين رالف فتبح ووليام ليدز وجيمس ستوري، ووصلوا جميعا الى هرمز في طريقهم عبر بلاد فارس الى الهند، الا انهم اوقفوا بامر من القائد البرتغالي في منطقة الخليج العربي وارسلوا مخفورين الى كوا المقر البرتغالي في الهند، ومنذ ذلك الحين بدأ النشاط البريطاني يتخذ شكلا جديا وفعالا، وتمخض عن تاسيس شركة الهند الشرقية الانكليزية في عام ١٦٠٠ عندما منحت الملكة اليزابث الاولى اذنا ملكيا لمجموعة من التجار الانكليز للعمل من اجل توسيع الصلة بشرق انكلترا ومن اجل اثراء الملاحة ومن اجل ترقية التجارة، وتحركت الرحلة الاولى الى الشرق في شباط ١٦٠١ وتلتها الرحلة الثانية بعد اكثر من عامين ولم تنزل اي من الرحلتين بساحل الهند، انما توجهتا الى سومطرة وجاوة وشبه جزيرة ملقا اما الرحلة الثالثة فهي التي قصدت الهند في عام ١٦٠٧ واتخذت من سورات مقرا لها.

وفي عام ١٦١٣؟ وصل الانكليز عن طريق شركتهم الى بلاد فارس، وفي عام ١٦١٧ اسسوا مركزا تجاريا لهم في اصفهان بناء على فرمان صادر

من الشاه عباس في عام ١٦١٥ يدعو فيه الى استقبال التجار الانكليز بحرارة في الموانيء والمدن الفارسية وفي عام ١٦١٧ وقعت اتفاقية بين الشاه عباس وكانوك Cannock ممثل شركة الهند الشرقية الانكليزية اصبح بموجبها الحق للشركة العمل في ميناء جاسك لانه بعيد عن مقر رئاسة البرتغاليين في جزيرة هرمز حيث يقع على بعد تسعين ميلا الى الشرق من الجزيرة، ولان ميناء جاسك يحرس مدخل الخليج العربي استراتيجيا وبدأ المركز اعماله فعلا في عام ١٦١٩ لقاء رسوم تدفعها الشركة لبلاد فارس ويعتبر افتتاح هذا المركز بداية النفوذ البريطاني في منطقة الخليج العربي، لان الشاه عباس وافق في نفس العام على حصر احتكار تجارة الحرير بشركة الهند الشرقية، ومقابل ذلك تعهدت الشركة بدفع ثلث قيمة مشترياتهامن الحرير نقدا، وثلثيها بضائع، ومنذ ذلك الحين توثقت عرى الصداقة بين الطرفين واصبح هدفهما طرد البرتغاليين من هرمز للحصول على مزيد من الامتيازات المشتركة، وقد افلحا في ذلك عام ١٦٢٢ عندما حاصر الفرس واسطول شركة الهند الشرقية جزيرة هرمز حيث توجه الانكليز اليها من جاسك، والفرس من كمبرون وبعد طرد البرتغاليين بدأ الانكليز صراعهم مع الهولنديين واستقروا عام ١٦٢٣ في كمبرون (بندر عباس) التي عمرها الشاه عباس من انقاض هرمز التي دمرها بمساعدة اسطول الشركة الانكليزية واصبح للشركة حق اشغال منزلين هناك كمستودعين لها وحرم عليها بناء اي بيت اخر في المنطقة، ووجد الانكليز في كمبرون «بندر عباس» مدخلا الى الظهيرة الفارسية لم يكن متاحا لهم في جاسك، ومنذ ذلك الحين توالت اتفاقياتهم مع شاهات فارس لتركيز نفوذهم في منطقة الخليج العربي وبقيت بندر عباس تخدم تجارة الشركة لقرن ونصف من الزمان.

وعندما غزا الافغان بلاد فارس عام ١٧٢٢ حدثت فوضى في عرض وطول البلاد اضطر على اثرها معظم التجار الاوربين الذين كانوا يقيمون في اصفهان الى مغادرتها وتجمعوا في بندر عباس، ولعدم توفر الامن اللازم

في هذا الميناء ايضا، تعرضت التجارة الانكليزية في الخليج العربي الى ضربة قاسية، وفي عام ١٧٣٨ توجهت شركة الهند الشرقية الى البصرة واسست فيها وكالة تجارية وفي عام ١٧٥٤ نقلت الشركة مركزها الرئيسي من بندر عباس الى بندر ريف، وعندما حسمت قضية الصراعات المحلية في الهند لصالح شركة الهند الشرقية في اعقاب معركة بلاسي Plassey عام ١٧٥٧، تحولت هذه الشركة الى ملك عريض له خصائص السلطان عدا اللقب، وبسطت ظلها على اغنى مقاطعات الامبراطورية المغولية المنهارة، بل ان الهند بعد بلاسي غدت بريطانية وقادت هذه المعركة بريطانيا الى احكام سيطرتها على الخليج العربي، لذا اخذت الشركة بعد هذا التاريخ تنتقل بين عدة مراكز في الخليج العربي لتظفر بالمكان الافضل، ففي عام ١٧٦٣ اضطرت الشركة الى نقل مقرها في الخليج العربي بسبب النشاط الهولندي فيها الى بوشهر حيث اعفى الشيخ سعدون حاكمها العربي، المقيم البريطاني ويليام اندروبرايسي والشركة البريطانية من الرسوم الكمركية، خلافا لكل الاوربين الاخرين المقيمين هناك، ومنح الشركة حق توريد الاقمشة الصوفية الى بلاد فارس، وقد تمت الموافقة على هذا الامتياز من كريم خان الزند حاكم ايران آنئذ، ومنذ ذلك الحين اصبح ميناء بوشهر من المراكز المهمة للتغلغل البريطاني في منطقة الخليج العربي، ورغم ان الشركة قد غادرت بوشهر مؤقتا عام ١٧٧٠ الى البصرة، الا انها عادت اليها بعد مضي ثلاثة اعوام، وكان ممثلو هذين المينائين يتم تعيينهم من قبل حكومة بومباي ويشرفون على النشاط التجاري في منطقة الخليج العربي، وكان ذلك النشاط يقتصر على وصول سفينة واحدة في كل عام الى بوشهر وهي تحمل قرابة مائة بالة من المنسوجات والمعدات الجديدية والقند واقمشة الململ، واستمرت التجارة البريطانية في الخليج العربي بالتحسن النسبي حتى مطلع القرن التاسع عشر، وقدرت واردات الخيوط فقط من بريطانيا الى بوشهر بـ ٨٠٠ بالة، ومن الواضح انه حتى في هذا التاريخ لم تكن تجارة الشركة في الخليج العربي رائجة بل انها لم تزدهر الا في فترات وجيزة لاتلبث ان تخمد بعدها للظروف المحلية والدولية، ولم تكن

المستودعات والوكالات البريطانية في الخليج العربي سوى مراكز امن للحفاظ على طريق الهند.

وقد واجهت شركة الهند الشرقية منذ ميلادها النقد اللاذع في لندن بسبب اضطرارها الى تصدير كميات من المعادن النفيسة من ذهب وفضة لتمويل مشترياتها الشرقية، وقد حاولت الشركة ان تفلت من هذا النطاق بان تتوغل من خلال الصراع الاسري الى قلب امبراطورية المغول وان تقوم بعمليات النهب والسلب لتمويل مشترياتها كما حاولت الشركة توسيع دائرة تجارتها لتصل الى بلاد فارس القارصة البرد لكي تبيع اصوافها الاوربية التي لم تصادف في الهند رواجا، وافلحت في مساعيها تلك وتحدت جزءاً من سياستها التجارية وتوجت جهودها في عام ١٨٠٠ عندما حصل السير جون مالكولم من الشاه فتح علي امتيازات لشركة الهند الشرقية وللتجار البريطانين والهنود وكذلك فعل مع سلطان مسقط. وعندما اصبحت شركة الهند الشرقية في عام ١٨١٨ هي صاحبة السلطة العليا في بلاد الهند حيث اصبح لها بصورة مباشرة او غير مباشرة السيادة على المنطقة الممتدة من وادي الكنج حتى دلهي وعلى اقليم هضبة الدكن والمنطقة الساحلية المطلة على البحر العربي والمنطقة الساحلية الضيقة الممتدة من البنغال الى الجنوب، الغت الوكالة التجارية البريطانية في بوشهر واسست بدلها وكالة سياسية واصبح الوكيل السياسي قنصلا ايضا لبريطانيا لكل موانيء الخليج العربي وفي عام ١٨٧٢ ارتبط الخليج العربي بحكومة الهند مباشرة بدلا من حكومة بومباي بالاضافة الى تعيين وكلاء سياسيين بدرجات متفاوتة في كل موانيء الخليج العربي وتزايد النفوذ البريطاني في منطقة الخليج العربي لدرجة اشرفت بريطانيا على، خطوط التلغراف بين الهند والمنطقة، وفتحت لها عدة مصارف في بوشهر واستطاعت الاشراف على الخليج العربي وكان تحت تصرف وكلائها وممثليها وقناصلها كامل الامكانات لحماية المصالح البريطانية في المنطقة تلك المصالح التي ظلت في تزايد حتى جلائها عن المنطقة عام ١٩٧١

الاطماع الروسية في الخليج العربي.

روجّت الاوساط السياسية في حكومة الهند في اواخر القرن التاسع عشر بان روسيا تحاول تحقيق حلم القياصرة في الوصول الى مياه الخليج العربي، تنفيذا لما ورد في المادة التاسعة من الوصية التي نسبت الى القيصر بطرس الاكبر، التي تشير الى ضرورة شن الحروب ضد الدولتين العثمانية والفارسية، من اجل الوصول الى الهند، التي اعتبرتها تلك الوصية المزعومة مخزنا للعالم الا ان الباحث يوجين سكايلر اشار بان تلك الوصية روج لها لتبرر حملة نابليون على روسيا، ومع هذا فان المؤرخ الدكتور زكي صالح يعطي لتلك الوثيقة المختلقة اهمية تاريخية خطيرة الا انه يعتقد بان الراي العام وبخاصة البريطاني صدقها في حينها زمناً غير يسير وكان لحرب القرم (١٨٥٤ ـ ١٨٥٦) وللحرب التي حدثت بعدها بين روسيا والدولة العثمانية ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ اثر بليغ في نشر الاعتقاد بين البريطانيين بان قياصرة القرن التاسع عشر الروس كانوا جادين في الدخول في منافسات مع بريطانيا حول فارس والامبراطورية القمانية من اجل الوصول الى مياه الخليج العربي الدافئة.

ان النفوذ الفعلي للروس في منطقة الخليج العربي يتزامن مع عام ١٨٩٩ عندما ارسلوا سفينة حربية الى مياه الخليج العربي وعلى متنها عدة مسافرين بصفة تجار، وسيروا باخرة روسية تحمل العلم الروسي بين اوربا على البحر الاسود، وبين البصرة على راس الخليج العربي وفي رحلات منتظمة وعينوا الدكتور جفانوك Chovanowky طبيبا في ميناء بوشهر وارسلوا في عام ١٩٠٠ عدة تجار من اجل تحسين وتطوير العلاقات التجارية مع موانيء الخليج العربي واردفوا ذلك بارسال الباخرة الحربية الروسية جيلوك Guilak تعزيزا لمصالحهم في تلك المنطقة، وفي عام ١٩٠١ بادروا الى تاسيس قنصلية لهم في بوشهر اصبحت لها صلات قوية مع

قنصليتي شيراز والاحواز كما ان القنصل الروسي في اصفهان قام بزيارة القنصلية الروسية في بوشهر وتمخضت عن هذه الزيارة تاسيس القنصلية الروسية في البصرة وتعين ادموف Adamoff اول قنصل روسي فيها، وعندئذ اخذت البواخر الروسية بالتوجه الى الخليج العربي ففي عام ١٩٠١ توجهت الباخرة كورنيلوف korniloff الى بوشهر وهي محملة ببضائع روسية متنوعة، ورغم زيارة البواخر الروسية الى مياه الخليج العربي الا ان الشركة الهولندية هوتز [Hotz] هي التي كانت تقوم برعاية وادارة بواخر الشركة الروسية في المنطقة، وتدريجيا زادت زيارات البواخر الروسية للخليج العربي واحيانا كانت تحمل بعض الشخصيات الهامة، ففي عام ١٩٠٢ وصلت باخرة حربية الى بوشهر وعلى متنها مدير بنك موسكو وذلك للاطلاع على الاوضاع الروسية فيها، ولدراسة امكانية فتح فرع للبنك الروسي في جنوب ايران، وفي العام التالي ١٩٠٣ وصلت باخرة روسية سريعة اخرى الى هناك وفي نفس هذا العام تاسست الشركة الروسية التي اخذت تنقل بضاعة قيمتها ٢٠٠٫٠٠٠ روبل في اربع رحلات سنوية بين اوديسا والبصرة عن طريق موانيء الدولة العثمانية وموانيء البحر المتوسط والبحر الاحمر والخليج العربي، وتوسعت التجارة الروسية في هذه المياه بسرعة كبيرة، وخلال الاعوام من ١٩٠٣ ـ ١٩١٤ ارسلت الى الخليج العربي حوالي ستين باخرة روسية كبيرة محملة بالاخشاب والنفط والخزف الصيني والزجاج والقند والسكر والطحين والمكائن والاقمشة والكبريت والمشروبات والمربيات، وفي طريق عودتها الى روسيا كانت تنقل التمور والتبغ والسمسم.

وهكذا نجد بان الاطماع الروسية في مياه الخليج العربي اخذت تتضح والمخاوف البريطانية تتزايد، ولعبت الظروف الدولية آنئذٍ دورا في ايقاف الصراع البريطاني الروسي في مياه الخليج العربي، وبخاصة عندما تم عقد المعاهدة بين بريطانيا وروسيا عام ١٩٠٧ بشأن تقسيم ايران، حيث احتفظت بريطانيا بمراكز نفوذها في جنوب ايران والمناطق المطلة على

الخليج العربي وامنت طرقها المؤدية الى الهند.

محاولات الالمان التوسعية في الخليج العربي.

ازداد حماس الالمان في اواخر القرن التاسع عشر لمد سكة حديدية بين هامبرك واسطنبول ثم ايصالها الى بغداد والبصرة، وبخاصة عندما وجدوا في عام ١٨٨٤ ان السكر المخروطي (القند) الفرنسي يلقي رواجا في منطقة الخليج العربي، وبادروا الى ارسال كميات من سكرهم المصنوع في هولشتاين الى هناك، الا ان الشحنات الاولى من ذلك السكر لم تلق الرواج الكافي بسبب رداءة نوعيته قياسا الى السكر الفرنسي، ولم يبادر العرب والفرس الى شرائه، الا ان المحاولات الالمانية لم تنقطع، ففي عام ١٨٩٠ ارسلت المانيا باخرة محملة بالفحم الحجري ونماذج من الاقمشة الى الخليج العربي ليس هذا فحسب، وانما استقر احد الالمان من مدينة هامبرك في بوشهر ليقوم بدور الوكيل التجاري للسلع الالمانية في المنطقة، وحاولت المانيا تعزيز وضعها التجاري في الخليج العربي فارسلت في نفس العام باخرة حربية الى بوشهر والبصرة، ثم تاسست شركة المانية باسم جوهان ورث Werth في بوشهر، لتقوم بشراء وتصدير القمح والشعير وجلود الحيوانات والصوف والتمور من المنطقة، وتستورد بدل ذلك الفحم الحجري والاسلحة والاسمنت والقند والشمع والحديد والاخشاب والصابون والالات الزراعية والزجاج، وقامت بمهمة هذه التجارة ثلاث بواخر المانية كبيرة، الا ان هذه الشركة لم تستطع منافسة الشركات البريطانية المتمرسة في منطقة الخليج العربي، مما ادى الى اعلان افلاسها في عام ١٨٩٦، واساءت بذلك الى سمعة التجارة الالمانية، ولكن الجهود الالمانية لم تتوقف، حيث تاسست بعد ذلك شركتان تجاريتان المانيتان تعملان بين هامبرك والخليج العربي بالاضافة الى ماقام به التاجر الالماني روبرت ونكهاوس Wonckhaus الذي نجح في المتاجرة في الصوف اول الامر بين لنكه وهامبرك، ثم توسعت تجارته فيما بعد، وهكذا

اخذت المصالح الالمانية تتزايد في منطقة الخليج العربي، ففي عام ١٩٠٥ حاول الالمان الحصول على بعض الامتيازات في البحرين الا ان بريطانيا حالت دون ذلك، لذا بادرت المانيا الى تحريض الدولة العثمانية للمطالبة بالبحرين وبثلاث جزر اخرى تقع بالقرب من مغاص اللؤلؤ في الخليج العربي، لانها تقع ضمن منطقة سيادتها، الا ان بريطانيا كانت حذرة للغاية وقطعت الطريق امام مطالب الدولة العثمانية، وعندما لم يستطع الالمان تحقيق اهدافهم عن طريق العثمانيين، حصلوا على امتياز باستخراج اوكسيد الحديد من شيخ الشارقة.

•

وفي عام ١٩٠٦ افلح ستة تجار المان كانوا يمارسون تجارة نشطة في منطقة الخليج العربي من تسيير خط ملاحي منظم باسم خط (هامبرك ـ امريكا) يمر بموانىء البحر الاحمر ويتوقف تقريبا في كل موانىء الخليج العربي، وكان هذا الخط مدعما من قبل القيصر الالماني وليم الثاني، ومعززا لمشروع سكة حديد برلين بغداد ـ البصرة، ويتضح ذلك جليا من العلاقة القوية بين الاداريين المشتغلين في كلا الخطين، تلك العلاقة التي وصلت الى درجة التنسيق بينهما من اجل تنفيذ مصالح المانيا العليا، وبذلك استطاعت هذه الشركة تحقيق منافسة جدية للتجارة البريطانية في المنطقة، وسببت لها كسادا واضحا وتعزيزا من المانيا لمصالحها في منطقة الخليج العربي ارسلت سفيرها في اسطنبول على رأس وفد عن طريق البر الى الكويت لاقناع شيخها مبارك الصباح باهمية ايصال الخط الحديدي الالماني الى اراضيه، واذ امكن شراء الاراضي اللازمة منه لتأسيس ميناء فيها، ولكن الوفد فشل في مهمته مما حدا بالمانيا الى تحريض العثمانين ضد شيخ الكويت الذي ارتبط منذ عام ١٨٩٩ بمعاهدة حماية مع البريطانيين، وبتأثيرها احتل العثمانيون جزيرة بوبيان ممهدين السبيل لتوسيع فعاليات شركة ونكهاوس في الخليج العربي،

لقد وصلت الباخرة Canadia وهي اولى بواخر خط هامبرك ـ امريكا

الى بوشهر في صيف عام ١٩٠٦ وهي تحمل على متنها ١١٦٨ صندوق سكر مخروطي، واستمرت تصل بمعدل باخرة واحدة كل شهر حتى عام ١٩١٤، وهذه البواخر كانت تتقاضى اجورا للشحن اقل من تلك التي كانت تتقاضاها البواخر البريطانية، واحيانا كانت تتبرع بنقل الحجاج المسلمين من موانيء الخليج العربي الى جدة مجانا، كوسيلة من وسائل الدعاية وكسبا لعواطف الناس في المنطقة، وكانت بواخر شركة ونكهاوس تجلب الى موانيء الخليج العربي مختلف انواع السلع الالمانية وكانت تشتري في طريق عودتها المنتجات المحلية باسعار اعلى من تلك التي كانت تشتريها الشركات البريطانية وعندما سعت المانيا لايصال الخط الحديدي الى راس الخليج العربي تحدت شركة لنج البريطانية التي كانت تسيطر على الملاحة بين بغداد والبصرة بالاضافة الى تثها بامتياز ملاحي مشابه في نهر الكارون، تلك المحاولات عن طريق تحريض الدوائر البريطانية المهتمة للوقوف في وجه المشروع، ولما فشلت في مساعيها الدبلوماسية، بادرت الى التعاون مع الشركة الالمانية لسكة حديد بغداد، التي حصلت على امتياز للملاحة في الانهار العراقية، من اجل نقل معدات السكك الحديدية من البصرة في راس الخليج العربي الى بغداد، وادى ذلك التعاون الى عقد اتفاقية بين الشركتين عام ١٩١٢، تم بموجبها تأسيس شركة جديدة يكون لكل منها ٥٠٪ من الاسهم، وعملت الشركة الانكلو، المانية الجديدة للملاحة على توفير المواد اللازمة لمشروع سكة حديد بغداد حتى عام ١٩١٤، عن طريق نهر الفرات، وقد خصصت اربعة لنشات بخارية وزورق واحد بالاضافة الى تخصيص لنش بخاري بين البصرة والمحمرة لنقل السلع والمسافرين يوميا، ولما خسرت شركة لنج البريطانية بعضا من امتيازتها لصالح الشركات الالمانية بادرت الى كتابة التقارير الانفعالية الى القناصل البريطانيين في بغداد والبصرة والى السفير البريطاني في اسطنبول، والى حكومة الهند ووزارة الهند ووزارة الخارجية البريطانية، تجسد فيها الاخطار التي سنعصف بالوجود البريطاني في منطقة الخليج العربي، وكان لهذه الصيحات صدى واسع في اوساط رجال المال ودعاة

الحرب في بريطانيا، ولا نجانب الصواب ان قلنا ان تقارير هذه الشركة وتحذيراتها من الخطر الالماني في منطقة الخليج العربي كان لها التأثير الكبير في تأزيم الوضع الاوربي قبل عام ١٩١٤.

المقاومة العربية في الخليج العربي ضد الغزو الاجنبي

ان قيام حكم الائمة اليعاربة في عمان ١٦٢٤ يمثل فاتحة لمرحلة مهمة ليس بالنسبة لعمان فحسب، بل بالنسبة لتاريخ الخليج العربي كله، ويعود فضل المقاومة العربية في الخليج العربي الى الامام ناصر بن مرشد اول الائمة اليعاربة، الذي بدأ حربا لاهوادة فيها ضد البرتغاليين وافلح في الفترة ١٦٣٠ ـ ١٦٤٨، وبعد معارك طاحنة من انتزاع معاقلهم في جلفار وصور وقريات وخور فكان، وفي عام ١٦٤٨ قامت قوات عمانية كبيرة بقيادة سعيد بن خليفة بحصار ميناء مسقط واجبرت البرتغالين على طلب الصلح وفق شروط الامام التي تضمنت الاتي:

١ ـ قيام البرتغاليين بهدم قلاعهم في مطروح وقريات وصور.
٢ ـ مرور السفن العمانية الى البحر العربي دون تفتيش.
٣ ـ اعفاء العمانيين من دفع الرسوم عند دخولهم مسقط وخروجهم منها.
٤ ـ ان تكون تجارة مسقط حرة.

ان الشروط اعلاه كانت لطمة موجهة للهيمنة البرتغالية وتدميراً لتجارتها وتقليصاًلهيبتها العسكرية في المنطقة، ورغم محاولات السلطات البرتغالية في اعادة سيطرتها في الخليج العربي ثانية، فأنها لم تفلح لان الامام سلطان بن سيف الذي خلف الامام ناصر بن مرشد في الامامة عام ١٦٤٩ قد فرض الحصار في عام ١٦٥٠ حول مسقط واضطرت حامية القلعة الى الاستسلام في ٢٣ كانون الثاني ١٦٥٠.

ويعتبر تحرير ميناء مسقط ضربة قوية للنفوذ البرتغالي في الخليج

العربي، ورغم محاولات البرتغاليين في ايجاد مراكز اخرى لهم في الخليج العربي، بعد ذلك فأن ملاحقة العمانيين لهم افقدهم الصواب وبخاصة عندما دمر العمانيون كنج. في عام ١٦٩٥ اخر معقل لهم في الخليج العربي، وفي نهاية القرن السابع عشر تمكن الامام سيف بن سلطان

من الحاق هزائم كبرى بالبرتغاليين في شرق افريقيا، واستولى في عام ١٦٩٨ على ممباسا ثم اخضع يمبا وزنربار وهكذا وبابتداء القرن الثامن عشر حكم ائمة اليعاربة دولة كان نفوذها السياسي يشمل الاقسام الجنوبية في الخليج العربي، ويمتد هذا النفوذ من جنوب الجزيرة العربية وسواحل شرق افريقيا في الغرب، الى سواحل وادي السند في الشرق، كما شمل نفوذها الاقتصادي سواحل الخليج العربي، وفي حدوده الغربية امتد الى البحيرات الافريقية المركزية، وفي الشرق وصل الى دلتا الكَنبج وبلغت عمان اقصى قوتها وقد هابها الانكليز والهولنديون على حد سواء، واصبحت مسقط في عهد اليعاربة اعظم قوة بحرية غير اوربية في المياه الشرقية، وبلغ اسطولهم اوج عظمته في اوائل القرن الثامن عشر، ولكن التصدع اخذ يصيب كيان هذه الدولة من الداخل في بداية العقد الثالث من القرن الثامن عشر وقاد بالنهاية الى انهيار حكم اليعاربة في عمان بسبب الحرب الاهلية وانبعاث الروح القبلية.

ويشكل مجيء احمد بن سعيد للامامة في عام ١٧٤٩ نهاية لحكم اليعاربة وبداية لحكم سلالة البو سعيد في عمان، هذه السلالة التي افلحت في طرد الفرس من سواحلها، ولكن احمد بن سعيد قضى سنوات كثيرة من حكمه في شن حملات متواصلة ضد القبائل العمانية المناوئة له، وضد القواسم حلفاء تلك القبائل ورغم ان هذه الصراعات المحلية قد مهدت الطريق للغزو الاجنبي وازالت اعظم قوة محلية مناوئة للتوسع الاوربي في الخليج العربي، الا ان ذلك لم يوقف المقاومة العربية تماما، لانها انبعثت ثانية وقادتها قبائل عربية اخرى، ففي الجزء الجنوبي من الخليج العربي برزت قوة قبائل القواسم، وفي الشمال في بوشهر والمناطق المجاورة

لها ظهر عدد من رؤ وساء القبائل العربية الذين اتصفوا بالجرأة والشجاعة والاقدام، منهم شيخ ناصر حاكم بوشهر، ومير ناصر وولداه مير حسن ومير مهنا حكام جزيرة الخرج، وميناء بندر ريق القريب منها، وفي اقصى الشمال، وفي منطقة شط العرب قامت قبيلة كعب بدورها البطولي في طرد الغزاة وضربت اروع الامثلة في التضحية والفداء، ووقفت كل هذه القبائل العربية كل حسب امكاناتها المتاحة سدا منيعا في وجه جميع المحاولات الهولندية والبريطانية الرامية للتوسع والسيطرة في منطقة الخليج العربي.

ان الرغبة التوسعية التي اظهرها الانكليز في الخليج العربي منذ منتصف القرن الثامن عشر للسيطرة على تجارته مع الهند، تميزت بتكريس الشركة لجزء كبير من جهودها الدبلوماسية والعسكرية، لتحقيق نوع من السيطرة على المنطقة، ولكن محاولة البريطانيين هذه قادتهم الى المجابهة مع القبائل العربية، ومن اجل ذلك تعاون البريطانيون مع الفرس تارة، ومع العثمانين اخرى، لتحطيم تلك المقاومة العربية التي تمثلت آنئذٍ في شخصيي مير مهنا والشيخ سلمان زعيمي قبيلة كعب، لذا فان الضربات التي تلقتها شركة الهند الشرقية على يد القبائل العربية لم تنج منها حتى نهاية القرن الثامن عشر عندما تخلت الشركة لما تبقى من القرن عن اية محاولة للتوسع في الخليج العربي، وبقيت قبيلة كعب شوكة دامية في جنب الفرس والعثمانيين والبريطانيين على حد سواء، وكثيرا ماكانت الشركة تحذر مستخدميها في الخليج العربي بعدم التعرض لهذه القبيلة او اثارتها باي شكل من الاشكال.

ومن جهة اخرى تعاظمت قوة القواسم الذين ظهروا كقوة بحرية متفوقة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وصار الاتحاد القاسمي يشمل غالبية اهل رأس الخيمة الميناء الرئيس للقواسم، ومعظم اهل الشارقة ثاني موانيهم، سكان جزيرة الحمرا وام القوين بعض عشائر

العجمان سكان مدينة رامس بالقرب من راس الخيمة، اما القبيلتان الرئيستان في اتحاد القواسم فهي بنو قتب والغفلة، واستطاع الاتحاد القاسمي ان يبسط سلطانه على طول ساحل عمان فيما
بين قطر وخور فكان ووقف نداً لسلطان مسقط وللامراء السعودين والوهابين، بل امتدت سيطرتهم الى الاراضي الفارسية والى ارجاء مختلفة من الخليج العربي، وعندما اوشكت دولة اليعاربة على الزوال اعلن رحمه بن مطر رئيس الاتحاد القاسمي الاستقلال واتخذ راس الخيمة قاعدة له واعترف له، بالاستقلال احمد بن سعيد مؤسس دولة ال بو سعيد.

وفي عهد سلطان بن صقر الاول ١٨٠٣ - ١٨٠٦ نقلت عاصمة القواسم من راس الخيمة الى الشارقه وفي بداية عهده وصل اسطول القواسم اقصى قوته وقدرت سفنه حينذاك بثلاث وستين سفينة كبيرة وحوالي ثمانمائة سفينة صغيرة، كما قدر عدد بحارته بعشرين الف.

ومهما يكن من امر فقد كان نشاط البحارة العرب القواسم ضد محاولات الغزو الاجنبي يمتد لنهاية القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر في المنطقة الساحلية بين شبه جزيرة قطر غربا وراس ماسندم شرقا، وكانت هذه المنطقة لاتزال تعتبر قسما من عمان وان احتفظت باستقلالها الذاتي حينا، وان تعاظم قوة القواسم وازدياد تهديدهم للملاحة الاجنبية في الخليج العربي، دفع البريطانيين الى التحالف مع العمانيين ضد القواسم وفي عام ١٨١٩ قام البريطانيون بحملتهم ضد القواسم واجبروا رؤوساءهم على توقيع معاهدات صورية مع حكومة الهند البريطانية.

ان نجاح القبائل العربية في صد التوسع الاوربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر واضح وجلي، لقد استطاعت القبائل العربية المحافظة

على استقلالها، لكن طاقاتها كانت مبعثرة، وكان ينقصها الادراك السليم لمصالحها المشتركة، فقد كانت في نزاع دائم فيما بينها، الامر الذي مهد السبيل للسيطرة البريطانية على منطقة الخليج العربي في مطلع القرن التاسع عشر، تلك السيطرة التي قدر لها ان تستمر مئة وخمسين عاما بعد ذلك.

المصادر العربية

امين، د . عبد الامير محمد،
دور القبائل العربية في صد التوسع الاوربي في الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ ٢٥ آذار ١٩٧٣ .
القوة البحرية في القرن الثامن عشر، بغداد ١٩٦٦ .
المصالح البريطانية في الخليج العربي ١٧٤٧ ـ ١٧٧٨ ، بغداد ، ١٩٧٧ .
الداود، د . محمد علي، الخليج العربي والعمل الغربي المشترك، بغداد، ١٩٨٠ .
محاضرات عن الخليج العربي والعلاقات الدولية ١٨٩٠ ـ ١٩١٤ ، القاهرة ـ ١٩٦٠ .
صالح، د . زكي ، موجز تاريخ العراق، منشأ النفوذ البريطاني في بلاد ما بين النهرين الطبعة الاولى، بغداد، ١٩٤٩ .
عبد القادر، خواجة، وقائع منازل روم، بمبي ، ١٩٦٨ .
العابد، صالح محمد، دور القواسم في الخليج العربي، ١٧٤٧ ـ ١٨٢٠ ، بغداد، ١٩٧٦ .
العلي، د . صالح احمد، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري ، بغداد، ١٩٥٣ .
القهواني، د . حسين محمد، دور البصرة التجاري في الخليج العربي ١٨٦٩ ـ ١٩١٤ ، بغداذ ١٩٨٠ .
اضواء على تجارة البصرة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة الخليج العربي المجلد ١٢ العدد ٢ ، ١٩٨٠ .
النجار، د . مصطفى عبد القادر . التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية ١٨٩٧ ـ ١٩٢٥ ، القاهرة ١٩٧١ .
نوار، د . عبد العزيز سليمان، تاريخ الشعوب الاسلامية في العصر

الحديث ج١، بيروت، ١٩٧١ .
الهاشمي، رضا المدخل لاثار الخليج العربي، بغداد، ١٩٨٠ .
وادلا، ر. خليج فارس وعصر استعمار ترجمة بروفيسور شفيع جوادي طهران، ٢٥٣٤
ويلسون الخليج العربي ترجمة الدكتور عبد القادر اليوسف . . الكويت

المصادر الاجنبية

The Cambridge Ancient History Thind edition Vol I. part2.

Kelly, J.B. Britain and persian Gulf 1795— 1880 oxfovd, 1968

Lorimer . J.G Gaetteer of the Persian Gulf Oman and Gentral Arabia 2 Volumes Culcutta 1915

والترجمة العربية ايضا .

الفصل الثاني

امارة بندر ريق العربية
ودورها في التصدي للاطماع الاجنبية في الخليج العربي

تقع بندر ريق في الجزء الشمالي من الخليج العربي، وتتميز بكونها ميناء مهما للتجارة والمواصلات في المنطقة[1]. ومما يزيد من اهميتها موقع جزيرة خارج الستراتيجي الذي يقابلها في وسط البحر ويبعد عنها حوالي ٢٣ ميلا. اذ ان الجزيرة التي تبلغ مساحتها عشرة اميال مربعة ـ قاعدة مناسبة لكافة الاغراض الحربية والسياسية والتجارية[2]. ولذا سعت القوى الطامعة لاحتلالها.

ان سكان امارة بندر ريق[3] بضمنها جزيرة خارج التي كانت تعتبر جزء

---

(١) لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي، جـ، ص ١٩٣٦.

(٢) خارج بفتح الراء جزيرة ذات اهمية في الخليج العربي يقع حدها الجنوبي الشرقي عند مكان يبعد عن مدينة بوشهر ٢٤ ميلا في اتجاه غرب الشمال الغربي. وتذكر الكتب البلدانية بان مغاصات اللؤلؤ الرئيسة في الخليج العربي هي خارج وقطر وعمان وسرنديب وتمتاز هذه الجزيرة بجوها الصحي وتوافر المياه الصالحة وجودة التربة في بعض اجزائها وتشتهر بانتاج الحنطة والشعير والتمور وانواع جيدة من العنب وتعد جزيرة خارج اليوم ميناء خاصا لشحن النفط وربطت بحقول نفط كاجران بواسطة خط انابيب بري وبحري:

انظر: شمس الدين الانصاري، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، لايزك ١٩٢٨: ص ١٦٦؛ محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في منبر الاقطار:
تحقيق احسان عباس، بيروت ١٩٧٥، ص.

Malcolm, op. cit., vol. II,p. 82

ومصطفى عبد القادر النجار ـ جزيرة خارج من جزر الخليج العربي (بغداد ـ ١٩٨٣)

Ibid, Lorimer, op.cit., vol. I, part. IA, p.129

(٣) بالاضافة لبندر ريق التي هي مقر اقامة شيخ الامارة، هناك عدة قرى تابعة لها بمحاذاة البحر وهي راس الشط وجنابة (كناوه) وجبل بنك وديلم.

Niebuhr, Descriptionde LArabie, pp. 275 / 6. Ibid, p.274.

منها، من قبيلة بني صعب العمانية[1] التي تشمل منازلها حدود الكويت الى قرب القصيم غربا، وديار العجمان وبني خالد جنوبا[2] وقد اشار الجغرافيون العرب الى وجود ميناء باسم (جنابة) تقابله في وسط البحر جزيرة خارك، وفي شماليها من جهة البصرة مهروبان وجنوبيها سينيز التي تعتبر من قرى الاحواز[3]. ولما كانت خرائط الخليج العربي في العصر الحديث تشير الى وجود ميناء باسم (Ganaveh) والى جنوبه ميناء بندر ريق، فيبدو لنا ان الفرس حرّفوا الاسم العربي جنابه الى كناوه وسار الاجانب على ذلك. اما بندر ريق التي تقع على بعد ١٣ ميلا الى شمال الشمال الغربي من مدينة بوشهر و ١٥٦ ميلا الى الشرق من الكويت، فانها مدينة قديمة جدا كما يقول لوريمر . وبهذا الصدد يتحدث نيبور عن وجود سور قديم يحيط بمدينة بندر ريق .

لقد شهدت الامارة العربية التي اقامها بنو صعب في بندر ريق وخارج، خلال القرن الثامن عشر، اطماع قوى عديدة هولندية وفارسية وانكليزية. وكان الهولنديون في مقدمة من تطلع لاحتلال جزيرة خارج، فاجرى مسؤول الشؤون الهولندية في البصرة البارون نيبهاوزن[4] Kniphausen مفاوضات مع شيخ امارة بندر ريق ناصر ال صعب سنة ١٧٥٢، بشأن استئجار جزيرة خارج مقابل اتاوة سنوية وقد نجح في مسعاه[5]. وحينها اعتبرت السلطات الهولندية ذلك فرصة لاحتلال

(١) عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب، ج٢، بيروت ص٦٤٠ .

(٢) صفي الدين البغدادي، مراصد على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، جـ، ص، القاهرة ١٩٥٥، ص ٣٤٨ ؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .

(٣) دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج٥، ص ١٩٣٦ .

(٤) كان نيبهاوزن، وهو بروسي، قد خدم في جيش بلاده وفي جيش فرنسا، وفي هذه الآونة كان يعمل في شركة الهند الشرقية الهولندية . وقد جرى احتلال جزيرة خارك باشرافه واصبح حاكما عليها من سنة ١٧٣٥ الى سنة ١٧٥٨، حيث خلفه فان درهولست vander Hulst الذي كان مساعدا له في البصرة . (Lorimer, op. cit., vol. I, part. IA,.p. 129, 131.

(٥) Niebuhr, Description de L†Arabie, p. 279

الجزيرة ينبغي الا تضيع فهي قاعدة مناسبة ومؤمنة للاغراض الحربية والسياسية والتجارية بعد تدهور اوضاعهم في منطقة الخليج العربي[١]. وقد عمدوا بعد احتلالها مباشرة الى وضع الخطط لجلب المستوطنين وطرد سكانها العرب[٢]. وكمرحلة اولى تقرر جلب ثمانين عائلة اسيوية[٣]. كما اقيمت التحصينات في الجزيرة، حيث تم بناء قلعة محكمة في شمال شرقي خارج. وارتفعت المتاريس في اركانها الاربعة التي وضعت على كل منها ستة مدافع[٤].

وعلى كل فان الشيخ ناصر سرعان ماوجد نفسه في مأزق خطير، حيث اصبح الهولنديون اسياد تلك الجزيرة، وامتنعوا عن دفع الاتاوة السنوية الامر الذي ادى الى نشوب الحرب بينهما تعرض خلالها مركز الامارة (بندر ريق) الى عدوان السفن الحربية الهولندية. وقد نجح بنو صعب في

---

(١) كان للهولنديين نفوذ كبير في الخليج العربي منذ اواخر القرن السابع عشر، وكانت لهم وكالات في البصرة وبوشهر وبندر عباس. وقد تسبب ذلك في حدوث منافسة قوية بينهم وبين الانكليز الذين اعتبروا النشاطات الهولندية في الخليج العربي خطرا على مصالحهم، لذلك عملوا على ايقافها بكل الوسائل. ومنذ منتصف القرن الثامن عشر كان الاوان قد آن لاختفاء النفوذ الهولندي في هذه المنطقة، ففي سنة ١٧٥٢ اغلقت المقيمية الهولندية في البصرة بعد ان طرد البارون نيبهاوزن الذي كان مسؤولا عنها في ذلك الحين من قبل سلطات البصرة على اثر نزاع نشب بينه وبينها [يذكر مالكولم ان متسلم البصرة أودعه السجن ورفض ان يخلي سبيله حتى دفع مبلغا كبيرا من المال حيث أخذ منه خمسين الف روبية ومن مساعده ثلاثين الفا]، كما انسحبوا من بوشهر سنة ١٧٥٣.

(٢) يذكر مالكولم أن عدد سكان جزيرة خارج بلغ في الاحدى عشرة سنة التي خضعت فيه للهولنديين اثنى عشرة الف نسمة ونيف.

Malcolm, op. cit., II, p.83.

(٣) Lorimer, op. ct., vol. I, part.A,p. 131

(٤) Niebuhr, Description de LArabie, p.279

في سنة ١٧٥٦ قام فرنسيس وود الوكيل البريطاني السابق في بندر عباس بزيارة لجزيرة خارج بناء على تعليمات حكومة بومباي لاعداد تقرير مفصل عن الوجود الهولندي فيها. =

التصدي لهم، ويذكر نيبور ان تكاليف الحرب كانت باهظة لشركة الهند الشرقية الهولندية[١] .

وقد اثار الوجود الهولندي في جزيرة خارج حفيظة الانكليز الذين اتخذوا منه حجة لمفاتحة الشيخ ناصر في اقامة مركز لهم في بندر ريق الذي وافق على طلبهم مدفوعا على مايبدو بسياسة تتوخى تحجيم الوجود الهولندي، وصدر الامر من رئاسة بومباي في ١٨ تشرين الاول ١٧٥٤ بتعيين فرنسيس وود .Woodf الوكيل السابق في بندر عباس ـ مقيما عاما في بندر ريق[٢] .

ان سياسة الشيخ ناصر ال صعب، ادت الى حدوث تطورات مهمة في الامارة، كانت في واقعها تعبيرا عن رفض التغلغل الاجنبي، حيث قاد ولده الشيخ مهنا في اواخر سنة ١٧٥٤، حركة اطاحت بحكم والده

= وقد مكث وود مدة عشرة ايام (٦ ـ ١٥ نيسان) في الجزيرة ضيفا على الوكالة الهولندية، استطاع خلالها دراسة الامكانات العسكرية والاقتصادية، وارسل بما شاهده تقريرا غاية في الاهمية الى الوكالة البريطانية في بندر عباس، كما ارسل مخططا عن الحصن الهولندي الذي تهيأت له كما يقول «الفرصة الكافية لاخذ بياناته بكل دقة» . وقد جاء في التقرير المؤرخ في ٣ مايس ١٧٥٦، ان الحامية العسكرية مكونة من ستين جنديا هولنديا ومائة من العبيد الافارقة مسلحين بالسيوف والدروع . اما القوة البحرية فانها مؤلفة من مراكب شراعية يحمل الواحد منها عشر حواضن للمدافع وستة مدافع دات حوامل متحركة، وغلافة تحمل ستة مدافع عيار ثلاثة ارطال واربعة مدافع ذات حوامل متحركة بالاضافة الى الى ثلاث سفن جديدة من نوع «الترانكي» . وللجزيرة خندق عميق بغير سور أحد طرفيه مفتوح تجاه البحر ويمكن استعماله مرسى للزوارق . وفيما يخص بضائع المخازن فانها تشمل السكر والسكر النباتي والفلفل والارز والجلود والصفيح والرصاص والحديد والمنسوجات الصوفية ذات العرض المزدوج والجوخ بجميع انواعه . وكان هناك بين ثمانية وعشرة زوارق مخصصة لصيد اللؤلؤ حول الجزيرة . وجاء في التقرير ان الهولنديين يتوقون الى تثبيت اقدامهم في بندر ريق ايضا .

(Selections from State Papers, Bombay, No. LxxvI)

(١) Niebuhr, Description de LArabie, p.279.

(٢) Selections from state papers, Bombay, p.93., Lorimr op.cit., vol. I, part. IA, P. lll.

الشيخ ناصر الذي لقي مصرعه فيها مع عدد من اتباعه، وبهذا الخصوص يذكر لوريمر ان مهنا شهد قتل ابيه لكنه لم يشارك فيه[1] .

ومما يؤكد ان الحركة التي قادها الشيخ مهنا كانت تستهدف التصدي للاطماع الاجنبية، هو الخوف الذي انتاب الانكليز والهولنديين على السواء، مما كان يوجب عليهم القيام بعمل يحول دون تعرض مصالحهم للخطر. ويبدو ان اتجاهات الشيخ مهنا السياسية كانت معروفة لديهم، والا كيف نفسر مخاوفهم من مجيئه الى الاسراع في التخلص منه، وفعلا تمكن اخوه حسين بمساعدة الهولنديين من تنحيته بداية عام ١٧٥٥ وتنصيب نفسه حاكما على الامارة[2]. ويبدو ان للفرس ايضا يداً في عملية الاطاحة بالشيخ مهنا، حيث سجن في شيراز لوقت قصير بعد عزله[3] .

وبذلك دخل الفرس طرفا مع القوى الاوربية للتغلغل في امارة بندر ريق، واستدعي الشيخ حسين لزيارة شيراز بدعوة من كريم خان . غير ان سكان الامارة قاوموا الحكم الجديد، فعندما وصل فرنسيس وود الى بندر ريق في حزيران ١٧٥٥ لاتمام اجراءات اقامة الوكالة الانكليزية، ذكر ان الشيخ حسين ابدى استعداده الكامل لتقديم الامتيازات التي تطلب منه، واكد له ان التجارة الانكليزية كفيلة برخاء الميناء وازدهاره . ولكنه اضطر الى مغادرة بندر ريق في الشهر التالي بعد ان أصبح بقاؤه محفوفاً بالخطر على اثر مغادرة الشيخ حسين الى شيراز . وقد وصفت الحالة في الامارة بما يأتي :

---

(١) Lorimer, op.cit,vol.I, part. IA, p. lll.

وهنا يمكن الاشارة الى ماتذكره الوثائق البريطانية وبعض المصادر التي تنقل عنها والتي تصف الشيخ مهنا بالقسوة والعنف والقرصنة وبان قلبه لايعرف الرحمة فقد قتل أباه والعديد من افراد اسرته واقرباءه. والحقيقة ان الشيخ مهنا الذي نجح في التصدي للقوى الطامعة واذلالها في مناسبات عديدة لايمكن الا ان تقدم صورة مبالغة فيها عن شخصية وسيرته .

(٢) عبد الامير محمد امين، المصالح البريطانية في الخليج العربي، هامش ص٦٣

(٣) اطلق سراحه بشفاعة حاكم طنجستان الذي كان متزوجا من احدى اخواته، وطنجستان منطقة على الساحل الشرقي للخليج العربي .

«ان سلوك اهل ريق اصبح معاديا بعد رحيل رئيسهم حتى اضطر المقيم وود للتوجه الى البصرة ومنها الى بوشهر»(١).

وجدير بالذكر ان وود لم يعد الى بندر ريق الا في ايلول ١٧٥٥ بعد ان علم بعودة حاكمها الشيخ حسين . على ان المعارضة نشطت مرة أخرى ضد الوجود الانكليزي، ويقول وود انه يعلم بوجود جماعة يتزعمها الشيخ مهنا تعلن بصراحة اهدافها الرامية الى التخلص من الشيخ حسين والنفوذ الاجنبي في الامارة، ويدعي بأنها موالية للهولنديين (٢) . والحقيقة ان مجريات الاحداث تنفي هذه الادعاءات حيث ان الشيخ مهنا كان يعتبر الهولنديين اعداء ضالعين مع الانكليز ويجب التصدي لاطماعهم .

ان مخاوف الوكيل الانكليزي فرنسيس وود من تصاعد المعارضة، وتوقعه حدوث تطورات سياسية في الامارة، دفعته الى مغادرة بندر ريق الى البصرة في اوائل حزيران ١٧٥٦ . وقد أوضح في رسالة بعثها الى الوكيل الانكليزي في بندر عباس الكسندر دوجلاس، السبب الذي حدا به الى اتخاذ هذه الخطوة فقال: «ان مباني الوكالة غير محصنة بعد، وان حرسها لم يكن مسلحا تسليحا كاملا»(٣).

وما كان يخشاه وود قد وقع فعلا، فعند عودته الى بندر ريق في ٢٧ حزيران، وجد ان ثورة قد نشبت في الامارة، وان الشيخ حسين وعددا آخر معه قد قتل، وتولى الشيخ مهنا السلطة، وان مباني الوكالة

---

(١) Lorimer, op.cit., vol. I, Part.IA, p.112

(٢) Lorimet, op.cit., vol. I, part. IA, p. 113.

(٣) Lorimer, op.cit., vol.I, part. IA, p.113.

وانظر : امين، المصدر السابق، ص٦٥ ؛ perry, op.cit., p.156

الانكليزية قد دمرت وانزل عنها العلم الانكليزي [1] . وقد وصف هذه التطورات بمرارة حيث ذكر في رسالة بعث بها الى الوكيل الانكليزي في بندر عباس مؤرخة في ٢٩ حزيران ١٧٥٦ :

«لم يبق ثمة امل بنجاح الوكالة في بندر ريق وانه بانتظار التعليمات». [2]

وجاء في رد دوجلاس المؤرخ في ٢٤ تموز [3] :

«انني لاأستطيع ان اصدر اليك أية تعليمات حتى أتلقى أوامر الرئيس الموقر والمجلس [أي رئيس الشركة ومجلسها في بومباي]

واشار على وود :

عليك الآن ان تشرح للشيخ مهنا الفوائد التي ستعود على بندر ريق لو أذن لشركتنا باقامة قاعدة فيها» [4]

ومهما يكن من أمر، فان مجيء الشيخ مهنا للسلطة ثانية، جعل الظروف غير مواتية تماماً لاستمرار الانكليز في خططهم . فقد اتخذ الشيخ موقفاً صلباً منذ البداية حين رفض اعادة بناء مقر الوكالة، وبدأ يستخدم انقاضها ـ كما يذكر وود ـ في بناء سور حول المدينة . وبهدف تصفية اي نشاط انكليزي في الامارة، رفض السماح بتحصيل العوائد من البضائع الانكليزية ـ كما كان اخوه حسين قد وعدهم ـ . الا اذا وافقوا على دفع الفي روبية كل عام . وفي ليلة السادس من تشرين الثاني ١٧٥٦، ابلغت سلطات بندر ريق الوكيل الانكليزي وود وجميع العاملين معه بانهم غير

---

(١) ورد في أصل الرسالة المنشور في كتاب لوريمر :

Gazetteer of the persian Gulf, Vol.I, part. IA,pp. 113 (٢)

Lorimer, op.cit., vol. I, part. IA,p.115. (٣)

وانظر أمين، المصدر السابق، ص ص٦٦ ـ ٦٧

(٤) Lorimer, op. cit., vol. I, part. II, pp. 1815 - 1816.

مرغوب فيهم وعليهم مغادرة الامارة خلال نصف ساعة، لأن الشيخ مهنا يرى انهم اعداء ضالعون مع الهولنديين . وقد غادر وود وجميع منتسبي الوكالة على ظهر سفينتين حربيتين انكليزيتين (سوالو Swallow ودريك Drake) متوجهين الى بندر عباس فوصلوها في اوائل كانون الاول ١٧٥٦ .

وبعد تصفية الوجود الانكليزي، انصرف الشيخ مهنا الذي لم يتجاوز الثلاثين من عمره، الى التخطيط لمواجهة الهولنديين وانهاء احتلالهم لجزيرة خارج، والتصدي من جهة أخرى لكريم خان الذي صار ينازع امارة بندر ريق على هذه الجزيرة، إذ طالب الهولنديين مرات عديدة بدفع الجزية عن خارج .

ومن العمليات الحربية الذكية التي قام بها الشيخ مهنا ضد الهولنديين في جزيرة خارج، تلك التي يذكرها كارستن نيبور، وفحواها ان الجزء الاكبر من تموين الهولنديين كان يتم من بوشهر ليلا لكونها في عداء مع الشيخ مهنا . وقد استفاد الشيخ مهنا من هذه الطريقة، فوضع في سفنه الحربية الدجاج وتقدم ليلا نحو خارج، وعندما اقترب منها أمر رجاله بهز اقفاص الدجاج، ولما سمع الحراس الهولنديون اصواتها ظنوا ان سفن بوشهر التموينية قد وصلت، ولم يكن هناك اي مبرر لايقاظ بقية الجنود الذين معهم، فاستطاع الشيخ مهنا الاستيلاء على عدد من السفن الهولندية، ثم نزل في الجزيرة ومعه حوالي مئة رجل واقترب من قلعتها ثم انسحب[1]. ويبدو لنا انه اراد بذلك اشعار الهولنديين بقوته وقدرته على التصدي لهم في مواقعهم، وعلى اثر ذلك قام الحاكم الهولندي في خارج

---

(١) Niebuhr, Description de L'Arabie, p.280.

فان در هولست van der Hulst بتعزيز الاستحكامات العسكرية وتشييد حائط امام القلعة تجاه البحر، غير ان هولست ترك منصبه بعد ان استدعي من قبل حكومته وعين بدله بوشمان (١٧٦١ - ١٧٦٣)، وهو احد الاعضاء البارزين في هيئة الموظفين الهولنديين في خارج. وقد اوفد اليه الشيخ مهنا كبير قواده للتفاوض بشأن وجودهم في الجزيرة، فحاول الحاكم الهولندي اظهار مدى قوتهم العسكرية للتأثير على معنوية المبعوث واعطائه صورة توضح عدم امكانية اية قوة لازاحتهم من الجزيرة، حيث تجول الحاكم مع المبعوث في المدينة ليريه الاستحكامات بما فيها القلعة والمدافع المنصوبة عليها[١]. مبينا له بان ذلك كاف للدفاع عن المدينة ايا كانت الجهة التي تهاجم منها، غير ان المبعوث ربت على كتف بوشمان قائلا:

«لقد تركوك تستولي على هذا الحصن ولكنك لست جديرا بان تكون حاكمه[٢]»

وفي الوقت الذي كان فيه الشيخ مهنا يتصدى للهولنديين، كان الفرس يستعدون لمهاجمة امارته، وبغية ايجاد مبرر لذلك، طلب منه كريم خان سنة ١٧٦٤ الجزية بشكل رسمي، فرفض الشيخ مهنا دفعها باستخفاف، وامر بحلق لحية المبعوث الذي أرسل اليه، وعندئذ اعلن كريم خان الحرب عليه، وارسل قوة الى الساحل يبلغ تعدادها ١١٠٠ من الخيالة و٥٠٠ من المشاة لتتولى العمليات البرية ضد امارة بندر ريق بقيادة

---

(١) كانت القلعة مبنية من الحجر وعلى هيئة مربع وبها (٣٢) مدفعا وامام البوابة مقابل البحر قبة مثلثة الشكل بها (١٢) مدفعا عيارها من ٦ الى ١٨ رطلا . اما الحامية فقوامها (١٠٠) جندي اوربي .
Lorimer,op.cit.,vol. I, part. IA, p.131

(٢) نقلا عن :
Edward Ives, Journey from persia to England, (Londn, 1773), p.210.
Niebuhr, Voyage en Arabie, II,p/150.

كهنة خان، وبقيت هذه القوات مرابطة في خرموج[1] من شباط الى مايس ١٧٦٥ . وفشل كريم خان في نيل تأييد الشيوخ المحليين في المنطقة، ولم يتمكن من الحصول على مساعدة بحرية منهم[2]. وازاء هذا الموقف عمد الى تشديد التضييق على الشيخ مهنا بالتعاون مع الانكليز والهولنديين. ولذلك نراه ينقطع عن الاستمرار في مطالبة الهولنديين بدفع الجزية عن جزيرة خارج، لقاء السماح للسفن الحربية الانكليزية والفارسية باستخدام ميناء الجزيرة في العمليات العسكرية ضد بندر ريق[3]. هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان كريم خان منح الانكليز منذ تموز ١٧٦٣ امتيازات تتضمن الترخيص لهم في اقامة وكالة في بوشهر، واعفاء تجارتهم من رسوم الاستيراد والتصدير الداخلية، وحق احتكار توريد البضائع الصوفية. وتكون تجارتهم حرة من جميع القيود في انحاء بلاد فارس. واشترط على التجار المحليين عدم شراء بضائع من اية سفينة انكليزية تصل الى ميناء فارسي دون موافقة الممثل الانكليزي، بالاضافة الى الامتيازات الاخرى. وفي مقابل ذلك كان على الانكليز مساعدة السلطات الفارسية في مواجهة الاشخاص الثائرين عليها، وكذلك عليهم عدم مساعدة اعداء كريم خان بشكل مباشر او غير مباشر[4]. وقد اجرى كريم خان بعد منح هذه الامتيازات مفاوضات مع ممثلي شركة الهند الشرقية لغرض اخضاع الشيخ مهنا عن طريق اشتراك الاسطول

---

(١) مدينة في الساحل الشرقي من الخليج العربي، تبعد حوالي ٤٠ ميلا الى الجنوب الشرقي من مدينة بوشهر، كما تبعد ٢٠ ميلا عن البحر . (لوريمر، المصدر السابق، ج٢، ص١٢٨٣)

(٢) Niebuhr, Description de LArabie pp.274 / 5, Voyge en Arabie, II, p.151.

(٣) Lorimer, op.cit.,vol. I,part. II,p.1816.

(٤) Lorimer, op.cit.,vol. I.I,part. II,p. 1780.

وأنظر نص الامتيازات التي منحها كريم خان للانكليز في :

Sykes, op.cit.,vol.II,p.280.

الانكليزي في الهجوم على امارة بندر ريق[1].

لقد اصدر كريم خان اوامره الى قواته المرابطة في خرموج في مايس ١٧٦٥ بالتحرك نحو بندر ريق، بعد ان وضع الانكليز اسطولهم في خدمته، كما انضمت اليها بضعة الاف من القوات التي كانت تهاجم الاحواز آنذاك الا ان خطة الشيخ مهنا العسكرية لمواجهة الموقف، تمثلت بالانسحاب في ليلة الاول من حزيران الى جزيرة خارجو[2] القريبة من خارج والواقعة الى الشمال منها. وكان بمعيته مواطنو الامارة الذين نقلتهم وامتعتهم ومؤ نا وفيرة سبع عشرة سفينة، وقام بذبح مالم يستطع حمله من الماشية ليحول دون استفادة اعدائه منها. ولم تنجح العمليات العسكرية التي استهدفت النزول على جزيرة خارجو بسبب الاستحكامات التي كان يقوم بها الشيخ مهنا، واستطاع بذلك حماية مواطنيه من ضربات المدافع المتتابعة الآتية من البحر[3]. ويذكر لوريمر ان الشيخ مهنا كان يدفع روبية واحدة لكل من يلتقط طلقة مدفع ويحضرها له. ويجزل العطاء للنجارين الذين كانوا يصلحون له المراكب المحطمة[4].

ويبدو مما يذكره نيبور الذي كان شاهد عيان لهذه العمليات العسكرية، حيث كان ضيفا على الهولنديين في خارج من ٣١ مايس الى ٣١ تموز ١٧٦٥، ان الشيخ مهنا تلقى مساعدة من الشيخ سلمان رئيس امارة كعب في الاحواز، حيث جاء في قوله:

---

(١) Lorimer, op.cit., vol. I, part. II, p.1781.

(٢) عبارة عن جزيرة صغيرة رملية منخفضة جدا، يقع جزؤها الجنوبي على بعد ميلين ونصف شمال جزيرة خارج طولها ثلاثة اميال ونصف من الشمال الى الجنوب وعرضها نصف ميل فقط، وهي قاحلة غير مأهولة. يذكرها نيبور باسم خويري Khoueri وهي على مايبدو تصغير لخارج، كما تسمى خويرج.
Niebuhr, Voyage en Arabie, II, pp. 152 / 3.
وانظر: لوريمر، المصدر السابق، ج٢، ص١٢٦٦.

(٣) للتفاصيل، انظر: Niebuhr, Voyage en Arabie, II, pp.151 / 5

(٤) Lorimer, op.cit., vol.I, part. II, p.1787.

«في العاشر من تموز شاهدنا بالقرب من شاطيء الخليج الشرقي، عشر غلافات وبعض السفن الصغيرة، وقد علمنا ان قسما منها يعود للشيخ مهنا، والقسم الاخر للشيخ سلمان الكعبي، مما يدل على ان العدوين المشتركين لكريم خان كانا قد جمعا قواتهما البحرية[1]».

ومهما يكن من امر، فان الحملة الانكلو-فارسية انتهت في تموز ١٧٦٥ دون ان تحقق اهدافها[2]. وقد اخذ الشيخ مهنا بعدها زمام المبادرة العملية لتصفية الوجود الهولندي في جزيرة خارج، ومعاقبة كريم خان على حملته. حيث قام في ايلول من السنة المذكورة بتوجيه ضربة الى ميناء بوشهر، وذلك بفرض الحصار عليه. وطلب من الهولنديين ايقاف تجارتهم مع هذا الميناء. وعندئذ سارع الفرس للتحالف مع الهولنديين، وقاموا بعمل عسكري بحري مشترك اسفر عن احراق غلافة تابعة لامارة بندر ريق، وتحطيم اثنتين اخريين، ولكنهم فشلوا في النيل من قوة الشيخ مهنا، حيث كان قد تحصن في مواقعه بعناية[3]. فقرر الحلفاء النزول الى بر الامارة، واخذوا بمهاجمة بيوت السكان ونهبها، فهاجمهم الشيخ مهنا على حين غرة بفصيلة من الفرسان، واضطرهم الى التقهقر بدون انتظام نحو البحر، مكبدا اياهم خسائر جسيمة، وكان بين القتلى سبعون هولنديا في حين هرب الباقي الى السفن وجرح اثنا عشر منهم اثناء السباحة، وفقد الجانب الفارسي مئتي رجل. وكان لهذه الهزيمة تأثيرها الكبير على الوجود الهولندي في جزيرة خارج التي شهدت المزيد من التحصينات لمواجهة احتمالات هجوم عربي مرتقب[4].

---

(١) Niebuhr, Voyage en Arabie, II,p.159.

(٢) هنا يمكن الاشارة الى الحملة الفاشلة التي قادها كريم خان ضد امارة كعب العربية في العام نفسه. (انظر ماسبق ص)

(٣) Lorimer, op.cit.,vol. I, part.II,p.1817.

(٤) Niebuhr, Voyage en Arabie, II,p.158/9; Lorimer, op. cit., vol.I, part. II,p.1817.

لم يتباطأ الشيخ مهنا في متابعة نجاحه، فقام بالعبور من جزيرة خارجو ضمن خطة عسكرية دقيقة تمثلت بنقل (٥٠٠) من رجاله الى خارج عبر المضيق الفاصل بينهما، بحيث حال دون امكانية تعرض السفن الحربية الهولندية الكبيرة لهم. وتمكن من تطويق القوات الهولندية التي تبلغ حوالي مئتي شخص في مدينة خارج التي تقع في الشمال الشرقي من الجزيرة[١]. وحوالي منتصف ليلة ٣١ كانون الاول ١٧٦٥ وبعد حصار دام (١٣) يوما استطاع العرب تسلق اسوار المدينة والاستيلاء على احد الابراج. وفي اليوم الاول من الشهر التالي (كانون الثاني) ١٧٦٦، استسلم حراس القلعة الذين كان يتراوح عددهم بين ٦٠ - ٧٠ رجلا[٢]. وجرى بعد ذلك مغادرة الهولنديين للجزيرة بموجب اتفاق الاستسلام، الذي توصل اليه الحاكم الهولندي ماينهير فان هوتنج[٣] بمشورة وكيله الفارسي السري[٤]، مع الشيخ مهنا[٥]. وهكذا قضي على الوجود الهولندي في الخليج العربي.

---

(١) يذكر نيبور الذي زار - كما أشرنا - جزيرة خارج، ان مدينة قد بنيت في هذه الجزيرة من قبل الهولنديين، وتضم قصر الحاكم الهولندي وهو عبارة عن بناية جميلة، وفي الجهة المقابلة كان يسكن حامل الراية. وهناك كذلك عدة مساكن احتفظ بها الحاكم الهولندي لاستقبال الضيوف. وعلى الجانبين الشمالي والجنوبي من المدينة كانت هناك محلات تجارية غير انها لم تكن تتسع لكل البضائع التي ترد سنويا من باتافيا، وبنايات المدينة المشيدة من الحجر يسكنها موظفو شركة الهند الشرقية الهولندية، في حين يسكن باعة السلع الصغيرة والصيادون والحرفيون خلف هذه البنايات في اكواخ سيئة مغطاة بالحصران، وهنا يوجد ايضا السوق او مايسمى بشارع التجار.

Niebuhr, Voyage en Arabie, II,pp.161 / 6

(٢)
Puplic Depertment Diary. No. 46. Bombay Castle, 25th February 1766 (Selection from State papers, Bombay. No CLIV. P.197).

وانظر نص الوثيقة في ملاحق الكتاب

(٣) تولى منصبه حاكما لجزيرة خارج في سنة ١٧٦٥ وذلك خلفا لما ينهير بكمان الذي شغل هذا المنصب منذ سنه ١٧٦٣.

(٤) يبدو من هذه الاشارة انه كان هناك تنسيق مباشر فارسي هولندي لادارة جزيرة خارج

(٥) Lorimer, op.cit., vol.I, part. II, p.1818.

Ibid, p. 1798 1819.

وقد اقام الشيخ مهنا تحصينات اضافية في -جزيرة خارج، كما زاد من قواته فيها، اذ بلغت اكثر من ثلاثة آلاف رجل، اكثرهم من الخيالة. ويبدو ان الشيخ مهنا كان يخشى من مواجهة مرتقبة مع القوى الطامعة في المنطقة. وهذا ما حدث فعلا. حيث توصل الفرس والانكليز في ١٤ نيسان ١٧٦٨ الى اتفاق خاص يهدف، الى تقويض امارة الشيخ مهنا واحتلال جزيرة خارج وجاء فيه:

«يتعهد الوكيل [كريم خان] في حالة اخذ جزيرة خارج والقبض على الشيخ مهنا او قتله اوكسر شوكته بواسطة الانكليز ان يعطي لهم جميع اسلحة ومراكب مهنا ونصف الغنيمة ويتخلى لهم وللابد عن كامل ملك وسلطة جزيرة خارج. . (١)».

ويظهر من هذا النص ان كريم خان يدعي لنفسه السلطة على جزيرة خارج التي في حقيقة الامر لم تخضع في يوم ما للنفوذ الفارسي. وهو يحاول ان يعطي لنفسه تبريرا للتصرف بها على اساس انه طرف في المخطط الذي يستهدف تصفية الامارات العربية في المنطقة. ولذلك فقد شمل الاتفاق امارة كعب في الاحواز التي جعل كريم خان نفسه وصيا عليها ايضا، حتى تعهد للانكليز بان يجعل الشيخ سلمان بن سلطان الكعبي يدفع مبلغا قدره (١٥٠٠٠) تومان، تعويضا عن الخسائر التي الحقها رجاله بالانكليز في حروبه معهم(٢).

وبعد أسبوعين من الاتفاق الفارسي - الانكليزي، تعرضت جزيرة

---

(١) وكان المجلس في بومباي قد بعث بتاريخ ١٨ كانون الثاني ١٧٦٧ بخطاب الى وليم بيتر الوين رينش وكيل الشؤون الخاصة بالحكومة البريطانية في الخليج العربي ومجلس البصرة، اشارة فيه الى ماورد اعلاه كشرط من بين الشروط الستة التي مقدمها اساسا للمفاوضة

(٢) Selection from State papers, p.216, Loimer, op.cit, vol. I, part.II, p.1798

خارك لهجوم الاسطول الانكليزي، واستمرت العمليات العسكرية طيلة شهر مايس ١٧٦٨، غير انها لم تحقق نجاحا يذكر، وفقد الانكليز (٣٠) شخصا. وقد سببت هذه الهزيمة استياء مجلس المديرين في لندن الذي انتقد اصلا فكرة الهجوم(١) على جزيرة خارك لانها عقدت الموقف الانكليزي في الخليج العربي. اذ قام الشيخ مهنا بهجوم مقابل في آب من السنة المذكورة، واستولى على السفينة الانكليزية (سيبدويل). وفي الوقت نفسه لم تستطع القوات الفارسية التي وصلت الى جنابة (كناوة) دعم الموقف الانكليزي(٢).

بعد ان فشل الانكليز في هجومهم على جزيرة خارج، بدأوا التخطيط مع الفرس للتخلص من الشيخ مهنا عن طريق اثارة الاضطرابات في داخل امارة بندر ريق. وفي السادس والعشرين من كانون الثاني ١٧٦٩، اطاحت حركة وقعت في جزيرة خارج بحكم الشيخ مهنا، واستولى القائمون بها على قلعة الجزيرة. غير ان مهنا استطاع مغادرة خارج الى البصرة بمعية حوالي (٢٠) رجلا. وهناك اعدم شنقا بامر من المتسلم(٣) وذلك في منتصف ليلة ٢٤ آذار ١٧٦٩(٤)، وهنا يذكر لوريمر:

«ان الهدف من هذا التصرف مع الشيخ مهنا هو الحيلولة دون وقوع حكومة البصرة في حرج اذا ما قدم لها كريم خان طلبا لتسليمه، وفي هذه الحالة يستوي عار تلبية الطلب وخطورة رفض تسليمه».

---

(١) كانت فكرة الهجوم والاتفاق مع كريم خان من تخطيط مجلس الرئاسة في بومباي.
Lorimer, op. cit., vol. I, part. II, p. 1820.

٢ ـ كان متسلم البصرة في هذا الوقت سليمان اغا الذي تولى هذا المنصب في اواخر سنة ٧٦٨ ١٧٦٨.

(٣) Selections from state papers, p. 250, lorimer, op. cit., vol. I, part. II, p. 1820, perry, op. cit. p. 158,
عبد الامير محمد امين، المصالح البريطانية في الخليج العربي، ص ١٦٣

(٤) Selections from state papers, p. 251, lorimer, op. cit, vol. I, part. II, p. 1821.

وبالاطاحة بالشيخ مهنا تحقق النفوذ الفارسي في امارة بندر ريق، حيث تسلم السلطة شخص يدعى حسين خان الذي لم تقدم المصادر معلومات عن شخصيته ومدى صلته بقبيلة بني صعب التي كان شيوخها يتولون حكم الامارة، فقد بدأ حكمه بتعاون وثيق مع كريم خان وسمح لشخصين يمثلانه بالقيام بجرد ممتلكات جزيرة خارك. اما الانكليز، فان حسين خان قد دعاهم الى اعادة انشاء وكالتهم في بندر ريق[1]. غير ان ما طرأ على العلاقة بينهم وبين كريم خان جعلتهم يتريثون في اتخاذ قرار الموافقة، فقد توقف نشاط وكالة شركة الهند الشرقية الانكليزية في بوشهر بسبب المتاعب مع كريم خان، لذلك رفضوا عرض حاكم بندر ريق، وتركزت تجارتهم في البصرة، فأدى ذلك الى المزيد من التأزم، حيث اعتبر كريم خان هذا الاجراء كفيلاً بالقضاء على التجارة الفارسية.

ان امارة بندر ريق العربية التي استطاع زعيمها الشيخ مهنا بن ناصر ان يقوض الوجود الهولندي في جزيرة خارك، ويتصدى للتغلغل الانكليزي في الامارة، ويقف بوجه الاطماع الفارسية، شهدت تآمر كل هذه الاطراف للقضاء على كيانها، فكانت حركة السادس والعشرين من كانون الثاني ١٧٦٩ التي انهت الدور الذي مارسته الامارة في عهد الشيخ مهنا.

---

١ - ولسون، المصدر السابق، ص ٢٠٥ ;Miles, op.cit.,p.271

وانظر:

Lorimer, op.cit., Vol. I, part. IB, p.1244.

الفصل الثالث

ابعاد السياسة الفارسية

في الساحل الغربي للخليج العربي في القرن الثامن عشر

لم تختلف سياسة كريم خان في الساحل الغربي من الخليج العربي عن تلك التي مارسها في الساحل الشرقي. وهي تشكل المرحلة الثانية من خططه للهيمنة على جميع منطقة الخليج العربي. وقد حاول ايجاد موطئ قدم في الساحل الغربي لاتخاذه قاعدة للتوسع على امتداد هذا الساحل. وتمثل تحركه بهذا الاتجاه في تهديداته لدولة البوسعيد في عمان واحتلاله لمدينة البصرة.

١ ـ عمان

بلغت عمان اوج قوتها وازدهارها في عهد احمد بن سعيد الازدي العماني (١٧٤٩ ـ ١٧٨٣)، الذي تزعم الحركة التحررية التي انطلقت من صحار لتخليص البلاد من الاحتلال الفارسي الذي فرض عليها في عهد نادر شاه والتي انتهت بتحرير عمان وتأسيس دولة جديدة هي دولة البوسعيد.[1]

وقد بذل احمد بن سعيد جهودا كبيرة لتعزيز اسطوله حتى اصبحت عمان قوة بحرية كبيرة في الخليج العربي والمحيط الهندي، وتوسعت تجارتها بشكل كبير، وبهذا الصدد يمكن الاشارة الى تقرير المقيمية البريطانية في البصرة حول التجارة في الخليج العربي والذي يوضح ازدهار عمان التجاري حيث جاء فيه:

«ان مسقط سوق لقسم كبير من التجار بين الخليج والهند. وتلك فائدة تدين بها لنشاط حكامها وعدالتهم. وان لها اسطولاً مرموقاً وتجارها يبنون لانفسهم في نواح

Miles, cit, p. 265

للمزيد من التفاصيل، انظر:
جمال زكريا قاسم، دولة بو سعيد في عمان وشرق افريقيا، القاهرة ١٩٦٧.

متعددة من بلاد الهند انواعا مختلفة من السفن ذات الاشرعة المربعة ، القادرة على الحمولة الضخمة ، وغدا ميناء مسقط مرسى ترتاده سفن الدول الاوربية . والتجارة منبع خصب للثروة قلما ينضب ، لهذا جعلت من مسقط ميناء بحريا اكثر ثراء وازدهاراً من اي ميناء آخر واقع على الخليج» . (٢)

ولمواجهة القوى الطامعة عززت عمان استحكاماتها العسكرية ، ولما كانت مسقط هي مقر اقامة السلطان ، فان ترميم واصلاح اسوارها كان يجري بصورة مستمرة . وهذه الاسوار تحيط بالجانب الغربي والجنوبي منها فقط ، اما الجانب الشمالي الشرقي فيحميها خليج مسقط والجبال الشرقية . ويبلغ طول ضلع الاسوار الغربية قرابة (٦٠٠) متر يبدأ من الشمال عند (باب المثاعيب) وينتهي عند (الباب الكبير) في نهاية الضلع الغربي من الاسوار ، حيث يبدأ ضلعا صغيرا يقطع زاوية التقاء الضلعين الغربي والجنوبي يبلغ طوله (٢٠٠) متر وينتهي عند (باب الكبريتة) ثم تأخذ الإسوار في الامتداد نحو الشرق قرابة (١٣٠٠) متر . كما يحصن ويدافع عنها ويراقب مداخلها من البر والبحر ، مجموعة من الابراج التي تعلو الجبال التي تحيط بضواحيها . وقد بنيت هذه الابراج من مجموعة من الصخور السوداء ، مما جعلها تبدو وكأنها منازل على قمم الجبال . ومهمة هذه الابراج هو اعطاء اشارات ضوئية للقلاع والحصون حتى تستعد للدفاع عن المدينة او الميناء وهي بذلك اشبه بفنارات المواني . ولعل من اهم واشهر ابراج مسقط التي ما تزال باقية حتى الان برج (سعالي) الذي يوجد في الركن الجنوبي الشرقي للمدينة وبرج (بوستو) الذي يوجد خلف منتصف المدينة . هذا بالاضافة الى العديد من القلاع والحصون الساحلية . (٣) .

---

(٢) Report on the Commerce of Arabia and persia by Samuel Monesty and Harfore jones, 15 August 1790 .

(Selections from State papers, Bombay, Appendix F. pp. 405 - 434).

(٣) سعاد ماهر ، الاستحكامات الحربية في سلطنة عمان ، ص ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

لقد مكنت هذه الاستحكامات بالاضافة الى الامكانيات البحرية المتمثلة بالاسطول التجاري والحربي، امام عمان احمد بن سعيد من مواجهة القوى الطامعة وقبول تحديها . فعندما طالب كريم خان في سنة ١٧٦٩ بدفع الاتاوة التي كانت تدفع ايام نادر شاه كدليل على خضوع عمان لسيادته ، رفض احمد بن سعيد طلبه بازدراء وتضمن رد حكومة مسقط ، ان عمان دفعت الاتاوة لنادر شاه سياسة لا حقاً وانها لا ترهب كريم خان وتهديداته كما جاء فيه .

«اذا اصر كريم خان على مطلبه فسيكون الجواب بالمدافع والقنابل»(٤)

ولما كان كريم خان عاجزا عن تنفيذ تهديداته بحكم القوة التي وصلت عمان في عهد احمد بن سعيد ، فانه حاول التنسيق مع الانكليز والعثمانيين لمهاجمة عمان . فقد كتب في شباط ١٧٧٤ الى كل من هنري مور الوكيل البريطاني في البصرة وكذلك الى سليمان أغا متسلم البصرة يخبرهما بعزمه على شن حرب ضد امام عمان ويطلب منهما مساعدته في ذلك . غير ان الانكليز والعثمانيين امتنعوا عن تقديم المساعدة المطلوبة .(٥) والحقيقة ان الانكليز على ما يبدو لم يكونوا راغبين في زج انفسهم في مثل هذه المشاريع خصوصا بعد تجربتهم كطرف مع كريم خان ضد امارتي كعب وبندر ريتي ، خوفا على مصالحهم في منطقة الخليج العربي . اما العثمانيين فان مصلحتهم كانت تتطلب بقاء عمان قوية ومستقلة وبعيدة عن النفوذ الفارسي وذلك للمصالح التجارية المهمة التي تربط عمان بالبصرة . كما ان استمرار عمان كقوة بحرية مهمة في الخليج العربي يحد من تعاظم النفوذ الفارسي في المنطقة والذي يمثل تهديدا للبصرة نفسها وللمصالح العثمانية في الخليج العربي عموما .(٦) وهذا ما

---

(٤) Lormer, op. cit., vol. i part. IA, p. 144, Miles, op cit ,p. 271

(٥) Selection from State oapers, 282; Lorimer, op. cit, vol .l part. IB, p. 1245 .

(٦) انظر عبد الامير امين، القوى البحرية ،ص ٦٣ .

حدث فعلا عندما تعرضت البصرة سنة ١٧٧٥ للغزو الفارسي حيث شاركت عمان باسطولها البحري في الدفاع عن المدينة وتسهيل امدادها بالتجهيزات .[٧] وقد اشاد السلطان عبد الحميد الاول (١٧٧٣ ـ ١٧٨٩) بالمعونة التي قدمها العمانيون واصدر فرمانا سلطانيا يقضي بدفع معونة مالية سنوية الى امام عمان ، ومنح التجار العمانيين حرية التجارة في العراق ورفع الرسوم التي كانت تفرض على البن العماني[٨] .

٢ ـ البصرة

تردد منذ سنة ١٧٧٣ ان كريم خان ينوي الهجوم على البصرة واحتلالها باعتبارها محورا من محاور التوسع الفارسي . ويقدم بعض الاوربيين المختصين بشؤون الخليج العربي تفسيرا لذلك فيقول مالكولم Malcolm ان كريم خان اراد بغزوه للبصرة اشغال الجيش الفارسي بمهمات خارج الحدود بعد ان شعر بوجود تذمر بين صفوفهم .[٩] ويرى لوريمر Lorimer ان هناك ما يشير الى اعتقاد كريم خان بان احتلاله للبصرة يساعده على اخضاع عمان التي كانت اغلب تجارتها مع هذا الميناء ويساعده كذلك على احباط السياسة التي اتبعها الوكيل الانكليزي في البصرة والتي تهدف الى مقاطعة الموانئ الفارسية وجعل البصرة مركزا رئيسا للتجارة جميعا .[١٠] اما مايلز Miles فيعتقد ان هزيمة الجيش الفارسي في شمال العراق[١١] هي التي دفعت كريم خان الى التفكير بشن الحرب على نطاق واسع . وكان من

---

(٧) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٢٢٩ .

(٨) Miles, op. cit., p. 274

(٩) Malcolm ,op. cit., II. p 79 .

(١٠) Lorimer, op. cit vol. I part .IA, p. 145

(١١) في سنة ١٧٧٤ اجتازت حدود العراق الشمالية قوات فارسية قوامها عشرة الاف جندي ، غير انها دحرت بعد معركة ضارية دارت بالقرب من قره جولان واخذ قائدها اسيرا الى بغداد .
(دوحة الوزراء ، ص ١٤٩) .

المتوقع ان ينتقم بعمل ضد بغداد او البصرة . وكانت الثانية هي ارجح الاحتمالين حيث ان كريم خان كان مغتاظا من النجاح التجاري الذي احرزته البصرة التي اتسعت عوائدها وتزايدت اهميتها في تلك المرحلة ، في حين تضاءلت الاهمية التجارية لميناء بوشهر بعد ان اغلقت شركة الهند الشرقية الانكليزية وكالتها التجارية(١٢) في هذا الميناء بسبب متاعبها مع كريم خان ، وتركزت في البصرة جميع تجارتها مع الخليج العربي وبالتالي كان انهيار تجارة بوشهر محتوما(١٣) .

والحقيقة ان الغزو الفارسي للبصرة وان كانت بعض اسبابه تتعلق بتجارة البصرة كما اشار لوريمر ومايلز، الا انه لايخرج عن نطاق المشاريع الفارسية التوسعية. فقد سبق ان تعرضت البصرة - كما اشرنا - لغزو فارسي في السنوات ١٦٢٤ و ١٦٢٥ و ١٧٣٥ و ١٧٤٣ .

ومهما يكن من امر، فان كريم خان كان يبحث عن ذريعة لتحقيق اطماعه التوسعية تكون بمثابة عود ثقاب يشعل بها نار الحرب، فطالب برأس والي بغداد عمر باشا مدعيا انه يسيء معاملة التجار الفرس ويسلب اموالهم. كما اتهم حكومة بغداد بتقديم المساعدة الى احمد بن سعيد امام عمان(١٤). وكان كريم خان قد ابدى رغبته في مشاركة السفن الانكليزية والعثمانية في الهجوم الذي ينوي القيام به ضد عمان ولمح بانه سيغزو البصرة اذا لم يجب مطلبه حيث جاء في خطاب بعثه هنري مور الوكيل البريطاني في البصرة الى والى بغداد بتاريخ ٢٠ شباط ١٧٧٤ مايلي :

---

(١٢) اقامت شركة الهند الشرقية الانكليزية وكالتها التجارية في بوشهر سنة ١٧٦٣م بعد غلق مكتبها التجاري في ميناء بندر عباس (كانت تسمى غومبرون ثم صارت تدعى بندر عباس منذ سنة ١٦٢٢ م) حيث تعرض لهجوم الفرنسيين سنة ١٧٥٩م انظر جان جاك بيريبي، الخليج العربي، ص ٢١٥، ولسون، المصدر السابق، ص ٥ .

(١٣) Miles, op. cit., p. 271

(١٤) Malcolm, op.cit., vol. II, P. 79. Miles, op. cit., P. 271

«اعتقد ان متسلمك[١٥]. يكتب اليك الان بخصوص الطلب المقدم من كريم خان، حاكم فارس من اجل ان تساعده السفن الانكليزية والتركية في حربه ضد مسقط العربية، وهو طلب اتمنى ان يسري في اعتقاد فخامتكم انني لااستطيع النهوض له اذ ليس في وسعي، مع احترامي للسفن الانكليزية ان تستجيب له، ويهدد كريم خان بغزو البصرة وتدميرها في حالة عدم الاستجابة لطلبه، ورأيي المتواضع انه ينبغي على فخامتكم بان تأمر قواتك على الفور بالاستعداد للدفاع عن المدينة وتطلب من القبائل العربية بالسير اسفل ضفاف النهر للحيلولة دون نزول الفرس على الضفة اليمنى منه، وكلما اسرعتم بذلك كلما كان افضل، اذ ان البصرة طبقا لمعلوماتي ليست حصينة بما يكفي»[١٦]. .

ان موقف كريم خان ماهو الا حجة لاعلان الحرب على العراق، اذ قبل ان يتلقى جواب حكومة بغداد شنت القوات الفارسية عدوانا واسعا على العراق من عدة جهات فقد تحركت من شيراز لمهاجمة البصرة قوات تعدادها خمسون الفا بقيادة صادق خان ـ شقيق كريم خان ـ اضافة الى قطعات بحرية تتكون من حوالي ثلاثين سفينة صغيرة[١٧] وفي الوقت نفسه كانت هناك قوات فارسية اخرى يقدر عددها بعشرين الفا قد عبرت حدود العراق الشمالية واحتلت عدة مواقع مهمة، واخذت تتقدم باتجاه محور كركوك ـ اربيل[١٨] .

---

(١٥) يقصد حاكم البصرة سليمان أغا الذي شغل هذا المنصب غير مرة في السنوات ١٧٦٥ ـ ١٧٧٦م. وقد تولى باشوية بغداد سنة ١٧٨٠م لغاية ١٨٠٢م.

(١٦) Letter from the Agent at Basrah to the pasha of Bagdad, dated the 20th February 1774)Selections from State papers, Bombay, No‡ CCIII(.
وانظر Factory Records, persia andthe persian Gulf,: Vol. 17.

(١٧) نص الخطاب في ملاحق الكتاب Parsons, Travels in Asia and Africa, P. 162, Malcolm, op. cit., vol. II, P. 79.

(١٨) دوحة الوزراء، ص ١٥٠ ـ ١٥١.

وكان الهدف من هذه الخطة العسكرية جعل العراق يحارب على عدة جبهات، مما يسهل مهمة القوات المتقدمة لاحتلال البصرة الهدف المقصود من شن الهجوم على العراق لذلك ما ان بدأت القوات الفارسية بمحاصرة البصرة حتى اصدرت القيادة الفارسية اوامرها الى قواتها في جبهة العراق الشمالية بالانسحاب الى داخل الحدود الفارسية(١٩) .

لقد كان الموقف العسكري بالغ الخطورة اذ لم يكن لدى حكومة بغداد من القوات ماتستطيع به مواجهة العدوان الفارسي، لذا عرضت الامر على الباب العالي وطلبت المساعدة العاجلة(٢٠). ولما كانت الدولة العثمانية قد خرجت منذ وقت قريب من حرب خاسرة مع روسيا انتهت بعقد معاهدة كجك قينارجي ١٧٧٤(٢١) فانها حاولت ايقاف الحرب بالطرق السلمية ،حيث اوفدت مبعوثا الى العاصمة الفارسية ليقابل كريم خان ويتباحث معه حول الموقف ويبلغه بانها على استعداد لعزل والي بغداد اذا كان ذلك يؤدي الى عودة السلام. غير ان مباحثات المبعوث العثماني لم تسفر عن اية نتيجة اذ رفض الخان سحب قواته من الاراضي العراقية(٢٢) .

وفي السادس عشر من اذار ١٧٧٥ وصلت القوات الفارسية شط العرب واصبحت بالقرب من مصب نهر السويب(٢٣)، تواجهها قوات عربية كبيرة من عشائر المنتفق بقيادة الشيخ عبد الله السعدون، كانت قد اتخذت مواقعها على الجانب الغربي من شط العرب لتمنع عبور الغزاة الى هذا الجانب(٢٤). وقد تقدمت البصرة بطلب عاجل الى امام عمان احمد بن

(١٩) نفس المصدر، ص ١٥١.
(٢٠) احمد جودت، تاريخ جودت، جـ٢، ص ٤٢
(٢١) انظر محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ١٦٠
(٢٢) دوحة الوزراء، ص ١٥٢.
(٢٣) احد روافد شط العرب على الضفة اليسرى من النهر الرئيسي، وعلى بعد ٣٥ ميلا اعلى البصرة.
(٢٤) Lorimer, op. cit., vol. I, part. IB, P. 1249.

سعيد لمشاركة اسطولها في الدفاع عن المدينة، فبعث الامام بخطاب يعد فيه بتلبية الطلب[٢٥].

وكانت استحكامات البصرة الدفاعية غير حصينة، بالاضافة الى ان الحامية لم تكن تؤلف وقتئذ سوى خمسة عشر الف مقاتل، وان الجنود الاجراء وقوة القبائل لم تكن تبلغ عشر هذا المقدار ومعظم المدافع غير قابلة للاستعمال[٢٦] ويصف الرحالة الانكليزي بارسونز[٢٧] Parsons الذي كان شاهد عيان للحصار الفارسي، دفاعات البصرة فيقول:

«ان المدينة محاطة بالاسوار وخندق واسع عميق، ولها خمسة ابواب[٢٨]، والاسوار مشيدة من اللبن يتراوح سمكها بين ٢٠ و ٢٥ قدما عليها استحكامات مرتفعة بها كوى لرماة السهام (والعرب رماة ماهرون) ولاتحيط الاسوار بالمدينة من ناحية البر فقط، بل تلتف حولها كذلك من ناحية الخليج، على ان البوابتين الكبيرتين اللتين تواجهان البر المحيط بالمدينة، وهما بوابة (بغداد) وبوابة (الزبير) ليس حول ايهما خندق لحمايتها. وهناك ثمانية ابراج، في كل برج ثمانية مدافع كبيرة واثنى عشر مدفعا صغيرا، بالاضافة الى بعض المدافع المثبتة على سفينتين حربيتين تواجهان الاسوار وفي الناحية اليمنى من مدخل الخليج الذي يبعد بعض

---

(٢٥) Miles, op. cit., P. 272.

(٢٦) لونكريك، المصدر السابق، ص ٢٢٧.

(٢٧) كان في الاصل ضابطا بحريا، وفي سنة ١٧٦٧م عينته الشركة التركية وهي شركة انكليزية كانت تعمل في التجارة في بلاد الدولة العثمانية على شاكلة شركة الهند الشرقية الانكليزية، فتصلا ووكيلا تجاريا لها في ميناء الاسكندرونة. غير ان بارسونز مالبث ان استقال من منصبه هذا بعد ان قضى فيه ستة اعوام، ثم بدأ في القيام برحلته الاستطلاعية التي جاءت به الى البصرة التي تصادف وجوده فيها حين قام الفرس بحصارها. (انظر مقدمة رحلته).

(٢٨) ثلاثة من ابواب البصرة تواجه جنوبي الجنوب الشرقي وتبدأ من هناك حتى النهر وتدعى باب «المجموعة» وباب «السراجي» وباب «الزبير»، اما البابان الباقيان اللذان يواجهان شمالي الشمال الغربي فيدعيان «باب الرباط» و «باب بغداد».

الشيء عن المدينة ؛ توجد قلعة مزوده بثمانية مدافع ، وعلى الناحية المقابلة ثمانية مدافع اخرى، بالاضافة الى بطارية من اربعة مدافع تتحكم في مدخل الخليج وموضوعة بحيث يتسق عملها مع عمل القلعة في الدفاع عنه(٢٩) .

وبشأن قوة البصرة البحرية ، فانها كانت تضم بالاضافة الى الزوارق الحربية الصغيرة ، اربعة قطع حربية اثنتين كبيرتين هما (دجلة) و (الفرات) مزودة كل منهما باربعة عشر مدفعا كانتا قد بنيتا في بومباي(٣٠) وسلمت الى سلطات البصرة في اواخر سنة ١٧٧٣ الا انها ظلت تحت قيادة انكليزية ، وسفينتين صغيرتين من نوع (الغلافة) تحمل كل منهما ثمانية مدافع وعددا من الجنود يتراوح بين ثمانين ومائة جندي ، وهي ايضا تحت قيادة انكليزية(٣١) .

غير ان قوة البصرة العسكرية اذا ماقورنت بحجم القوة العسكرية الفارسية الغازية تكون سهلة المنال بحكم الحسابات العسكرية التقليدية . لكن هذا الواقع العسكري لم يكن ليؤثر في شجاعة وتضحية هذه المدينة . ويبدو الامر واضحا من خلال رفض البصرة الاستجابة لابتزاز الفرس . فبينما كانت المدينة تشهد جهودا كبيرة في تقوية

---

(٢٩) Parsons, op. cit., P. 168, Lorimer, op. cit., vol. I, Part. IB, PP. 1249 - 50 .

(٣٠) كان باشا بغداد قد كتب الى حاكم بومباي في تشرين الثاني عام ١٧٧٢م راجيا منه بناء سفينتين كبيرتين له في الهند لتساعده على تأمين الملاحة في شط العرب والخليج العربي وقد اشترط «ان تكون السفينتان جيدتين تحمل كل منهما اربعة عشر مدفعا ولا تزيد قيمة الواحدة على خمسة واربعين الف روبية» . واستجاب حاكم بومباي لطلب الباشا وتم بناء السفينتين خلال عام ١٧٧٣م . وعندما عاد وكيل الشركة من بومباي الى البصرة في نهاية عام ١٧٧٣م ، جاء بهما معه وبعث بخطاب الى باشا بغداد جاء فيه :

«وانني لجد سعيد اذا احضرت السفينتين اللتين ارسلتني من اجلها . . .» Selections from State papers p. 281 .

(٣١) Parsons, op. cit., P. 168 وانـظر: Lorimer, op. cit., vol. I, Part. IB, P. 1250 .

الاستحكامات والتحصينات الدفاعية، وصلها مبعوث فارسي يعرض استعداد حكومته للتخلي عن غزو البصرة لقاء مبلغ كبير من المال غير ان المبعوث طرد دون ان يتلقى ردا. وبعد ذلك بحوالي اسبوع (٢٣ اذار ١٧٧٥) وصل وفد فارسي عرض على حكومة البصرة ان تدفع عشرين لكا(٣٢) من الروبيات والا فان قواتهم ستحتل المدينة في غضون خمسة ايام، لكن الوفد الفارسي طرد دون جواب كما حدث في المرة السابقة(٣٣).

واصلت البصرة استعداداتها الدفاعية وتم اقامة حاجز يمنع الملاحة في شط العرب ويحول دون وصول الامدادات الى القوات الفارسية بالحد من عبور المزيد من السفن الى شمال المدينة. والحاجز عبارة عن جسر من القوارب الكبيرة ربط بعضها ببعض بالسلاسل والحبال وتم حصرها في صدر نهر العشار(٣٤). كما وصلت من بغداد قوة من الانكشارية يبلغ عددها حوالي مئتي جندي مع رسالة من الوالي الى حكومة البصرة يذكر فيها بانه سيرسل المزيد من القوات لرد العدوان الفارسي.

وفي السادس من نيسان اقتربت طلائع القوات الفارسية من المدينة، ويقدر عددها حسبما جاء في تقارير الوكالة البريطانية في البصرة التي شاهد موظفوها تقدم هذه القوات من شرفة الوكالة، بعدة آلاف من الخيالة والمشاة. واخذت بالتمركز قرب باب بغداد التي تؤدي الى قلب المدينة المأهول بالسكان. وفي صباح اليوم التالي وصلت مؤخرة القوات واخذت مواقعها في الخطوط الامامية. وقد اشغل المعسكر الفارسي

---

(٣٢) الملك الواحد يساوي مائة الف روبية.

ويذكر لونكريك ان الوفد الفارسي طلب لكين (اربعة قرون من تاريخ العراق، ص ٢٢٧).

(٣٣) Parsons, OP. cit., P. 164, 167.

(٣٤) Ibid, P. 168, Lorimer, OP. cit.. vol. I, Part. IB, P. 1252. وانظر لونكريك، ص ٢٢٨.

يتفرع نهر العشار من شط العرب عند مدينة البصرة، وتقع عليه مدينة العشار التي تبعد عشرة كيلو مترات من البصرة.

مساحة تبلغ ثلاثة اميال عرضا وخمسة اميال طولا[٣٥] وبالرغم من اقتراب القوات الفارسية فان معنويات السكان [٣٦] كانت عالية وبهذا الصدد يقول بارسونز :

«كان جميع الرجال في البصرة يحملون السلاح ، وواضح ان قواهم المعنوية كانت عالية ، وهم طوال الليل في حراسة اسوار المدينة وعلى اهبة الاستعداد الكامل لصد اي هجوم بمجرد محاولة القيام به»[٣٧] .

وقد حاول ثلاثمائة فارسي في صباح الثامن من نيسان ، الاقتراب من الاسوار للتعرف عليها ، غير ان طلقات المدافع سرعان ما انهالت عليهم . وفي الوقت نفسه اجبرت ست عشرة سفينة فارسية على التراجع حاولت ان تقترب من المدينة[٣٨]

وفي تقرير للوكالة البريطانية في البصرة حول احداث الغزو الفارسي ، ان رئيس الوكالة هنري مور والعاملين معه قاموا بجولة في المدينة بعد ظهر يوم ٨ نيسان ، اطلعوا خلالها على الاستحكامات المقامة عند مصب العشار ، وقد لاحظوا ان السكان جميعا كانوا متحمسين للدفاع عن المدينة وان احدهم لم يكن يترك مكانه المكلف بحراسته ليلا او نهارا .[٣٩]

---

(٣٥) Selections from State papers, Bombay, P. 288 .

(٣٦) يقول بارسونز ان عدد سكان البصرة في ذلك الوقت يتراوح بين ٨٠ ـ ٩٠ ألف نسمة، وكان من بينهم حوالي ٥٠ الف رجل وشاب قادر على حمل السلاح، ويذكر ان عدد سكان البصرة قبل ان يحل وباء الطاعون فيها سنة ١٧٧٣م كان يبلغ ٣٠٠ الف نسمة . parsons, op. cit., p. 173 .

اما مالكولم فيقول ان عدد السكان كان اربعين الفا، وتشكل الحامية حوالي ربع السكان . Malcolm, op. cit., vol. II, P. 80 .

(٣٧) Parsons, op. cit., P. 172 .

(٣٨) Ibid, pp. 172 - 3 .

(٣٩) Selections trom State papers, Bombay, P. 296 وانظر : Parsons, op. cit., p. 173 .

وكانت الوكالة البريطانية تراقب عن كثب تطورات الموقف العسكري ، وقد اعدت منذ ان هدد الفرس بغزو البصرة سنة ١٧٧٤ ، خطة للجلاء عنها . وهذا ما صرح به هنري مور لحكومة البصرة التي اوضحت له بان هذا الاجراء في حالة تنفيذه ستكون له نتائج سيئة على العلاقات لانه يساهم في شل حركة النشاط التجاري وهو هدف يسعى الفرس الى تحقيقه ، وقدمت له ضمانا بتعويض الشركة عن اية اضرار تتعرض لها . فتعهد الوكيل البريطاني بالا يترك البصرة طالما هي في ايدي العثمانيين وذكر ان الطرادات الانكليزية ، قد ابقيت في ميناء البصرة بهدف حمل بضائع الشركة اليها في حالة الضرورة .(٤٠)

واصلت القوات الفارسية حصارها المفروض على البصرة ، وشهد القسم الشمالي من المدينة هجمات عديدة في محاولة لاحداث ثغرة بسوره بين بوابتي الزبير وبغداد ، اذ ليس حول ايهما خندق لحمايتها . وكان اعنف هجوم ذلك الذي تعرضت له المدينة في يوم ٩ نيسان ، حيث يذكر بارسونز انه في حوالي الساعة الثانية صباحا وكانت الليلة حالكة الظلام ، حاولت قطعات فارسية تسلق الاسوار في اماكن مختلفة بين بوابتي الزبير وبغداد ، ودار القتال رجلا لرجل وبالايدي بين المهاجمين والمدافعين من رجال قبيلة المنتفق بقيادة الشيخ ثامر ، وما كاد ضياء النهار ينتشر حتى هزم الفرس بعد تلاحم دام اكثر من ساعتين.. وقد رأى بارسونز في صباح ذلك اليوم اثني عشر رأسا من رؤوس الفرس معلقة على باب بغداد وتسعة رؤوس على باب الزبير .(٤١)

وهناك اشارة مهمة يوردها بارسونز تتعلق بمشاركة النساء البصريات في الدفاع عن المدينة ، حيث يذكر انه بينما كان القتال على اشده في تلك

---

(٤٠) Selextions from State papers, pp. 283 - 4 ابلغ مور باشا بغداد بموافقته على عدم نقل بضائع الشركة، وذلك في خطاب بعثه اليه في الرابع عشر من كانون الاول ١٧٧٤م.

(٤١) Parsons, op. cit., p. 173 - 4 وانظر: Selections from State Papers, Bombay, P. 296, لونكريك، المصدر السابق، ص ٢٢٨.

الليلة ، سارع البريطانيون بترك مبنى الوكالة وجدوا في السير نحو مصب العشار ، وكان هو ومعه رجل اخرهما من ترك مبنى الوكالة، وقد استغرقا في الطريق اكثر من ساعة يتهددهما القتل فيها غير مرة (من الاحجار التي تلقيها النساء البصريات عليهما من فوق اسطح المنازل لتصورهن انهما من الفرس [٤٢] .

وازاء الهزيمة التي لحقت بالقطعات الفارسية ، شدد الفرس من حصارهم وتقدمت قواتهم الى مسافة قريبة جدا من المدينة ، وشنت هجمات عديدة باءت جميعها بالفشل غير ان الفرس تمكنوا في هجوم واسع عنيف من احداث ثغرات بالسور في خمسة مواقع، بعد ان دكت المدينة بالمدفعية التي كانت تحت قيادة ضباط اوربيين[٤٣]) . كما هوجم ليلا جسر القوارب الذي كان قد وضع في صدر العشار ، واحرق احد ها وكانت قدرة المدينة البحرية قد ضعفت حيث فوجئت في ١١ نيسان بمغادرة القطع الحربية الانكليزية وعلى ظهرها الوكيل هنري مور وموظفو الوكالة وبارسونز ومعهم القطع الحربية الاربعة التابعة للعراق التي كانت ـ كما اشرنا ـ تحت قيادة انكليزية الامر الذي اثار استياء السكان ونقمتهم واعتبروا هذا العمل ـ مهما كانت دوافعه ـ لا يخرج عن كونه خطة ترمي الى تسهيل عملية الاحتلال الفارسي للبصرة .[٤٤]

وعند وصول القطع البحرية التي انسحبت من البصرة ، الى الخليج العربي ، ارسل الوكيل الانكليزي هنري مور الثلاثتين التابعتين لبحرية البصرة الى الكويت، اما القطعتين الحربيتين (دجلة والفرات) فقد ابحرت مع القطع البحرية الانكليزية الى بوشهر في طريقها الى الهند .

---

(٤٢) Parsons, op. cit., P. 173 وانظر : PLorimer, OP. cit., vol. I, Part. IB, P. 1255.

(٤٣) Selections from State . Parsons, OP. cit., P. 174

(٤٤) Pavsons, OP. cit., P. 178, Lorimer, OP. cit., vol. I, Part. II, P. 1811. Pasoms, OP. cit. P. 183 .

وبعث هنري مور بخطاب الى متسلم البصرة بتاريخ ١٨ تموز ١٧٧٥ علل فيه سبب اصطحابه هاتين السفينتين معه الى الهند ، حيث جاء فيه :
«انني لو تركت السفينتين العائدتين لكم في البصرة لاستولت عليهما بالتأكيد السفن الفارسية فنصيحتي اليك ان ترسل الى امر ببيعهما في بومباي لتعذر ارجاعهما اذ لا يمكن توفير طرادة لحمايتهما او توفير رجال لقيادتهما» .

والحقيقة انه منذ ان بدأ الغزو الفارسي للبصرة ، كانت هناك اتصالات بين الفرس والانكليز بقصد تسوية جميع المشكلات القائمة بينهما . وقد وصل الى بوشهر في السابع من نيسان ١٧٧٥ اي في نفس اليوم الذي بدأت فيه القوات الفارسية حصارها للمدينة ، روبرت جاردن(٤٥) احد اعضاء شركة الهند الشرقية في بومباي ، وذلك في مهمة تستهدف استئناف العلاقات مع كريم خان واعادة فتح الوكالة التجارية في بوشهر . وفي الحادي عشر من نيسان بعث جاردن بخطاب الى كريم خان شرح فيه مهمة بعثته ، وذكر انه لما كانت الصداقة التامة بين الانكليز والفرس موجودة منذ القدم ، فان حكومة بومباي قد فوضته في اعادة فتح الوكالة في بوشهر وعودة السفن الانكليزية الى ممارسة نشاطها التجاري مع الموانئ الفارسية . وقد كان التأكيد الفارسي للمبعوث الانكليزي (بان كريم خان ليس لديه شيئ اكثر اهمية من تأسيس الوكالة الانكليزية في المناطق التابعة لنفوذه)(٤٦) .

ونلاحظ انه عندما وصل هنري مور الى بوشهر في الخامس عشر من نيسان ١٧٧٥ ، ومعه رجال الوكالة ، بعد ان انسحبوا من البصرة كتب روبرت جاردن ثانية الى كريم خان يطلب منه ان يأمر صادق خان قائد

---

(٤٥) في سنة ١٧٥٤م عمل روبرت جاردن كموظف في وكالة شركة الهند الشرقية الانكليزية في البصرة ثم نقل في نيسان ١٧٦١م.
(٤٦) Lorimer, OP. cit., vol. I, Part. II, PP. 1811 - 1821.

القوات الفارسية المحاصرة للبصرة ، بان يأخذ كل الاحتياطات الممكنة للمحافظة على ممتلكات الوكالة الانكليزية هناك عند احتلال المدينة . وقد تلقى جاردن ردا من كريم خان تعهد فيه بتوفير هذه الحماية ، وذكر انه أرسل اوامره بهذا الخصوص ، وهو يرحب بعودة ممثلي شركة الهند الشرقية الى المدينة عند احتلال قواته لها(٤٧)

وواضح ان التنسيق الفارسي مع الانكليز يعيد الى الاذهان تحالفهم مع البرتغاليين في مطلع القرن السادس عشر وقوى اوربية اخرى ، ضمن سياسة تهدف الى فرض نفوذهم في منطقة الخليج العربي .

لقد تصور الفرس ان البصرة بعد ان فقدت قوتها البحرية الرئيسة ساقطة بايديهم في الحال غير ان حساباتهم العسكرية كانت هي الساقطة فقد استطاعت هذه المدينة ببضعة سفن صغيرة من نوع (تكنات) ان تواجه باقتدار القوة البحرية الكبيرة المعادية وتحطم العديد من القطع الحربية كما ان المدفعية الفارسية لم تتمكن من تحقيق اي نجاح في مواجهة الاستحكامات وقد جاء في تقرير يصف حالة المدينة :

«ان رجال قبيلة المنتفق وغيرها من قبائل العرب مجتمعون لحماية البصرة ، وان الصحراء تفيض بالمحاربين ، والا خطر على البصرة من الجيش الفارسي»(٤٨)

يضاف الى ذلك ان امام عمان احمد بن سعيد وهو المدرك للاطماع

(٤٧) Selections from State Papers, P. 295 وانظر: امين، القوى البحرية، ص ٧١.
في السادس والعشرين من نيسان ١٧٧٥م عاد العلم الانكليزي يرفرف مرة اخرى على الوكالة الانكليزية في بوشهر، وتولى جون برمونت رئاستها.
(٤٨) Lorimer, op. cit., col. I, part. IB, P. 1259.
وانظر لونكريك، المصدر السابق، ص ٢٢٩.

الفارسية في الخليج العربي تقدم باسطولة في شهر اب ١٧٧٥ ليشارك البصرة قتالها ضد الفرس ، وقد اتخذ الاسطول مواقعه عند مدخل شط العرب في اوائل تشرين الاول بعد ان حطم السلسلة التي وضعها الفرس لعرقلة تقدمه ، ودمر العديد من سفنهم ، فامن السيطرة على هذا النهر ولو لفترة محدودة ، الامر الذي ساهم في دعم وصمود دفاع المدينة[٤٩] .

وكان الاسطول العماني يتألف من السفينة المسماة «رحماني» التي كان الامام على ظهرها ومن تسع سفن اخرى شراعية مربعة الشكل وسبعين سفينة من نوع (الغلافة والترانكي) اضافة الى خمسين مركب شراعي يعرف (بالداو) ملئ بالرجال[٥٠]

وبعد ان صمدت البصرة اكثر من عام كامل[٥١] (٧ نيسان ١٧٧٥ ـ ١٥ نيسان ١٧٧٦) منذ بدء الحصار في ظل امكانات محدودة وانقطاع الامدادات العسكرية عنها[٥٢]، كان لابد ان يكون احتلال الفرس لها قاب قوسين او ادنى فقد نفذت الذخائر والمؤ ن وبدى للسكان ان المقاومة اصبحت من غير جدوى ، وانها مؤدية لهلاك المئات من نفوس الجائعين ، حيث تذكر المصادر ان المواد الغذائية نفذت ، واضطر الناس الى اكل لحوم الحيوانات المحرمة وكل ما وصلت اليه ايديهم[٥٣] . يضاف الى ذلك ، ان الاسطول العماني انسحب من مياه شط العرب بعد حوالي شهرين عائدا الى مسقط ، حيث وصل الى علم الامام احمد بن سعيد احتمال قيام الفرس بتوجيه ضربة الى عمان نفسها[٥٤] كما ان الانكليز

(٤٩) Miles, OP. cit., P. 273 .

(٥٠) Parsons, op. cit., P. 206, Miles, OP. cit., P. 273

)15(di]xZ hg,v,m,gd odk demg hk b›n hgoqhv ,hkj hvfyn yav auvh‡)›mon
hgm.vhZı q 451 — 551(‡

)25(gl dr mhgd ft›h› fmy›u bvshg hgl.d› lk hgemhj hgx hgfqvn‡

)35(yf› hgvolk hgsmd›d jhvdi omh›w ft›h› mhgfqvmı joede ylh› yf› hgsbl vfimr
ft›h› q 652 ›mon hgm.vhZı q 551ı hfk hg:lbsı mbn hgfqvn‡

.)45(Miles, OP. cit., P. 273

بانسحابهم من البصرة واخذهم القطع الحربية المهمة التابعة لها ، قد حرموا المدينة من وسائل دفاعها البحري ، وفي هذا الصدد يقول بارسونز :

«لو لم يفعل الانكليز ذلك لما استطاعت كل جيوش بلاد فارس ان تدخل المدينة وتحتلها»(٥٥)

واخيرا في مساء الخامس عشر من نيسان ١٧٧٦ ، وبعد ان يئست حكومة البصرة تماما من وصول اية امدادات من بغداد التي كانت في ظل اوضاع سياسية مضطربة بسبب الصراع على السلطة ، عقد وجهاء البصرة واعيانها اجتماعا لتدارس الموقف فأقروا التوقف عن المقاومة على ان يتعهد قائد الجيش الفارسي صادق خان بعدم التعرض للسكان ، فأخذوا منه الامان .(٥٦)

وفي صباح اليوم التالي احتل الفرس مدينة البصرة ، حيث دخلت طلائع قواتهم وكانت مؤلفة من ستة الاف جندي . وبعد خمسة ايام (٢١ نيسان) دخل صادق خان تصحبه قوات كبيرة احدثت الفوضى وهي تبحث عن مساكن تنزل بها، الامر الذي ارغم العديد من السكان على اخلاء بيوتهم ومغادرتها ولم يحترم الفرس تعهدهم فآذوا السكان واستباحوا الحرمات واعتقلوا المتسلم ورجال حكومته وكذلك وجوه اعيان البصرة وارسلوهم جميعا اسرى الى العاصمة شيراز .(٥٧)

وقد اسهب المؤرخ البصري بن سند في ذكر المظالم التي انزلها صادق خان في البصرة ، حيث قال عنه ما نصه :

«فدخل البصرة بعسكره وهتكها وفضحها، ولم يبق مأثما الا ارتكبه هو

---

(٥٥) Parsons, OP. cit., P. 186.

(٥٦) انظر: السويدي، المصدر السابق، ص ٥٩؛ دوحة الوزراء، ص ١٥٥ .

(٥٧) Selections from State papers, PP. 298 - 9.

وقومه ولم يف بشيء مما وعد به من العهود ، وما ترك نوعا من الظلم الا تجشمه ، افعال ولا افعال التتار .(٥٨)

وحين تلقى كريم خان اخبار احتلال البصرة ، اصدر اوامره بان يختم على البيوت المهجورة وتقديم قائمة كاملة بها . ويبدو ان الغرض من ذلك حصر الاموال والغنائم التي استولت عليها قواته . كما طلب «وصفا تفصيليا وواضحا للبلاد الممتد من البصرة باتجاه مسقط» ويعلق لوريمر على ذلك قائلا :

«ومن هذه التعليمات الاخيرة يبدو ان كريم خان لم يكن يهدف لان يستغل البصرة ماليا فقط ، بل وينوي ايضا اتخاذها قاعدة لفتوحات اخرى» .(٦٠)

وهكذا فأن تعليمات كريم خان الاخيرة تعكس اطماع الفرس في منطقة الخليج العربي ، وتبدد ادعاءاته ومبرراته لغزو البصرة .

لقد عاد الانكليز الى البصرة بعد الاحتلال الفارسي ، حاملين الهدايا الى صادق خان ، ووصف تقرير لمجلس الوكالة الانكليزية موقفه من موظفي الوكالة(٦١) الذين شرعوا بممارسة اعمالهم من جديد :

«ان حالة وكالة الشركة ممتازة ، وان صادق خان بنفسه عرض عليهم

(٥٨) السويدي، المصدر السابق، ص ٥٩ ـ ٦٠؛ دوحة الوزراء، ص ١٥٥؛ ابن الغملاس، ص.

(٥٩) عثمان بن سند البصري الوائلي، مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود، مخطوط ورقة ٢٦ .

(٦٠) Lorimer. op. cit., vol. I, part II, P. 1813.

(٦١) لم تتعرض ممتلكات الوكالة الى اية اضرار من قبل القوات الفارسية الغازية، وقد تولى وليم لاتوش وهو من الاعضاء السابقين في مجلس الوكالة البريطانية في البصرة، منصب الرئاسة فيها.
للتفاصيل، انظر: دوحة الوزراء، ص ص ١٥٣ ـ ١٥٦ .

مـودته ورعـايته ، وابلغهم ان شعبه يحتفظ باحتـرام خاص للوكيـل وللمجلس . وانـه اذا كانت الامـور قـد تعقـدت في البـدايـة ، فهم يستطيعون اليوم دون شك ان يأملوا في ان تزدهر تجارتهم ايما ازدهار في ظل الحكم الفارسي للبصرة»[٦٢] .

في الوقت الذي كانت فيه البصرة تواجه الغزو الفارسي ، تعاقب على السلطة في بغداد العديد من الولاة الذين لم يكترثوا للحالة التي كانت تمر بها البصرة انذاك . فقد انصـرف كل منهم الى تعـزيز مـركزه ومحـاربة منافسيه .[٦٣] ورافق ذلـك حدوث الكثير من الاضطرابـات والثورات الداخلية التي تبين ان احد كبار المسؤ ولين في حكومة بغداد كان وراءها . وهو محمد بك الفارسي الاصل الذي عرف بين البغداديين باسم «عجم محمد» . وقد جاء الى بغداد من بلاد فارس ايام حكم والي بغداد سليمان باشا ابي ليلة « ١٧٥٠ ـ ١٧٦٢ » تصحبه امه واختاه فألفوا جوقا موسيقيا اذ كانت اختاه ترقصان وامه تنقر الدف وهو يغني . واستطاع ان يؤ ثر على بعض ضعاف النفوس في حكومة بغداد فعين دويدارا (أي حامل الدواة) في عهد الوالي عمر باشا (١٧٦٤ ـ ١٧٧٥) ، ثم تزايد نفوذه في عهـد الولاه الذين جاءوا من بعده ، فارتقى مناصب عدة حتى وصل منصب الخزنة دار وصار يطمح لمنصب الباشوية[٦٤] وتمكن عجم محمـد بنفوذه ومركزه في الحكومة من توجيه سياسة ولاية بغداد ، ومارس بالتنسيق مع الدولة الفارسية دورا تخريبيا حال دون تقديم العون العسكري المطلوب للبصرة . فقد اشارت المصادر الى اتصالاته السرية بـالفرس واحتـوائه لجميع المحاولات التي استهدفت مواجهة الغزو الفارسي[٦٥] .

---

(٦٢) ....

(٦٣) للتفاصيل، انظر: دوحة الوزراء، ص١٥٣-١٥٦ .

(٦٤) عثمان بن سند، مطالع السعود، مخطوط، ورقة ٣٤ ـ ٣٩ .

(٦٥) نفس المصدر، ورقة ٣٨؛ لونكريك، المصدر السابق، ص ٢٢١ .
وانظر: دوحة الوزراء، ص ١٥٩ .

لقد كانت البصرة في الوقت الذي يتنافس فيه المتنافسون على تولي السلطة في بغداد، تذوق الامرين من وطأة الاحتلال الفارسي. ولو لم يعاني سكانها انئذ تفشي الطاعون المروع، واهوال المجاعة، واحتلال الجند للبيوت، لحدثت ثورة تقضي على الغزاة. وعلى هذا لم يبق في نفوس اهل البصرة الا بصيص امل كان معلقا بالقبائل المجاورة لان الفرس لم يكن بحوزتهم سوى المدينة نفسها وعدة من البساتين المجاورة. وكانت المنتفق في مقدمة من تصدى لهم، وقد اقدم رئيسها الشيخ ثامر السعدون على تدبير الخطط لتحرير البصرة، مما حمل الفرس على التحرك لغزوها(٦٦) ففي سنة ١٧٧٧ توغلت قوات فارسية في ديار المنتفق وشنت هجوما عليها، ودارت معركة عنيفة في مكان يقال له (الفضيلة) غرب نهر الفرات اسفرت عن اندحار الفرس وتكبدهم خسائر فادحة(٦٧).

واذ ذاك قام الفرس في اوائل سنة ١٧٧٨ بشن هجوم واسع عنيف على مدينة الزبير التي تبعد حوالي ثمانية عشر كيلو مترا عن البصرة فاحرقوا بيوتها وذبحوا عددا كبيرا من اهلها، ثم تقدموا الى قرى كويبدة، على بعد عدة كيلو مترات من الزبير على طريق القوافل الى حلب - ففعلوا بها الشيء نفسه(٦٨). وانذر القائد الفارسي محمد خان، شيخ المنتفق ثامر السعدون، بان ينزل على طاعته ويذعن لاوامره ولكن الشيخ ابى كل الاباء واعلن استعداده لمحاربته. وعندئذ تحركت من البصرة قوات فارسية يبلغ تعدادها عشرة آلاف جندي مع ثمانية عشر زورقا نهريا تحمل المدافع لمهاجمة بلاد المنتفق(٦٩).

---

(٦٦) لونكريك، المصدر السابق، ص ٢٣١ - ٢٣٢.

(٦٧) عثمان بن سند، مطالع السعود، مخطوط، ورقة ٢٧.

(٦٨) J. Capper, Observations on the passage to India, through Egypt, anda Cross the great desert, (London, 1783((, PP. 81 - 2. كان كابر قد مر بالزبير سنة ١٧٧٨م واعطى وصفا لما اصابها من الدمار.

(٦٩) دوحة الوزراء، ص ١٦٧، لونكريك، ص ٢٣٢.

وعند (ابي حلانة) على بعد سبعة وعشرين كيلو مترا من البصرة، حيث كان عدد ضخم من رجال المنتفق بانتظار وصول القوات الفارسية دارت معركة عنيفة بين الطرفين، اضاع فيها القائد الفارسي حياته وجيشه باجمعه تقريبا[٧٠] ويورد لونكريك وصفا لما حدث للقوات الفارسية فيقول:

«واستطاع المنتفكيون تدبير حيلة تراجعوا فيها عن العدو فكانوا يعقبونهم بصورة متمادية حتى دخلوا في الفخ وهم لايعلمون. فاصبح الفرس في فسحة من الارض المنبسطة قد اكتنف جانبها عاقول لنهر الفرات واحاط بها من الجانب الثالث هور منيع غير مخترق. اما الجهة الرابعة التي دخل منها الفرس فقد كمن فيها قسم من قوات ثامر، ووجدوا انفسهم في ارض مزرعة تجافى عنها العرب. وبعد ان انتشلوا انفسهم من هذه التهلكة، وكابدوا المصاعب والخسران فيها، توجهوا الى طريق الخلاص فوجدوه مسدودا دونهم. فهلك المئات منهم عندما حاولوا الفرار سباحة، وقتلت مئات آخرى كان بينهم علي محمد نفسه. واستمرت المذبحة فيهم حتى افنوا عن اخرهم، ولم ينج من الجيش باجمعه سوى ثلاثة انفار فروا راجعين الى البصرة. وقد استغرق تنظيف ميدان المعركة بعد ذلك عدة اسابيع، وظلت عظام القتلى، وكانت كثيرة، تشير الى هذه الموقعة الرهيبة مدة جيل واحد»[٧١]

وقد كان لابادة الجيش الفارسي في موقعة ابي حلانة اثرها الكبير على كريم خان فلما ان وصلت اخبارها اليه حتى اذهلته، ثم اضطرت القيادة الفارسية الى سحب قواتها من البصرة في التاسع عشر من اذار ١٧٧٩ على اثر وفاته[٧٢] ونشوب حرب اهلية في البلاد[٧٣] .

---

(٧٠) نفس المصدر والصفحة مطالع السعود، ورقه ٣١.

(٧١) أربعة قرون من تاريخ العراق، ص ٢٣٢.

(٧٢) توفي كريم خان في الثاني من آذار ١٧٧٩م (١٣ صفر ١١٩٣هـ)، وكان في الثمانين من عمره. (Malcolm, op. cit., vol. ii, p. 84).

(٧٣) دوحة الوزراء، ص ١٦٨.

وعندما انتهى الاحتلال الفارسي، كانت البصرة ـ كما تصفها المصادر المعاصرة ـ مدينة خربة وقد اقفرت من سكانها وخمدت الحياة التجارية فيها، بعد ان كانت تعتز بكونها مدينة ثرية مكتظة بالسكان، وبكونها ميناء بحريا مزدهرا بسبب ماتتمتع به من موقع جغرافي ممتاز لـه اهميته التجارية .

فالكولونيل جيمس كابر، الذي وصل البصرة في ١٨ كانون الاول ١٧٧٨، وجد المدينة يخيم عليها الوجوم، وخيل اليه ان عـدد سكانها لايزيد عن ستة الاف نسمة بما فيهم القوات الفارسية والشوارع الرئيسة اشبه بالمدافن(٧٤) .

وتصف المقيمية البريطانية في البصرة، في تقريـر لها عن تجـارة بلاد العرب وفارس، الحالة التي اصبحت عليها هذه المدينة في ظل الاحتلال الفارسي فتقول :

«لقد تلقت تجارة البصرة اكبر ضرر من جراء الظلم الغاشم والابتزاز الذي قام به الفرس ومن فرار كثير من اغنياء التجار نتيجة لذلك عنها، وفرار قسم كبير من سكانها الآخرين، ومن حمل الفرس لكميات ضخمة من النقد الى بلدهم. وكانت البصرة في عامي ١٧٧٩ و ١٧٨٠ تبدو قرية كبيرة لا مدينة غنية ناشطة مكتـظة بالسكـان ولا ميناء بحـريا مـزدهرا ،وكانت تزهو من قبل بانها أحق المدن بذلك اللقب دون منازع»(٧٥) .

ومهما يكن من امر، فان البصرة استطاعت ان تسترد مكانتها وتعود الى مـاكانت عليـه من الازدهار الاقتصـادي، حيث يذكـر تقريـر المقيمية البريطانية ان المدينة اخذت في الانتعاش فازداد عدد سكانها تدريجيًا، وعاد

---

(٧٤) Capper, op. cit., p. 85.

(٧٥) Report on the commerce of Arabia and persia by Samuel Monesty and Harford Jones, 15 August, 1790.

اليها التجار الذين هجروها ايام الاحتلال الفارسي، وقام كثير منهم، يشجعهم الامن والطمأنينة السائدة، باتخاذ الاجراءات اللازمة لاستئناف عمليات الاستيراد. وقد اخذت السفن الانكليزية وتلك التي يملكها التجار الهنود تتردد اليها مرة اخرى، كما اخذ تجار القسطنطينية ودمشق وحلب واورفة وديار بكر وماردين والموصل وبغداد يرتادونها ورفعت التجارة رأسها المنكس[٧٦] .

(٧٦) كان صاموئيل مونستي يشغل منصب المقيم البريطاني في البصرة، ويشاركه الذي تولى في سنة ١٧٩٨م وظيفة المعتمد البريطاني.

الفصل الرابع

موقف بريطانيا من نشاط القواسم في الخليج العربي

يشكل القواسم احدى اهم القوى البحرية في الخليج العربي خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر والعقدين الأولين من القرن التاسع عشر، وهي الحقبة التي شهدت ازدياد الهيمنة البريطانية في جهات شبه القارة الهندية، وتفوق البريطانيين على منافسيهم من القوى الأوربية الأخرى.

ويعد الخليج العربي من اهم المناطق الحيوية التي ينبغي التحكم فيها من وجهة النظر البريطانية لما يتمتع به من أهمية ستراتيجية ترتبط بشكل وثيق بتمكين الهيمنة البريطانية على الهند من ناحية، وبما يمثله من مجال حيوي لممارسة النشاط التجاري المربح من ناحية اخرى.ولهذا فقد كان من الطبيعي ان تتبنى بريطانيا سياسة تقوم على التحكم في الخليج وادخاله ضمن مناطق النفوذ تمهيداً للسيطرة عليه كلياً. وقد تبلورت هذه السياسة خلال المراحل اللاحقة بمحاولة تفكيك القوى المحلية الكبيرة وتكريس التجزئة.

ولما كان القواسم يمثلون اقوى اتحاد قبلي يتحكم بمدخل الخليج العربي بساحليه الغربي والشرقي، ويمتد مجال نشاطهم البحري الى بحر العرب والبحر الأحمر وسواحل الهند الغربية، فقد شكلوا وضعاً مربكاً للمخططات البريطانية وعنصراً ينطوي على التحدي المباشر لمواصلات بريطانيا البحرية. ولهذا فقد توجه اهتمام البريطانيين بشكل مكثف منذ اوائل القرن التاسع عشر الى محاولة اخضاع هذه القوة العربية وتدمير سلاحها البحري وتفتيتها الى وحدات صغيرة، وقد تحقق لهم ذلك في

حملتهم الكبرى في ١٨١٩ - ١٨٢٠ .[١]

تألف الأتحاد القاسمي من مجموعة القبائل القاطنة في المنطقة الممتدة بين رأس مسندم شمالاً وابو ظبي جنوباً التي تتبع في ولائها الشيخ القاسم الكبير ومقره رأس الخيمة.[٢] واهم هذه القبائل: الخواطر وهم فرع من قبيلة نعيم الكبيرة، وبنو قتب وزعاب والعلي والبوخريبان والشحوح والمزاريح والحبوس والغفلة. واهم موانىء الأتحاد في الساحل الغربي رأس الخيمة والشارقة وجزيرة الحمرا وام القبوين وعجمان ورامس والحمرية، ولم تقتصر سلطة الشيخ القاسمي على هذه الموانىء بل امتدت الى الجهة المقابلة من الخليج فشملت مناطق كونك ولنجة وجزء من جزيرة قشم. وقد استطاع الأتحاد القاسمي توطيد اقدامه منذ منتصف القرن الثامن عشر واخذت قوته بالنمو والأزدهار، ويصف الرحالة الشهير تيبور الذي زار المنطقة في ستينات القرن الثامن عشر قوة الشيخ القاسمي بقوله · «يشتهر امير السر بأنه من القوى البحرية المهمة في هذه الأنحاء ويشتغل اتباعه بالملاحة ويمارسون تجارة واسعة»[٣]. ويقول بكنغام: «ان القواسم جميعاً كانوا بالمهارة والمثابرة والأخلاص اكثر من أية قبيلة اخرى على الساحل بحيث كانوا مفضلين دائماً حيث يجري الحديث عنهم على انهم من افضل الناس في ارجاء الخليج»[٤].

كان اعتماد الأتحاد القاسمي من الناحية الأقتصادية على البحر الذي مارسوا فيه اكثر نشاطاتهم الأقتصادية والسياسية، وكان لطبيعة ساحلهم

---

(١) لتفصيلات اكثر يراجع للكاتب: دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧ - ١٨٢٠ (بغداد ١٩٧٦) ص ٢٩٥ - ٣٤٢.

(٢) حول اصل القواسم والاراء المختلفة عن نشأة اتحادهم ينظر: المصدر السابق، ص ٦٤ - ٧٧.

(3)Carsten Niebuhr, Travels Through Arabia and other Countries in the East, transl. dyR. Heron, Repr. Vol. II, P. 124.

(4) J. S. Buckingham, Travels in Assyria, Media and Persia,)London, ed., 1930(, Vol. II, P. 210.

بكثرة تعرجاته وخلجانه التي تكـون موانىء طبيعيـة ممتازة اسـاس هذا التـوجه. ومصـادر عيشهـم الأولى تركـزت في صيد الأسمـاك واللؤلؤ والتجارة.

امتاز القواسم طبقاً لروايات المعاصرين بالحيوية وروح الشجاعة التي لاتعـرف الحدود. يقـول ولستد «انهم شعب محب للمغـامرة، فعـال، مقاتل. يجد لذة كبرى في عرض البطولة الشخصية، ويزدرى بـالخطر والمـوت....»(٥) وفي مؤلف الآخر يؤكـد ذلك فيقـول: «ان اقصى درجات الشجاعة هي بالتأكيد سمـة يتميزون بهـا. فاذا اسـروا فانهم يستسلمون لمصيرهم بثبات»(٦).

ويقول فريزر «ان الروح الجريئة والشجاعة التي لاتعرف الحدود التي اظهرها القواسم في معظم المنـاسبات كـانت تسترعي الأنتبـاه بدرجـة كبرى»(٧).

الخطوات البريطانية لتحطيم الأتحاد القاسمي:

حملة ١٨٠٩ على موانىء القواسم

ان اتحادا عربياً بهذا الحجم والقوة لايستهان بـه، وقدرت التقـارير البريطانية قوة الأسطول القاسمي في العقد الأول من القرن التاسع عشر بثلاث وستين سفينة كبيرة وثمانمائة وعشر سفن اصغر حجماً، يحمل على متنه ثمانية عشر الف وسبعمائة رجل (٨). وتلك الروح التي يمتلكها افراده

---

(5) J. R. Wellsted, Travels to the City of Caliphs, along the shores of the P. Gulf and the Mediterranean.)london, 1840(, Vol. 1, PP. 99 - 100.

(6) J. R. Wellsted, Travels in Arabia,)london, 1838(, Vol. I, PP. 248 - 9.

(7) James Biallie Fraser, Narrative of a Journcy into Khorasan in the Years 1812 and 1822,)London, 1825(, Appehdix A, P. 5.

(8) G/ 29, Vol. 32, Sec. Consul. no. 5, 20th Jan. 1819: Low. 1, P. 324.

ستهيء له لا الأستمرار فقط بل الأتساع في منطقة كانت بريطانيا تعدها ممرا لاغنى عنه الى امبراطوريتها الجديدة، في الهند، ومن هنا اتسمت العلاقات القاسمية ـ البريطانية منذ بدايتها بالسلبية والعداء(٩). واخذت بريطانيا تتربص بالقواسم وجاءت الفرصة حينما تمكنت بريطانيا من انهاء المنافسة الفرنسية في مياه المحيط الهندي بتدمير قاعدتي فرنسا الرئيستين في ايل دي فرانس وبوربون(١٠). وقد استغل الساسة البريطانيون حالة العداء القائمة بين سلطان عمان والقواسم فاستعانوا بالأول لدعم مخططاتهم بتدمير هذه القوة (١١). بدأت عمليات التهيئة لحملة بحرية قوية منذ اوائل سنة ١٨٠٩، وكان العامل الذي عجل بها مطالبة الزعيم القاسمي حسين بن علي حكومة بومباي بدفع ضريبة على السفن البريطانية المارة في الخليج (١٢). ويعلق هاولي على خطوة القواسم هذه بقوله: «ان طلب القواسم من السفن البريطانية المارة بالخليج دفع الرسوم تظهر انهم كانوا مدركين لقوة موقعهم. وهذا الطلب يوضح بأن القواسم كانوا اكثر اهتماماً في الحصول على جانب من الثروة والتجارة المتزايدة مع الهند..»(١٣).

في اوائل مارت ١٨٠٩ عرض الجنرال جون مالكولم على الحاكم العام للهند اللورد منتوه، مشروع حملة كبرى على القواسم، وحظي المشروع بالموافقة، فأصدر الحاكم العام اوامره الى حاكم بومباي(١٤) جوناثان دنكان

---

(٩) التفاصيل: انظر: دور القواسم في الخليج العربي ص ١٢١ ـ ١٢٤، ٢١٢ ـ ٢٢٨.

(١٠) حول هذه الناحية: ينظر كتابنا: موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨ ـ ١٨١٠ (بغداد ١٩٧٩).

(١١) للتفاصيل: دور القواسم في الخليج العربي، ١٧٩ ـ ١٨١.

(21)Charles R. Low, History of the Indian Indian 1613 - 1868)London, 1877(, VOL L, P. 324. R. Coupland East Africa and Its Invadors from the Earliest times to the death of sayyid Said in 1856,)Oxford,

(13) Donald Hawley, The Trucial States)London, 1970(117.

(١٤) كانت مسؤولية السيطرة والتوجيه بالنسبة الى العلاقات البريطانية بأرجاء الخليج العربي تقوم بها حكومة رئاسة بومباي حتى ١ كانون الثاني ١٨٧٣ حينما انتقلت تلك المسؤولية الى حكومة الهند.

بالأعداد لحملة عسكرية . وجاء في تعليمات اللورد منتو «ان على الحملة تدمير كل السفن التابعة للبحرية القاسمية بغض النظر عن حجمها، ومحاولة تجنب الأشتباكات البرية ضد القوات القاسمية . . . »[١٥].

استغرقت اجراءات تنظيم الحملة قرابة ستة شهور، منع خلالها تصدير الخشب من ساحل مالبار الى الخليج العربي لمنع القواسم من بناء المزيد من السفن وفي الاسبوع الاول من ايلول استعدت الحملة للابحار. وقد تألفت قوتها البحرية من ثلاث عشرة سفينة حربية مجموع مدافعها ٢١٢ مدفعا، وعهد بقيادتها الى الكابتن جون وينرايت (wainwright) قبطان (الاشيفون) اما قوات الحملة العسكرية التي بقيادة الكولونيل ليونيل سمث فبلغ عدد افرادها اربعة وخمسين ضابطا والفا وثلثمائة واربعة جنود يشكل الاوربيون اكثر من نصفهم وحملت القوة العسكرية هذه على متن اربع سفن نقل[١٦].

اصدر حاكم بومباي تعليمات لقائدي الحملة وينرايت وسمث في ٧ ايلول ١٨٠٩ [١٧] وقد عدت هذه التعليمات ميناء رأس الخيمة نقطة الانطلاق في الهجوم، فكان على قائدي الحملة التوجه اليها مباشرة للقيام (بحرق وتدمير كل السفن والزوارق التي يعثر عليها في ذلك الميناء . . . وان لا تستخدم القوارب العسكرية على الساحل الا بالقدر الذي يحقق ذلك الهدف) . كما يجب (ان يتم تدمير القوات، فيما اذا سنحت الفرصة في الموانى الاخرى المجاورة لرأس الخيمة من رامس الى ابو ظبي) . ولم تشمل التعليمات الموانىء التابعة للقواسم في الجانب الشرقي من الخليج العربي وهي لنجة ولافت في جزيرة قشم . بالنسبة الى الميناء الاخير فان التعليمات صدرت الى بروس المقيم السابق في مسقط من اجل (تأمين

(١٥) نص التعليمات : L. /p&cS/ a, Vol. 3, pol. Consul. of 6th May 1809 Gov. Gen. in Council to J, Duncan, Fort William 3 Apr, 1809

(16) L/ p&S/9 pol. Consul. of 8th Sep. 1809.

مساعدة امام مسقط لتدمير المعدات البحرية للقواسم في ذلك الميناء كافة) . وكان على قائدي الحملة محاولة تنسيق جهودهم مع شاه فارس (حليفنا الحالي) وحكومته للقيام بمهاجمة لنجة او اي منطقة اخرى على الساحل الشرقي من الخليج (ومهما يكن الامر فلا تترددوا في الشروع بتدمير المعدات البحرية للقواسم اذا تأكد تم من وجودها) . ونبهت التعليمات القائدين الى محاولة اجراء مثل ذلك الاتصال مع السلطات العثمانية لتأمين التعاون معها ولكنها حذرتهما من استفزاز الامير سعود بن عبد العزيز (ان عليكما في كل الاحوال ان تتنصلوا من اية نية عدائية تجاه القوة الوهابية) وخططت التعليمات للاجراءات التي تعقب الحملة فبعد اتمام التدمير الكلي لسفن القواسم فان من المرغوب فيه ان يتم فرض معاهدة يتعهد فيها القواسم بالتخلي عن عملياتهم البحرية والكف عن التعرض للسفن البريطانية. كما ان على القائدين القيام بمسح دقيق للمنطقة التي يستوطنها القواسم و(تمشيط ورسم خرائط للسواحل والخلجان والمناطق التي بحوزتهم) وان يتم اعلام حكومة بومباي عن (افضل جزيرة مجاورة للموانىء القاسمية يكون من الافضل لنا الاستيلاء عليها لاتخاذها محطة بحرية تكون مفضلة على مسقط من وجهة التحكم الفعال في مدخل الخليج) ، والوقوف بوجه اي نمو مستقبلي في القوة البحرية العربية، مع تقدير حجم القوة (التي ستكون ضرورية ليس للوقوف ضد القوى المحلية في الخليج، فحسب ولكن تجاه تلك القوى الاوربية التي تزور ذلك القطاع في المناسبات) . (١٧)

وقد حاولت السلطات البريطانية استغلال الخلافات المحلية لتحقيق غرضها البعيد ولهذا ففي اليوم الذي صدرت فيه تعليمات حكومة بومباي لقائدي الحملة ارسل دنكان تعليماته الى بونس (W. C. BUNCE) المقيم المعين الجديد في مسقط . وتضمنت التعليمات ان يسعى المقيم لدى

---

(17) Ibid, J. Duncan to J. Wainwright and L. Smith 7 th Sep. 1809. see also: precis of Correspondence, PP. 46 - 80

سعيد بن سلطان من اجل تنسيق العمل بينه وبين قوات الحملة، وان يبذل جهده لاقناعه بقيام قوات مسقط بالهجوم على الموانىء القاسمية الواقعة في الجهة الشرقية من مسندم في الوقت الذي تكون فيه قواتنا مشتبكة بالغرب. ان مثل هذه الحركة حتى في حالة فشلها او عدم تواصلها بنشاط، فانها في الاقل ستؤدي الى تحول كبير لصالحنا. وان يعمل المقيم على تأمين الحصول على مرافق للحملة خبير بالمنطقة ممثل لسعيد من اجل ان (يقدم معلوماته فيما يتعلق بالموانىء والامكنة التي تعود للامام) وعليه ان لا يغادر مسقط لتلبية (اية مطالب قد يتقدم بها قائد الحملة . . . وان يقدم تقاريره عن اية تغييرات قد تحصل بين القوى المحلية على جانبي الخليج) [18] وفي رسالة دنكان الى السيد سعيد بهذه المناسبة، حاول ان يظهر بان غرض الحملة هي لمساعدته في صراعه مع القواسم حيث قال (انني اعتمد بكل ثقة على سموكم بتقديم كل المساعدات الممكنة لرجال الحملة التي هي في الحقيقة قامت اساسا بناء على طلب سموكم) [19] ان ابرز مايمكن ملاحظته من هذه التعليمات ان نية البريطانيين كانت مبيتة لتدمير القوة البحرية للقواسم وهي عنصر قوتهم الاساس، ذلك ان من ابرز جوانب التعليمات ان يحاول القائدان التوصل الى عقد معاهدة مع القواسم بعد ان يتم تدمير اجهزتهم البحرية في موانئهم والموانىء الحليفة لهم، وبذلك فانها ستكون معاهدة فرض شروط استسلام لامعاهدة بين طرفين متكافئين. كما ان فيها خطة صريحة لعزل القواسم عن الوهابيين لكي يسهل ضربهم من ناحية ومحاولة عدم ايصال العلاقات البريطانية ـ الوهابية الى مستوى العداء السافر، وما سيتركه ذلك على المصالح البريطانية في المنطقة من خطر كبير ولكن محاولة تحطيم القواسم مع الابتعاد عن استثارة الامير الوهابي الى جانب مقاومة القواسم الباسلة لرجال الحملة ادت الى فشل الحملة في تحقيق الاهداف التي رسمت لها او التوصل الى نتائج حاسمة ضد القوة القاسمية.

(18) Ibid.

(19) Quoted in; Coupland, p. 143.

ابحرت الحملة من بومباي في ١٤ ايلول ١٨٠٩، وفي ٢٣/ تشرين الاول ـ توقف الاسطول في مسقط حيث جرى اجتماع بين قائدي الحملة والسلطان سعيد بن سلطان لتنسيق العمل . وقد وجد القائدان السلطان غير متحمس للحملة ومتشائما من امكانات نجاحها وعبر عن رأيه بقوله (أن مشروع الهجوم على رأس الخيمة بمثل هذه القوى عمل غير حكيم . . . وان الامر يتطلب قوة من عشرة الاف جندي في الاقل لتدمير عاصمة القواسم [٢٠] ويعود سبب تشاؤم سعيد الى الهزيمة التي الحقها القواسم بقواته حينما شن هجومه الكبير عليهم في نيسان ١٨٠٩ . [٢١]

معركة رأس الخيمة :

غادر الاسطول مسقط في بداية تشرين الثاني، وبعد الظهر في يوم الحادي عشر منه كانت قوات الحملة جميعا على مقربة من رأس الخيمة . و(المقاومة الضارية التي واجهتها القوات البريطانية لم تخيب شهرة القواسم بالشجاعة والدهاء) [٢٢] بدأت القوت البريطانية العمليات الحربية فجر ١٢ تشرين الثاني بمحاولة استعادة السفينة الاسيرة (منيرفا) التي شوهدت تحاول الدخول الى الميناء مبتعدة عن سفن الحملة، ولكن الجزر لم يمكنها من تحقيق بغيتها فرست بالقرب من حصن صغير يبعد حوالي الميل جنوب المدينة فهاجمتها الطرادات البريطانية وقوارب المدفعية مما اجبر بحارتها من القواسم على الانسحاب منها الى الساحل، فتمكن المهاجمون من الاستيلاء عليها . ولكن النيران الكثيفة التي انطلقت من الساحل حتمت على المهاجمين التخلي عنها فتركوها بعد اشعلوا فيها النيران . وفي هذه العملية خسر البريطانيون قتيلين وعدداً من الجرحى .

---

(20) Lw, 1. P. 326

: Moyse - Bartlett. p. 49. jkelly, Britain and the p. Gulf 5 - 1880,)Oxfor, 1968(, p. 118.

(٢١) ينظر: دور القواسم في الخليج العربي، ص ١٧٨ .

(22) Low, I, p. 326.

23(Ibid, pp. 326 - 7; Lorimer, I.A, p. 646.

يقول احد الذين شاهدوا المعركة : (ان المقاومة العنيفة التي واجهتنا من الساحل والنيران المتواصلة والمصوبة بدقة التي حالت دون الاستيلاء على (منيرفا) أظهرت لنا باننا نواجه عدواً لم نعطه قيمته الكافية»[٢٤]. وفي خلال ذلك اخذ الأسطول بقصف المدينة ويقول الكابتن وينرايت : «على الرغم من القصف المتواصل والكثيف لمدة ثلاث ساعات فان السكان من مواقع بطرياتهم ومتاريسهم المنبثة امام المدينة ، واصلوا اطلاق النار ببرود ودقة جيدة مما احدث لنا خسائر كبيرة»[٢٥].

وصدر الأمر الى زوارق الأنزال بالأستعداد لنقل الجنود في الساعة الثانية من فجر اليوم التالي ، كما صدر امر اخر الى زورقي مدفعية بالتوجه نحو مدخل الخليج الصغير الذي يفصل شبه الجزيرة عن البر الذي تقوم عليه راس الخيمة[٢٦]. للقيام بمناورة تمويه على القواسم.

ومع الخيوط الأولى للفجر اخذ الزورقان باطلاق المدافع بكثافة على النهاية الشمالية من المدينة ، مما اوهم القواسم بان العدو يحاول الهجوم من هذه الناحية. فتحول انتباههم الى تلك الجهة وردوا بنيران كثيفة»[٢٧].

)24(Qoted in: Low, I, p. 327.

(25) Ibid.

(٢٦) تقع مدينة رأس الخيمة على لسان رملي يبلغ طوله حوالي ثلاثة ارباع الميل ولا يزيد عرضه على ٤٠٠ باردة ويمتد سور عال ترتفع على جوانبه عدة أبراج للدفاع على طول ساحل البحر. اما المرسى فيتكون من شبه الجزيرة هذه ومن الساحل المقابل وتبلغ سعته حوالي نصف ميل ويبلغ طول المدينة نصف ميل تقريبا وعرضها حوالي ربع الميل ، وتتمثل اقوى نقاط دفاعها في قلعة مربعة قائمة في الزاوية الشمالية الشرقية وفي قلعة اخرى دائرية الشكل مزودة ببرجين قرب مركز المدينة . وهذه القلاع مزودة بالمدافع اما الابراج فهي متاريس لرماة البنادق.

Buckingham, II. pp. 351 - 2, 356.

(27) Warden, Joasmes, SRBG, n XXIV, p. 307; Low, L, p.

وبعد نصف ساعة من هذه التظاهرة العسكرية تم انزال القوة الرئيسة في النهاية الأخرى من المدينة. وتقدمت القوات من قاعدة شبه الجزيرة عبر الأرض الرملية نحو تحصينات القواسم فنجحت في السيطرة على جانب من السور الخارجي وابراجه وعلى عدد قليل من الأبنية المجاورة. انتبه القواسم لتقدم العدو، ولكن بعدْ فوات الأوان، فحولوا نيرانهم نحوه «ولما ظهر بأن ذلك لم يوقف تقدم المهاجمين، اندفعوا بجرأة الى الساحل والسيوف مشرعة بأيديهم لمقاومة الأنزال»(٢٨). ولكن اندفاعهم اوقف بفعل النيران التي اطلقتها زوارق المدفعية. واستحكم المهاجمون في مواقعهم في الوقت الذي تم فيه انزال مدافع الميدان والذخيرة من الأسطول. واخذت مدافع المهاجمين بالقصف من نقاط قريبة من المدينة، تعززها نيران المدافع التي واصلت الطرادات اطلاقها. ووجد ويترايت وسمت بعد دراسة الموقف ان المقاومة الضارية التي تواجههم تجعل تحقيق نتيجة حاسمة بهذه الطريقة امرا مستحيلاً ولاسيما ان القواسم قد حولوا كل بيت الى متراس .(٢٩) لذا قررا احراق الأكواخ الواقعة بين تلك البيوت التي «كانت حصونا متفرقة» وقد ساعد هبوب الرياح، من الجهة التي كان فيها الأنزال ناجحاً في تأجيج النيران حتى صارت مغلقة بالسنة اللهيب(٣٠). وبالتدريج أجبرت النيران والدخان الكثيف القواسم على التخلي عن مواقعهم والأنسحاب من مركز المدينة الى طرفها الشمالي. وكانت الساعة تشير الى الثانية بعد الظهر قبل ان ينجح البريطانيون في

---

(٢٩) Buckingham, II, p. 244.

(29) Kelly, p. mh ekhfg d›mdn lk wemf fp›vhku ho›wmuh fovhfuh mhidvh hk›ry hgemhsl hgx hgihvp flohmgn fhsgn lsj!djn ;ae]vdeul ms] hgpkm› hglod]dk fu hk[v:

(27) Low, I, p. 329.

(30) Ibid, H. St. J. B. philby, Saudi Arabia,)LOndon, 1955(. p. 114;

عثمان ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، الرياض، بلا تاريخ، (ج ١، ص ١٤١).

شق طريقهم الى قلب المدينة حيث يقوم قصر الشيخ الخالي في حين واصل القواسم مقاومتهم في النهاية الشمالية، بينما انسحب غير المقاتلين من السكان عبر الميناء بواسطة الزوارق الى البر الرئيس[٣١].

واوقع البريطانيون اشد الأنتقام وحشية بالمدينة، يقول بكنغهام الذي عاصر تلك الأحداث : «صدر الأمر باحراق المدينة برمتها وسمح للجنود بالنهب والسلب»[٣٢]. ويؤكد ملبورن رأي بكنغهام فيقول : [٣٣] «اوقع الأنكليز كل انواع الأذى بالأبنية. . . وقامت عملية نهب كبيرة في المدينة، وقيل ان احد الجنود غنم ٤٠٠/١ مهر ذهبي [٣٤].

ويؤيد ذلك ابن بشر وصاحب لمع الشهاب فيقول الأول : «ونهبوا كل ماتناولوه من النقود وغيرها»[٣٥]. ويتهافت حاول كل من لوريمر وبامتليت ولونفي صدور امر يسمح بالنهب الاّ انهم اضطروا الى ذكر عمليات من هذا النوع[٣٦]. ولم تكتف القوات الغازية بذلك بل احرقت السفن الراسية في الميناء باحجامها المختلفة وبلغ عددها خمسين منها ثلاثون سفينة (داو) ضخمة بعضها كان معبأ بالذخيرة. وكذلك اشعلت النار في مرافق وبيوت المدينة كافة، وبعض هذه البيوت كانت مستودعات للبارود «احدثت انفجاراتها مع الحرائق الهائلة في المدينة والميناء، صورة لمدينة

---

(31) Low, L, p. 329; Lorimer, IA, p. 647; Moyse - Bartlett,

(32) Buckingham, Vol, II, pp. 236 - 7.

(33) William Milburn, Oriental Commetce,)London, 1813(, Vol. i, p. 119.

(٣٤) المهر الذهبي يعادل ٩ دولارات.

(٣٥) ابن بشر، جـ١، ص ١٤١ : مؤلف مجهول، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق د. احمد مصطفى ابو حاكمة، بيروت بلا تاريخ ص ١٤٧.

(36) Lorimer, AL, p. 647; Moyse - Bartlrtt, p. 51; Low, Vol. I, p. 330.

مدمرة كلياً»(٣٧). وقد دفع هذا المشهد بالكولونيل سمث الى ان يثبت ذلك في تقريره اليومي فذكر بشماتة «آمل ان يكون الأعداء في هذا الميناء قد تلقوا العقاب الصارم»(٣٨). وكانت خسائر البريطانيين بسيطة مقارنة بالمقاومة التي واجهتهم ويعود ذلك الى اعتمادهم على الأسلحة النارية، وبلغ مجموع الأصابات ثلاثة ضباط واثني عشر بحاراً وثمانية جنود. اما الخسائر في الجانب القاسمي فتراوحت ما بين ٧٠ أو ٨٠ شهيداً (٣٩).

اصدر الكولونيل سمث في صبيحة ١٤ تشرين الثاني امرا الى الجنود بالأنسحاب باقصى سرعة الى السفن» بعد ان تسلم تقريراً يفيد بان قوة عربية كبيرة تقترب نحو المدينة من الداخل(٤٠). ويعلق لو على هذا الأنسحاب السريع بقوله «هذا الرحيل السريع الذي يشكل ضعفاً لايعرفه مثل هذا الشعب العنيف، اعاد الطمأنينة للقواسم، الذين كانوا اقوى من ان يسمحوا للوهن بالتعري الى قلوبهم ففتحووا النار من جديد على الجنود (٤١).. تمت عملية الانسحاب قبل الظهر وبينما كان الاسطول يتهيأ للابحار «أخذ افراد من القواسم يتجمعون على الساحل ناشرين راياتهم وملوحين بسيوفهم ورماحهم في الوقت الذي كانت فيه اطلاقات البنادق تنبعث من كل مكان، وهكذا كان قهر رأس الخيمة ابعد ما يرغب فيه منتصر، طالما لم تظهر اية علامة تدل على الاستسلام».

---

(37) Low, L, p. 329.

(38) Quoted in: Harford J. J. Brydges, An Account of the Trauedotion of H. M, S Mission to the Court of persis in the Years 1807 - 11 London, 1834(, Vol. II. p. 38.

اما بارتلبت فيقدر عدد الاصابات في الجانب القاسمي بثلثمائة اصابة.

(39) Precis of Correspondence, p. 49;

Moyse - Bartlett, p. 51.

(40) Ibid, pp. 51 - 2; LA, p. 184.

(41) Low, I, p. 330.

مهاجمة الموانىء القاسمية الاخرى:

تحرك الاسطول بعد ظهر يوم ١٤ تشرين الثاني نحو الشمال قاصدا لنجة الميناء القاسمي المزدهر على الجانب الشرقي من الخليج العربي، ولكن الحملة لم تلق مقاومة في هذا المكان، اذ انسحب سكانها نحو المرتفعات القريبة حاملين معهم امتعتهم، فدخل الغزاة المدينة الخالية في ١٧ تشرين الثاني وقاموا باحراقها تماما كما دمروا السفن الراسية في الميناء وهي عشرون سفينة،[٤٣] ومن لنجة ارسلت السفينة (كارولين) وسفن النقل الكبيرة الى ساحل الباطنة، حيث جرى الاتفاق على الالتقاء بحاكم مسقط سيد سعيد في ٦ كانون الاول لتنظيم هجوم مشترك على شناص وخور كالبا وخور فكان[٤٤].

اما وينرايت ومعه بقية الاسطول فأبحر نحو النهاية الشرقية لجزيرة قشم لمهاجمة لافت التي يسيطر عليها القواسم وحلفاؤهم بنومعين. وبعد معركة ضارية ابتدأت بعد ظهر يوم ٢٧ كانون الاول، استخدمت فيها القوات الغازية نيران المدفعية بكثافة وخسرت فيها خمسا وستين اصابة اضطر القائد العربي ملا حسين الى الاستسلام في اليوم التالي وعهد بالقلعة الى احد شيوخ بني معين وهو موال لحاكم مسقط فاصبحت من ممتلكاته[٤٥].

---

(42) Ibid; Buckingham, II, p. 237.

(43) F. Warden. Joasmees, Selections from the Records of the Bombay Government, New Series, No. XXIV, p. 306; Low, I, pp. 330 - 1.

(44) Kally, p. IIa..

(45) Buckingham, II, pp. 239 - 41; Low, I, pp. 331 - 2.

تحول الاسطول البريطاني بعد ذلك نحو برقة، حيث التحقت به بقية القوة ومنها توجه الى مسقط لدراسة الموقف مع سيد سعيد واتخاذ اجراءات جديدة مشتركة معه. وفي الاجتماع الذي جرى بين حاكم مسقط وقائدي الحملة تم الاتفاق على القيام بحملة مشتركة بحرية وبرية لمهاجمة شناص وخور كالبا وخور فكان وانتزاعها من القواسم وفي ٢٥ كانون الاول تحرك الاسطول نحو الهدف في الوقت الذي تقدم فيه سيد سعيد على رأس قواته سالكا الطريق الشمالي بمحاذاة ساحل الباطنة.(٤٦) وتعرضت القوات العمانية، ولا سيما بين صعرة وشناص الى غارات وكمائن قام بها الفرسان القواسم كبدتها خسائر كبيرة(٤٧) واخيرا وصلت قوات الغزو شناص في ٣١ كانون الاول لتواجه (مهمة مرعبة) كما يصفها المؤرخ كيلي،(٤٨) اذ «كان الدفاع عن هذا الموقع بطوليا خارقا، ابدى فيه المدافعون اقصى درجات البطولة والتضحية»(٤٩).

وارسل وبنرايت في اليوم الأول من كانون الثاني ١٨١٠ عرضاً لحامية القلعة يدعوها الى الأستسلام، ولكن اقتراحه «رفض باستهزاء»(٥٠). ولجأ البريطانيون الى سلاحهم المفضل، فبدأت السفن وزوارق المدفعية بالقصف الذي استغرق اليوم باكمله وفي صباح اليوم التالي تم انزال جميع القوات البريطانية حيث اقيم معسكر على الساحل مع بطرية ظلت تقصف الحصن طوال ليلة ٢ كانون الثاني «فاصابته بأكثر من اربع آلاف

---

(46) Kelly, p. 119.

(47) Shaikh Mansur, History of Seyd Said Sultan of Muscat, togethrr with an account of the countries and people of thc Shores of the Gulf, translated from the original Italian m. S.)London, 1919(, pp. 59 - 60.

(48) Kelly, p. 119.

(49) Morier, p. 373; Warden; Joasmees, S. R. G., no XXIV p. 306.

(50) Kelly. p. 119.

قنبلة وقذيفة(٥١)، وحين لم يحدث ذلك كله الاثر المطلوب في اجبار الحامية على التسليم أمر القائد البريطاني بانزال مدفعين كبيرين من عيار ٢٤ باوند ومدفعين من عيار ١٢ باوند من الرقاطات. وفي فجر اليوم الثالث بدأت هذه المدافع الثقيلة باطلاق قنابلها على القلعة(٥٢). وبعد قصف استمر ثماني ساعات، تم احداث ثغرة في السور. وفي حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر، انهار احد ابراج القلعة «وكانت صرخات الكارثة الممتزجة بتكبير الله اكبر قد انطلقت في اللحظة نفسها من داخل المدينة»(٥٣). ومع ذلك ظلت ابراج القلعة الاخرى صامدة، واصبح جليا للقادة انه لايمكن الاستيلاء على القلعة الا بهجوم شامل. فصدر الأمر بالهجوم من الثغرة وكان القتال الذي تلا ذلك «اشرس قتال مرت به قوات الحملة فقد كان قتال رجل لرجل بالبنادق والغدارات، والرماح والحراب والسيوف والخناجر. . .»(٥٤).

وتمكنت القوات الغازية في الساعة الخامسة مساء في السيطرة على القسم الرئيسي من الحصن ولكن الصراع لم يكن قد انتهى بعد، ومراحله الاخيرة وصفتها بدقة كلمات الكولونيل سمث في تقريره المرسل الى الحاكم العام في ٨ كانون الثاني(٥٥).

---

(51) Low, I, p. 334; Buckingham, II, p. 243.

(52) Kelly, p. 119.

(53) Shaix Mansur, p. 61.

(54) Kelly, p. 120.

(55) Quoted in: Kelly, p. 120;Morier, pp. 373 - 4. :وانظر ايضا

«من الصعب تصور مقاومة اكثر اصرارا من تلك التي ابداها (العدو) في هذا الموقع. كانت تحصيناته قد تحولت الى حطام تقريبا، والقسم الاكبر من رجال حاميته ملقى على الارض باكوام مشوهة. ومع ذلك، وفي هذه الحالة الميؤوس منها، وبعد ان تمت السيطرة على الجزء الرئيس من الحصن ظل المدافعون صامدين مواصلين اطلاق النار علينا من برجين لم يكونا قد دمرا الى درجة يمكننا فيها ازاحتهم. وكانت محاولتنا التسلق بدون جدوى، فكل مدخل الى هذه الابنية كان متراسا قويا تحميه رماح طويلة يصاحبها مطر من الاحجار الكبيرة المتساقطة من اعلاه. ولذلك دعي القليلون الباقون على قيد الحياة الى الاستسلام لكي ينقذوا ارواحهم، غير انهم أجابوا بانهم يفضلون الموت على الخضوع. فجلب من البطرية مدفعان من عيار ١٢ باوند وثلاث قطع ميدان اطلقت نارا كثيفة على دمعتين قريبا من الابراج من اجل تدميرها كليا. ولكن القواسم واصلوا اطلاق النار وبدوا وكأنهم مصممون على ان يدفنوا تحت الانقاض. فلجأنا الى القنابل اليدوية وكرات النار، فكانوا يردوها علينا قبل ان تتفجر باصرار عجيب، بينما كانت الابراج تنهار بسرعة مهلكة معها بالتأكيد كل حي بداخلها. وللمرة الثانية اوقفت اطلاق النار، وقمت بمحاولة اخرى لانقاذ حياتهم. واخيراً تقدم احد الرجال وبعد تأكيدات عديدة بالحماية من الجنود العمانيين، تمكنا بواسطته من انقاذ ٧١٠ رجال، هم اسرانا الان، ولكن كان من الصعب ان نمنع حلفاءنا من ابادتهم».

هكذا برر القائد البريطاني اعدام الاسرى باتهام من اسماهم حلفاءه ـ بارتكاب الجريمة. ولكن هذه المقاومة الباسلة جعلت قادة الحملة يلقون اتمام مشروعهم بمهاجمة خور كالبا وخور فكان لعلمهم «انهم سيواجهون المقاومة المستميتة نفسها التي واجهتهم في شناص[56]»، ولم يطل امد احتلال شناص، فما ان وصلت قوة النجدة العربية من الداخل المؤلفة من الفي

(56)Warden, Joasmees, p. 306; Low, p. 344

مقاتل يقودهم مطلق المهيري حتى انسحب البريطانيون الى سفنهم تاركين حلفاءهم يتعرضون لهزيمة ساحقة فقدوا فيها اكثر من الفي قتيل(٥٧). وقام الاسطول البريطاني بعد انسحابه من شناص وقبل عودته الى بومباي في شباط بحملة قرصنة دمر خلالها عشر سفن قاسمية في رامس وثمان في جزيرة الحمرا واربعا في مغو(٥٨)

وهكذا، وبسبب عجز القوة البريطانية عن قهر الروح المعنوية لدى القواسم، واستمرار المقاومة الباسلة التي تجلت بوضوح في العمليات التي خاضها البريطانيون ضدهم في رأس الخيمة ولافت وشناص، كان عقد معاهدة معهم في مثل هذه الظروف امرا غير وارد بالنسبة الى قائدي الحملة. وبذلك فشلت الحملة البريطانية في تحقيق الاهداف التي رسمت لها وكل ما حققته ايقاع الدمار ببعض الموانيء القاسمية وحرق بضع عشرات من السفن. وقد تصور قائدا الحملة وحاكم بومباي بأن الضربة القاسية التي وجهت الى القواسم «جعلتهم غير قادرين على مواصلة نشاطهم البحري وشن الهجمات على السفن البريطانية»(٥٩). ولكن الايام اثبتت ان هذا الرأي كان خاطئا تماما، والصحيح «انها اعاقت نشاطهم مدة قصيرة فحسب»(٦٠) فقد شهدت سنوات (١٨١١ - ١٨١٩) نشاطا بحرياً متزايدا لدرجة كبيرة، حيث تمكن القواسم من تعويض خسائرهم في السفن التي دمرها البريطانيون ببناء سفن جديدة، ومنذ نهاية سنة ١٨٢٠ تنامت قوتهم حتى اصبحوا من جديد «اقوى قوة بحرية على

---

(٥٧) للتفاصيل ينظر: Shaik Mansur, pp. 61 - 66‡

حيث كان المؤلف في زورق مدفعية راسيا على مقربة من الساحل، ويصف امتلاء البحر بالغرقى الذين كانوا يفرون امام قوة النجدة، وكثيرون حاولوا تسلق تاربه ولكنه اجبرهم على العودة الى الماء خشية غرق الزورق.

(58) Lorimer, LA, pp. 184, 648 - 9.

(59) Warden, Jasmes, SRBG, n XXIV, P. 37; Low, P. 336.

(60) Buckingham, 11, P. 244.

طول خطوط الملاحة في الخليج العربي»[61].

وأكد حاكم بومباي مخاوفه من ان تزايد نشاط القواسم يؤدي بهم الى «السيطرة المطلقة على الخليج العربي مما سيعرض مركز بريطانيا فيه الى خطر اكيد». ولذلك، أمر بارسال اربع سفن حربية لمساعدة بروس Bruce المقيم البريطاني في بوشهر الذي كان عليه ان يوجه انذارا الى زعيم القواسم بايقاف النشاط البحري لأتباعه ووضع اثنين من أبنائه رهائن في بومباي «من اجل ضمان سلوك القواسم السلمي في المستقبل» وصلت السفن الحربية الاربع قرب رأس الخيمة في تشرين الثاني ١٨١٦ حيث عرض بروس على الزعيم القاسمي حسن بن رحمة المطالب البريطانية. وحينما رفض تلك المطالب، شرعت السفن بمهاجمة الميناء. ورد القواسم على الهجوم، وتمكنوا من اصابة احدى السفن، مما أجبر القائد البريطاني على الانسحاب.

ادى فشل الهجوم البريطاني الى تزايد النشاط القاسمي وانهيار هيبة بريطانيا في الخليج العربي، مما دفع بالسلطات البريطانية في الهند الى ابقاء قوة بحرية قوية في المنطقة واتباع نظام الحراسة لقوافل سفنها التجارية. وأسفر ذلك عن صراع عنيف بين القطع البحرية للطرفين سنوات ثلاثا (١٨١٧ - ١٨١٩)، شمل ميدانها سواحل الهند والخليج العربي. ولكن ذلك لم يؤد الى نتيجة حاسمة، وكتب حاكم بومباي الى الحاكم العام في الهند: «بالرغم من كل جهودنا فاننا عجزنا عن تحقيق تحطيم القواسم، ولم يبق امامنا الا اعداد حملة عسكرية قوية لتحطيم اساس قوتهم».

الحملة البريطانية الكبرى ١٨١٩ - ١٨٢٠

ادى انهيار الدولة السعودية الاولى على يد قوات محمد علي باشا في

(61) Kelly, P. 129.

أيلول ١٨١٨ الى تشجيع البريطانيين على اتخاذ قـرارهم بارسـال حملة كبرى، حيث فقد القواسم الحليف القوي الذي كان يجعل السلطات البريطانية تتردد في توريط نفسها في حرب في الجزيرة العربية. وهكذا شهـد الشهر الأخـير من سنة ١٨١٩ وبـدايات ١٨٢٠ وقـوع المـرحلة الحاسمة في الصراع القاسمي ـ البريطاني التي انهت فعاليات القواسم في الخليج ووضعت الاساس القوي للنفوذ البريطاني في تلك المنطقة.

تمت الاستعـدادت العسكريـة في اواخر ١٨١٩ حيث تحشـدت في الاسبوع الأخير من تشرين الأول في ميناء بومباي قوات الحملة التي تألفت من ٣٥٤٧ جنديا واثنتي عشرة سفينة حربية وثماني عشرة سفينة نقل، وعهد الى الجنرال وليم كرانت كير بقيادتها وصدرت التعليمات للقائد البريطاني بالتوجه الى الخليج العربي للقيام «بتدمير اسطول القواسم كليا مهما كانت نوعية السفن التي يملكونها، اضافة الى تدمير كل المستودعات العسكرية والبحرية في موانىء ساحل عمان». كما نبه الى الاستفادة من خدمات حاكم مسقط سعيد بن سلطان عدو القواسم، من اجل تحقيق الانتصار الحاسم.

تحركت الحملة من بومباي في ٣ تشرين الثاني، وحين وصولها مسقط، جرى لقاء بين القائد البريطاني وحاكم مسقط، تعهد فيه الأخير بمرافقة الحملة بنفسه على رأس ثمانمائة رجل مع سفينتين حربيتين، اضافة الى اربعة آلاف رجل يتوجهون الى رأس الخيمة برا للقضاء على القـواسم نهائيا.

وفي فجر ٣ كانون الأول ١٨١٩، بوشر بعملية الانزال لمهاجمة عاصمة القـواسم تحت غطاء من القصف المـدفعي الكثيف وجابهت المهـاجمين مقاومة باسلة تواصلت طوال خمسة ايام ابدى فيها المدافعون ضروبا رائعة من الشجاعة. ولكن التفوق الهائل في سلاح المدفعية للمهاجمين حسم

الموقف في النهاية. ودخلت القوات البريطانية رأس الخيمة في صباح ٩ كانون الأول بعد ان انسحب منها المدافعون في الليلة السابقة لنفاذ ذخيرتهم. وقام الغزاة بعملية نهب وتدمير لمنشآت المدينة، كما صادروا السفن الراسية في الميناء كافة.

وبعد الاستيلاء على رأس الخيمة، هوجمت رامس، حيث جرت معارك عنيفة حول حصن ضية دامت اربعة ايام وذكر الجنرال كير في تقريره: «القواسم كانوا يقاومون في كل شبر من الارض الى ان أجبروا على التراجع». ووجد القائد القاسمي حسين بن علي نفسه مجبرا على التسليم في صباح ٢٢ كانون الاول بعد ان نفذت ذخيرة رجاله، فأسر البريطانيون الرجال جميعا ودمروا التحصينات كلها وعادوا الى رأس الخيمة التي وصفها احد الضباط البريطانيين. بانها اصبحت «مخربة تماما، فقد جرى نسف القلاع والابراج والبيوت الحجرية من الجنود والبحارة». وقام البريطانيون بتمشيط الساحل من رامس الى ابو ظبي مدمرين السفن والتحصينات في كل من جزيرة الحمر او عجمان وام القيوين والشارقة وفاشت وابو صايل.

المعاهدة العامة ١٨٢٠

وهكذا، على الرغم من البسالة الفائقة التي ابداها القواسم في تصديهم للحملة البريطانية فقد تغلبت القوة الغاشمة، وأجبر الجنرال كير شيوخ الساحل على التوقيع على ماعرف باسم المعاهدة العامة General Treaty في كانون الثاني ١٨٢٠ التي رسخت بريطانيا بواسطتها هيمنتها على المنطقة. ولعل من المهم ان نعرض لأهم ما نصت عليه هذه المعاهدة.

تألفت المعاهدة من احدى عشرة مادة؛ نصت مادتها الاولى على تحريم

«النهب والقرصنة نهائيا في البحر والبر». وحددت القرصنة «باي عمل من اعمال العنف يتم بدون حرب معلنة من جانب حكومة ضد اخرى، ويستحق المخالف اقصى العقوبة «مادة ٢». اما المادة الثالثة، فقد حددت شكل العلم الذي يجب على القبائل الموقعة رفعه وهو ابيض يتوسطه مربع احمر. ونصت المادة الخامسة على وجوب تزويد السفن بوثيقة (سجل) واجازة ميناء يوقعها الشيخ الحاكم تتضمن حقائق عن المحل الذي قدمت منه السفينة والذاهبة اليه وحجمها وتسليحها وحمولتها وعدد بحارتها واسم قبطانها. واذا ما التقت بها سفينة بريطانية فان على قبطانها تقديم السجل والاجازة. ان هذه المادة اعطت البحرية البريطانية حقا مشروعا في السيطرة على تحركات السفن العربية. اما المادة السابعة فقد وضعت بشكل يمكن البريطانيين من دعوة جميع القبائل للانضمام اليهم في القضاء على اية حركة ترمي الى خرق المعاهدة حيث نصت: «اذا لم تكف اية قبيلة عن النهب والقرصنة فان العرب الاصدقاء سيعملون ضدها وفق قابلياتهم وظروفهم، وان اتفاقية لهذا الغرض ستجري بين العرب الاصدقاء في الوقت الذي يحدث فيه مثل هذا النهب والقرصنة». اما المادة الاخيرة فقد جعلت المعاهدة مفتوحة لكل القبائل الراغبة بدخولها في المستقبل؛ تنطبق عليهم الشروط التي تنطبق على الموقعين عليها في البداية.

التحكم البريطاني بساحل عمان.

بتوقيع (المعاهدة العامة)، تغير اسم الساحل العماني (ساحل السر) الى الساحل المهادن Trucial Goast، وادخلته بريطانيا في دائرة نفوذها بشكل مطلق. اذ اتخذت الكثير من الاجراءات التي تعينها على فرض سيطرتها. ومن ذلك، استمرار طواف السفن الحربية، بالاضافة الى تجديد المعاهدات مع شيوخ الساحل بصفة دورية. وفي عام ١٨٤٣، عقدت معاهدة مدتها عشر سنوات، وعندما انتهى اجل المعاهدة،

اقدمت السلطات البريطانية في الهند على وضع معاهدة جديدة في ١٨٥٣ عرفت بمعاهدة (الصلح الدائم)، أقرت جميع بنود الاتفاق السابق لعام ١٨٤٣ .

وبهذه السلسلة من الاجراءات العسكرية والمعاهدات، انهار النشاط البحري للقواسم وغيرهم من قبائل ساحل عمان. وتحول الاتحاد الكبير الذي تشكل في ١٧٤٧ ، الى مشيخات صغيرة خاضعة للنفوذ البريطاني. وبرز ولاء شيوخ الساحل لبريطانيا، بالتعهد الذي وقعه شيوخ ابو ظبي ورأس الخيمة وعجمان وام القيوين والشارقة ودبي في ١٨٨٧ ـ ١٨٨٨ ، وابرز ماجاء فيه: ١ـ يمتنع الشيوخ عن اقامة اي علاقات الا مع الحكومة البريطانية. ٢ـ لن يسمح الشيوخ لممثل اية دولة الاقامة في مناطقهم الا بموافقة الحكومة البريطانية.

ولم تكتف بريطانيا بذلك، بل ربطت شيوخ الساحل باتفاقية جديدة تم التوقيع عليها في ١٨٩١ عرفت باسم (الاتفاقية المانعة او الابدية)، تضمنت بنود التعهد السابق واضيفت اليها قيود جديدة على الشيوخ منها: ان لايتنازل الشيوخ باي صورة من الصور عن اي قطعة من ارضهم لأي أجنبي الا بموافقة الحكومة البريطانية. وان يكون هذا الاتفاق ملزما لهم ولورثتهم ومن يخلفهم.

وبهذا الاتفاق، اصبحت لبريطانيا السيطرة المطلقة على مقدرات ساحل عمان لمدة تزيد على ثلاثة أرباع القرن.

الفصل الخامس

الصراع العثماني البريطاني في منطقة الخليج العربي

خلال الفترة ١٨٧١ ـ ١٩١٤

الصراع العثماني البريطاني في منطقة الخليج العربي . خلال الفترة ١٨٧١ - ١٩١٤

نجحت شركة الهند الشرقية في القرن التاسع عشر في بسط سيطرتها الواضحة على الهند عن طريق وكالاتها التجارية في سورات ومدراس وكلكتا وبومباي وخاصة عندما خضعت رئاستا بومباي ومدراس الى كلكتا وعندما تم تعيين الحاكم العام للهندووضعت في يده المسؤولية الادارية كاملة واصبح يشار للحكومة العليا بحكومة الهند رسميا منذ ١٨٣٤ وظلت حكومة الهند تكرس كل جهودها من اجل الحفاظ على الهند كدرة لامعة في التاج البريطاني وارادت تأمين الطرق الحيوية المؤدية اليها وبخاصة طريق الخليج العربي، ولم يتغير الحال عندما الت حكومة الشركة الى التاج البريطاني عام ١٨٥٨ ، بل ظلت حكومة الهند ومن ورائها وزارة الهند في بريطانيا ووزارة الخارجية البريطانية تمارس الضغوط السياسية على الدولة العثمانية عندما تفاوضها على انفراد في حين تظهر لها المودة والتأييد تجتمع بها في المحافل الدولية، حتى عبر عن تلك السياسة بوضوح ستراتفورد كاننك سفير بريطانيا في اسطانبول عام ١٨٧٧ عندما قال «علينا الحفاظ على مصالحنا السياسية والتجارية وتأمين طريقنا الى الهند عبر الاملاك العثمانية جنبا الى جنب مع الحفاظ على استقلال الامبراطورية العثمانية وتأمين حقوقها الأقليمية . . » وشعرت بعض الشخصيات السياسية العثمانية بمغبة ازدواجية هذه السياسة وتنبهت للمحاولات البريطانية في تطويق املاك الدولة العثمانية، والتوغل في مناطقها الرخوة مما دفعها الى مواجهة ذلك التحدي وكان من بين اولئك الساسة المصلح الكبير مدحت باشا الذي تصدى للبريطانيين عندما طلب

من الصدر الاعظم العثماني عالي باشا تعيينه واليا على العراق ليجعل منها قاعدة امامية للتوسع في منطقة الخليج العربي وتمت الموافقة على اقتراحه وارسل واليا الى بغداد. لقد هز، هذا التحرك العثماني الجديد الذي رفع لواءة مدحت باشا في العراق، بعنف السياسة البريطانية في الخليج العربي واضطرت بريطانيا على اثره اعادة النظر في ارتباطاتها السياسية في المنطقة وسارعت الى فك ارتباط وكالاتها من حكومة بومباي واجرت تغيرات جوهرية في طبيعة مراسلاتها ومارست وزارة الخارجية البريطانية مزيدا من الاشراف على المنطقة.

وهكذا نجد ان النصف الثاني من القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين حتى الحرب العالمية الاولى يشهد وبصورة متفاوتة صراعاً بين الدولة العثمانية من جهة وحكومة الهند تدعمها وزارة الخارجية البريطانية من جهة أخرى، وسنحاول دراسة هذا الصراع من خلال المحاور الاتية.

١ـ حملة الوالي مدحت باشا الى الاحساء
٢ـ مشكلة البحرين
٣ـ مشكلة التديد
٤ـ قضية الكويت
٥ـ مشكلة قلعة الفاو
٦ـ القرصنة المزعومة.

١ـ حملة مدحت باشا على الاحساء ورد الفعل البريطاني.

استحصل الوالي مدحت باشا موافقة السلطات العليا في اسطنبول على ارسال حملة الى الاحساء كجزء من مشاريعه في بسط النفوذ على المناطق التابعة للدولة العثمانية اسميا تعويضا لها عن الخسائر الاقليمية التي توالت عليها في اوربا، ولقناعة مدحت باشا التامه بتزايد اهمية الخليج العربي التجارية في اعقاب افتتاح قناة السويس. اخذ يعمل بمنتهى السرية لاعداد الحملة وارسل بعض ضباطه متنكرين بزي التجار الى

نجـد لاحصـاء ما يملكـه الملك سعـود بن فيصـل من قوة. ولـلاطـلاع على طوبـوغـرافيـة المنطقـة، التي ستـدور المعـارك عليهـا. واصـدر اوامـره بارسـال خمسة افواج بقيادة نافذ باشا على ظهر البواخر النهرية من بغداد الى البصرة لتنقل من هناك بواسطة البواخر البحرية الى سواحل القطيف لاسيما وان قناة السويس التي افتتحت عام ١٨٦٩ قد قصرت المسافة بين اسطنبول والخليج العربي وساعدت على سرعة ارسال الامدادات اللازمة للحملة واصبـحـت الـدولـة قادرة على ارسـال الحمـلات البحـريـة الى جانب الحملات البرية. مستفيدة من التنظيمات العسكرية التي اعقبت حرب القرم (١٨٥٣ - ١٨٥٦) حيث اصبح جيشها نظاميا مجهزا بـالاسلحة الحـديثـة. ولـكـن رغـم الـسـريـة الـتـامـة رافقت اعـداد الحملة فأن حكومة الهند البريطانية اخذت تتلقى المعلومات عن انبائها من مصادر متعددة نتيجة تحقيقاتها المستمرة وقوبلت تلك المعلومـات بهلع في الهند خشية من التقارب الروسي العثماني الذي ازداد عمقا في السنـين التي اعقبت حـرب القـرم والـذي عبـر عنـه اتجسـون (Aitchison) احـد الدبلوماسيين الكبار في القسم الخارجي لحكومة الهند بقوله: «لقد غدا مفهوما بصفة عامة منذ ان اشركنا العثمانيين بشؤ ون البحر الاسود بانهم اصبحوا على تفاهم تام مع روسيا اكثر مما كانوا عليه في السابق... انني اعتقد ان فتح قناة السويس قد جعل من مصلحتنا ان نكون على علاقة حسنة وودية مع الدولة العثمانية عشر مرات اكثر من ذي قبل... وان الدولة العثمانية اقرب الينا من الدولة الفارسية التي ابدت ميلا للانضـواء تحت هيمنة الروس...»

وكان مدحت باشا مدركا ان احتجاجات عالمية معينة ستثار فيما يتعلق بالحملة وكان على يقين بان السياسية البريطانية التي غدت تتجاوب الى حد كبـير من حكـومـة الهنـد، تؤ يـد استقـلال المشيخات العربية. وكان على علم بان اية محاولة جدية ومنظمة لمنع استقلالها او ربطها بصورة دائمية بالامبراطورية العثمانية ستكون ضد الاهداف السياسية لحكومة الهند لو

باشرت بتنفيذها في سواحل الخليج العربي. ولكنه رغم ذلك ورغم تأييده التام لمبدأ التحالف العثماني البريطاني لم يكن على استعداد للتضحية بمصلحة الدولة العثمانية في سبيل الحفاظ على ذلك التحالف. اما الحملة من وجهة النظر البريطانية فانها كانت بمثابة تهديد مباشر لنفوذها في الخليج ولطمة عنيفة لسياستها في المنطقة. لقد كتب مايو (Mayo) نائب الملك في الهند في هذا الصدد: «ان الحملة العثمانية ستضر بالمصالح التجارية البريطانية في المنطقة وتؤثر على مصالحنا في الهند واعتقد ان الباب العالي كسب الموقف من الناحيتين السياسة والتجارية وسيشجعه ذلك النجاح على كسب المزيد في المستقبل» . لذا طلب اللورد مايو من الحكومة البريطانية ان تحصل من الباب العالي على امر بالغاء الحملة. واذا ما اخفقت في ذلك فعليها ان تحصل منه على تأكيد بعدم استئناف المعارك في البحر مرة اخرى. وفي هذا الصدد يذكر هربرت القنصل البريطاني العام في بغداد: «ان الحملة التي ارسلت الى الخليج سوف لاتستهدف اكثر من الاحساء بناء على تأكيدات تلقاها من الوالي مدحت باشا الذي ناقش الامر معه». ويظهر قلق بريطانيا على مصالحها الاقتصادية في المنطقة من تصريحات (اتجسون) السكرتير الخارجي لحكومة الهند عندما يقول»:

ان عملية نقل التجارة البرية من الصين «الى اوربا» عبر روسيا قد دمرت عندما فتحت قناة السويس، وانا اعتقد بان الروس سيحاولون عاجلا ام اجلا الحصول على ميناء في الخليج العربي لاغراض تجارتهم ، انئذ سنصبح وجها لوجه امام قضية عظمى لاتقل خطورة عن حملة نجد، وقبل ان يحدث ذلك علينا ان نحسن وضعنا في الخليج ونقويه ونرسخ اقدامنا فيه كما يجب ان تزول وعلى الفور كل اسباب السخط بينا وبين الدولتين العثمانية والفارسية، كما ان مناقشاتنا مع هاتين الدولتين يمكن ان تأخذ طابعا سلمياً ووديا ويمكن ان تؤدي الى نتيجة لصالحنا ولكن يجب ان يتم كل ذلك بسرعة قبل ظهور قوى اوربية جديدة في منطقة الخليج العربي».

وفي الـوقت الـذي نشطت فيـه الـدبلومـاسيـة الـبريطـانيـة وجنـدت كل امكانياتها السياسية لكسب الموقف لصـالح الاحتكـارات التجاريـة في المنطقة تحركت القوات العثمانية من بغداد في اواخر نيسان ١٨٧١ الى البصرة على ظهر البواخر، الموصل، وديالى وبورصه ونينوى واثور والوس وعدد من السفن الشراعية وباخرة خشبية قديمة تابعة للاسطول العثماني تسمى «خوجه بك» مزودة بـ١٨ مدفعا. وقد غادر الاسطول برمته الى الاحسـاء عدا البـاخرة (الـوس) التي اضطرت الى البقـاء في البصرة، لتصليح ما اصابها من خلل على ان تلتحق بالحملة بعد ذلك، ومن جهة اخرى كانت السلطة العثمانية في البصرة قد حشدت عددا كبيرا من افراد عشـائـر الكـويت والمنتفق وعنـزه الـذين كانـوا على أهبة الاستعداد في اطراف البصرة في انتظار وصول الجيش النظامي حيث التحقوا به وتوجهوا معه لمحاربة سعود بن فيصل. وهكذا فان جيشا عثمانيا من العشائر توجه برا الى نجد عن طريق الزبير وآخر عن طريق البحر الى الاحساء والقطيف.

وكـان المقـاتلون من عشـيرة عنـزه بقيـادة عبـد المحسن الهـذال الـذي سار بعشيرته باتجاه نجد واصطدم في اطرافها بجماعة من عشيرة المطير الموالية لسعود وافلح في نهب جمالها وخيولها في حين اشترك الكويتيون في قوتين احداهما بحرية والاخرى برية كانت الاولى بقيادة شيخ الكويت عبد الله الصباح، وقوامها ثمانين سفينة بين صغيرة وكبيرة والثانية تولى قيـادتها مبارك الصباح اخو شيخ الكويت واستأنفت الحملة سيرها بـرا وبحرا باتجاه القطيف. وفي ٢٥ مايس ١٨٧١ وصل الجيش الى سواحل القطيف ونزلت القوات في رأس التنـورة على الارض المـواجهة للبحـرين تمامـا وغـادرتهـا ليـلا الى العقـير. لقد جسدت هذه الحملة لحكومة الهند البريطانية خطورة تعاون العشائر العربية مع الدولة العثمانية فبادرت منذ ذلك الحين وبكل خبرتها على خلق الظروف المناسبة لاضعاف ولاء تلك العشـائر للدولـة العثمانيـة وخلق النفرة بينهما واوعزت الى ممثلهـا في البصـرة روبـرتسـون (Robertscbn) ليعـزز صداقتـه مع شيـخ الكـويت وشيـخ المنتفق

وشيوخ الزبير ووجهاء البصرة.

ومن جهة اخرى استخدمت بريطانيا كل ثقلها السياسي عن طريق مقيمها في الخليج العربي (بلي) لمنع شيخ قطر من اعلان تبعيته للدولة العثمانية لاسيما بعد ان ابدى رغبته في المشاركة بثلاثمائة سفينة لنصرة الجيش العثماني اما المصادر البريطانية فانها تشير الى ان نافذ باشا قائد الحملة هو الذي الح على (جاسم بن محمد ال ثاني) ابن شيخ قطر لقبول السيادة العثمانية مستهدفا من وراء طلبه ذلك المساس بنطاق النفوذ البريطاني في الخليج العربي. اما من جهة العمليات العسكرية الداخلية فان الفوج الثالث استطاع دخول قلعة القطيف وتم القاء القبض على قائدها عبد العزيز السديري وارسل مخفورا على ظهر الباخرة (بورصة) الى البصرة ليرسل من هناك الى بغداد. وكا ن الهدف الآخر للعمليات العسكرية هو التوجه الى قلعة الدمام لانقاذ محمد بن فيصل الذي كان اسيرا فيها ، وقد استسلمت القلعة ودخلها الجيش العثماني واستولى على مدافعها الثلاثة وعلى كميات اخرى من الاسلحة والعتاد كما افلح في فك اسر محمد وعاد الجيش الى القطيف منتصرا ومن جهة اخرى كان عبد الله بن فيصل الموالي للعثمانيين قد التحم مع مقاتلي شقيقه سعود في معركة بالقرب من الرياض اندحر فيها الاول وفر الى صفوف العثمانيين في الهفوف واخذ يحرضهم على قتال اخيه الامر الذي ادى بنافذ باشا الى توجيه حملة الى سعود واستطاع دحره ولكنه لم يعين عبد الله بن فيصل حاكماً على الرياض وانما عين عمه عبد الله بن تركي. بصورة مؤقته ريثما تتم الاجراءات لالحا ق نجد بالدولة العثمانية اما سعود فانه استطاع الهرب من الرياض واللجوء الى عشيرة العجمان. وقد استمرت الدولة العثمانية في تعزيز حملتها الى الاحساء وارسلت باخرتين اخريين احداهما تدعى لبنان والثانية الاسكندرونة وهما محملتان بالمدافع الحديثة والعتاد اللازم للفرقة السادسة العثمانية. وظلت الباخرة (نينوى) تتنقل بين البصرة والقطيف لامداد الجيش المرابط في نجد بما يحتاج اليه من تموين.

ثم الحقت بها الباخرة (نجد) للقيام بنفس المهمة فيما بعد. وعندما اقتضى الامر تبديل فوج الجيش المرابط في نجد ارسل بدله من بغداد الفوج الثاني من سرية المشاة الاولى على ظهر البواخر العائدة للادارة النهرية العثمانية الى البصرة ليتم نقلها من هناك الى القطيف واستمرت الدولة تعزز حامياتها في شتى انحاء نجد وتجري عليها التغييرات اللازمة كلما اقتضت الحاجة الى ذلك وقد ارسلت فوجا جديداً الى الاحساء من بغداد على ظهر الاشلب البخاري (تلعفر) وكانت تلك اولى رحلات هذه الباخرة في نهر دجلة بين بغداد والبصرة. وفي نهاية عام ١٨٧١ كانت مجموعة من البواخر العثمانية الحربية المزودة بالمدافع الحديثة في مياه الخليج العربي الامر الذي ادى الى قلق الاوساط التجارية البريطانية في المنطقة وهلعها على مصالحها، لذا تتابعت التقارير والمذكرات،من المقيم البريطاني في منطقة الخليج،الناطق باسم تلك الاوساط،على حكومة بومباي ومن هذه الاخيرة الى وزارة الهند، ونشط الدبلوماسيون في وزارة الخارجية البريطانية واوعزوا الى سفيرهم في اسطنبول ليقدم احتجاجا الى وزارة الخارجية العثمانية على تواجد الاسطول الحربي العثماني في مياه الخليج ، وكان جواب وزير الخارجية العثماني على مذكرة السفير البريطاني: «ان البصرة كانت دائما ولا تزال قاعدة بحرية عثمانية وان عدد البواخر التي تعمل حاليا على طول الساحل العربي من الخليج هي سبع بواخر.»

ومن الجدير بالذكر ان هذه البواخر التي انشغلت في هذه الفترة في شؤون الحملة كانت تعود الى الشركة التجارية العثمانية للنقل البحري والنهري العاملة بين بغداد والبصرة من جهة وبين البصرة وموانيء الخليج العربي والبحر الاحمر واسطنبول والموانيء الاوربية من جهة اخرى، وان توقفها عن العمل سبب اضرارا بالغة للتجارة العثمانية عامة وتجارة البصرة، خاصة ولو قدر للحملة ان تحقق اهدافها المرسومة في بسط السيادة العثمانية على (نجد) وتقليص النفوذ البريطاني في الخليج لهان الأمر، ولكن الأوساط الرأسمالية البريطانية كانت على علم تام بان نجاح العثمانين في السيطرة على رأس الخليج العربي يعني نهاية لمصالحهم

ونفوذهم في الخليج ويتضح ذلك جليا في تقرير الاميرال (Cockburn) عندما يقول: «ان للعثمانيين تأثيرا كبيرا ليس على المسلمين في شبه الجزيرة العربية فحسب وانما على مسلمي المقاطعات الهندية وان الفرد المسلم اخذ يعتقد اخيرا بانه يجب ان يستعيد قوته وسطوته ان لم يكن ذلك في اوربا ففي آسيا على الاقل وانا اعتقد (والكلام للاميرال) بصورة جازمة بان الروس والعثمانيين يعملان باتفاق تام في هذا الخصوص.». لهذا استخدمت حكومة الهند الممثلة للاوساط الرأسمالية كل ما في حقيبتها من مناورات واستخدمت سلاح المال والقروض والتهديد والوعيد مع مختلف الاوساط حتى افلحت في تمييع الحملة وتحجيمها بل وتحويلها الى عبء ثقيل على كاهل الميزانية العثمانية لاسيما بعد عزل مدحت باشا من ولاية بغداد لرشاية بعض الوجهاء من العوائل العراقية المقربة من الباب العالي والمرتبطة مصالحها بالتجارة البريطانية، ولان الدولة بسبب من مشاكلها الداخلية والضغوط الخارجية لم تكن قادرة على الاستمرار في نهجها الى النهاية لتحقيق كامل اهدافها حيث واجهتها عوائق متعددة منها مايتعلق بالوضع الستراتيجي المعقد لسواحل الخليج العربي وما واجهته البواخر العثمانية من صعوبات جمة للوصول الى الموانيء في سواحل الاحساء لضحالة المياه هناك، وقد تضررت كثيرا من تلك البواخر وسارعت الدولة الى شراء بواخر خاصة تلائم الخليج العربي وسواحله الضحلة باسعار عالية في بعض الاحيان، في الوقت الذي لم تكن تملك الامكانيات اللازمة لذلك، معتمدة على ايرادات المنطقة نفسها التي كانت هي الاخرى شحيحة كما ان تحالف الدولة مع عشائر الكويت و المنتفق وعنزه لم يكن مضمونا دائما لان تحالف هذه العشائر وشيوخها كان منوطا بالمصالح الآنية التي يحققونها اما بريطانيا فانها استفادت من اخطاء الحملة العثمانية وعادت من جديد لتمارس نفوذها في المنطقة يساعدها تمرسها في فهم طبيعة العشائر واخذت تتعامل معهم على اساس ذلك الفهم بصبر وتروي لكي تحقق ماتريد باقل التكاليف.

ومن جهة اخرى لو اردنا متابعة مصير الحملة العثمانية الى الاحساء لوجب علينا الاشارة الى رغبة مدحت باشا الملحة بالتوجه الى هناك عقب الانتصارات التي حققتها الحملة في اقليم نجد وفي الوقت الذي كان على اهبة الاستعداد للتوجه الى الاحساء ، وصلته اخبار تمرد احد شيوخ شمر وتزامن التمرد مع الانتصارات العسكرية التي حققتها الحملة العثمانية، ومع عزم مدحت باشا على التوجه الى نجد لاجراء بعض التنظيمات الادارية الكفيلة باستمرار السيادة العثمانية في المنطقة، ربما كان الدافع وراء ذلك اجبار الوالي على سحب قسم من قواته من نجد لمواجهة التمرد في الداخل الا ان مدحت باشا وجه همه لاخماد تلك الحركة وافلح في القضاء عليها وعندها توجه الى البصرة ثم غادرها الى القطيف وبعد تسوية امورها توجه الى الاحساء (الهفوف) وقرر اعفاء اهلها من كل الضرائب عدا ضريبة العشر وهذا يدل على بعد نظر مدحت باشا وادراكه لطبيعة المنطقة ومشاكلها والامور الكفيلة بابقائها موالية للدولة، وبادر الى تشكيل متصرفية نجد التي شملت اقضية قطر والمبرز والقطيف والهفوف وانيطت ادارتها بنافذ باشا، اما قائمقامية قطر فقد احيلت الى شيخها وحاكمها جاسم بن محمد ال ثاني وقائمقامية القطيف الى علي بك قائمقام سامراء سابقا وقائمقامية المبرز الى طالب افندي مدير مال القطيف.

ومما يجدر ذكره ان السلطات العثمانية اللاحقة في ساحل الاحساء لم تستطع فهم طبيعة السكان في المنطقة كما فهمها مدحت باشا وبادرت الى فرض ضرائب متعددة عليهم والتدخل في شؤونهم مما ادى الى تذمر القبائل من العبء المالي الثقيل الذي فرض عليهم نتيجة الوضع الجديد. واضطرت السلطات العثمانية في ايلول ١٨٧٣ الى ارسال المزيد من القوات على ظهر الباخرة (عثمان) لتعزيز حاميتها في الاحساء وفي عام ١٨٧٤ شعرت الدولة العثمانية بانها لاتستطيع الأحتفاظ بقواتها هناك لذا قررت سحبها على ان تحل محلها قوات محلية يقوم بمهمة اعدادها وتجنيدها بزيع بن عريعر شيخ عشائر بني خالد. الذي عين حاكماً على

الهفوف ولكن التذمر تحول تدريجيا في الأحساء الى حركة معارضة في اواخر ذلك العام ضد الحاكم العثماني الجديد تلك الحركة التي استغلها عبد الرحمن بن فيصل من مكان اقامته المؤقتة في البحرين، وأخذ يراسل سرا شيوخ العشائر في الأحساء وعندما تأكد له ولاء بعضهم وتأييدهم لزعامته توجه على راس خمسمائة من عشائر البحرين الى العقير وفيها قاد جمعاً من عشائر العجمان واتجه بهم الى القطيف ومنها الى الهفوف للأطاحة بحاكمها بزيع. وتأكد لدى السلطات العثمانية في البصرة بان الحركة التي قام بها عبد الرحمن بن فيصل كانت بتأييد وتشجيع من البريطانيين الذين امدوه بالسلاح والرجال عن طريق شيخ البحرين الموالي لهم. وينفي هربرت القنصل البريطاني العام في بغداد انئذ ذلك ويعتبره «اشاعة» روجها عمر باشا مدير الشؤون الملاحية في البصرة والذي ينعته (بالمرتد الروسي) الذي قصد من اشاعته (على حد تعبير هربرت) الى توريط البحرين وجرها الى مشاكل ساحل الأحساء ومن ثم خلق المبررات لتوجيه الحملة العثمانية الى البحرين.

الا ان رد الفعل العثماني للحركة كان سريعاً حيث امر والي بغداد رديف باشا قائد الباخرة (نجد لنقل فوج من المشاة على جناح السرعة الى الاحساء وامر الباخرتين (بورصة) و (الأسكندرونة) بالأستعداد للتوجه الى هناك كما كلف ناصر باشا السعدون رئيس عشائر المنتفق ومتصرفها بالتوجه على راس حملة الى الأحساء لأعادة صهره بزيع الى منصبه. واعتبرت حكومة الهند القصد من قرار ولاية بغداد ارسال ناصر باشا السعدون هو توسيع الحكم العثماني في منطقة الخليج العربي واحتواء المشيخات العربية في ساحة عمان واخذت تثير مخاوف الشيوخ في المنطقة من الأحتلال العثماني المرتقب والتي كانت في الحقيقة هي مخاوف حكومة الهند كما استغلت سلبيات حكم ناصر باشا في الأحساء لاسيما اباحته مدينة الهفوف ثلاثة ايام لأفراد عشيرته والجنود العثمانيين، ولما حاول ناصر باشا مراسلة شيوخ الساحل العماني وقبائلها لاستمالتهم الى جانب

الـدولـة العثمانية، هولت بريطانيا الأخطار التي ستصيبهم من جراء تلك التبعية ونتيجة لتلك الأثارة كتب شيخ (ام القوين) احد شيوخ الساحل العماني الى المقيم البريطاني في الخليج العربي يظهر مخاوفه من الوضع الجديد في الأحساء وتبعه شيوخ آخرون بايحاء من حكومة الهند ووكلائها في المنطقة وبموجب خطة مرسومة مسبقاً. ولكي يظهر المقيم البريطاني في الخليج العربي نفسه بمظهر الفارس المنقذ والمحامي الشرعي بادر الى تطمين اولئك الشيوخ بأن حكومته ملتزمة ببنود الأتفاقيات المعقودة معهم.

خلال الفترة ١٨٧٦ ـ ١٨٧٧ استمرت الأضطرابات في نجد بضمنها اقليم الأحساء واستغلها الأمير محمد بن عبد الله بن رشيد لتوسيع نفوذه في المنطقة. وفي عام ١٨٧٨ تجددت حركة ال سعود للاستحواذ على الاحساء ولكن الدولة العثمانية ارسلت الجنود لتعزيز حاميتها هناك وارسلت الباخرة الأسكندرونة من البصرة وهي تحمل اربعمائة جندي الى الأحساء لقمع الحركة ومن جهة اخرى كان الكولونيل نيكسون القنصل البريطاني العام في بغداد يراقب الأحداث ولم يكتف بذلك وانما توجه على ظهر الباخرة «كوميت» من بغداد الى البصرة ليكون على مقربة من الأحداث في الأحساء وقيل بانه عرض المساعدة على سلطات البصرة لقمع الحركة هناك الا ان العثمانيين رفضوا ذلك العرض.

وحتى عام ١٨٨٣ كانت المنازعات والغزوات العشائرية مستمرة في نجد بين آل رشيد وال سعود وهناك تفصيلات للمعارك بين الطرفين مدونة في اليوميات السياسية للمقيم البريطاني في بوشهر ولكن لايبدو من خلالها ميلٌ اوتاييد في هذه الفترة لأحد الفريقين لأنّ الصراع لم يكن بحريا، ولم يظهر له تأثيرعلى التجارة في الخليج العربي في اول الأمر، ولأن سياسة المنازعات المحلية بحد ذاتها كانت تنتهي لصالح بريطانيا في آخر الأمر.

لقد افلح ابن رشيد عام ١٨٨٣ في دخول الرياض واجبر كل من عبد الله بن سعود واخيه عبد الرحمن للأقامة في الحائل تحت اشرافه. وحتى عام ١٨٨٩ عندما سمح لهما بالعودة الى الرياض وعند وصولهما توفي عبد الله بن فيصل في كانون الأول ١٨٨٩ فانفرد عبد الرحمن بالأمامة واخذ يكاتب العشائر المؤازرة له يطلب عونها في حالة مداهمة ابن رشيد له ولما ازدادت اتصالات عبد الرحمن فكر ابن رشيد في عام ١٨٩١ بالتخلص منه نهائياً فزحف الى الرياض ودحر عبد الرحمن الذي هرب الى الأحساء ومنها الى قطر واخيراً الى الكويت وفي الوقت نفسه كانت الدولة العثمانية قد كسبت ود محمد بن عبد الله بن رشيد امير حائل الذي يعتبر اول من اسس روابط مع الحكومة العثمانية واتصل بالسلطان عبد الحميد عام ١٨٧٦ وكان يرسل اليه عدداً كبيراً من الخيل الأصيلة سنوياً لذلك عضدته الدولة في عدة مناسبات ضد خصومه حتى وفاته عام ١٨٩٧.

ولكن يبدو أنَّ ال رشيد قد جاروا على القبائل البدوية المعارضة في نجد في اواخر القرن التاسع عشر الامر الذي دفع هذه القبائل من تلقاء نفسها او بتحريض خارجي الى استدعاء عبد الرحمن ابن فيصل ال سعود ليتزعمها واستغل الامير عبد العزيز بن عبد الرحمن (ابن سعود) الظروف الجديدة وتوجه عام ١٩٠١ على رأس قوة من البدو من الكويت الى الرياض ولكنه انسحب بسرعة كجزء من فنون قتال الصحراء وعاد في العام اللاحق بقوة اكبر ونجح في السيطرة على قلعة الرياض واخذ يوسع نفوذه على حساب مقاطعات نجد الاخرى. وفي عام ١٩٠٤ سيرت الدولة العثمانية حملة على غرار حملة الاحساء الاولى لمساعدة ال رشيد والقضاء على ال سعود وشارك في الحملة العراقيون، وعانوا منها كثيراً وفي الوقت الذي افل فيه نجم ال رشيد بزغ من جديد نجم ال سعود وتزايدت انتصاراتهم في الجزيرة وهمت الدولة العثمانية بتعزيز حاميتها في الاحساء عام ١٩٠٩ ولكن الذي يبدو ان التعزيزات العثمانية لم تكن بمستوى الاندفاع العشائري الجديد الذي اوجد وضعا لم يكن يتعارض مع

المصالح الهندية البريطانية في منطقة الخليج العربي، لاسيما عندما استطاع الامير عبد العزيز ال سعود الذي جدد الدولة السعودية ان يسترد الاحساء عام ١٩١٣ ويطرد حاميتها العثمانية ولم تحاول الدولة العثمانية ارسال حملة لاستعادة الاحساء وفي الواقع انها لم تستطع ان تفعل ذلك وانما فضلت مفاوضة السعوديين للحصول على اعترافهم بالسيادة العثمانية الأسمية على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية واستمرت تلك المفاوضات دون نتيجة حتى عام ١٩١٤ عندما اندلعت الحرب الاولى وغيرت ميزان القوى في المنطقة.

٢ـ المطالبة العثمانية بالبحرين

كان هدف مدحت باشا التالي بعد الاحساء هو جزر البحرين لاهميتها التجارية ولأشتهارها بمغاص اللؤلؤ، ورغم احتجاج حكومة الهند البريطانية بشأن السيادة العثمانية على البحرين فان الوالي اصر على تبعيتها الى متصرفيه الاحساء في الوقت الذي تمسك نائب الملك في الهند اللورد «مايو» هو الاخر بمبدأ استقلال البحرين وعندما نقلت المخاوف الهندية عن طريق السفير البريطاني في اسطنبول الى الصدر الاعظم العثماني عالي باشا ووزير خارجيته كان جوابها ان الدولة العثمانية بعثت بجزء من اسطولها الى الخليج العربي لغرض استعادة سيادتها على نجد وملحقاتها وليست للسلطان اية نوايا في التعرض للنفوذ البريطاني في المنطقة. ولكن هذا الجواب لم يكن مقنعا بالنسبة للحكومة البريطانية لانه جاء بشكل عام غير محدد فما هو مدى حدود نجد مثلا؟ وهل ان الحقوق العثمانية سوف لاتمتد الى الامارات البحرية؟ ذلك لان مسقط والمشيخات في الساحل العماني ايضا سبق لها ان خضعت لسيطرة الرياض بل انها كانت تدفع الزكاة الى ائمة الوهابين، ولم يكن امام بريطانيا الا خوض تجربة المفاوضات مع العثمانيين لكسب الوقت، وقد حاول مدحت باشا باديء الامر ان يسلك طريق المفاوضات ظنا منه ان يستطيع استرداد السيادة

العثمانية على البحرين من جهة ولانه كان بحاجة الى حكومة الهند لشراء وتصليح السفن التي كان بحاجة اليها في مشاريعه الملاحية والتجارية ولكن عندما فشلت محاولاته ارسل باخرتين عثمانيتين من مقر اقامته المؤقت في القطيف الى جزيزة البحرين وبالمقابل عمدت حكومة الهند الى ارسال باخرتين مسلحتين الى هناك ايضا لتتبع مسار الباخرتين العثمانيتين، ولم يحدث اي تصادم بينهما حتى نزل البحارة العثمانيون في الجزيرة واستقبلوا بحفاوة من قبل شيخها وسكانها.

ويبدو واضحا بان مدحت باشا لم يزر البحرين وانما تفاوض بشأنها من القطيف، ويذكر المؤرخ البريطاني (كيلي) ان مدحت باشا كان سيتوجه الى البحرين لو كان متأكدا بان النجاح سيحالفه هناك وفي الوقت الذي هدأت فيه الحملة العثمانية نشطت حملة الادعاءات البريطانية في تركيز مصالح الاحتكارات التجارية في المنطقة وحاولت الدبلوماسية العثمانية هي الاخرى محاكاة مثيلتها البريطانية في تأكيد حقوقها وسيادتها على طول الساحل العربي من الخليج عن طريق تقديم الاسانيد التي تؤكد تلك الحقوق وتوضح تلك السيادة في اقليم نجد الذي يشمل ساحل الاحساء وشبه جزيرة قطر وجزر البحرين وحتى مشيخات عمان وامامة مسقط لانها جميعا دفعت الضرائب اليها بصورة مباشرة او عن طريق قائمقامها في الرياض ولكن الجهاز الدبلوماسي البريطاني العقل المفكر لرجال المال البريطانيين كان يحاول تقديم الادعاءات «المتقنة» التي تؤكد الامتيازات البريطانية في مياه المشيخات العربية وساحل عمان وجزر البحرين مستندة الى اتفاقيات غير شرعية ولكنها مدعمة باسطول قوى متأهب لتحقيق اهداف حكومة الهند ومصالحها التجارية في حالة تعرضها للخطر في حين عجزت الدولة العثمانية عن الاستمرار في دعم اسطولها في منطقة الخليج العربي عامة والبحرين وشبه جزيرة قطر خاصة. في الوقت الذي تعددت المناورات البريطانية من اجل قطع آخر خيط يربط اهل البحرين بالدولة العثمانية عندما اوعز نائب القنصل البريطاني في البصرة عام ١٨٧٣ الى

اهل البحرين المقيمين في البصرة بتقديم طلبات للقنصلية يطلبون فيها الحماية البريطانية ويتخلون فيها عن التبعية العثمانية وتم اختيار الوقت في موسم القرعة العسكرية العثمانية.

ولما ازدادت مشاكل الدولة العثمانية الاخرى سواء الداخلية منها او الخارجية وعندما انشغلت في حزبها مع روسيا ١٨٧٨، اهملت تقريبا المياه الشرقية ردحا من الزمن.

وهكذا نجد ان سياسة التحريك التي اتبعتها الدولة العثمانية فى الخليج العربي والتي لم تفلح في الاستمرارفيهالتحقيق كامل اهدافها. رغم ان المبادىء القانونية ومشاعر السكان في المنطقة كانت الى جانبها، سببت نشاطا خارقا لكل اجهزة حكومة الهند للاحتفاظ بالامتيازات التي حصلت عليها في المنطقة ولوحظ ان كل تراجع من لدن الدولة العثمانية في الخليج العربي كان يقابله ادعاءات بريطانية في مناطق اخرى كانت قد اكتسبت صفة الشرعية بشكل لايقبل الشك. وعندما ازدادت الادعاءات وتمركزت المصالح المدعمة بالقوة توفرت الظروف الملائمة لانتعاش التجارة لصالح الشركات البريطانية التي وسعت مجال نشاطها وبادر ت الى احتكار تجارة الصادرات من منتجات منطقة الخليج العربي المحلية وبشكل خاص من البصرة وعربستان لتزويد المصانع البريطانية بالمواد الاولية اللازمة وتموين العمال بالمواد الغذائية الرخيصة وبذلك حققت ارباحا كبيرة وكدست الثروات الطائلة الامر الذي ادى الى استحالة التراجع امام اي مطلب مهما كان عادلا او شرعيا تطرحه الدولة العثمانية او اية جهة اخرى لاستعادة حقوقها او فرض سيادتها على املاكها.

ومن خلال ارتباط البحرين بالبصرة تجاريا يتضح لنا دور البصرة التجاري في منطقة الخليج العربي وكانت بريطانيا لاتجهل حقيقة تلك الصلة بل كانت تلمس من لدن التجار في البحرين وموانىء خليجية

اخرى رغبتهم في استمرار الصلات مع اقرانهم في البصرة، لذا حاولت بكل ما تملك من دهاء سياسي ان تحتفظ بتلك الصلة في الوقت الذي تبعد البحرين من منطقة السيادة العثمانية كخطوة اولى للتشكيك في سيادتها على باقي موانيء الخليج الاخرى التي اكتسبت طابع الشرعية كما هو الحال بالنسبة لقطر والقطيف والكويت والفاو وحتى البصرة نفسها لتكون الروابط التجارية اكثر انسجاما تحت اشرافها ولصالح شركاتها.

جاهدت الدولة العثمانية امام الضغوط البريطانية في تعزيز اسطولها في البصرة. للاحتفاظ على الاقل بسيادتها على مدخل شط العرب التي باتت بريطانيا تخطط من اجل اشراك بلاد فارس في تلك الحقوق. وعندما شعرت بريطانيا بان ليس في نية الدولة العثمانية سحب اسطولها من رأس الخليج العربي والبصرة ثارت ثائرتها لان الخطر لم يكن بالنسبة لها هو مداهمة القوات العثمانية لاقليم الاحساء او فرض السيادة على بضع مشيخات في ساحل عمان او البحرين وانما الخطر كل الخطر هو بقاء هذا الاسطول في رأس الخليج العربي الذي يعني استحكام العثمانيين في مصب شط العرب المؤدي الى العراق وجنوب بلاد فارس ويعتبر تهديدا مباشرا للمصالح البريطانية التجارية في تلك المنطقة الامر الذي دفعها الى تعديل خططها التقليدية والتحرك باتجاه جديد وحاولت الضغط بوسائل عديدة مرة واحدة منها محلية في البصرة ومنها مركزية في اسطنبول فقدمت الاحتجاجات المستمرة ضد الدولة العثمانية بدعوى انطلاق «القراصنة» من الاراضي التي تقع تحت السيادة العثمانية وتجاوزهم على سفن اهل البحرين الخاضعين للحماية البريطانية واعتبرت نفسها مسؤولة عن امن الخليج العربي وسلامة مياهه مستندة على الاتفاقيات التي اجبرت شيوخ الساحل العماني والبحرين وقطر على توقيعها قبل بدء الاهتمام العثماني بمنطقة الخليج العربي الذي تزايد في اعقاب افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩.

من جهة اخرى لم يعقب مدحت باشا في ولاية بغداد من هو بدرجة حماسة لمتابعة المشروع العثماني او ادراكه للاهمية التجارية والسياسية للمنطقة، كما ان الحكومة العثمانية التي ترأسها محمود نديم والتي اعقبت حكومة عالي باشا في اسطنبول لم تكن هي الاخرى مهتمة للمشروع بقدر تحمس عالي باشا له. اضف الى ذلك المشاكل الكثيرة التي واجهتها الدولة العثمانية في اوربا واجبرتها على التراجع تدريجيا عن حقوقها الثابتة والشرعية على امل الاحتفاظ ببعضها في الوقت الذي كانت بريطانيا تتقدم بخطى ثابتة ومدروسة لاحتلال المراكز التي تتخلى عنها الدولة العثمانية تباعاً مستخدمة سلاح المذكرات الاحتجاجية والتحريض المستمر لشيوخ المنطقة ضد الدولة العثمانية وافتعال الحروب والفتن المحلية ويبدو لنا من الاحداث اللاحقة بان الدولة العثمانية لم تعجز فقط عن المطالبة بالبحرين وانما اضطرت للتراجع عن حقوقها في مناطق اخرى من الخليج العربي امام الضغط الشديد الذي مارسته حكومة الهند عليها نتيجة ادعائها بان معظم الاعمال «القرصنية» المنطلقة من السواحل العربية في الخليج العربي كانت مدعمة من قبل الدولة العثمانية بدورها تضر بالمصالح البريطانية في البحرين. ومنذ العقد التاسع من القرن التاسع عشر استخدمت بريطانيا القوة في حل مشاكلها في الخليج خوفا من الاضرار التي ستلحق بتجارتها من جراء تزايد النفوذ الالماني في الدولة العثمانية منذ حصول المانيا على امتياز بانشاء سكة حديد بغداد ومنذ بدأت محاولات روسيا لايجاد منفذ تجاري لها في الخليج العربي.

٣ ـ مشكلة العديد :

تمتد العديد من رأس الحولة الى الوكره والى نقطة تقابل جزيرة صير بني ياس يحدها من الغرب شبه جزيرة قطر ومن الشرق امارة ابوظبي» وتتضمن عدة جزر منها دالما.

هاجرت اليها جماعة من عشيرة القبيسات فخذ من بني ياس بزعامة شيخ بطي بن خادم من (ابو ظبي) في عام ١٨٦٩ للمرة الثالثة . وانكرت ولاءها لمشيخة ابو ظبي واعتبرت نفسها مشيخة كسائر مشيخات الساحل العماني تحمل علم الهدنة مثلما كانت تفعله بقية المشيخات في المنطقة ولم تحتج بريطانيا على ماحدث ولكن عندما حققت الحملة العثمانية الى الاحساء نجاحا في عام ١٨٧١ ، وافلحت في بسط سيطرتها على القطيف والهفوف وحولت نجد الى متصرفية تابعة لولاية بغداد وكسبت ولاء جاسم بن محمد ال ثاني امير قطر وعينته قائمقاما لها، واخذت تطالب بجزر البحرين، شعرت حكومة بومباي بالاخطار التي باتت تهدد نفوذها في مشيخات الساحل العماني واعتقدت بان اولى الثمار الناضجة التي ستقطفها الدولة العثمانية اضافة الى ماحصلت عليه في ساحل الاحساء وقطر هي امارة العديد المنشقة على مشيخة ابو ظبي، وبحكم متاخمتها لشبه جزيرة قطر التي تقبلت التبعية العثمانية لذلك وبوحي من «بلي» المقيم البريطاني في الخليج قدم شيخ «ابو ظبي» احتجاجا في عام ١٨٧١ على الانشقاق الذى حدث في امارته الى المقيم نفسه يعلمه بتعرض تجارة بلاده الى اخطار القرصنة المنطلقة من العديد . واستجابة من المقيم لشكوى الشيخ بعث الميجر سميث (Smith) الى العديد للتأكيد من ادعاءات شيخ «ابو ظبي» وتوصل سميث كما هو مرسوم له الى ان المستوطنة الجديدة في العديد تعود الى (ابو ظبي) وان اصرار المستوطنين على الاحتفاظ بما حصلوا عليه سيؤدي عاجلا ام اجلا الى صدام بحري بين الجماعتين . وهذا مايعرض امن الخليج العربي الى خطر ويستدعي التدخل البريطاني ولما جاهر المستوطنون من عشيرة القبيسات في العديد عن رغبتهم في الانضمام الى الدولة العثمانية وبادروا الى رفع العلم العثماني على اراضيهم في كل يوم جمعة ؛ تطلب ذلك من حكومة بومباي تدخلا سريعا لحسم المسألة لصالح شيخ «ابو ظبي» الا ان التدخل العسكري مع وجود الاسطول العثماني بالقرب من مسرح الأحداث كان لايخلو من المخاطرة، لذا طلبت من

«بلي» المقيم البريطاني اقناع «المنشقين» باعلان ولائهم لشيخ «ابو ظبي» وان تعذر ذلك فالاعتراف بهم كمشيخة مهادنة . كل ذلك من اجل ابعادها عن الدولة العثمانية ونجح المقيم الى حد كبير في تنفيذ سياسة حكومة الهند عندما استطاع الاحتفاظ بالعلاقة الحسنة مع شيخ العديد حتى عام ١٨٧٣ وفي آب من هذا العام خلفه الكولونيل روز (Ross) في منصب المقيمية في الخليج العربي واستمر في تنفيذ السياسة السابقة في الحفاظ على الوضع الراهن في المنطقة . ولكنه في نفس الوقت اخبر حكومة الهند برأيه الذي كونه نتيجة تحقيقاته المختلفة في المنطقة عندما قال: انا اعتقد بان الحالة الحاضرة للمسألة المتعلقة بشيخ «ابو ظبي» و «المنشقين» في العديد سوف تقود العثمانيين الى التدخل في واحدة من ثلاثة احتمالات :

١ ـ ان العرب المستوطنين في العديد قد يبحثون عن الحماية العثمانية ضد شيخ (ابو ظبي) .
٢ ـ ان شيخ (ابو ظبي) قد يسأل مساعدة الحامية العثمانية او الاسطول العثماني في الاحساء لمساعدته في استرداد العديد .
٣ ـ ربما تم اغراء شيخ (ابو ظبي) ـ من قبل شيخ قطر ـ لكي يدعو العثمانيين للتدخل في قضايا عمان برمتها .
واضاف المقيم قائلا «كل شي يتوقع من شيوخ هذه المنطقة فانهم غالبا مايضحون بالكثير في سبيل مباهج آنية .»

وفي تقرير آخر ذكر المقيم بان السلطات العثمانية في نجد تحاول توسيع نفوذها لتشمل الساحل العماني برمته لاغراض سياسية وتجارية . وادعى بانه تلقى هذه المعلومات من مساعدة الميجر كرانت (Grant) الذي توجه الى منطقة الاحداث لجمع المعلومات . وفي عامي ١٨٧٤ و ١٨٧٥؛ حدثت حركات مناوئه للدولة العثمانية في الاحساء بدعم خارجي اشغلتها عن متابعة سياستها في باقي مشيخات الساحل العماني وفي عامي

١٨٧٦ و ١٨٧٧ افتعلت حكومة الهند عدة اعمال قرصنية قرب مياه العديد نسبتها الى قبيلة هاجر المقيمة في الاراضي الخاضعة للسيادة العثمانية واتخذتها ذريعة للتدخل في شؤ ون العديد الداخلية وذلك عندما تأكدت حكومة الهند بان شيخ العديد اخذ يدفع ضريبة رمزية مقدارها ٤٠ ـ ٥٠ دولارا سنويا الى الدولة العثمانية عن طريق شيخ البدعة (شيخ قطر) . وقد كتب الكابتن Prideaux الذي ناب عن المقيم البريطاني في الخليج العربي فترة غياب الكولونيل روز عام ١٨٧٧ عن المنطقة قائلا : منذ استرخاء يقظتنا على ساحل قطر وتساهلنا امام الادعاءات العثمانية في ذلك الجزء من الساحل، عادت الاعمال القرصنية في المنطقة . وعندما باشر (روز) مهام عمله من جديد كتب قائلا : ان السياسة التي ناضلت من اجلها بريطانية لسنوات عديدة في الخليج العربي كلفتها نفقات باهظة للحفاظ على امنه وادت الى تطوير تجارته بفضل قوات الحراسة البريطانية وشدة يقظتها تلك التجارة التي اعتبرت في السابق مستحيلة في هذا الجزء من العالم فانها قدرت الآن بثمانية ملايين باون استرليني وهي قابلة للزيادة المستمرة مستقبلا» .

ولم يجانب الكولونيل روز الصواب في جانب من تصريحاته ولاسيما فيما يتعلق بتطوير التجارة البريطانية في المنطقة خلال السنوات التي اعقبت فتح قناة السويس لان هناك احصائية تشير الى حجم الصادرات والواردات للمشيخات العربية في الساحل العماني تلقي ضوءا على ماورد في تقرير المقيم البريطاني، اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار الامكانيات الشحيحة جدا لتلك الامارات انئذ .

وحاولت بريطانيا بكل جهدها ان لاتفقد مصالحها التجارية في هذه المنطقة وكانت تشعر بان من مصلحتها ان تحافظ على علاقاتها مع الدولة العثمانية التي تسيطر على رأس الخليج العربي والبصرة، العصب الحيوي لتجارة الخليج العربي كله لعمق العلاقات التجارية التي كانت تربط

البصرة بسائر موانيء الخليج العربي.

وفي الوقت الذي كانت العلاقات التجارية المزدهرة قائمة بين امارات الخليج العربي والبصرة والتي اشارت اليها التقارير التجارية البريطانية يحاول المقيم البريطاني انكار العلاقات السياسية بين تلك الامارات والدولة العثمانية وبشكل خاص مقاطعة العديد وبحجج واهية.

ورغم كل التبريرات فان حكومة الهند اضطرت الى الاعتراف بان السيادة العثمانية الفعلية في الخليج العربي تمتد من البصرة الى العقير.

ولكي لاتكرر حملة الاحساء مرة اخرى في العديد والمشيخات العربية في الساحل العماني استغلت حكومة الهند فرصة تورط الدولة العثمانية في حربها مع روسيا عام ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ وحاولت حسم مسألة العديد عسكريا ووافقت على اجراءات المقيم البريطاني بهذا الشان وارسلت قوة من سفن محلية قدرت بسبعين سفينة بقيادة زايد بن خليفة شيخ ابو ظبي تدعمها باخرة حربية بريطانية الى العديد واستطاعت احتلال المنطقة وتدمير كل السفن العائدة للمستوطنين الامر الذي دعا الباب العالي على لسان وزير خارجيته صادق باشا ان يطلب تفسيرا من السفير البريطاني في اسطنبول عن اسباب الهجوم على الممتلكات العثمانية في العديد حيث كان الخبر قد وصله عن طريق والي البصرة عام ١٨٧٨. وكان جواب بريطانيا بان العديد جزء لايتجزء من ممتلكات شيخ (ابو ظبي) الخاضع للحماية البريطانية وهكذا حتمت المصالح التجارية في المنطقة ان تنهي حكومة الهند مسالة العديد لتفتح صفحة اخرى لمنطقة جديد خاضعة للسيادة العثمانية في الخليج العربي.

٤ ـ الكويت:

قدم شيوخ الكويت واتباعهم من نجد وسكنوا بالقرب من ام قصر الى

جوار خور عبد الله ردحا من الزمن، وعندما بسطت ولاية البصرة سيادتها على تلك المنطقة في اوائل القرن السابع عشر، توجه الشيوخ واتباعهم الى خليج بوبيان وفي عام ١٧٥٦ على وجه التقريب استطاع احد افراد ال الصباح ان يتزعم مجموعة من قبائل العتوب والعوازم والرشايدة وبني خالد والعجمان والدواسر وعنزة وظافر بلغ عددهم اربعة الاف نسمة تقريبا وان يشكل اول امارة في الكويت، في الجهة الجنوبية الشرقية من ساحل خليج القرين الذي يعتبر اوسع خليج في منطقة الخليج العربي حيث يمتد ٢٥ ميلا من الشرق الى الغرب و١٣ ميلا من الشمال الى الجنوب واصبحت هذه الامارة البحرية بمرور الزمن مركزا طبيعيا لتجارة شمال شرق الجزيرة العربية ومنها كانت تتجه يوميا تقريبا القوافل المحملة بمختلف البضائع الى نجد وحائل فضلا عن ذلك اصبحت هي المورد لمختلف بضائع التهريب وبالدرجة الاولى الاسلحة النارية التي كانت تنقل عن طريق الزبير لبيعها على القبائل التي تسكن العراق كما ان بعض تجارها كانوا يعملون في تهريب ماتمنعه السلطات العثمانية في البصرة مثل الخيل ابان الحروب، والحبوب في فترات الازمات الاقتصادية وبفضل مهارة اهلها في بناء السفن الشراعية، تلك الحرفة التي تعلموها من بناة السفن في مسقط، اخذوا يصنعون سنويا حوالي ٢٠ ـ ٢٥ سفينة حتى اوائل العقد الاول من القرن العشرين في حين ارتفع هذا العدد الى ١٢٠ سفينة في عام ١٩١٣ وكانوا يستوردون اخشابها وحبالها وقماش اشرعتها من اقليم المليار في الهند. واصبح اهلها نتيجة لذلك بحارة ممتازين اشتهروا بصيد الاسماك واستخراج اللؤلؤ واخذت سفنهم الكبيرة تبحر الى الهند وزنجبار في شرق افريقيا، وبلغ عدد السفن التي اشتركت في الغوص على اللؤلؤ او تاجرت في بيعه في بعض السنين حوالي ٨٠٠ سفينة من مختلف الاحجام منها الشراعي والسنبوك والبتيل والجالبوت والبوم، كان بعضها يتسع لعدد يتراوح بين ٦٠ ـ ٧٠ شخصا في حين كان صغيرها لايتسع سوى لخمسة اشخاص كما قيل ان عدد سفن اهل الكويت بلغ

احيانا ٢٠٠٠ (الفين سفينة)، ورغم البيئة القاسية للكويت استطاع اهلها تطوير مجتمعهم بالشكل الذي يتغلبون فيه على تلك البيئة وغدا عدد بحارتها في اوائل القرن العشرين حوالي اربعة الاف ملاح وبالاضافة الى مدينة الكويت التي وصفها ادموف في اوائل القرن العشرين بالنظافة مقارنة مع بقية مدن الخليج والشوارع الواسعة والاسواق المزدهرة بمختلف انواع السلع وخاصة الأسلحة النارية، كانت هناك الجهرة والكاظمة الواقعتان في النهاية الغربية من خليج الكويت على طريق البصرة - الكويت التجاري وعلى الرغم من ان الكويت نمت بسرعة خلال القرن التاسع عشر الا ان ثروتها وموقعها لم يكونا يلفتان النظر وظلت علاقتها الاقتصادية بالبصرة قائمة بل ومعتمدة عليها وكانت تتصل بها عن طريق اليابسة والماء فالطريق الاول كان يبدا من البصرة ويمر بالزبير والجهرة وينتهي بالكويت ويستغرق ستا وعشرين ساعة اما الطريق الثاني فكان يتم بواسطة السفن الشراعية من البصرة الى الفاو ومن هذه الاخيرة الى الكويت والمسافة بين الفاو والكويت كانت تستغرق بواسطة السفن الشراعية حوالي عشر ساعات.

ومن الناحية السياسية كان شيخ الكويت مواليا للدولة العثمانية ويتقاضى منها سنويا حوالي ١٥٠ كارة تمر باسم «النطارة» وذلك لمنع تجاوزات العشائر البدوية على البصرة في موسم تجارة التمور الذي غالبا مايمتد من اب الى تشرين الاول من كل عام، عندما كان الرؤساء وعدد من المسلحين يأخذون على عاتقهم مساعدة السلطة العثمانية في البصرة في احلال الامن والقضاء على مايعرقل التجارة في شط العرب وراس الخليج العربي وقد اعترف اهل الكويت وشيوخهم بالسيادة العثمانية على اراضيهم. وكانوا يعتبرون انفسهم من رعية السلطان العثماني مثل سائر سكان وشيوخ الأمارات العربية في منطقة الخليج العربي مع الأحتفاظ باستقلالهم الذاتي.

وقد حاول نامق باشا والي بغداد (١٨٦١ - ١٨٦٧) ان ..

الكويت ويخضعهم للسلطة العثمانية المباشرة الا انهم لم يرضخوا للمحاولات التي ارادت فرض الضرائب عليهم وظلوا يتمتعون باستقلالهم ويرفعون اعلامهم الخاصة على سفنهم واحياناً كانوا يرفعون الأعلام العثمانية والهولندية والبريطانية تبعاً لما توفره تلك الأعلام من امتيازات

وكان رد فعل حكومة الهند لسياسة نامق باشا في الكويت هو محاولتها التقرب من شيوخها عن طريق مقيمها في الخليج العربي اووكيلها في البصرة فبدأت زيارة (بلي) للكويت عام ١٨٦٣ وتبعتها زيارة اخرى عام ١٨٦٥ وتوطدت علاقات الصداقة بين الوكلاء البريطانيين وشيوخ الكويت وزاد التعاون بينهما واخذ الشيوخ احياناً يستشيرون المقيم البريطاني في الخليج العربي او الوكيل في البصرة في شؤونهم الخاصة والعامة، ويتعاونون واياهم في المسائل التجارية وفي الحفاظ على امن الخليج العربي.

وعندما تعين مدحت باشا واليا للعراق (١٨٦٩ ـ ١٨٧٢) اراد ان يضع نهاية لتعدد الأعلام في الكويت ويحد من التغلغل البريطاني فيها فبدأ بمفاوضة شيوخها ومنحهم كافة الأمتيازات فيها على ان يعتبروا انفسهم جزءاً من الأمبراطورية العثمانية وعلى ان يتخذوا العلم العثماني راية لهم، وقد وافق شيوخ الكويت على ذلك واصبحت اراضيهم سنجقاً اى قضاءاً تابعاً من الناحية الأسمية الى البصرة بموجب اتفاق رسمي وامر سلطاني صادر من اسطنبول. ولكن القضاء ظل معفوا من كافة الرسوم والضرائب ودون ان تمارس فيه الدولة العثمانية او ولاية البصرة اي نفوذ سياسي او اداري او كمركي سوى استمرار العلاقات الأقتصادية والولاء الأسمي للدولة العثمانية. وقد استطاع مدحت باشا استمالة شيوخ الكويت الى جانبه ابان الحملة للأحساء عام ١٨٧١ حيث وضعت الكويت مقاتليها وسفنها تحت تصرف القيادة العثمانية بل وساهمت بشكل ايجابي في

وتعترف المصادر العثمانية ان الكويت لم تدفع يوماً من الأيام الضريبة الى الدولة العثمانية وانما كان شيخها هو المسؤول عن ادارة كمركها وهو الذي يعين نسبة تلك الرسوم.

وظلت الدولة العثمانية عن طريق السلطة المحلية في البصرة تدفع لشيوخ الكويت المنحة السنوية من التمور لقاء حفاظهم على امن شط العرب ورأس الخليج العربي.

وبعيد حملة الاحساء اوعزت حكومة الهند الى وكيلها المساعد في البصرة بتمتين عرى الصداقة مع شيوخ الكويت كما طلبت من قبل من المقيم البريطاني في الخليج العربي ان يفعل عام ١٨٦٣ عندما حاول نامق باشا الحاق الكويت بالدولة العثمانية. وتظهر العلاقات البريطانية الكويتية بوضوح عند الأزمات ففي عام ١٨٨٦ عندما حاول العثمانيون تجديد بناء الحصن العسكري في الفاو كان الدور البريطاني هو تحريض شيوخ الكويت للأحتجاج ضد بنائه بصفتهم مالكين لبعض البساتين في الفاو. وظلت الكويت بعيدة نسبياً عن التدخل البريطاني المباشر وذلك لقربها من البصرة قاعدة الأسطولَ العثماني ولوضوح تبعيتها ولو من الناحية الأسمية للدولة العثمانية ولشحة امكانيتها حيث ان الكويت كانت تعتمد حتى في علف حيواناتها على مايأتيها من البصرة عن طريق الزبير ناهيك عن ماء الشرب الذي كانت تحصل عليه من شط العرب كما انها كانت تزود باللحوم ومنتجات الألبان عن طريق القبائل البدوية في نجد وجبل شمر التي كانت تقدم الى خارج اسوارها لمقايضة منتجاتها بسلع اخرى، ورغم ماذكرنا عن كثرة عدد سفنها وملاحيها الا ان بحارتها كانوا يزاولون اعمال محدودة في النقل البحري لاسيما بعد توافد السفن البخارية الى المنطقة واحتكارها لمعظم التجارة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وظل نطاق اعمال اهل الكويت مقتصراً بين القطيف جنوباً والبصرة شمالاً وهم يحملون صناديق

التمور لأغراض التجارة المحلية

وازداد الأهتمام البريطاني بالكويت عند ظهور بوادر المشروع الألماني لمد سكة حديد بغداد، ومحاولة الروس الحصول على مخزن للفحم فيها واقترن بتولي مبارك الصباح مشيخة الكويت عام ١٨٩٦

ولم تعر حكومة الهند اهمية كبيرة للكويت الى تسعينات القرن التاسع عشر واكتفت بعلاقات الصداقة التي كانت تربطها بشيوخها ولم تحاول عقد اتفاقية على غرار ما فعلته مع البحرين الغنية بمغاص لؤلؤها او مع المشيخات العربية في الساحل العماني لدرء اخطار القرصنة التي قد تتعرض لها تجارتها في الخليج العربي ولكن عندما وقع اختيار المهندسين الالمان على الكويت كنهاية لسكة حديد بغداد وعندما اخذت روسيا تبحث عن محطة للفحم في الكويت. نشطت دوائر حكومة الهند في المنطقة لطرح مخططات بديلة لمواجهة ما يهدد مصالحها في منطقة الخليج العربي وما ان قتل مبارك اخويه في مايس ١٨٩٦ حتى زار الكويت الكابتن Baker قائد الباخرة البريطانية الحربية Sphinx في آب ١٨٩٦ وكتب يقول بان الكويت تعتبر مقاطعة عربية مستقلة ولكن للعثمانيين فيها نفوذ كبير وذكر بانه قام بزيارة الشيخ مبارك الذي وجده يرفع العلم العثماني على مقر اقامته. وتلت هذه الزيارة زيارات اخرى تمهيداً لأبعاد الكويت عن الدولة العثمانية وقد مارست اجهزة حكومة الهند في منطقة الخليج العربي اعمتها في دفع شيخ الكويت الى طلب حماية حكومة الهند التي تظاهرت بعدم رغبتها في قبول تلك الحماية امعاناً منها في تعجيز الشيخ، وفي ايلول ١٨٩٧ بعث القادم مد Meade المقيم البريطاني في الخليج مساعده جاسكن الى الكويت الذي بعث منها تقريراً جاء فيه : «ان الشيخ مبارك اخبره بانه وشعبه يرغبان بان يريا الكويت تحت الحماية البريطانية مثلما حدث في البحرين ومشيخات الساحل العماني واذا منحت بريطانيا

حمايتها له (كما قال الشيخ) فانه يعد بريطانيا بالمحافظة على النظام واطاعة القانون في ذلك الجزء من الخليج يؤازره ٢٥ر٠٠٠ مسلح، ويضيف جاسكن قائلاً «ليس هناك من شك بان الشيخ مبارك شأنه شان الشيوخ الصغار الآخرين في الساحل العربي مستعد تماما لطلب الحماية البريطانية او العثمانية حسبما تظهره تلك الحماية من افضلية بالنسبة لمصلحته». واردف جاسكن قائلاً: «ان الكويت تمتلك خليجاً ممتازاً وستصبح تحت حمايتنا بدون شك واحدة من الأماكن الأكثر اهمية في الخليج العربي لان الكويت هو الميناء المقترح للمشروع البريطاني لمد سكة حديد بورسعيد عبر نجد الى الخليج العربي الذي هو قيد الدرس الآن. وان امتلاك الكويت سيساعدنا على حماية التجارة من الداخل وستزداد هذه التجارة تحت اشرافنا. . . .» ويقول: «ولكني متأكد بان الحكومة العثمانية ستدعي لنفسها ببعض الحقوق في الكويت. وشيخ الكويت على سبيل المثال يرفع العلم العثماني على مقر اقامته وكان اسلافه يحملون لقب قائمقام بموجب فرمان صادر من الباب العالي. . .» ولكن جاسكن يهدد في ختام تقريره بقوله: «اننا سوف لانسمح مطلقاً للنفوذ العثماني ان يجد طريقه الى الكويت لأن العثمانيين بقدر ما انا متأكد منه لم يعقدوا اتفاقيات رسمية مع الشيوخ ولم يمارسوا اية حقوق سيادة في الكويت من قبل.

وبعث العقيد ميد Meade تقرير جاسكن الى حكومة الهند معلقا عليه لقد انجز جاسكن تعليماتي بدقة عندما قام بزيارة الكويت مصطحبا معه اغا محمد رحيم وكيلنا في البحرين وصديق الشيخ مبارك. الذي على مايبدو سهل مهمة المفاوضات لاتقانه اللغتين العربية والانكليزية.

وبعد زيارة جاسكن قصد الرائد البحري موبري Moubray الكويت في ١٨٩٧ ومنها كتب تقريرا الى المقدم ميد ذكر فيه «ان الشيخ مبارك تسلم رسالة من الشيخ عيسى شيخ البحرين يحثه فيها على قبول الحماية البريطانية، كما ان شيخ الكويت ابدى رغبته في التخلص من النير

العثماني والانضواء تحت الحماية البريطانية».

ومن جهة اخرى يكتب القنصل البريطاني العام في بغداد قائلا: «رغم ان الكويت خارجه عن نطاق مسؤولياتي وتابعة للمقيم البريطاني في الخليج العربي ولكني اؤكد ان اي احتلال من قبل الدولة العثمانية لها سيكون عائقا امام مصالحنا التجارية في العراق» ويضيف «لم يمر يوم دون ان تحاول السلطات العثمانية الاضرار بالتجارة البريطانية تارة باسم الحجر الصحي واحيانا عن طريق اصرارهم على ممارسة السيادة على مصب شط العرب في الفاو».

وما ورد في تقرير القنصل البريطاني العام في بغداد يعبر بوضوح عن المخاوف الحقيقية لحكومة الهند لان السيطرة على مصب شط العرب تعني التحكم في تجارة وادي الرافدين وعربستان المنطقتين الغنيتين بخيراتها.

وفي ٢٣ كانون الثاني ١٨٩٩ وقع شيخ الكويت اتفاقية مع المقيم البريطاني في الخليج مقابل ان يحصل على مبلغ قدره ١٥٫٠٠٠ روبية من حكومة الهند تدفع له من خزينة بوشهر يتسلمها الشيخ مبارك او وكيله في البحرين بناء على طلب الشيخ نفسه. وقد تساهلت بريطانيا بعد هذه الاتفاقية مع امارة الكويت في تصدير الاسلحة اليها ونتج عن هذا التساهل ان تحولت الكويت الى مركز لتجارة السلاح وكانت هذه الاسلحة توزع من قبل السلطات البريطانية على رجال القبائل وتحرضهم على استخدامها في مناوءة السلطات العثمانية. وعندما تعين حمدى باشا لولاية البصرة للمرة الثانية ١٨٩٨ ـ ١٨٩٩ قرر ارسال موظف عثماني لادارة ميناء الكويت، وعزم على فتح مركز للحجر الصحي فيها واراد ان يؤسس دائرة كمرك عثمانية هناك الامر الذي ادى الى احتجاج السفير البريطاني في اسطنبول لدى الباب العالي خوفا من امتداد النفوذ الالماني الى رأس الخليج العربي.

وعمدت الدولة العثمانية من جهتها الى تحريض حليفها ابن رشيد ضد الشيخ مبارك واستجاب لدعوتها ودارت بينه وبين مبارك عدة معارك اسفرت عن اندحار الاخير عام ١٩٠١، وقد تدخلت بريطانيا عن طريق قنصلها في البصرة لتسوية الامر بين الشيخ مبارك والامير عبد العزيز ابن رشيد عارضة على الامير الصلح متعهدة له نيابة عن شيخ الكويت بعدم مناصرة اعدائه وبشكل خاص عبد الرحمن بن فيصل، وقد اشار قنصل البصرة الى الاضرار التي تلحق بالتجارة في رأس الخليج العربي من جراء استمرار تلك الحروب وختم رسالته بعبارة تهديد في حالة تعرض الكويت لاي هجوم من قبله. وان مما يثير الانتباه ان عبد العزيز بن عبد الرحمن افلح في العام الثاني ١٩٠٢ من دخول الرياض ودحر بن رشيد بدعم من شيخ الكويت، وخلافا لتعهدات القنصل البريطاني. وفي اوائل القرن العشرين زاد الاهتمام الروسي بالخليج العربي وتكررت زيارة بواخرها للكويت الامر الذي اقلق حكومة الهند وجعلها تسارع بتنظيم خط للبريد تابع لشركة الهند البريطانية للملاحة البخارية التي اخذت ترسل باخرة بريد الى الكويت كل اسبوعين منذ تموز ١٩٠٣ لتكون على علم بما يجري فيها، وفي كانون الاول ١٩٠٤ اخذت ترسل باخرة سريعة الى ميناء الكويت في الاسبوع الذي لاتصلها فيه بواخر البريد العادية بالاضافة الى مبادرتها بتعيين (Knox) كوكيل سياسي لها في نفس العام ليوافيها بأخبار الكويت عن كثب.

وفي عام ١٩٠٠-١٩٠٦ وصلت الى الكويت مالا يقل عن خمسين باخرة كلها بريطانية بمجموع حمولتها ٥١٨٩٣ طن وكانت قيمة البضائع المستوردة الى الكويت عن طريق البحر في هذه الفترة حوالي ٤٨٨ ٩٤٩ روبية كان بينها الاسلحة والذخيرة وغالبيتها بريطانية وثلاثة ارباع هذه الواردات كانت تهرب الى العراق عن طريق الزبير ويستورد بأثمانها الرز والتبغ والتمور الطازجة والشعير وكانت واردات الكويت اكثر من صادراتها بخفض رسوم كمركها البالغة ٢٪ وكانت تعوض ذلك عادة باللؤلؤ

وكان معظم تجارتها عبارة عن تجارة الترانزيت والتهريب فكان هناك انواع معينة من الاقمشة الهندية التي كانت تستوردها وتعيد تصديرها مباشرة الى البصرة وفي الوقت الذي كانت تستورد التمور الطازجة من البصرة كانت تقوم باعادة تصديرها الى موانيء الخليج العربي كما كان تجارها يفدون الى البصرة للتوجه الى بغداد لشراء الخيل بغية تهريبها الى الهند.

ولمواجهة مسألة فرض بريطانيا الحماية على الكويت بادرت الدولة العثمانية على اقامة حاميات عسكرية في ام قصر وصفوان وجزيرة بوبيان ربما حدث ذلك بناء على اقتراح من المانيا اما بريطانيا فانها اخذت تحرض مبارك شيخ الكويت على المطالبة بجزيرة **بوبيان** على اساس انها امتداد للاملاك الكويتية وحفاظا لمصالحها في المنطقة ضد التغلغل الالماني، وفي عام ١٩٠٧ اعتبرت حكومة الهند جزيرة بوبيان خاضعة للكويت بعد ان اكد الشيخ مبارك بموجب ارتباط سري آخر وقعه في ١٥ تشرين الاول ١٩٠٧ ماسبق ان تعهد به للحكومة البريطانية بموجب اتفاقية عام ١٨٩٩ بعدم التنازل عن اي جزء من امارته لاية حكومة اجنبية دون موافقة بريطانيا. وكانت تقصد المانيا والدولة العثمانية، اما روسيا فان بريطانيا قد توصلت معها الى تسوية اعترفت فيها روسيا بالمصالح البريطانية في الخليج العربي.

وفي عام ١٩١١ نشطت تجارة تهريب الخيل من العراق عن طريق الكويت ومنها الى الهند وبذلك خسرت دائرة الكمرك في البصرة موردا كبيرا، وفي عام ١٩١٢ وربما بايحاء من الوكيل البريطاني السياسي في الكويت قدم شيخ الكويت طلباً الى الوكيل البريطاني يعلن عن رغبته في استيراد الاسلحة دفاعا عن النفس لا لاغراض التجارة مبررا طلبه بان القوافل التجارية الكويتية في طريقها الى نجد تعرضت لعمليات سطو من قبل عشائر العجمان الذين يحصلون على السلاح بسهولة وباسعار منخفضة من قطر وبعقد مقارنة بين سعر وحدة السلاح في قطر

١٥ ـ ١٨ باونا في حين ان سعر ذلك في الكويت بين ٤٠ ـ ٥٠ باونا ان وجد ذلك وهكذا يراد من الطلب اضفاء صفة الشرعية على وجود السلاح في الجانب العثماني وعدم وجوده في المنطقة الخاضعة للحماية البريطانية وكان معظم هذا السلاح يهرب الى العراق ويقع بيد العشائر التي كانت تحرضها بريطانية ضد الدولة العثمانية، وكانت حكومة الهند تبغي من وراء تهويل موضوع السلاح والقرصنة في هذه الفترة البدء بتنفيذ خطوتها الاخرى في احتواء الفاو والبصرة، الا ان قيام الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ وفر لها عناء المناورات.

مشكلة الفاو

جاءت اهمية الفاو عندما تأسست فيها اول محطة للتلغراف عام ١٨٦١ في موضع يقع بين جدولي حاجي عبد الله وحاجي رشيد، الى جنوب ميناء البصرة بمسافة ستين ميلا (٩٧ كم) والى شمال بناية الحجر الصحي العثماني بمسافة لاتزيد على مائتي ياردة.

كانت مياه شط العرب تحد الفاو من الشمال الشرقي والصحراء من الجنوب الغربي والمساحات الطينية المكسوة بالحشائش والطحالب من جهتي الشرق والجنوب لدرجة كان يصعب النزول الى شواطئها في هاتين الجهتين اللتين كانتا تقطعان مجموعة من الجداول الصغيرة التي لم يتجاوز طول الجدول الواحد منها ربع ميل لذا كانت تبدو وكأنها خلجان صغيرة.

ومن الزاوية الأدارية، ظلت الفاو ناحية صغيرة من نواحي البصرة حتى عام ١٩٠٣ عندما صيرها العثمانيون قضاءا لتزايد اهميتها العسكرية الا انها اهملت فيها بعد وعادت لتصبح ناحية مرة اخرى.

لقد زاد الاهتمام البريطاني بالفاو عندما فكر العثمانيون بتشييد حصن

عسكري فيها في ثمانينات القرن التاسع عشر واختاروا له موقعا بين جدولي بو سعيد وملا عيسى الى جنوب دائرة التلغراف بمسافة ٦٨٠ ياردة، يفصل بينهما ثلاثة وعشرون جدولا اما من الناحية السكانية فقد قدر عدد المقيمين فيها بمن فيهم العاملون في دائرة التلغراف والبريد في الكمرك والحجر الصحي والحصن والمدنيون الآخرون في اوائل القرن العشرين بحوالي ١٧٠٠ نسمة يمثلون جنسيات مختلفة وورد في تقرير آخر بأنهم حوالي ٢ ـ ٣ الآف نسمة في حين وصل سكانها في عام ١٩١٣ (٥٠٠٠) نسمة.

ان مايميز الفاو عن سائر مدن الخليج العربي الاخرى غابات النخيل الكثيفة التي تبدأ من مسافة حوالي اربعة اميال من رأس البشة. وامتازت تمورها بالجودة وكانت ترسل الى البصرة لتعبئتها في صناديق استعدادا لتصديرها الى اوربا وامريكا.

لقد امتلك شيوخ الكويت بساتين في الفاو قيل انهم حصلوا عليها عندما ساعدوا الحملة العثمانية الى الاحساء عام ١٨٧١. ولكن الاصح انهم امتلكوا تلك البساتين في وقت سابق للحملة وكانت هذه البساتين تدر عليهم ايرادا يقدر بـ ٦٠٠٠ باون استرليني في السنة.

يقترن تاريخ الفاو بالتلغراف حيث ان الاسلاك الممتدة بينها وبين بوشهر تحت البحر تظهر في الشواطيء الطينية جنوبها لترتبط بالمحطة ومنها بالاسلاك المكشوفة التي تربطها بالبصرة. لقد وصف الفاو السائح جيري (Geary) عام ١٨٧٨ قائلا: تخرج هنا اسلاك التلغراف المغمورة في مياه الخليج الممتدة اليها من بوشهر لترتبط بالمحطة البريطانية، كما ان هناك دائرة اخرى للتلغراف عائدة للدولة العثمانية معظم موظفيها من اليونانيين يعاونهم احيانا عدد من الفرنسيين والبلجيك، ويضيف قائلا: يمكن بواسطة هذا الخط الاتصال بمختلف مدن العراق الهامة وباسطنبول

واوربا. وفي اوائل القرن العشرين وصفها آدموف القنصل الروسي في البصرة بانها قرية صغيرة تتكون من مجموعة من اكواخ القصب وعزا اهميتها لكونها اولا المحطة النهائية لخط التلغراف البري من اسطنبول عبر سكوتاري وسيواس ودياربكر وبغداد والبصرة ونقطة انطلاق (الكابل) البحري البريطاني الممتد الى ميناء بو شهر ومنه الى كراجي عن طريق جاسك وثانيا لموقعها على لسان ضيق وواطيء تكونه الضفة اليمنى لشط العرب يمكنها السيطرة على مصبه. ومن هنا نفهم الميزة الاساسية للفاو لانها تتحكم في مصب شط العرب المنفذ الوحيد الى الاراضي الزراعية الغنية في العراق وعربستان وبموجب معاهدة ارضروم الثانية ١٨٤٧ صار للفرس نوع من الامتيازات بدون اي حق على الضفة الشرقية من شط العرب اعتبارا من مصبه في الخليج العربي وحتى نقطة التقائه بنهر الكارون تلك النقطة التي اعتبرت بداية لخط الحدود بين ايران والدولة العثمانية.

في اعقاب حملة الاحساء ١٨٧١ اهتمت الدولة العثمانية باستحكامات شط العرب ووجهت اهتماما خاصا الى الفاو وزارها الوالي رديف باشا عام ١٨٧٤ لتفقد الاستحكامات فيها. وربما أمر بتشييد حصن متواضع فيها الذي وصفه السائح الامريكي (فوك) الذي مر بالفاو عام ١٨٧٥ ووجدها قرية صغيرة وشاهد فيها حصنا بنيت جدرانه المنخفضة من الطين وقد نصبت عليه سارية طويلة يرفرف عليها العلم العثماني كما شاهد الى جانب الحصن قارب حربي عثماني.

في آذار ١٨٨٢ توجه تقي الدين باشا والي بغداد الى الفاو. كجزء من خطة الدولة العثمانية في الاهتمام بالخليج العربي وبشكل خاص رأسه وتوجيه العناية اللازمة للفاو وامكانية اقامة حصن عسكري جديد هناك للدفاع عن شط العرب امام تزايد النفوذ البريطاني في الخليج العربي بل في الامبراطورية العثمانية كلها، واقترحت السلطات في البصرة بناء حصن مستدير خلف اشجار النخيل في الفاو الا ان شيخ الكويت الذي كان

يملك تلك البساتين وربما بايحاء من وكلاء حكومة الهند قلل من اهمية تشييده واشار الى عدم ضرورته وبذلك وئد الاقتراح. وفي مايس ١٨٨٣ توجه القائد البحري العثماني في البصرة بامر من السلطات العليا في اسطنبول الى الفاو لتفقد المنطقة واختيار ارض مناسبة لاقامة حصن يتناسب واهمية المنطقة التجارية ولمواجهة التغلغل البريطاني في الامبراطورية العثمانية، ونتيجة لذلك نشط الوكلاء السياسيون البريطانيون في المنطقة لاحباط الجهود العثمانية في فرض السيادة على املاكها، حيث توالت التقارير القنصلية البريطانية في البصرة على السفير البريطاني في اسطنبول وعلى حكومة الهند لاخبار المسؤولين فيها عن عزم العثمانيين على تجديد بناء الحصن وتشييد فنار لاهداء السفن الى شط العرب.

وفي اعقاب كل زيارة كان يقوم بها اي مسؤول عثماني الى منطقة الفاو كانت القنصلية البريطانية تبادر الى اجراء التحقيق عن نوايا ذلك المسؤول عن طريق ارسال المخبرين البريطانيين او بواسطة موظفي التلغراف البريطانيين العاملين في محطة التلغراف في الفاو او ذهاب القنصل البريطاني بنفسه الى هناك ان اقتضى الامر. ونتيجة تحقيقات القنصل في البصرة بشان زيارة قائد الاسطول العثماني الى الفاو ١٨٨٣ ظهر بان المسؤول العثماني قصد من زيارته تثبيت بعض العلامات في راس الخليج العربي والحاجز الغريني الخارجي ومصب شط العرب لتسهيل الملاحة للسفن القادمة الى النهر ووضع بعض الفنارات لاهداء السفن في الليالي حالكة الظلام ولم تتضح للبريطانيين اية نوايا لبناء حصن عسكري ورغم ماأكده التحقيق فان القنصل قد ابدى رغبته في زيارة المنطقة ليتأكد بنفسه مما يجري هناك من مشاريع لان مجرد اهتمام العثمانيين بانارة رأس الخليج او تسهيل الملاحة في شط العرب كان يعتبره البريطانيون محاولة للاضرار بالمصالح البريطانية في المنطقة، لذا كانت تقاومه حكومة الهند بكل ماتملك من مناورات مدعية بان شط العرب يجب

ان يبقى مفتوحا للملاحة البريطانية حتى القرنة بموجب الامتيازات الاجنبية في الانهار الدولية واية مبادرة من العثمانيين للاهتمام بمصب شط العرب كانت في نظر البريطانيين تعني احكام السيطرة عليه.

وفي ١٦ كانون الاول ١٨٨٥ علم «موكلر» نائب القنصل البريطاني في البصرة من علي رضا باشا والى البصرة بان في نية الدولة العثمانية بناء حصن في الفاو بكلفة ٩٣٠٠٠ باون استرليني وقد اعلمت القنصلية البريطانية العامة في بغداد حكومة الهند عن عزم السلطة العثمانية في بغداد ارسال بعض الجنود الى الفاو لاتمام بناء الحصن العسكري، لذا بادرت بريطانيا الى تحريض الحكومة الفارسية على تقديم احتجاج بشأن نوايا الدولة العثمانية في اقامة التحصينات في الفاو. وادعى السفير الفارسي في اسطنبول في احتجاجه الذي قدمه الى الباب العالي بان حكومته حرة في اقامة تحصينات مشابهة في الضفة الشرقية من شط العرب للحفاظ على مصالحها التجارية في النهر. ويبدو واضحا ان المصالح البريطانية الخاصة في المنطقة حرضت ايران لكي لاتنفرد الدولة العثمانية لوحدها في شط العرب، لاسيما وان الشركات البريطانية التجارية كانت لها مصالح آخذة بالنمو في منطقة عربستان وكانت على وشك الحصول على امتياز ملاحي لتسيير سفنها في نهر الكارون بين المحمرة والاحواز.

واعتقدت حكومة الهند ان اقامة التحصينات قرب مصب شط العرب من قبل الدولة العثمانية تضر بمصالحها التجارية المتنامية في البصرة ووادي الرافدين من جهة ومع المحمرة وعربستان من جهة اخرى، لذا طلبت من وزارة الخارجية البريطانية تأييد المذكرة التي قدمها السفير الفارسي في اسطنبول بشأن ادعاءات بلاده في اقامة تحصينات مشابهة في الضفة اليسرى من النهر. وقد اوعزت وزارة الخارجية البريطانية الى سفيرها في اسطنبول ليتبنى الامر واسفرت النتيجة عن التوضيح الذي اعلنه سعيد باشا وزير الخارجية العثماني مؤكدا ان الحصن سوف لايؤثر باي شكل من الاشكال على حرية التجارة او على الملاحة في شط العرب. ولكن

الحكومة البريطانية لم تقتنع بهذا الرد واجابت بان التجار البريطانيين لهم مصالح تجارية واسعة في البصرة والمحمرة، لذا تأسف بشدة ان ترى اي نوع من التحصينات على ضفة شط العرب التي قالت، انها تشكل تهديدا مباشرا للتجارة البريطانية وتخلق توترا بين فارس والدولة العثمانية الذي بدوره سيؤثر على سلامة الملاحة في النهر ويسيء الى العلاقات بين الدولتين او بين احدهما وبريطانيا.

ومن جهة اخرى كتب القنصل البريطاني في البصرة في عام ١٨٨٦ بان الاوامر وصلت من الباب العالي بتوسيع حصن الفاو وزيادة مخصصات بنائه من ٩٣٠٠٠ الى ١٨٠٠٠٠ باون على ان تغطي نفقاته من ايرادات ولاية بغداد والبصرة. وفي ١٧ مايس ١٨٨٦ ذكر بان كامل بيك بصحبة مائة وستين جنديا وصلوا الفاو ومعهم كميات من مواد البناء لغرض تشييد التحصينات هناك وحمل كامل بيك معه رسالة من والي البصرة الى شيخ الكويت باعتباره مالكا لبعض البساتين في الفاو للتعريف فقط، ولم تشر الرسالة الى طبيعة التشييدات والتحصينات او تسأل المساعدة او تظهر الرغبة في الشراء وفور وصوله اختار قطعة مناسبة من الارض مساحتها حوالي خمسين ايكرا وباشر بتخطيط اسس الحصن، كما استدعى الاشخاص الذين يملكون السفن والقوارب في المنطقة وعرض عليهم التعاون مع السلطة العثمانية في نقل الاتربة اللازمة للبناء من منطقة الدورة التي تقع على مسافة عدة اميال شمال الفاو، وقد حرُض شيخ الكويت ليقدم احتجاجا الى الباب العالي بشأن الاضرار التي ستلحق ببساتينه في الفاو، ووصل الاميرال علي رضا باشا بصحبة رفعت باشا الذي قدم اليها من بغداد على ظهر الباخرة النهرية العثمانية (الفرات) لتفقد الاعمال في الحصن. وفي الوقت الذي استمرت فيه حكومة الهند تدعمها وزارة الخارجية البريطانية في تهويل المخاطر التي تسببها التحصينات العسكرية العثمانية في الفاو اخذت تحرض الفرس على الاستمرار في تقديم الاحتجاجات الى الحكومة العثمانية وقدم السفير

الفارسي في اسطنبول مرة اخرى في كانون الثاني ١٨٨٩ مذكرة الى الباب العالي احتج فيها ضد اقامة الحصن في الفاو واعتبر ذلك مخالفا لبنود معاهدة ارضروم الثانية ١٨٤٧ وطالب بايقاف كافة الاعمال فورا وقد آزره « وايت » السفير البريطاني في اسطنبول.

الا ان السلطات العثمانية كانت تجيب الدبلوماسيين الفرس والبريطانيين بردود هادئة لاتتنازل فيها عن سيادتها على شط العرب ولكنها لاتظهر فيها ماينم على تحكمها في التجارة او اضرارها بالملاحة. ولكن لما ازدادت الاحتجاجات عليها اجابت بشكل قاطع بانها دولة حرة وغير تابعة لاحد وان انشاء الحصن في الفاو ليس تعديا على اية معاهدة واستمرت في اعمال البناء.

وقد ورد في احد تقارير حكومة الهند تحديدا لموقع الحصن العسكري الذي يقع على الضفة اليمنى من شط العرب اسفل بناية التلغراف البريطاني بمسافة ٦٨٠ ياردة وعلى بعد ثلاثة اميال شمال خليج الفاو واكثر من ثلاثين ميلا الى جنوب المحمرة وورد في التقرير ايضا بان المجري الصالح للملاحة لنهر شط العرب وهو المدخل الرئيس للعراق وجنوب ايران يضيق بالقرب من الحصن وتكون نقطة العمق فيه اقرب الى الحصن منه الى الضفة اليسرى. وطول واجهته الامامية ٦٧٣ ياردة والخلفية ٧٨١ (او ٧٨٧) وطول الضلع الجنوبي ٦٢٦ ياردة والشمالي ٦٢٠ ياردة. وقد تقرر تثبيت سبعة مدافع ثقيلة على واجهة الحصن وفي حالة اقامتها يمكن توجيه نيرانها الى السفن في عرض النهر، وان الجدولين المجاورين للضلعين الجنوبي والشمالي يعتبران بمثابة خندقين للحصن، اما واجهته الامامية فانها محمية بمساحة طينية تغطيها المياه في فترة المد العالي والاراضي الواقعة خلف الحصن يمكن اغراقها بسهولة عند الحاجة. واضاف التقرير ان الحصن اذا ماسلح كما هو مقرر له فسوف يصبح عقبة في وجه التجارة والملاحة البريطانية لا بالنسبة للبصرة فحسب وانما المحمرة وجنوب ايران ايضا.

هكذا بدأت المزاعم البريطانية من مخاوف وهمية اثارتها بنفسها ثم اخذت تعدد اخطارها قائلة بان الدولة العثمانية ستبادر بعد اتمام الحصن الى التحكم في شؤون النهر وستليها خطوة اخرى في طرد الشركة البريطانية للملاحة (شركة لنج) من مياه دجلة لانها منذ حين تضع العقبات في وجهها وتدعي ان امتيازها هو نهر الفرات لا دجلة.

وفي هذه الفترة صرح كرزن نيابة عن حكومة الهند ان الحصن العسكري في الفاو خطر على ايران وعلى المصالح التجارية والملاحة البريطانية بشكل متساو.

وكلما اصر العثمانيون على التمسك بحقوقهم في السيادة على شط العرب ازدادت مناورات حكومة الهند في تطويقها عن طريق احتجاجات متتابعة تقدمها الى السلطات المحلية في البصرة والى الحكومة المركزية في اسطنبول تدعي فيها ظهور القرصنة في مياه شط العرب مستندة الى بعض الهجمات التي قام بها افراد من عشيرة كعب مشكوك في ظروف انطلاقها وبنتيجة التحقيقات التي كانت تقوم بها السلطات العثمانية في البصرة كان يظهر لها بان المهاجمين انطلقوا من الضفة الشرقية من النهر او ان العملية وقعت قرب الشاطيء الشرقي ولكي تبعد تلك السلطات المسؤولية عنها كانت ترد على المذكرات الاحتجاجية البريطانية بان المهاجمين هم من التبعة الأيرانية وان الحالات القرصنية وقعت ضمن الاراضي الايرانية وهكذا كانت بريطانيا تنتزع من العثمانيين اعترافا بان الضفة الشرقية خاضعة للسيادة الايرانية وان ساكنيها من التبعية الايرانية، وفي الوقت الذي ابعدت السلطات العثمانية عن نفسها مسؤولية القرصنة في مياه شط العرب اعطت الدبلوماسية البريطانية سلاحا استطاعت به التشكيك في سيادة الدولة العثمانية المطلقة على شط العرب.

ونتيجة للاحتجاجات الكثيرة التي قدمتها بريطانية وايران الى حكومة الباب العالي تلكأ البناء عدة مرات وتوقف احيانا، وفي كانون الثاني

١٨٩٠ كتب (Ravenshaw) نائب القنصل البريطاني في البصرة الى المقيم في بوشهر يعلمه عن استمرار العمل في بناء حصن الفاو مشيرا الى وجود مايقارب من مائة وستين عاملا ومائتي جندي يواصلون البناء.

ولم تترك بريطانيا اية فرصة ملائمة للاحتجاج ضد وجود الحصن العسكري في الفاو دون ان تستغلها، وكانت تحاول بكل جهودها ان تعيق الدولة العثمانية عن تقويته او تسليحه وتدخلت مرارا في اعمال البناء مما اضطرت الحامية العثمانية في مايس ١٨٩٠ الى اطلاق النار على قائد الباخرة سفينكس العقيد بولد يرو (Boldero) الذي حاول النزول الى الفاو للأطلاع على التحصينات ولكن الحادث سوي سلمياً عندما اقيل قائد الحصن وحكم عليه بالسجن لمدة ستة شهور وسمح للعقيد بأمر خاص من السلطان ان يستطلع الحصن الذي اقامه العثمانيون. وفي عام ١٨٩١ اقترحت الحكومة العثمانية نقل مركز الحجر الصحي من البصرة الى الفاو وكان الغرض من الأجراء هو منع التهرب من دفع رسوم الحجر الصحي في البصرة من قبل بعض المسافرين الذين كانوا ينزلون الى البر في المحمرة ويتابعون طريقهم من هناك برا او بواسطة قوارب صغيرة الى البصرة، الا ان حكومة الهند اعتبرت اجراء الدولة العثمانية محاولة منها لفرض سيادتها على طريق شط العرب المائي وتوجيه ضربة مؤثرة الى الأزدهار التجاري في المحمرة وسرعان مااستخدمت بريطانيا سلاح الأتفاقيات الدولية عندما عارض كل من مندوب بريطانيا وروسيا في لجنة اسطنبول للشؤ ون الصحية اقتراح الدولة العثمانية لذا فشل الأجراء. وفي عام ١٨٩٣ اعتبرت السلطة العثمانية شط العرب من الفاو الى البصرة نهراً عثمانياً وبدأت بالأشراف على الملاحة فيه، وعندما قدم مركب شراعي هندي بريطاني وهو يحمل الفحم النباتي الى المحمرة اوقفته السلطات العثمانية في الفاو ووضعته تحت الحجر الصحي لمدة اربع وعشرين ساعة ثم سمحت له بالمرور بعد ان اعلمت ربانه بضرورة المرور بدائرة الكمرك في الدواسر وعند عودة المركب من المحمرة وعليه شحنة من التمور الى الفاو اعترضت

عليه السلطات هناك لانه لم يطبق الاجراءات اللازمة ولم يمر بدائرة الكمرك في الدواسر ورفضوا شهادة استيفاء دفع رسوم التصدير في ايران التي حصل عليها الربان من شيخ المحمرة واضطر المركب للعودة الى الدواسر، ولكن السلطات الكمركية هناك رفضت تزويده بوثيقة مرور دون ان يدفع الرسوم، لذا توجه الى البصرة وقدم شكوى للمعتمدية المساعدة فيها واعتقد المعتمد السياسي البريطاني المساعد ان هناك خطأ في الامر وطلب من مدير الكمرك العثماني في البصرة تفسيرا فكان جوابه: «ان المحمرة ميناء عثماني وانه تلقى التعليمات باخذ الرسوم الكمركية عن كافة السفن التي ترسو هناك» وعندئذ وجه المعتمد السياسي المساعد خطابا الى والي البصرة الا ان الوالي أكد ماصرح به مدير الكمرك وعندما كرر القنصل الايراني في البصرة المحاولة تلقى نفس الجواب.

ونتيجة لهذا الأمر قدمت بريطانيا احتجاجا الى الباب العالي ادعت فيه بانها وضعته بالتشاور مع السفارة الروسية في اسطنبول وبناء على طلب من ايران، الا ان السفير الروسي في طهران اعد بيانا توضيحيا قال فيه بان معاهدة ارضروم ١٨٤٧ لم تمنح ايران حق تملك المحمرة ولاحت في الافق بادرة امل دولية لكسب الموقف واستعدت بريطانيا لارسال باخرتها الحربية الى الفاو لحسم الموقف الا ان السلطان العثماني صرح فجأة بانه ليست له مطالب في المحمرة، وعندها وجدت بريطانيا ان من المستحسن التريث في ارسال الباخرة الى الفاو وبعد ان كسبت هذه الجولة عادت مرة اخرى تؤكد على ضرورة ارسال باخرة عسكرية بريطانية الى الفاو لحماية تجارتها لاسيما عندما تزايد النفوذ الالماني في الخليج العربي وباشرت فعلا بارسال باخرتها العسكرية (لابونك) الى الفاو واستمر ذلك حتى آذار من عام ١٨٩٧ وبعدها تم سحبها بعد ان حققت الهدف الذي ارسلت من اجله، وفي عام ١٨٩٨ ادعت بريطانيا بان موظفي دائرة الحجر الصحي في الفاو اخذوا يخرقون القواعد الدولية للحجر الصحي عندما اجبروا السفن الشراعية الهندية البريطانية على التوقف في الفاو واخضاعها

للحجر وهددت بانها ستجدد الطلب بفتح فرع قنصلي لها في الفاو لحماية مصالحها هناك لذا فضل الباب العالي ان يلغي الاجراءات الصحية في الفاو على ان يسمح بفتح فرع للقنصلية البريطانية فيها. ولكن بريطانيا عادت لتطلب السماح لها بالاحتفاظ بباخرة عسكرية في مياه شط العرب بهدف ظاهري هو حماية تجارتها من القرصنة ولكنها كانت تبغي مراقبة النشاط الالماني في النهر لاسيما بعد حصول الالمان على امتياز سكة حديد بغداد وتزايد تجارتهم في البصرة ومحاولة احد المهندسين الالمان ازالة الحاجز الغريني من قرب الفاو لتسهيل الملاحة للبواخر الالمانية الكبيرة التي اخذت تقدم الى ميناء البصرة باستمرار، وتنافس التجارة البريطانية فيها، وان تلك المنافسة المشوبة بالكراهية ساهمت على تأزيم العلاقات البريطانية الالمانية. ثم اعقبتها قيام الحرب الاولى التي اختصرت الطريق لبريطانيا لاحتواء الفاو.

مشكلة القرصنة المزعومة :

كانت بريطانيا تعزف دائما على وتر انعدام الامن في راس الخليج العربي نتيجة انتشار القرصنة، وعندما كانت الدولة العثمانية تبادر الى ارسال احدى سفنها الحربية لمراقبة القراصنة وتأديبهم كانت محاولاتها تلك تقابل باستنكار شديد من قبل القنصل البريطاني في البصرة يسانده القنصل العام في بغداد والمقيم في الخليج العربي وحكومة الهند ووزارة الخارجية البريطانية، وكانت السلطات البريطانية تعارض ايضا كما مر بنا اية محاولة من الدولة لفرض سيادتها على املاكها او مباشرتها في بناء حصن عسكري لها او عند اكثارها من نقاط الحجر الصحي لمنع انتشار الاوبئة الى العراق، بل وعارضت باستمرار مبادرات السلطات المحلية في البصرة بانارة رأس الخليج والحاجز الخارجي جنوب الفاو لتسهيل وصول السفن الى شط العرب والبصرة.

ومما يجدر ذكره هنا ان كل الاحتجاجات البريطانية كانت تتوقت دائما مع محاولات الدولة العثمانية في تثبيت نفوذها في منطقة الخليج العربي وباشارة من الشركات التجارية العاملة في المنطقة وبتحريك من القناصل البريطانيين الذين كانوا يضعون كل امكانياتهم في خدمة تلك المصالح، وبنشاط من الدبلوماسية البريطانية في اسطنبول في صياغة المبررات القانونية والسياسية للتدخل في شؤون الدولة العثمانية ومناطق سيادتها تارة باسم القرصنة واخرى باسم تجارة الاسلحة وتجارة العبيد او المعوقات في دوائر الحجر الصحي وهي اسلحة الدول الاستعمارية في ذلك العصر للحصول على مناطق النفوذ.

في اعقاب فتح قناة السويس ومارافق ذلك من نشاط تجاري في البصرة والخليج عامة، ونتيجة اهتمام الدولة العثمانية باملاكها النائية بعد ان قربها ذلك المسلك المائي الجديد، لاسيما عندما اخذت بواخر شركة عمان العثماني تمخرعباب القناة والبحر الاحمر لتصل البصرة في رحلات منظمة تقريبا. بادرت الدولة العثمانية الى معالجة الامور التي تسيء الى التجارة وتعرقلها وبشكل خاص ابان ولاية مدحت باشا للعراق، فعند زيارته للبصرة حث السلطات فيها على تتبع اثر اللصوص و «الشقاوات» في منطقة باب الزبير والقاء القبض عليهم ومعاقبتهم بقوة لما للمنطقة من اهمية تجارية بين البصرة ونجد، وكذلك بالنسبة للقوافل القادمة من حلب، وجرت حملة تأديبية للقضاء على «الحساوية» الذين اشتهروا باعمال القرصنة في منطقة «السراجي» وهي من محلات البصرة التجارية. كما توجهت انظار السلطة المحلية في البصرة الى الاطراف ايضا، وحاولت تطهير منطقة الهارثة وهي من قرى القرنة من قطاع الطرق الذين كانوا يسلبون اموال التجار القاصدين او القادمين من والى الزبير ونفهم من خلال تتبعنا لاعداد جريدة الزوراء التي كانت تنشر بتفصيل واف اخبار اللصوص والقراصنة بانها كانت قليلة ان لم تكن نادرة في السنوات اللاحقة ، وكانت التجاوزات تحدث عادة على قافلة ضلت طريقها او قارب اضطر على الرسو قرب الشاطىء ليلا، وهذا ما يحدث عادة في كل مجتمع متأخر ولاسباب متعددة .

ولكن الشيء الذي حدث ويستحق التوقف عنده هو التجاوز الذي حصل على الباخرة كشمير العائدة لشركة الهند البريطانية للملاحة البخارية المسؤولة عن نقل البريد بين بومباي والبصرة ، وعندما علمت السلطة المحلية في البصرة بالحادث ارسلت من يتتبع اثر اللصوص واهتمت السلطة في بغداد بالموضوع وارسلت اربعة افواج من الجيش النظامي الى البصرة لهذا الغرض ، كما كلف ناصر باشا السعدون متصرف المنتفق باجراء التحريات للعثور على السراق ، وقد استجاب

الشيخ وتوجه الى البصرة واستطاع القاء القبض على سبعة اشخاص من المتهمين في حين استطاع شيخ المحمرة ان يسترد ثلثي الاموال المسروقة من لصوص اخرين فروا الى اراضيه، وقد حددت جريدة الزوراء هوية اللصوص وظهر بانهم بين احسائي وايراني وعدد من العبيد ، في حين ذكر لوريمر بان اللصوص كانوا من عربستان والمنتفق، يرافقهم بعض العبيد، وقد افلحت السلطات العثمانية بالقاء القبض على معظم المتهمين في الحادثة ، وفي بداية عام ١٨٧٣ قدم للمحاكمة اكثر من ثلاثين متهما حكم على تسعة منهم بالموت وعلى اربعة بالسجن مدى الحياة وقد نفذ الحكم في سبعة منهم في البصرة في ٢٦ حزيران ١٨٧٣ . ويذكر لوريمر بان ثمانية متهمين اخرين لاقوا حتفهم في حوادث موت عنيفة وباشكال مختلفة. واضاف بان البحث استمر عن سبعة فارين اخرين . وعقب قائلا مهما كانت الظروف فقد عمل ما يكفي لتأكيد الاحترام للراية البريطانية التجارية، ولازالت قضية كشمير تذكر كنموذج فعال للعقاب البريطاني في العراق . .

ومن الجدير بالذكر ان هذه الحادثة وقعت بعد حملة الاحساء ، ومما ساعد على وقوعها ما نجم في اعقاب الحملة من تصاعد الغضب المقترن بالنصر ضد النفوذ البريطاني في المنطقة، وقد شعرت بريطانيا بخطورة انحياز شيوخ العشائر الى جانب الدولة، فبذلت جهدا خارقا عن طريق وكلائها في المنطقة لمد الجسور اليهم، وقد افلحت تلك الجهود في حادثة كشمير، حيث تكاتف كل من هربرت المعتمد السياسي في بغداد وروبرتسون المعتمد السياسي المساعد في البصرة وناصر باشا السعدون شيخ المنتفق ومتصرفها وسيد عبد الرحمن نقيب الاشراف في البصرة وقاسم الزهير رئيس محكمة التجار فيها وجابر خان شيخ المحمرة وحاكمها لتتبع الجناة. وانزال اقصى العقوبات بهم وذلك حفاظا على مصالحهم التجارية المشتركة.

لقد خسرت شركة الهند البريطانية للملاحة وقّاداً وجرح منها مهندس، ولكن بريطانيا كسبت سطوة ونفوذا وتغلغلا بين العشائر، وهيمنة بين الناس ومركزا مرموقا، وبات الاسم البريطاني يثير الرهبة في صفوف البسطاء من الناس في البصرة.

واستغلت حكومة الهند حادثة كشمير لاسيما بعد ان حصلت على مكاسب وتسهيلات تجارية كثيرة لسفنها في البصرة، واخذت تفتعل وجود حوادث قرصنية في شط العرب لاتخاذها ذريعة للضغط على السلطات المحلية في البصرة. ومما يشير الى ذلك نشر جريدة (مفرج القلوب) التي كانت تصدر في الهند، انباء كاذبة عن انتشار اللصوص وقطاع الطرق في منطقة شط العرب، وهجومهم على البواخر والسفن الهندية البريطانية، وربطت ذلك التوسع العثماني في نجد، الامر الذي ادى بجريدة الزوراء الى الرد عليها قائلة: «اية باخرة غير كشمير قد سرقت؟ وابدت الجريدة استغرابها من اسباب حشر قضية نجد في الموضوع.

وشعرت الدولة العثمانية بالشباك التي تحيطها في منطقة الخليج العربي، لذا قررت ارسال ثلاث سفن مدرعة الى المنطقة بناء على اقتراح قدمه مدحت باشا الى الصدر الاعظم بعد عزله من ولاية بغداد وتوجهه الى اسطنبول، كما اقترح على الحكومة ايضا توسيع ادارة بحرية «عمان العثماني» وتخصيص بريد منظم بين البصرة واسطنبول عن طريق السويس من جهة وبين البصرة وبومباي من جهة اخرى.

لقد كان مدحت باشا حتى بعد عزله من ولاية بغداد يعمل من اجل المصلحة العليا للدولة، وكأن يعي اهمية منطقة الخليج العربي بالنسبة للاقتصاد العثماني، ويفهم دور البصرة التجاري فيها، لذا اكد على اهمية الرحلات التجارية المنظمة بين اسطنبول والبصرة، وكذلك اشار الى ضرورة اهتمام الدولة بفتح بريد عثماني بين البصرة وبومباي، ليحل محل

البريد البريطاني الذي كان يستخدم من قبل الاسر التجارية العراقية والاجنبية على حد سواء.

ولو حاولنا استعراض الحالات القرصنية المسجلة في شط العرب والساحل العربي من الخليج خلال فترة البحث، لوجدناها كثيرة جدا، حتى انها ملأت ملفات بكاملها، ولكننا لو عمدنا الى دراسة تلك الحالات على انفراد لاتضح لنا بان بعضها كان مفتعلا، وبعضها الآخر نجم عن خلافات شخصية بين ارباب السفن، وغالبيتها لم تقع في نطاق مسؤولية الدولة العثمانية ولكن في كل الاحوال كانت الاحتجاجات توجه الى السلطات العثمانية المحلية في البصرة، بقصد احراج موقفها واظهار الهيبة البريطانية، ومن ثم الايحاء للاسر التجارية العراقية بان تعاونها مع الشركات البريطانية اكثر ضمانا من التعاون مع السلطات العثمانية، ولهذه الاسباب ولغيرها سنشير في الصفحات اللاحقة الى ماسجل من الحالات القرصنية في المنطقة، محاولين جهد الامكان توضيح ظروف ومسؤولية السلطة في البصرة عن كل حالة منها.

خلال الاعوام ١٨٧١ ـ ١٨٧٨ لم تقع سوى اربع حوادث قرصنة في مياه شط العرب، ظهرت في ثلاث منها مسؤولية افراد من عشيرة كعب القاطنة في الضفة اليسرى من النهر، والخاضعة لحاكم المحمرة الموالي للبريطانيين. ويعلق السائح جيري عند زيارته للبصرة عام ١٨٧٨ بان القرصنة اصبحت نادرة في مياه شط العرب في السنين الاخيرة، ويعزو ذلك الى شنق بعض المواطنين العرب في البصرة الذين اتهموا بالهجوم على الباخرة البريطانية كشمير. ويشير زفوبودا في يومياته الى وقع حادثة قرصنة ضد (بغلة) قادمة من الخليج العربي الى شط العرب في تشرين الاول ١٨٧٩، ويحدد مكان الحادث قرب نهر ابو فلوس، وقد رافق العملية القتل والنهب ولم يعين الكاتب هوية المهاجمين.

وخلال الفترة ١٨٨٠ ـ ١٨٨٨ سجلت ثمان حوادث قرصنة في شط العرب وساحل الاحساء. اما سبب اثارة موضوع القرصنة في هذه الفترة فانه يعود الى ان حكومة الهند كانت بصدد احتواء السواحل الخاضعة للسيادة العثمانية، على غرار مافعلت مع العديد عام ١٨٧٨، لذا اخذت تركز على موضوع انطلاق القراصنة من بني هاجر من الاراضي العثمانية وهجومهم على السفن البحرانية ، وقد اعدت التقارير التفصيلية عن بعض عمليات القرصنة استحصلتها من اصحاب السفن المسروقة، بعضها باللغة العربية ثم وحدتها من اجل تقديم الأحتجاجات بشأنها الى الدولة العثمانية، ومما يثير الانتباه ان هذه الاحتجاجات جاءت مع مباشره الدولة العثمانية في تشييد حصن الفاو.

وخلال ١٨٨٩ تم الهجوم على مركبين شراعيين هنديين بريطانيين في مياه شط العرب، وظهر بان المعتدين قدموا من الجانب الايراني، وفي ايلول ١٨٩٠ تم الهجوم على سفينتين هنديتين من نوع (بغلة) تدعى احداهما Harsingha والثانية Sukarpasa قرب المحمرة، واسفر الهجوم عن مقتل احد الاشخاص وجرح اثنين اخرين من رجال السفينة. وفي اليوم الثاني قدم احتجاج الى القنصل البريطاني في البصرة الذي توجه بمساعدة السلطة العثمانية مع ثلاثة عشر جنديا الى مكان الحادث، وبعد التحقيق ظهر بان المعتدين هم من الرعايا الايرانيين، وقد اقتنع العقيد (روس) المقيم البريطاني في الخليج العربي بان المعتدين ايرانيون لذا قدم احتجاجا الى حكومة طهران.

وادعت السلطات البريطانية في البصرة في ايلول ١٨٩٠ وقوع ثلاث حالات قرصنة اخرى في مياه شط العرب على سفن شراعية هندية بريطانية وايرانية، وقدم الاحتجاج بشأنها الى والي البصرة، وبعد التحقيق ظهر بان المعتدين على السفينتين الهنديتين هم اشخاص من عشيرة كعب، اما المهاجمون على السفينة الايرانية فلم يتم التأكد من هوية

المعتدين عليها.

وفي تسعينات القرن التاسع عشر اخذت المانيا تنافس بريطانيا في اسواقها بسبب تطور النهضة الصناعية فيها، وازداد نشاطها بشكل خاص في الدولة العثمانية، وفقدت بريطانيا بعض اسواقها بسبب من تلك المنافسة ليس هذا فحسب، وانما اخذت الصناعات الالمانية تنافس الصناعات البريطانية في عقر دارها. كل ذلك دفع حكومة الهند الى الاحتفاظ بمناطق نفوذها الاسيوية، واخذت تثير المشاكل للدولة العثمانية في هذه الفترة ليتسنى لها تركيز مصالحها وتثبيت مركزها، وعندما تعرضت البغلة الهندية البريطانية Haripasa للاعتداء في مدخل شط العرب في ايلول ١٨٩٥ قرب الفاو وقتل من طاقمها اربعة مواطنين هنود، قدم نائب القنصل البريطاني في البصرة احتجاجا الى والي البصرة حمدي باشا، الا ان الوالي قابل الممثل البريطاني بكل برود، ولكنه في الوقت نفسه اصدر تعليماته لتأسيس سبعة مراكز لمراقبة القرصنة بين الفاو والبصرة، وزودها بالحماية اللازمة، وتلك المراكز هي ١) الفاو ٢) المخراق، ٣) خارم، ٤) الزيادية، ٥) صيحان، ٦) كوت الزين، ٧) جزيرة الشمشمية.

وعندما اصرت الدول العثمانية على الاستمرار في بناء الحصن العثماني في الفاو وتسليحه، وعلى ان تأخذ على عاتقها حماية شط العرب، واكثرت من نقاط الحراسة على طوله، سارعت بريطانيا وطلبت من الحكومة الايرانية ان تبادر هي الاخرى الى وضع نقاط حراسة في الضفة الشرقية من النهر، محاولة منها اشراك الايرانيين في السيادة على شط العرب

ويشير نائب القنصل البريطاني في المحمرة، الى انه قابل معز السلطنة (مزعل خان)، وافهمه عن الخطوات التي اتخذتها الحكومة العثمانية لحماية الضفة العثمانية من شط العرب، وقد اقترح عليه انشاء مراكز حماية على نفس الغرار وقد وافق الحاكم. وفي ١٤ ايلول ١٨٩٦ اصطحب «معز

السلطنة» نائبي قنصلي البصرة والمحمرة البريطانيين في رحلة نهرية ليريهما ماتخذه بشأن المراكز على الضفة الايرانية من الشط، وكانت تلك المراكز هي القصبة ومنوحي وخضر وعبادان وشطيط والبريم والجاروف والهارثة والمحمرة.

ويبدو واضحا بان شط العرب لم يكن بحاجة الى مثل هذا العدد من نقاط الحراسة، وانما تم ذلك بتحريض من بريطانيا لاضفاء الصفة الشرعية للوجود الايراني على الضفة الشرقية من النهر. ولتفويت الفرصة على العثمانيين بالانفراد فيه.

وفي عام ١٨٩٧ استمرت السلطات البريطانية المتمركزة في رأس الخليج على شكل اسطول حربي تابع لحكومة الهند بكتابة التقارير التي تضخم وجود القرصنة هناك لتبرير وجودها، وذكرت احدى تقاريرها بان العثمانيين يحاولون فرض سيادتهم على شط العرب خلاف معاهدة ارض روم ١٨٤٧. لذا على القنصل البريطاني العام في بغداد، ان يستحصل موافقة السفير البريطاني في اسطنبول لمفاتحة الوالي في البصرة، بان الحكومة البريطانية ستبادر الى اتخاذ الخطوات الضرورية لحماية السفن الشراعية البريطانية في شط العرب، او بشكل اخر ان النهر يجب ان يحرس بواسطة بارجة حربية بريطانية، كل ذلك لان احدى البواخر الحربية العثمانية اتخذت لها موقفا بالقرب من الدواسر لحماية النهر وللحفاظ على الحقوق العثمانية.

ونتيجة لتزايد التدخل البريطاني في شط العرب ورأس الخليج العربي، بحجة وجود القرصنة، بادرت الدولة العثمانية الى زيادة عدد نقاط الحراسة على طول النهر، وجعلها ثلاث عشرة نقطة مزودة بالحراسة الكافية، كما ارسلت الباخرتين الحربيتين الوس وزحاف الى المنطقة لتفقد امنه في الوقت الذي طلبت من السلطات البريطانية سحب الباخرة

الحربية (Redbreast) التي تولت مسؤ ولية مكافحة القرصنة في النهر منذ ايلول ١٨٩٨ الى كانون الثاني ١٨٩٩ . ومقابـل هذا الاجـراء اوعزت بريطانيا الى حاكم المحمرة بان يزيد عـدد نقاط الحـراسة عـلى الجانب الشرقي من النهر، لمواجهة النشاط العثماني الذي كانت بريطانيا تعتبره نفوذا المانيا في حقيقته، بسبب حصول الالمان في هذه الفترة على امتياز سكة حديد بغداد ومحاولة ايصالها الى الخليج العربي.

ومنذ عام ١٩٠٠ اخذت بريطانيا تهول مرة اخرى موضوع القرصنة في مياه الخليج العربي، للتشكيك بقدرة الدولة العثمانيـة على الهيمنـة على المناطق الخاضعة لسيادتها، والتأكيد على عجزها عن الحفـاظ على امن مياهه. لاسيما بعد ان وقعت اتفاقية مع شيخ الكويت في عام ١٨٩٩. وعندما ناصرت الدولة العثمانية آل رشيد في هجومهم على الكويت في عام ١٩٠١ ، لذا اخذت تثير موضوع القرصنة في مياه شط العرب مجددا، وادعت ان اربعا من سفنها الشراعية قد تعرضت للاعتداء ابان انتظار موعد المد في الحاجز الغريني الخارجي جنوب الفاو. وخلال عامي ١٩٠٢ و١٩٠٣ توالت المذكرات الاحتجاجية المعدة باتقان من قبل كل من المقيم البريطاني في الخليـج العربي وشيـخ الكويت مبـارك الصباح عـلى والي البصرة، بقصد احراجه واتخـاذ ذلك ذريعـة لارسال البـوارج الحربيـة البريطانية الى شط العرب. ويبدو ان السلطات العثمانية في هذه الفترة قد تساهلت مع اتباع يوسف آل ابراهيم المقيمين في الدورة على ضفة شط العرب، وغضت الطرف عن تجاوزاتهم على سفن عدوهم شيخ الكويت لارتداد الاخير من تبعيته العثمانية وتقبله الحماية البريطانية، ولما زادت التجاوزات ارسلت الدولة العثمانية الباخرة (زحاف) الى الدواسر على بعد ١٥ ميلا شمال الفاو، لتكون على مقربة من الاحداث، ولم تكتف بريطانيا بهذا الاجراء وانما الحت على ارسال بواخرها الحربيـة الى شط العـرب للاشتـراك في تأديب القـراصنة، واستعـدت لـذلـك البـواخـر العسكرية البـريطانيـة Sphinx و Iapwing و Assaue وعندمـا تكررت

حوادث القرصنة في عامي ١٩٠٤ و ١٩٠٥ تحدت بريطانيا الدولة العثمانية وارسلت احدى سفنها الحربية الى شط العرب في موسم التمور. وظلت الباخرة البريطانية سفينكس (Sphinx) طيلة الفترة ١٩٠٦ - ١٩١٢ تمخر عباب شط العرب بين الفاو والبصرة، جاعلة من نفسها حارسة للنهر وحامية للسفن الكويتية التي ادعت انها تتعرض للهجوم من قبل القراصنة تحت مرأى ومسمع السلطات العثمانية الضعيفة. وكان القصد الحقيقي من وراء ارسال بواخرها الى شط العرب هو الحفاظ على مصالحها التجارية امام تزايد النفوذ الالماني في الدولة العثمانية عامة والبصرة والخليج العربي خاصة، تلك المصالح التي اكد على اهميتها اللورد كرزن في مجلس اللوردات البريطاني عام ١٩١١، وللدفاع عن هذه المصالح نشطت الدبلوماسية البريطانية، واوعزت الى اجهزتها المحلية في الدولة العثمانية لتتابع بدقة تحركات الولاة وقادة الاسطول العثماني في البصرة وترصد تقاريرهم وتراقب اتصالاتهم بالشركة الالمانية العاملة في البصرة الممثلة في خط هامبرك - امريكا. غير ان القلق البريطاني لم يستمر طويلا اذ لم تلبث الحرب الاولى ان نشبت وغدت بريطانيا سيدة الموقف لا في الفاو والبصرة فحسب، وانما في العراق كله.

المصادر العربية :
ابو عليه، د. عبد الفتاح، الدولة السعودية الثانية، ١٨٤٠ ـ ١٨٩١، الرياض، ١٩٧٤ حقي، د. عبد المجيد اسماعيل، الوضع القانوني لاقليم عربستان في ظل القواعد الدولية، القاهرة، ١٩٧٤ الرشيد، عبد العزيز، مغاصات اللؤلؤ، مجلة اليقين، ح٧، السنة الثانية: ١٣٤٢ جريدة الزوراء اعداد عام ١٨٧١
الشملان، سيف مرزوق، من تاريخ الكويت، الطبعة الاولى، القاهـرة، ١٩٥٩ صالـح، د. زكي، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤، بغداد ١٩٦٨
العقاد. د. صلاح، الاستعمار في الخليج «العربي»، القاهرة، ١٩٥٦
القهواتي، د. حسين محمد، دور البصرة التجاري في الخليج العربي، ١٨٦٩ ـ ١٩١٤، بغداد، ١٩٨٠ ٧
النجار، د. مصطفى عبد القادر، التاريخ السياسي لامارت عربستان العربية، ١٨٩٧ ـ ١٩٢٥، القاهرة ١٩٧١ ٧
نوار، د. عبد العزيز سليمان المصالح البريطانية في انهار العراق ١٦٠٠ ـ ١٩١٤، القاهرة ١٩٦٨ ٧
الهاشمي. محمد اعمال مدحت باشا، مجلة اليقين، الحلقة الثانية، ح٤ السنة الثانية ربيع الثاني ١٣٤٢.
وهبه. حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، الطبعة الاولى، ١٩٣٥

المصادر الاجنبية

The Appaivs Ravindev of Kuwait, 1896 - 1905 2 Voluns. Great Britain 1971

Kumar, Anglo - Turkish Ailtaganism in the Persain Gulf, Pslamic Cnltvre Vol.xxxvll No. 2. April, 1963
Persian Gulf Piracy, Pt. 1 - 2 3208

Piracies in Shott El Arab 1900. 1914 Fo / 602, 14

Piracies in Persian Gulf Piracies in Persian Gulf Ports 1900 - 1906 Fo /602, 15

Tur Kish Jurisdiction in Hslavds and Watervs of the Pe. Sian Gnlf and The Arab Littoral L/ Pts/ 18 B 126

الفصل السادس
«الحركة الوطنية في الخليج العربي»

تمهيد:

لم تكن الاوضاع العامة في اقطار الخليج العربي قبيل الحرب العالمية الاولى تختلف كثيرا عن تلك السائدة في الاقطار العربية الاخرى الخاضعة للحكم العثماني المباشر، حيث كان التخلف هو السمة المميزة للاوضاع العامة فيها. وقد اسهمت بريطانيا، الى حد ما، في هذا الوضع ايضا بفرضها العزلة على اقطار الخليج العربي ومنع اقامة اية اتصالات بينها وبين بقية الاقطار العربية وغيرها من الدول الا بالقدر الذي تتطلبه مصالحها الاستعمارية. ولكن بالرغم من هذا الوضع المتردي تابع شعب الخليج، او على الاقل المتعلمين منهم، مشاكل العرب منذ ان بدأت انتفاضاتهم على الاتراك في بداية القرن الحالي، كما ان الكتب والنشرات التي اصدرتها بعض الجمعيات العربية السرية في بيروت واسطنبول وباريس وجدت طريقها الى الكويت والبحرين سرا.[1] الا ان هذه الكتب والنشرات لم تترك اثرا مهما يذكر كما يبدو بدليل ان المنطقة لم تشهد في هذه الفترة اي تحرك سياسي وطني يمكن اعتباره مؤشرا لبدايات الحركة الوطنية فيها.

- الحركة الوطنية بين الحربين العالميتين (١٩١٩ - ١٩٣٩):

تصاعد نمو الوعي السياسي والوطني في اقطار الخليج العربي بعد الحرب العالمية الاولى. وقد ساهم نمو الحركة القومية في دول العالم الثالث، في عملية النمو هذه وبصورة عامة يمكن اجمال عوامل نمو الوعي السياسي والوطني بعد الحرب بما يلي:

(١) عوامل داخلية تمثلت في استمرار تردي الاوضاع الداخلية وطبيعة

---

(١) محمد غانم الرميحي؛ البترول والتغيير الاجتماعي في الخليج العربي (القاهرة - ١٩٧٥)، ص ١١٧ - ١١٨، وانظر للمؤلف نفسه: قضايا التغيير السياسي والاجتماعي في البحرين ١٩٢٠ - ١٩٧٠ (الكويت - ١٩٧٦)، ص ٢٥٥.

الانظمة العشائرية وتدخل الوكلاء السياسيين البريطانيين في الشؤون الداخلية وعدم مراعاتهم للعادات والتقاليد الاجتماعية والمشاعر القومية للسكان، وتؤيد الوثائق الرسمية البريطانية التي ترجع الى تلك الفترة هذه الحقيقة فقد ورد في تقرير بريطاني كتب في سنة ١٩١٩ عن الوضع الداخلي في البحرين بان الوضع الداخلي غير مرضي وشعور الاستياء قائم ضد البريطانيين ومركزهم «قائم على الخوف وليس على الاحترام»[٢].

(٢) عوامل عربية تمثلت في الثورة المصرية سنة ١٩١٩ التي قارنها احد ادباء الخليج العربي بثورة الأيرلنديين على حكم البريطانيين، وثورة العراق سنة ١٩٢٠ ومسير العراق في طريق تقرير المصير، وثورة عبد الكريم الخطابي في الريف المغربي ١٩٢١ - ١٩٢٦ التي ترددت اصداءها في كتابات ادباء الخليج العربي، واتصال عرب الخليج ببعض الزعماء الوطنيين المصلحين العرب مثل الزعيم الوطني التونسي عبد العزيز الثعالبي الذي زار الكويت وامارات ساحل عمان (دولة الامارات العربية حاليا) ومناطق اخرى من الخليج في العشرينات. واخيرا وصول بعض الصحف العربية التي تتضمن مقالات معادية لبريطانيا الى بعض اقطار الخليج العربي بعد نهاية الحرب بفترة وجيزة[٣].

(٣) عوامل خارجية كنضال الهنود وبقية مناطق العالم المقهور ومطالبتها بحق تقرير المصير[٤].

---

(٢) جمال زكريا قاسم؛ الخليج العربي، دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٩١٤ - ١٩٤٥ (القاهرة - ١٩٧٣) ص ٢٠٣.

(٣) خليفة الوقيان؛ القضية العربية في الشعر الكويتي (الكويت - ١٩٧٧) ص ص ٥٢، ٨٤، الرميحي؛ البترول والتغير الاجتماعي، ص ١١٨ وكذلك، قضايا التغير السياسي والاجتماعي في البحرين، ص ٢٧٥،

M.M. Abdullah; The United Arab Emirates, A modern History, (London - 1978). P, 112

(٤) محمد غانم الرميحي؛ «حركة ١٩٣٨ الاصلاحية في الكويت والبحرين ودبي» مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية - جامعة الكويت - السنة الاولى - العدد ٤ - تشرين الاول ١٩٧٥، ص ٣١.

ان نمو الوعي السياسي والوطني قد اثر، بطبيعة الحال، في الاوضاع السياسية الداخلية لهذه الاقطار التي بدأت تشهد، لاول مرة، اضرابات عمالية وطلابية وحركات اصلاحية تطالب بالحد من النفوذ والتدخل البريطاني في الشؤون الداخلية ومساهمة الشعب في ممارسة السلطة. وينطبق هذا القول على البحرين والكويت، وعلى الاخص الاولى منها، خلال العشرينات ومطلع الثلاثينات.

حدثت في البحرين في سنة ١٩١٩ اول انتفاضة قام بها الغواصون وعمال الميناء، الذين شكلوا القوة العاملة الرئيسة قبل كساد تجارة اللؤلؤ الطبيعي واكتشاف النفط في بداية الثلاثينات(٥)، وكان سبب هذه الانتفاضة هو الاستغلال البشع الذي مارسه تجار اللؤلؤ واصحاب السفن ضدهم، وعلى اية حال لم تلق هذه الانتفاضة تجاوبا واسعا من فئات المجتمع البحراني لضعف امكانات العمال وموقف التجار، بما يمثلونه من ثقل اقتصادي وسياسي، المعارض لها(٦).

ومنذ بداية العشرينات شهدت البحرين حركة وطنية سياسية كانت الاولى من نوعها في البحرين ويمكن ان تعتبر، بحق، بداية الحركة الوطنية فيها. وقد ضمت هذه الحركة فئات مختلفة من ابناء الشعب البحريني فقد ساهم فيها الطلاب والمثقفين وعمال البحر وبعض التجار الوطنيين. اما المطاليب الاولية لهذه الحركة فهي تأسيس مجلس تشريعي وتنظيم شرطة وطنية بدلا من قوة الشرطة الموجودة والتي تتألف من عناصر اجنبية،

(٥) كان الغوص على اللؤلؤ اهم عمل اقتصادي مارسه ابناء الخليج العربي منذ وقت ضارب في القدم. واستمر كذلك حتى الثلاثينات من هذا القرن (١٩٢٩) حينما ظهر اللؤلؤ الصناعي الياباني واثر على كساد تجارة اللؤلؤ الطبيعي في هذه المنطقة مما جعل امارات الخليج العربي تمر بفترة من الفقر الشديد ثم جاء اكتشاف النفط لينقذها من تلك المحنة الاقتصادية. وللدلالة على اهمية الغوص على اللؤلؤ نشير الى ان عدد العاملين في اسطول صيد اللؤلؤ في البحرين خلال السنوات ١٩٢٦ - ١٩٣١ قدر بحوالي ٢٠٠٠٠ رجل يعملون على حوالي ٥٠٠ سفينة، صبري فارس الهيتي؛ الخليج العربي، دراسة في الجغرافية السياسية (بغداد - ١٩٧٨) ص ١٧٧، الرميحي؛ قضايا التغيير السياسي والأجتماعي ص ٧٩.

(٦) ابراهيم خلف العبيدي؛ الحركة الوطنية في البحرين ١٩١٤ - ١٩٧١ (بغداد - ١٩٧٦) ص ١٢٣.

وبشكل خاص الايرانيين والهنود. وعندما ابدى حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة (١٨٧٠ - ١٩٢٣) ميلا الى التجاوب مع مطاليب الحركة قامت بريطانيا بعزله في ايار ١٩٢٣ وتنصيب ابنه الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة (١٩٢٣ - ١٩٤١) حاكما على البحرين، كما رفضت مطاليب الحركة الوطنية والغت نظام المحاكم الوطنية في البحرين وشكلت محاكم مختلطة يشرف عليها الوكيل السياسي البريطاني في البحرين وشددت الاشراف البريطاني المباشر على جميع الشؤون الداخلية البحرينية. وكرد فعل لهذه الاجراءات البريطانية قامت العناصر الوطنية المساهمة في الحركة بعقد مؤتمر وطني في مدينة المحرق في ٢٦ ايار ١٩٢٣ بزعامة اثني عشر شخصية وطنية منتخبة. وقد اختتم المؤتمر اعماله باصدار وثيقة وطنية تاريخية عرفت بـ «لائحة الاصلاح» تضمنت مطاليب عديدة مهمة من بينها انتخاب مجلس شورى من قبل سكان البحرين ليساهموا في ادارة بلادهم بدلا من الوكيل السياسي البريطاني ووضع حد لتدخل الاخير في شؤون البحرين الداخلية واقتصار سلطاته على الشؤون الخارجية طبقا للمعاهدات المعقودة بين البحرين وبريطانيا، وتشكيل محكمة من اربعة اعضاء ذوي خبرة في شؤون الغوص للنظر في جميع الدعاوي المتعلقة بالغوص وانصاف الغواصين(٧).

رفضت السلطات البريطانيا المعنية هذه المطاليب والقت القبض على اثنين من زعماء الحركة البارزين وهما عبد الوهاب الزياني واحمد بن لاحج ونفتهما، بلا محاكمة، الى الهند كما لاحقت بقية زعماء الحركة وعمدت الى السيطرة على شؤون التعليم في البحرين وتغيير مناهج الدراسة وابعاد المدرسين العرب القلائل. وقد ادت هذه الاجراءات الى سلسلة من الاضرابات الشاملة في مجال التعليم خلال السنوات ١٩٢٦ - ١٩٢٨، غير ان بريطانيا استمرت في خطتها حتى اخضعت التعليم لسيطرتها

(٧) العبيدي، المصدر نفسه ص ١٢٨، محمد جابر الانصاري، تاريخ الحركة الديمقراطية الاولى في الخليج العربي، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١٥ - ١٩٨٠، ص ٧٤.

المباشرة وتم تعيين مدير بريطاني للمعارف في البحرين. وفي الوقت نفسه عينت مستشارا بريطانيا لحاكم البحرين بصفة خبير مالي وهو جارلس بلكريف في سنة ١٩٢٦. وقد اصبح بلكريف هذا خلال السنوات الثلاثين التي امضاها في منصب المستشارية (١٩٢٦ - ١٩٥٧) الشخص القوي وصاحب السلطة الفعلية في كل صغيرة وكبيرة بما في ذلك بعض الامور ذات العلاقة بالشريعة الاسلامية[٨]. وقد ادت سياسته التعسفية الى الهاب مشاعر الشعب العربي في البحرين طوال فترة المستشارية.

ومن جهة اخرى ادى فشل حكومة البحرين والسلطات البريطانية في تنظيم علاقات عمال البحر باصحاب السفن وتجار اللؤلؤ واستمرار استغلال الاخيرين للعمال الى انتفاضات عمالية مهمة في البحرين بين ١٩٢٦ و ١٩٣٢. وقد بلغت هذه الانتفاضات ذروتها في ايار ١٩٣٢ عندما قام حوالي ٢٠٠٠ من عمال البحر بمظاهرة كبيرة انتهت باشتباكات بين العمال وقوات الشرطة الاجنبية والحرس العشائري، على طول سواحل مدينتي المحرق والمنامة استمرت اياما عديدة. وقد سقط عدد من العمال قتلى وجرحى في هذه الاشتباكات، وفي الايام التالية التي اعقبت الاشتباكات القت السلطات البريطانية القبض على من ظن انهم المحرضون على التظاهر وعوقبوا بالضرب في وسط السوق[٩].

اما في الكويت فقد ظهرت حركة في سنة ١٩٢١ كان التجار يشكلون العنصر الاساسي فيها. اما مطاليب هذه الحركة فقد تحددت بانشاء مجلس استشاري يعمل الى جانب حاكم الكويت في ادارة شؤون البلاد. وكان نظام الحكم في الكويت قائما على اساس السلطة المطلقة للحاكم، كما في البحرين. ومن بين الذين تعاقبوا على حكم الكويت تميز حكم الشيخ مبارك الصباح (١٨٩٦ - ١٩١٥) بالاستبداد والظلم. وبعد موته

---

(٨) الانصاري؛ المصدر نفسه ص ٧٧.

(٩) العبيدي؛ المصدر نفسه ص ص ١٣٧ - ١٣٩، الرميحي؛ قضايا التغيير السياسي، ص ٨٦.

حمعه سه لاكبر جابر (١٩١٥ ـ ١٩١٧) ثم خلف الاخير ابن اخيه سالم (١٩١٧ ـ ١٩٢١)، ولم يتخلل هذه الفترة اي تطور في نظام الحكم[١٠].

وبنهاية عهد الشيخ سالم الصباح في سنة ١٩٢١ كان الكثير من الكويتيين، وبالاخص المتعلمين منهم، قد ادركوا اهمية تطوير اداة الحكم وضرورة مشاركة الشعب في تقرير مصيره[١١]. ولـذلك، وقبل ان يتم اختيار خلف لسالم الصباح، اجتمع وجهاء الكويت، ومعظمهم من التجار، واتفقوا وتعاهدوا على اصلاح امور البلاد ووقع ثمانية منهم على عريضة تضمنت، الى جانب اشياء اخرى، طلبا بانشاء مجلس استشاري لادارة امور البلاد. وقدمت هذه العريضة الى الحاكم الجديد الشيخ احمد جابر الصباح (١٩٢١ ـ ١٩٥٠). وفي نيسان ١٩٢١ تم تأسيس المجلس الاستشاري فعلا، وقد تألف هذا المجلس من اثني عشر عضوا تم اختيارهم من بين افراد بعض العائلات الكبيرة المعروفة بثرائها. ولم يضم المجلس ايا من الموقعين على العريضة. ويعتقد البعض ان السبب يرجع الى كون الافراد الذين تم اختيارهم لعضوية المجلس اكثر اعتدالا من موقعي العريضة[١٢]. اما رئاسة المجلس فقد اسندت الى أحد كبار اعضاءه وهو حمد بن عبد الله الصقر.

لقد عقد المجلس عدة جلسات حضر بعضها الشيخ احمد الجابر الصباح. وعلى اية حال فان حياة هذا المجلس كانت قصيرة حيث حل بعد فترة وجيزة من تأسيسه. ومن بين الاسباب الرئيسة لفشل تجربة المجلس عدم الاخذ بمبدأ الانتخاب بحيث يصل الى المجلس من يمثل الشعب ويستند اليه ويتحمل اعباء مصالحه في حين ان اختيار الاعضاء على اساس الجاه والثروة اوصل الى المجلس عناصر لم تشعر بمسؤ ولياتها تجاه المهام التي امامها وكثيرا ماكانت تختلف فيما بينها لاسباب شخصية،

---

(١٠) حسين محمد البحارنه؛ دول الخليج العربي الحديثة (بيروت ـ ١٩٧٣) ص ص ٨٥ ـ ٨٦.
(١١) الوقيان؛ المصدر نفسه ص ٤١.
(١٢) الوقيان؛ المصدر نفسه ص ٤٢.

اضافة الى موقف آل الصباح، اي العائلة الحاكمة، المناويء للمجلس[١٣].

لم تشهد البحرين والكويت وبقية اقطار المنطقة بعد هذه الاحداث اية انتفاضات او حركات وطنية مهمة حتى نهاية الثلاثينات عندما بدأت الاضرابات العمالية ثانية وظهرت حركات وطنية ذات طابع اصلاحي في الكويت والبحرين ودبي في سنة ١٩٣٨. وقد تميزت هذه الحركات عن تلك التي سبقتها بكونها افضل تنظيما واوضح اهدافا.

وكانت هناك تأثيرات جديدة ادت الى هذه الاحداث في مقدمتها اكتشاف النفط وانتاجه في بعض اقطار المنطقة[١٤] ومانتج عن ذلك من تغييرات اقتصادية ـ اجتماعية، وتطور التعليم ووعي الاحداث السياسية العربية والعالمية والتفتح على افكار سياسية جديدة من خلال المدرسين العرب الوافدين من العراق وفلسطين ومصر، وارسال الطلاب للدراسة في الخارج ووصول الصحف العربية العراقية والمصرية الى هذه الاقطار، وتفاقم قضية فلسطين، واخيرا تأسيس النوادي والجمعيات الثقافية منذ اواخر الثلاثينات، وان كان تأثيرها مايزال محدودا انذاك.

ادى اكتشاف النفط وانتاجه الى بدء ظهور طبقة متوسطة لعبت دورا بارزا في قيادة الحركة الوطنية لسنوات طويلة، كما ظهرت طبقة عمالية كبيرة نسبيا، نعني بذلك عمال النفط. وكانت اغلبية عناصر هذه الطبقة من عمال البحر الذين اتجهوا الى العمل لدى شركات النفط الاجنبية بعد كساد تجارة اللؤلؤ الطبيعي بسبب رواج تجارة اللؤلؤ الصناعي. وقد اسهمت الطبقة العاملة اسهاما فعالا في الحركة الوطنية سيما وان ظروف

---

(١٣) قاسم؛ المصدر نفسه ص ١٦٥، راشد عبد الله الفرحان؛ مختصر تاريخ الكويت (القاهرة ـ ١٩٦٠)، ص ٩٤.

(١٤) اكتشف النفط بكميات تجارية خلال الثلاثينات في البحرين والسعودية والكويت في حين تأخر اكتشافه في بقية الخليج الى مابعد الحرب العالمية الثانية.

وشروط عملهم الجديد لدى شركات النفط كانت قاسية جدا واكثر من ذلك ايضا عانت هذه الطبقة من سياسة التمييز التي سارت عليها شركات النفط حيث كان العمال الاجانب، ومعظمهم من الهنود، يعيشون ظروف افضل ويحصلون على اجور اعلى من العمال العرب. ومن جهة اخرى ادى الاختلاط مع الاجانب الذين جاؤوا للعمل في الصناعة النفطية الى التعرف على افكار وعادات جديدة، وكانت الطبقة المتوسطة اكثر فئات المجتمع تلقيا لهذه الافكار والعادات»[15].

لقد ساعدت عوائد النفط على افتتاح بعض المدارس وبالتالي التعاقد مع مدرسين عرب من العراق وفلسطين ومصر وسوريا للتدريس فيها. وقد كان لهؤلاء المدرسين دور مهم في بث الروح الوطنية في صفوف الطلاب الذين شكلوا أحدى العناصر الرئيسية في الحركة الوطنية في الخليج العربي. وقد وصل تأثير هؤلاء المدرسين حتى الى المدارس البعيدة في ساحل عمان. ففي مدرسة «فلاح» في دبي مثلا نجح المدرسون العراقيون في ايصال الافكار والمشاعر القومية السائدة في العراق الى طلاب هذه المدرسة فتشكلت فيها مجموعات كشافة كانت تسير في شوارع المدينة حاملة الاعلام وهي تنشد الاناشيد القومية العربية[16].

واضافة الى المدرسين العرب لعبت الصحف العربية، وعلى الاخص العراقية والمصرية منها، دورا مهما ايضا في بث الروح الوطنية وتمكين عرب الخليج من وعي الكثير من الاحداث السياسية العربية والعالمية. وقد وصلت هذه الصحف الى معظم اقطار الخليج العربي ابتداء من الكويت وانتهاء بساحل عمان. وقد اشار احد المسؤولين البريطانيين اللذين زاروا المنطقة انذاك الى «حالة عدم الاستقرار» التي سببتها

---

(١٥) الرميحي؛ قضايا التغيير السياسي والاجتماعي ص ٣١١.

(16) M.M. Abdullah; Op. cit., P. 112.

المجلات والصحف العربية في ساحل عمان[١٧]، ناهيك عن تأثيرات هذه الصحف والمجلات في البحرين والكويت مع الاخذ بنظر الاعتبار كونهما اكثر تطورا وتفتحا قياسا الى ساحل عمان. وماقيل عن دور الصحف ينطبق ايضا على الاذاعات مثل اذاعة قصر الزهور من بغداد واذاعة القاهرة التي اشار تقرير للاستخبارات البريطانية انذاك الى وصولها الى الكويت وفيها من التعليقات الاخبارية «مايثير النفوس»[١٨].

وفيما يتعلق بالنوادي والجمعيات الثقافية فانها اقتصرت في هذه الفترة على البحرين، اما في بقية اقطار الخليج العربي فقد تأخر ظهورها الى ما بعد الحرب العالمية الثانية باستثناء بعض النوادي التي تأسست خلال العشرينات مثل النادي الادبي الذي تأسس سنة ١٩٢٤ في الكويت.

ومن بين النوادي المهمة التي تأسست في البحرين في هذه الفترة «نادي البحرين» الذي تأسس في المحرق سنة ١٩٣٧ وكان مهتما بالنشاط الاجتماعي والثقافي اضافة الى الرياضة. وفي سنة ١٩٣٨ تأسس «النادي الاهلي» في المنامة بقصد الجمع بين العناصر الواعية في المدينة، وفي السنة ذاتها تأسست «رابطة الشباب الاحرار»، وفي سنة ١٩٣٩ تأسس «نادي العروبة» في المنامة بهدف اشاعة روح التعاون ورفع مستوى الوعي الاجتماعي والوطني[١٩].

واخيرا كان لقضية فلسطين التي تابعها عرب الخليج منذ العشرينات اثر مهم جدا ايضا. وكان الحدث الرئيس الذي تردد صداه في الخليج العربي في الثلاثينات هو الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦ - ١٩٣٩ التي

---

(17) Ibid., P. 112.

(١٨) قاسم، ؛ المصدر نفسه ص ١٨٣.

(١٩) الرميحي ؛ قضايا التغيير السياسي والاجتماعي ص ٣٣٣ وكذلك،

Emile A. Nakhleh; Bahrain, Political Development in a Modernizing Society (Tornto - 1976) P. 49.

اثارت مشاعر العرب جميعا ضد بريطانيا بوصفها الدولة المنتدبة على فلسطين والتي شجعت الهجرة والاستيطان الصهيوني في فلسطين. ولم يكن توافق حركات ١٩٣٨ الوطنية الاصلاحية في الكويت والبحرين ودبي زمنيا مع تلك الثورة من قبيل المصادفة. وكانت البداية في الكويت.

منذ بداية الثلاثينات طالب الكويتيون بانشاء مجلسين منتخبين احدهما للبلدية والاخر للمعارف. وقد انشئ كلا المجلسين في السنوات ١٩٣٤ و ١٩٣٦ بالتعاقب بطريقة الانتخاب الجزئي. الا ان هذه التجربة لم تستمر طويلا بسبب الخلافات التي ظهرت بين اعضاء هذين المجلسين والسلطة الامر الذي ادى الى حل مجلس المعارف واستقالة اعضاء المجلس البلدي احتجاجا، وكانت النتيجة ازدياد حدة المعارضة الوطنية للسلطة[٢٠].

ومنذ بداية نيسان ١٩٣٨ بدأت مطاليب العناصر الوطنية الكويتية بالظهور في بعض الصحف العربية، وعلى الاخص العراقية منها، والكتابة على الجدران. ومن بين المطاليب المهمة لهذه العناصر اجراء اصلاحات في مجال الادارة والتعليم وطرد بعض المستشارين الذين يعتمد عليهم حاكم الكويت، ومعظمهم من الاجانب، والسماح للعرب بزيارة الكويت والاقامة فيها دون عوائق والاستعانة بالعراق لتطوير الكويت وحصر مجالات العمل بالشباب الكويتي مع تفضيل العراقيين على الهنود وغيرهم من الاجانب. ولاجل ايقاف الحملة المناوئة له في الصحافة العراقية وتهدئة العناصر الوطنية قام الشيخ احمد الجابر بزيارة الى العراق في ايار ١٩٣٨ واعدا الاستعانة بالعراق لادخال اصلاحات ادارية وتعليمية في الكويت[٢١]. ولكن هذه الزيارة لم تحقق الهدف الرئيس للشيخ احمد الجابر اي تهدئة العناصر الوطنية، فبعد فترة وجيزة افصحت الجمعية

---

(٢٠) الفرحان؛ المصدر نفسه ص ص ٩٤ ـ ٩٥.

(٢١) قاسم؛ المصدر نفسه ص ١٧٠.

السرية التي تشكلت في الكويت باسم «الكتلة الوطنية» لقيادة العمل الوطني عن نفسها وقدمت عريضة الى الشيخ احمد الجابر طالبت فيها تأكيد حكم الشورى وانشاء مجلس تشريعي منتخب لحكم البلاد[22]. وقد اخطر الشيخ احمد الجابر الى الاستجابة لهذا المطلب وتأسيس مجلس تشريعي في الكويت يضم ١٤ عضوا انتخبوا من قبل عدد من العائلات الكويتية[23].

وبعد تأسيسه بفترة وجيزة اعد المجلس التشريعي قانونا تأسيسيا صادق عليه الشيخ احمد الجابر في ٢ تموز ١٩٣٨. وكان هذا القانون يتألف من مقدمة وخمسة مواد، نصت الاولى منها على ان «الامة مصدر السلطات ممثلة في نوابها (المجلس). .» ونصت المادة الثانية على منح المجلس صلاحية سن قوانين الميزانية والمعارف والصحة العامة والعمران والامن والطواريء وكل قانون آخر تقتضي مصلحة البلاد سنه. اما المادة الثالثة فقد نصت على ان المجلس التشريعي مرجع لجميع المعاهدات والامتيازات والتراخيص والاتفاقيات وعدم شرعية اي امر يستجد من هذا القبيل دون موافقة المجلس. وعالجت المادة الرابعة موضوع محكمة الاستئناف في حين نصت المادة الخامسة على ان رئيس المجلس هو الذي يمثل السلطة التنفيذية في البلاد[24].

لقد قام المجلس خلال فترة حياته القصيرة بجملة من الاجراءات والاصلاحات المهمة مثل الغاء بعض الضرائب المجحفة والغاء الاحتكارات وطرد الموظفين المنحرفين وفصل القضاة الفاسدين وانشاء محاكم مدينة وتكوين قوة شرطة نظامية وانشاء بعض المدارس الجديدة

---

(٢٢) انظر نص هذه العريضة المؤرخة ٣٠ ربيع الثاني ١٣٥٧ هـ في:
خالد سليمان العدساني: نصف عام للحكم النيابي في الكويت (بيروت - ١٩٤٧) ص ص ٧ - ٨.

(٢٣) قاسم؛ المصدر نفسه ص ١٧٣.

(٢٤) العدساني؛ المصدر السابق ص ص ١١ - ١٢، الرميحي، حركة ١٩٣٨ الاصلاحية ص ٣٧.

والتعاقد مع بعثة تعليمية فلسطينية وارسال عدد من الطلاب في بعثات دراسية الى بغداد والقاهرة كما وقف المجلس امام الهجرة الاجنبية[٢٥].

وعلى اية حال فان قسما من اجراءات المجلس الاصلاحية لم يكتب لها التنفيذ بسبب حل المجلس في ٢١ كانون الاول ١٩٣٨. وجاء حل المجلس نتيجة لمعارضة حاكم الكويت لبعض قرارات المجلس، وبالاخص تلك المتعلقة بابعاد مستشاريه الاجانب، واحراجه المستمر للمجلس بتهديده المستمر، اي الحاكم، بالتخلي عن حكم الكويت في محاولة منه للضغط على المجلس للتراجع عن بعض اجراءات الاصلاحية. واضافة الى حاكم الكويت وقف اولئك الذين فقدوا احتكاراتهم وامتيازاتهم ضد المجلس. واخيرا كان موقف بريطانيا، بنفوذها القوي، المناوىء للمجلس من بين الاسباب الرئيسة لاخفاق تجربة المجلس التشريعي. وكانت المادة الثالثة من القانون التأسيسي قد اثارت سخط بريطانيا وقلقها لان هذه المادة منحت المجلس صلاحية مناقشة موضوع امتيازات النفط وعلاقات الكويت الخارجية، بما في ذلك العلاقات مع بريطانيا، وهذه امور كانت السلطات البريطانية تعتبرها من اختصاصها هي فقط بموجب المعاهدة الكويتية ـ البريطانية لسنة ١٨٩٩.

والواقع ان هذه السلطات كانت قد عبرت عن قلقها ازاء تجربة المجلس التشيريعي في الكويت منذ وقت مبكر، فقد جاء في تقرير كتبه المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي في ١٨ تموز ١٩٣٨ بان «... اختصاصات المجلس واسعة وبعض مواده تشبه مواد الدستور الفرنسي لسنة ١٧٩١ ومن الممكن ان يتحول المجلس سريعا الى مجلس وطني الامر الذي قد يؤدي الى احراج مركز بريطانيا ليس في الكويت وانما في امارات الخليج العربي بصفة عامة لاحتمال ظهور حركات وطنية مشابهة لما حدث في الكويت»[٢٦].

---

(٢٥) بشأن تفاصيل اكثر عن اصلاحات المجلس انظر؛
العدساني، المصدر نفسه ص ص ١٣ ـ ٣٣.

(٢٦) قاسم؛ المصدر نفسه ص ١٧٦.

بعد حل المجلس التشريعي شكل الشيخ احمد الجابر مجلسا سمي بمجلس الشورى في سنة ١٩٣٩ ويضم ١٤ عضوا ايضا اربعة منهم من الامراء والبقية من الاعيان. وكان هذا المجلس، الذي عين الشيخ احمد الجابر اعضاءه، ضعيفا في تكوينه ومقدرته على التنفيذ ولذا كان من الطبيعي ان يفشل فتسلل اعضاءه الواحد تلو الآخر حتى انتهى امره(٢٧).

لم تمر الفترة الواقعة بين حل المجلس التشريعي ونشوب الحرب العالمية الثانية دون مشكلات سياسية، فقد تميز الوضع السياسي بالاضطراب وكان ابرز حدث في هذه الفترة تلك المظاهرة التي اختتمت بصدام دامي في ١٠ آذار ١٩٣٩ حيث نجح الوطنيون في الاستيلاء على المستودع الرئيس للاسلحة في الكويت(٢٨). وقد عللت المصادر البريطانية هذا الحدث بكونه مؤامرة من تدبير السفير الالماني في بغداد فرتز غروبا F. Grobba للاطاحة بحكم الشيخ احمد الجابر الصباح وانهاء الحماية البريطانية على الكويت وابدالها بحماية عراقية(٢٩). وقد استغلت السلطات البريطانية هذا الحادث فاصدرت الاوامر باطلاق النار على المتظاهرين حيث سقط الكثيرون منهم جرحى كما اعتقلت بعض العناصر الوطنية، بضمنهم اعضاء المجلس التشريعي السابق، واضطرت مجموعة اخرى من هذه العناصر الى ترك الكويت وايقاف نشاطها سيما وان احداث الحرب العالمية الثانية اخذت تطغى على اهتمام العالم فترة من الزمن(٣٠).

ان مخاوف السلطات البريطانية من احتمال ظهور حركات وطنية مماثلة

---

(٢٧) الفرحان؛ المصدر نفسه ص ٩٧.

(٢٨) قاسم؛ المصدر نفسه ص ١٨٩.

(29) H.R.P. Dickson; Kuwait and Her Neighbours (London - 1968) P. 450.

(٣٠) قاسم؛ المصدر نفسه ص ص ١٨٩ - ١٩٠، طالب محمد وهيم؛ التنافس البريطاني - الامريكي على نفط الخليج العربي وموقف العرب في الخليج منه (راسلة دكتواره غير منشورة في التاريخ الحديث - جامعة بغداد - ١٩٨٠) ص ٣٦٨.

لتلك التي ظهرت في الكويت كانت في محلها، فقد ظهرت حركات مماثلة في البحرين ودبي بعد فترة قصيرة من تأسيس المجلس التشريعي الكويتي.

لقد سبق ظهور الحركة الوطنية الاصلاحية في البحرين مباشرة اضراب عام للطبقة العاملة، وعلى رأسها عمال النفط، في ٢٣ تشرين الاول ١٩٣٨. وكانت مطاليب العمال المضربين تتمثل في رفع الاجور وتحسين ظروف العمل وتأسيس نقابة للعمال. اما مطاليب الحركة الوطنية الاصلاحية التي قادتها عناصر وطنية معينة من طبقة التجار اضافة الى الطلاب وعمال النفط، اللذين جمع بينهم شعور الاستياء من اسلوب الادارة الاستبدادي، فقد تمثلت في اقامة مجلس تشريعي وحصر القضاء بايدي المواطنين البحرانيين وعدم اقتصاره على العائلة الحاكمة وتشكيل مجلس لادارة شؤون التعليم واصلاح الجهاز الاداري وابعاد الشرطة الاجانب واحلال بحرانيين محلهم وطرد الموظفين الهنود واستبدالهم بموظفين بحرانيين، وعند اللزوم عراقيين، واصدار صحيفة سياسية لها الحرية في التعبير عن الاراء والافكار وانتقاد اعمال الحكومة ومنع اليهود من دخول البحرين والغاء جنسيتهم البحرانية وغير ذلك من المطاليب.
عملت السلطات البريطانية ومن ورائها المستشار البريطاني بلكريف، على تفتيت الحركة من خلال اثارة النعرات الطائفية واعتقال بعض زعماء الحركة. وقد ادى هذا الى اضراب العمال ثانية وتخلل الاضراب صدام مع قوات الشرطة وسقوط عدد من القتلى والجرحى من العمال والقاء القبض على عدد آخر منهم. ونتيجة لذلك عقد اجتماع كبير في مسجد الجمعة في المنامة حضره مئات الشباب. وبعد الاجتماع طافت المظاهرات شوارع المدينة، وقد واجهت السلطة هذه المظاهرات بالعنف والاعتقالات، ثم قامت بمحاكمة قادة الحركة والمعتقلين الاخرين واصدرت عليهم احكاما بالسجن لمدد مختلفة، ولم تكتف بذلك بل نفت بعض قادة الحركة بعد انتهاء مدد محكومياتهم. وازاء هذه الاجراءات

المتشددة اخطر الكثير من البحرانيين الى ترك البلاد. وقد قام بعض هؤلاء البحرانيين وبمساعدة بعض المؤيدين لهم من سكان البصرة بانشاء «جميعة عرب الخليج» في البصرة في سنة ١٩٣٩. واضافة الى البحرانيين ضمت هذه الجمعية عناصر وطنية اخرى من الكويت وساحل عمان(٣٢).

اما بالنسبة للحركة الوطنية الاصلاحية في دبي والمجلس التشريعي، الذي استمر من تشرين الاول ١٩٣٨ ولغاية اذار ١٩٣٩، فان اهميتها تكمن في تبنيها افكارا اصلاحية لم يسبق لها مثيل في ساحل عمان وهذا مايضفي على تجربة المجلس التشريعي فيها، رغم قصرها، اهمية خاصة. وكانت العناصر القائمة بهذه الحركة فئة من التجار الوطنيين المتحالفين مع بعض افراد العائلة الحاكمة في دبي الذين كانوا في خلاف مع حاكم دبي الشيخ سعيد بن مكتوم (١٩١٢ - ١٩٥٨). ولم يكن الشيخ سعيد بن مكتوم حاكما مرغوبا فيه وما كان بامكانه الاستمرار في حكم دبي لولا الدعم البريطاني القوي له(٣٣)، فقد كان الشيخ سعيد حاكما مستبدا يحتكر الكثير من النشاطات التجارية في دبي اضافة لاحتكاره عوائد امتياز النفط الذي وقعه مع احدى الشركات البريطانية في ١٩٣٧ والاموال التي حصل عليها من بريطانيا لقاء توقيع اتفاقية امتياز تسهيلات الطيران معها في تلك الفترة ايضا. واضافة الى هذه المساويء اظهر الشيخ سعيد عدم مقدرة في ادارة الكثير من الامور(٣٤).

---

(٣١) قاسم؛ المصدر نفسه ص ١٩٠

(٣٢) تفاصيل حركة ١٩٣٨ في البحرين في؛
العبيدي؛ المصدر نفسه ص ص ١٥١ - ١٥٦، الرميحي، حركة ١٩٣٨ الاصلاحية ص ص ٤٣ - ٥٣.

(٣٣) مثال ذلك ماحدث في سنة ١٩٢٩ عندما اجبرت المعارضة التي يقودها مانع بن راشد الشيخ سعيد بن مكتوم على الاستقالة. واعلم مانع بن راشد، وهو ابن عم الشيخ سعيد السلطات البريطانية بانه اصبح الحاكم الجديد لامارة دبي الا ان السلطات البريطانية رفضت ذلك واعادت الشيخ سعيد الى الحكم، انظر؛
Rosemarie Said Zahlan; The Origins of the United Arab Emirates (London - 1978) P. 151.

(34) Zahlan; Op. Cit, P 151 ff.

بدأت حركة سنة ١٩٣٨ الاصلاحية في دبي بتقديم مذكرة الى الحاكم تضمنت عدة مطاليب مثل ايجاد ميزانية معروفة للامارة ورعاية الصحة العامة وتشكيل حرس للاسواق واعادة تنظيم دائرة الكمارك وتحديد مخصصات للحاكم وعائلته والغاء احتكارات الحاكم وزوجته وابنه في مجال الشحن والتحميل في ميناء دبي وسيارات الاجرة وغير ذلك. وبعد ورود اخبار نجاح الكويتيين في تشكيل مجلس تشريعي اضاف القائمون على الحركة مطلب اقامة مجلس تشريعي الى مطاليبهم السابقة، وان تعهد الى هذا المجلس السلطتين التشريعية والتنفيذية. وقد حاول الشيخ سعيد رفض هذه المطاليب الا ان قوة المعارضة اضطرته الى الاذعان والتفاوض مع المعارضة. وقد انتهت هذه المفاوضات في ٢٠ تشرين الاول ١٩٣٨ بالتوقيع على اتفاقية بين الطرفين تضمنت مايلي:

١ - تأسيس مجلس برئاسة الشيخ سعيد ويضم ١٥ عضوا يتم اختيارهم من بين وجهاء القوم في دبي. وينظر هذا المجلس في شؤون امارة دبي، وبشكل خاص المالية منها، وتكون قرارات المجلس باغلبية الاصوات.
٢ - تخصيص ٨ / ١ دخل دبي للحاكم وانفاق السبعة اثمان الباقية على مدينة دبي(٣٥).

بعد توقيع الاتفاقية وتشكيل المجلس بدأ المجلس بتنظيم ادارة دبي وشغل نفسه بالاصلاحات التجارية والسياسية والاجتماعية، وقد ركز المجلس اهتمامه اولا على المسائل التجارية والعوامل التي يمكن ان تزيد ثروة المدينة اما القضايا السياسية والاجتماعية فقد عولجت فيها بعد. ومن بين ابرز الاصلاحات التي قام بها المجلس بين تشرين الاول ١٩٣٨ ومنتصف شباط ١٩٣٩ تعيين مدير عربي لميناء دبي بدلا من المدير الايراني وتعيين افراد للاشراف على الكمارك وفرض ضريبة موحدة على

(٣٥) الرميحي؛ حركة ١٩٣٨ اصلاحية ص ٦١ وكذلك،
Abdullah; Op. cit., PP. 126 - 128; Zahlan; Op. cit., P. 158.

الواردات. واهتم المجلس بمسألة الامن في دبي فانشأ قوة للدورية في الصحراء واخرى لحراسة اسواق المدينة وكجزء من اصلاحاته الاجتماعية قرر المجلس منح معونات مالية لبعض كبار السن والعجزة في دبي، كما تشكل مجلس بلدي وانتخب مانع بن راشد آل بوفلاسة، وهو زعيم المعارضة، مديرا للتربية وافتتحت ثلاث مدارس جديدة(٣٦). وظهرت في مراسلات المجلس ووثائقه مصطلحات جديدة لها مدلولها مثل «بلادنا» و «الواجب الوطني» و «ثورة الاصلاح»(٣٧).

ان حاجة المجلس الى المال لتنفيذ بعض المشاريع الطموحة كتوسيع ميناء دبي وتجميل المدينة دفعته الى المطالبة بجزء من الاموال التي يحصل عليها الحاكم من امتياز النفط وتسهيلات الطيران، الا ان الشيخ سعيد رفض ذلك واصدر امرا في منتصف شباط ١٩٣٩ يقضي بايقاف العمل في توسيع شوارع المدينة للحد من النفقات. فرد المجلس على ذلك في ٣ اذار ١٩٣٩ بتخصيص دخل سنوي قدره ١٠,٠٠٠ روبية للحاكم وتحويل بقية عوائد امتياز النفط واتفاقية الطيران الى خزينة دبي. وقد ادى هذا الى اتساع حدة الخلاف بين حاكم دبي والمجلس، وفي الوقت نفسه تخوفت بريطانيا من احتمال ان يؤدي ذلك الى مناقشة المجلس لامتياز النفط وتسهيلات الطيران وهو الامر المحظور النقاش فيه لان يمس مصالح بريطانيا العليا(٣٨). والواقع ان السلطات البريطانية كانت تنظر بحذر منذ البداية الى انشاء المجلس واحتمال تطرقه الى مسائل السياسة الخارجية، وقد اوضح ويغتمان H. Weightman(×) لزعيم المعارضة مانع بن راشد عند توقيع اتفاقية ٢٠ تشرين الاول ١٩٣٨ بان الحكومة

(36) Zahlan; Op. cit., P. 158.

(37) Ibid.. P. 159; Abdullah; Op. cit., PP. 130 - 131.

(٣٨) الرميحي؛ حركة ١٩٣٨ الاصلاحية، ص ٦٣.

(×) هو الوكيل السياسي البريطاني في البحرين بين ايلول ١٩٣٨ وتشرين الاول ١٩٤٠ وكان الوكيل السياسي في البحرين قد اصبح مسؤولا عن ساحل عمان ايضا منذ ١٩٣٢.

البريطانية سوف تستمر في التعامل مباشرة مع الشيخ سعيد بوصفه الحاكم الشرعي لدبي وسوف لن تسمح للمجلس ان يمنعه من تحقيق التزاماته نحو الحكومة البريطانية بموجب المعاهدات التي تربطه بها(٣٩).

نتيجة لما سبق بدأ التحضير لضرب المجلس من قبل حاكم دبي والسلطات البريطانية. وسنحت الفرصة في ٢٩ اذار ١٩٣٩ في مناسبة زواج راشد بن سعيد حيث ان البدو من حلفاء الشيخ سعيد جاؤوا لحضور مراسيم الزواج ثم احتلوا المدينة بناء على تفاهم سابق مع الشيخ سعيد وحدثت بعض المناوشات ولم يقاوم اعضاء المجلس طويلا فقد استلم نصفهم تقريبا وهرب البقية مع مانع بن راشد الى الشارقة. وبايحاء من ويغتمان الذي وصل الى دبي في ٢ نيسان ١٩٣٩ قام الشيخ سعيد بتشكيل مجلس استشاري يضم ١٥ عضوا وخلال الاشهر القليلة التالية تمكن من ازاحة معظم معارضيه وعادت الامور الى مجاريها الطبيعية في دبي، واستمر الشيخ سعيد في الحكم حتى وفاته في ١٩٥٨ حيث اعقبه ابنة الشيخ راشد. وعلى اية حال فان اصلاحات المجلس التشريعي خلال فترة وجوده القصيرة تركت اثارها على دبي. فمن بين الامارات السبع(×) على ساحل عمان كانت دبي اول امارة تدرك الحاجة لتغيير بنيتها الاقتصادية والاجتماعية بعد الحرب العالمية الثانية. وقبل تدفق ثروة النفط التي جعلت مثل هذا التغيير امرا سهلا نسبيا كانت دبي في طليعة حركة التحديث على ساحل عمان(٤٠).

وقبيل الانتهاء من موضوع الحركة الوطنية بين الحربين العالميتين لابد من الاشارة الى ان نهاية الثلاثينات شهدت ازدياد حدة الصراع بين

---

(39) Zahlan; Op. cit., P. 158.

(٤٠) الرميحي؛ حركة ١٩٣٨ الاصلاحية ص ص ٦٢ - ٦٣، .Zahlan; Op. cit. P. 161

(×) وهي دبي وابو ظبي ورأس الخيمة والشارقة وام القيوين وعجمان والفجيرة.

العناصر الوطنية والمهاجرين الاجانب، وبشكل خاص الهنود والايرانيين، الذين جاؤ وا للعمل لدى شركات النفط وفي الوظائف الادارية الحكومية. وكان اساس الشعور نحو الهنود اقتصاديا في حين ان الصراع مع المهاجرين الايرانيين كان ذو مضامين اقتصادية وسياسية ايضا بسبب الادعاءات الايرانية بالسيادة على البحرين ومناطق اخرى من الخليج العربي كما سنوضح ذلك في فصل آخر.

الحركة الوطنية في مرحلة مابعد الحرب العالمية الثانية:

لم تشهد البحرين او الكويت او امارات ساحل عمان اي تحرك سياسي او عمالي خلال سنوات الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥، باستثناء اضراب عمال النفط في البحرين في اواخر كانون الاول ١٩٤٣ لاسباب اقتصادية تتعلق بتدني الاجور وظروف العمل السيئة[٤١].

لقد تبلور الوعي السياسي والوطني في اقطار الخليج العربي المغنية بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة لعوامل عديدة من بينها ازدياد عوائد النفط واثر ذلك في التوسع في ميدان التعليم، وتحسن وسائل الاتصال بالعالم الخارجي، والتوسع في انشاء الجمعيات والنوادي الثقافية التي تحولت بسرعة الى بؤر للفكر السياسي وتبادل الاراء والافكار. وفي غياب الاحزاب السياسية لعبت هذه النوادي والجمعيات الدور الذي تقوم به الاحزاب في الانظمة السياسية الاخرى، وعلى الاخص في مطلع الخمسينات قبل وصول تأثيرات ونشاطات بعض الاحزاب السياسية العربية الى هذه الاقطار. وطبقا لاحصاء سنة ١٩٧١ بلغ عدد النوادي والجمعيات في البحرين فقط ٩٠ ناديا وجميعة. ومن اهمها نادي العروبة ذو التوجه القومي والنادي العربي الذي تأسس في المنامة في ١٩٦٢ وكان

(٤١) الرميحي، قضايا التغيير السياسي ص ١٣٤.

معظم اعضاءه تقريبا من العمال الواعين سياسيا، وقد تعرض العديد من اعضاء هذا النادي وفي اكثر من مناسبة للاعتقال لاسباب سياسية بموجب قانون الطوارىء. ومن بين اهم النوادي والجمعيات في الكويت نادي المعلمين الذي تأسس في ١٩٥١ والنادي الثقافي القومي الذي تأسس في ١٩٥٢ ونادي الخريجين الذي تأسس في ١٩٥٣ والرابطة الادبية الكويتية التي تأسست في سنة ١٩٥٨. واضافة الى النوادي والجمعيات ظهرت صحف ومجلات سياسية وقومية كثيرة ذات طابع انتقادي واخرى ذات طابع اخباري اسهمت كلها في بلورة الوعي السياسي والوطني. ان الشيء نفسه ينطبق على وفود عدد كبير من المدرسين والعمال الى اقطار المنطقة، وبالاخص الفلسطينيين الذين وفدوا باعداد كبيرة بعد نكبة ١٩٤٨ التي ساهمت بدورها في اثارة المشاعر القومية العربية. كما تأثرت هذه الاقطار بالنهوض العام لحركة التحرر الوطني العربية بعد الحرب العالمية الثانية متمثلة في ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في القطر المصري وحرب التحرير الجزائرية وثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في القطر العراقي وثورة ١٩٦٢ في القطر اليمني وتجربة الوحدة المصرية ـ السورية التي تجاوب معها عرب الخليج بحماس. واخيرا فان اقطار المنطقة بدأت تتأثر منذ نهاية الخمسينات بافكار وتجارب الاحزاب والحركات السياسية الاخرى في العالم العربي. ومن بين هذه الاحزاب والحركات السياسية حزب البعث العربي الاشتراكي وحركة القوميين العرب. وقد ساهم كلاهما في الارتقاء بالوعي القومي والانتقال به من طور الحماسة العفوية الى مرحلة العمل السياسي المنظم القائم على برنامج معلوم(٤٢). وقد اتضحت تأثيرات هذه العوامل في البحرين اكثر من بقية اقطار الخليج العربي لاسباب عديدة

---

(٤٢) بشأن هذه التأثيرات انظر:

بدر الدين عباس الخصوصي؛ دراسات في تاريخ الكويت الاجتماعي والاقتصادي ١٩١٣ ـ ١٩٦١ (الكويت ـ ١٩٧٢) ص ٨٣ ومابعدها، الوقيان، المصدر نفسه ص ٥٣، الرميحي، قضايا التغيير السياسي ص ص ٣٣٣ ـ ٣٦٣، باسل الكبيسي؛ حركة القوميين العرب (بيروت ـ ١٩٧٤) ص ١٠١، Nakhleh, Op. cit., PP. 50, 55 - 56, 63 - 64., Abdullah: Op. cit., P. 14[illegible].

منها وجود طبقة عمالية كبيرة في البحرين قياسا الى الاقطار الاخرى المعنية، والنفوذ البريطاني القوي واستبداد المستشار بلكريف، اضافة الى مواجهة الشعب العربي في البحرين لتحد خارجي خطير تمثل في الادعاءات الايرانية بالسيادة على البحرين.

شهدت البحرين في ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ اضرابات عمالية ومظاهرات سياسية احتجاجا على سوء الاوضاع الاقتصادية وعلى صدور قرار الامم المتحدة بشأن تقسيم فلسطين. وقد استخدمت السلطة البريطانية كالعادة، العنف لانهاء الاضطرابات والمظاهرات ومع ذلك استمر الوضع السياسي مضطربا في البلاد حتى تفجر مرة ثانية في انتفاضة وطنية بارزة خلال الفترة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٦. اما قيادة الحركة الوطنية في هذه المرحلة فقد اسندت الى الهيئة التنفيذية العليا. وكانت هذه الهيئة، التي تمثل مختلف فئات الشعب العربي في البحرين، قد تشكلت في ١٣ تسرين الاول ١٩٥٤ لتتولى قيادة الحركة الوطنية ضد تعسف الحكومة واستبداد بلكريف. وتضم هذه الهيئة مائة عضو تنبثق عنها لجنة تنفيذية قوامها ثمانية اعضاء. واذا كانت الهيئة التنفيذية قد ضمت عناصر من التجار والزعماء التقليديين فان العمال والمثقفين كانوا يشكلون نسبة كبيرة فيها وقد عملوا على توجيهها اتجاها اكثر ثورية ووطنية[٤٣]. اما ابرز مطاليب الحركة الوطنية في هذه المرحلة فقد كانت :ـ

١ ـ تأسيس مجلس تشريعي.
٢ ـ السماح بانشاء نقابة للعمال.
٣ ـ وضع قانون عام للبلاد جنائي ومدني.

عندما رفضت الحكومة هذه المطالب ردت الهيئة التنفيذية باعلان الاضراب العام في البحرين في ٤ كانون الاول ١٩٥٤. وقد اضطرت

(٤٣) العبيدي؛ المصدر نفسه، ص ص ١٨٨ ـ ١٨٩.

الحكومة. بعد ان اتضح لها قوة الهيئة التنفيذية والتأييد الشعبي الذي تحظى به قراراتها، الى الموافقة على التفاوض مع الهيئة التنفيذية حول المطاليب السابقة في حالة انهاء الاضراب العام، وقد انتهى ذلك الاضراب بعد ان استمر مدة اسبوع واحد.

لم تكن السلطات البريطانية عازمة على الاستجابة لاي مطلب من مطاليب الحركة الوطنية، فبالرغم من اتفاقها مع الهيئة التنفيذية على جلب خبيرلسن قانون مدني واخر جنائي للبلاد وتنظيم الامن واصلاح السجون وتشكيل مجلسين احدهما للصحة والاخر للمعارف فانها على عرقلة تنفيذ هذه الاتفاقات عند التطبيق، والشيء نفسه ينطبق على مسألة المجلس التشريعي ونقابة العمال. واذا كانت الحكومة قد جلبت «خبيرا» بريطانيا لوضع قانون للعمل، وشكلت لجنة من ممثلي الحكومة واصحاب العمل والعمال للعمل مع هذا الخبير، فانها لم تضع موضع التنفيذ قانون تعويضات العمال وقانون العمل البحراني اللذين انجزتهما اللجنة ووقع عليهما حاكم البحرين الشيخ سليمان آل خليفة، بعد اجراء بعض التعديلات فيها، في ١٠ تشرين الاول و ١٢ تشرين الثاني ١٩٥٧ بالتعاقب[٤٤].

لقد ادركت الهيئة التنفيذية العليا ايضا عدم جدية الحكومة وعدم استعدادها للموافقة على تأسيس نقابة للعمال في البحرين، ولذا بادرت الهيئة الى تأسيس اتحاد مهني عام هو «اتحاد عمال البحرين» وذلك في تشرين الاول ١٩٥٥. وقد لاقت هذه الخطوة تجاوبا كبيرا من العمال الذين انضم عدد كبير جدا منهم اليه حتى بلغ عدد منتسبي الاتحاد خلال بضعة اشهر فقط حوالي ١٤٠٠٠ عامل فكان، بحق، التنظيم النقابي الاول في الخليج العربي[٤٥]. وقد اتخذ هذا الاتحاد، بعد اجتماع عقده في

(٤٤) الرميحي، قضايا التغيير السياسي ص ١٥٤.
(٤٥) تطور الاوضاع العمالية في البحرين ١٩٣٢ - ١٩٧٦ (منشورات اللجنة التأسيسية لاتحاد عمال البحرين - ايلول ١٩٧٧) ص ١٣.

شباط ١٩٥٦ عدة قرارات مهمة لتقديمها الى الحكومة والى اللجنة الاستشارية التي كانت ماتزال تواصل اجتماعاتها انذاك لوضع مسودة قانون العمل البحراني. ومن بين هذه القرارات الاعتراف بحق العمال في انشاء تنظيم عمالي موحد على مستوى البلاد يضم كل العمال البحرانيين، واعتراف الحكومة رسميا باتحاد عمال البحرين والاسراع في انهاء اعمال اللجنة الاستشارية لقانون العمل وتعديل اجور العمال. الا ان الحكومة رفضت جميع هذه القرارات وبالاخص انشاء تنظيم عمالي موحد على مستوى البلاد اذ وجدت ان مثل هذا الاتحاد قد يستخدم ضدها في المستقبل. وقد تجاهل الاتحاد هذا الرفض واعلن في ٢١ اذار ١٩٥٦ عن اجراء انتخابات لتشكيل مجلس ادارة وجميعة عامة له على ان يسمى المرشحين في تموز ١٩٥٦.

اتخذت السلطات البريطانية موقفاًمتشددا من هذه المقترحات ومن لجنة الاتحاد الوطني، وهذا هو الاسم الجديد للهيئة التنفيذية العليا بعد اعتراف حكومة البحرين بها في ١٦ اذار ١٩٥٦، بسبب اقدامها على تشكيل اتحاد عمال البحرين دون اذن مسبق من الحكومة. ان هذه الاجراءات والاعمال التي قامت بها الهيئة التنفيذية العليا او لجنة الاتحاد الوطني، اضافة الى المظاهرات الصاخبة التي استقبل بها شعب البحرين وزير خارجية بريطانيا سلوين لويد S. Loyed، احتجاجا على سياسة بلكريف وحلف بغداد، اثناء مروره بالبحرين في طريقه الى باسكستان في اذار ١٩٥٦، وكذلك المظاهرات والاضرابات التي عمت البحرين في صيف وخريف ١٩٥٦ تأييداً لاقدام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر على تأميم قناة السويس واحتجاجا على العدوان الثلاثي على القطر المصري، دفعت الحوكة البحرينية، مستعينة بالقوات البريطانية، الى ضرب لجنة الاتحاد الوطني واعتقال اعضاءها في تشرين الثاني ١٩٥٦ ثم تقديمهم الى المحاكمة ونفيهم، واعتقال عدد كبير من العناصر الوطنية واعلان حالة الطواريء في البحرين. ومن الجدير بالذكر ان الحركة الوطنية كانت قد

نجحت في تحقيق هدف مهم قبل ضربها، نعني بذلك اجبار المستشار البريطاني سيء الصيت بلكريف على تقديم استقالة في آب ١٩٥٧[٤٦].

بعد توجيه هذه الضربة الى الحركة الوطنية البحرانية اهتمت الحكومة بتقوية جهاز الشرطة واستحدثت ضمن هذا الجهاز فرعا خاصا برئاسة ضابط بريطاني، وقد اقتصرت مهمة هذا الفرع على التحقيق في الحوادث التي يعتقد ان ورائها دوافع سياسية. ولقد كان هذا الفرع الخاص وافر النشاط في بداية الستينات ولم يكن يتورع عن القبض على اي شخص او سجنه او ترحيله عن البلاد اذا ماشتبه بكونه محرضا على النشاط السياسي ضد الحكومة. وهذه المراقبة المتشددة واعتقال وهرب الكثير من العناصر الوطنية تفسر لنا الهدوء النسبي الذي شهدته البحرين خلال السنوات التالية، بالرغم من بدء انتضام شباب البحرين في الحركات والاحزاب السياسية. وعلى اية حال لم يستمر هذا الهدوء طويلا حيث تفجر الموقف الداخلي بشكل مفاجيء في اذار ١٩٦٥ عندما خرج طلاب ثانوية المنامة في مظاهرة احتجاج على قيام شركة نفط البحرين، وهي شركة امريكية، بتسريح عدد كبير من العمال. ولم يجد نفعا، في البداية، العنف الذي استخدمته الحكومة ضد المتظاهرين.

وتجدر الاشارة اخيرا الا ان الحكومة البحرانية وضعت دستورا للبلاد في ١٩٧٢ يسمح بنوع من المساهمة الشعبية في السلطة. ووفقا لهذا الدستور جرت في البحرين اول انتخابات برلمانية في كانون الاول ١٩٧٣ لانتخاب اعضاء اول جمعية وطنية (مجلس امة) في البلاد. وقد نجح بعض السياسيين الوطنيين في الحصول على بعض المقاعد في الجمعية الوطنية. وكان هؤلاء السياسيين من مرشحي التجمع اليساري الذي اطلق على

(٤٦) العبيدي، المصدر نفسه ص ص ١٩٧ ـ ٢١٧، الرميحي، المصدر نفسه ص ص ١٥١ ـ ١٥٤.

نفسه اسم «الائتلاف الشعبي»[52]. ألا ان هذه التجربة البرلمانية لم تستمر طويلا حيث أقدمت الحكومة بعد حوالي سنة ونصف على حل الجمعية الوطنية وتشتيت العناصر الوطنية فيه بعد أن رفضت الجمعية المصادقة على قانون الطوارىء الذي اقترحته الحكومة.

اما في الكويت فان الوضع السياسي الداخلي كان اهدأ من البحرين بكثير. ويرجع ذلك الى تحسن الوضع الاقتصادي بسبب ازدياد عوائد النفط بدرجة كبيرة وكذلك النهج الذي سارت عليه الحكومة الكويتية في سياستها الداخلية الامر الذي ادى الى عدم حدوث مواجهة عنيفة بينها وبين العناصر الوطنية ففي سنة ١٩٥١ سمحت الحكومة لعدد معين من الكويتيين انتخاب اعضاء لمجالس بعض الادارات كالمعارف والبلدية والصحة. وبعد استقلال الكويت في ٢٥ شباط ١٩٦١ اعلنت الحكومة عن اقامة «بداية لحياة ديمقراطية» تعتمد النظام البرلماني الحر. وكان موقف القوى الوطنية في البلاد مؤيدا لهذا الاتجاه حيث شاركت هذه القوى في المجلس النيابي الكويتي مشكلة كتلة معارضة نشيطة ذات برنامج محدد المعالم متفق عليه سلفا الامر الذي زاد من قوة العناصر الوطنية في المجلس. وبالرغم من وجود مآخذ كثيرة على التجربة البرلمانية في الكويت فان القوى الوطنية، ممثلة في المعارضة داخل المجلس، نجحت في دفع المجلس والسلطة التنفيذية في منتصف الستينات الى اصدار بعض القوانين المهمة مثل قانون العمل الذي اجاز تشكيل النقابات، كما وقفت هذه القوى ضد بعض القوانين التي تكبل الحريات العامة، كما نجحت في طرح قضايا النفط، وبالاخص مسألة انفاق العوائد، على بساط البحث فيما عدا ذلك طالب عدد من اعضاء مجلس الامة بالغاء اتفاقية المساعدة المتبادلة مع بريطانيا المعقودة عند اعلان استقلال الكويت سنة ١٩٦١، وذلك تمهيدا للاشتراك في مباحثات الاتحاد الثلاثي التي جرت في نيسان

---

(52) M.C. Hudson; Arab Politics, The Search for Legitimacy - (New Haven - 1977) P. 194.

سنة ١٩٦٣ بين مصر وسوريا والعراق. وقد اجابت الحكومة بانه ليس في الاتفاقية مايمنع المشاركة في مباحثات الاتحاد، ولم تحدد موقفها من مبدأ الاتحاد ذاته.

لقد تفاعلت القوى الوطنية في الكويت مع الاحداث العربية مثل ثورة الجزائر ابتداء من ١٩٥٤ وتأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي على مصر في ١٩٥٦ واعلان الوحدة بين سوريا ومصر وثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ومن خلال هذه الأحداث برزت مجموعة من الشباب تولت قيادة العمل الوطني وطرحت بعض الشعارات في تلك الفترة كاعلان الدستور وتطبيق الديمقراطية كاسلوب حكم شعبي، الا ان الحكومة تصدت لهذه المجموعة في ١٩٥٩ واوقفت نشاطها عن طريق اغلاق الاندية والصحف بحجة ان هذه الاندية «كانت تتعرض في مناقشاتها واجتماعاتها الى مسائل كان يعتبرها المسؤولون خارجة عن قوانينها التأسيسية»(٥٣). وبعد ١٩٦١ وبداية التجربة البرلمانية نقلت هذه العناصر الوطنية نشاطها الى داخل المجلس النيابي كما ذكرنا.

وفيما يتعلق بساحل عمان فان المدن الرئيسة على طول الساحل شهدت مظاهرات تأييد لمصر سنة ١٩٥٦، وحاولت مجموعة من الشباب اشعال النار في القاعدة الجوية البريطانية في الشارقة. وفي سنة ١٩٥٨ قابلت العناصر الوطنية الوحدة السورية ـ المصرية بحماس. كما ان المهرجانات الرياضية التي تجري في نهاية كل سنة دراسية والتي بدأت في الشارقة في ١٩٥٨ وفي دبي ١٩٥٩ تحولت الى مناسبات قومية لالقاء الخطب الحماسية واطلاق شعارات الوحدة والحرية من قبل الطلاب والجمهور(٥٤). وفي بداية الستينات شهدت بعض مناطق ساحل عمان اضرابات قام بها عمال النفط مثل تلك التي حدثت في ابو ظبي وقطر في ١٩٦٣.

---

(٥٣) الخصوصي؛ المصدر نفسه ص ٨٣، عبد الله فهد النفيسي؛ الكويت، الرأي الاخر (لندن ـ ١٩٧٨) ص ص ٢١١ ـ ٢١٢؛ صلاح العقاد: معالم التغيير في دول الخليج العربي (القاهرة ـ ١٩٧٢) ص ٤٤.

وكان اضراب عمال النفط في قطر والذي بدأ في ٢١ نيسان ١٩٦٣ هو الاكثر اهمية اذ صاحب الاضراب تشكيل ماسمي «جبهة الوحدة الوطنية» التي نشرت عدة مطالب مهمة تخص اسلوب نظام الحكم في قطر واستخدام الاجانب واجراء انتخابات لاختيار اعضاء مجلس بلدي ونشر ميزانية الدولة والاعتراف رسميا بالنقابات المهنية . وقد انتهى الاضراب في بداية ايار ١٩٦٣ بعد ان اصدر حاكم قطر الشيخ احمد بن علي آل ثاني (١٩٦٠ - ١٩٧٢) وعودا بتنفيذ بعض الاصلاحات(٥٥).

وقبيل الانتقال الى موضوع الحركة الوطنية في عمان لابد من الاشارة الى ان منطقة انتاج النفط في الجزء الشرقي من المملكة العربية السعودية قد شهدت اضرابات ومظاهرات عمالية وسياسية خلال السنوات ١٩٤٥، ١٩٤٦، ١٩٤٧، ١٩٥٣، ١٩٥٦. وقد طالب العمال في الاضرابات الاربعة الاولى بزيادة الاجور وتحسين ظروف العمل، اما في اضرابات ومظاهرات ١٩٥٦ فقد رفع العمال شعارات تنادي بسقوط الامبريالية الامريكية ومنح العمال الحق في انشاء النقابات(٥٦).

اذا كانت القوى الوطنية في البحرين والكويت وساحل عمان قد لجأت الى الاضرابات والمظاهرات للتعبير عن مشاعر الاستياء او الحماس لديها وكوسيلة ضغط على الحكومات لدفعها الى الاستجابة لمطاليبها فان القوى الوطنية في عمان سلكت سبيل الانتفاضة المسلحة ضد اسرة البوسعيد الحاكمة في مسقط، والمدعومة من قبل بريطانيا، بهدف حماية استقلال عمان . ومن بين الانتفاضات المسلحة المهمة في القرن الحالي انتفاضة سنة

---

(56) Helen Lackner; A House built on Sand, A Political Economy of Saudi Arabia (London - 1978) PP. 96 - 98.

وكذلك :

خليل علي مراد؛ تطور السياسة الامريكية في منطقة الخليج العربي ١٩٤١ - ١٩٤٧، (رسالة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الحديث - جامعة بغداد - ١٩٧٩) ص ٢٤٨ .

١٩١٣ ضد سلطان مسقط تيمور بن فيصل (١٩١٣ - ١٩٣٢). وقد شكلت قبائل عمان القوة الوطنية الاساسية المساهمة في هذه الانتفاضة. وقد اختار الثوار سالم بن راشد الخروصي اماما لهم وشكلوا حكومة مستقلة اتخذت مدينة نزوى في عمان الداخل عاصمة لها. وخلال مدة

قصيرة استولى الثوار على جميع اراضي عمان باستثناء مدينة مسقط والمناطق الساحلية التي كانت تحت حماية الاسطول البريطاني. وقد اضطرت بريطانيا الى جلب قوات من الهند لضرب الانتفاضة ولكن عبثا اذ استمر الثوار العمانيون قابضين على زمام الموقف حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. ولم يعد امام سلطان مسقط سوى الاذعان وعقد اتفاقية مع زعيم الثوار الجديد الامام محمد بن عبد الله الخليلي في ٢٥ ايلول ١٩٢٠. وقد عرفت هذه الاتفاقية باسم اتفاقية السيب وبموجبها اعترف سلطان مسقط بوجود كيان مستقل خاص بعمان كما تعهد بعدم التدخل في شؤون عمان الداخلية(٥٧).

ومنذ منتصف الخمسينات بدأت الاضطرابات في عمان ثانية وتطورت بعد فترة وجيزة الى ثورة وطنية خلال السنوات ١٩٥٧ - ١٩٥٩. وكان السبب المباشر لهذه الثورة محاولة سلطان مسقط سعيد بن تيمور (١٩٣٢ - ١٩٧٠) التدخل في شؤون عمان الداخلية والتملص من بنود اتفاقية السيب. ففي سنة ١٩٥٤ توفي الامام محمد الخليلي وانتخب العمانيون الامام غالب بن علي خلفا له. الا ان السلطان سعيد استغل فرصة وفاة الامام الخليلي وأعلن الغاء اتفاقية السيب. وكان السلطان سعيد مدفوعا بعمله هذا من قبل شركات النفط البريطانية التي كانت قد حصلت على امتياز نفطي، يغطي اقليم عمان، من السلطان سعيد سنة ١٩٣٧. وفي مطلع الخمسينات كانت هذه الشركات تتهيأ للبدء بعمليات التنقيب عن

---

(٥٧) محمود علي الداود، محاضرات عن التطور السياسي الحديث لقضية عمان (القاهرة - ١٩٦٤) ص ص ٤٣ - ٤٤.

النفط في عمان ولذا شجعت السلطان سعيد على فرض سيطرته على عمان. وقد التقت رغبات هذه الشركات مع رغبات السلطان سعيد حيث كان الاخير متشوقا الى السيطرة على اقليم عمان وبالتالي الاستحواذ على عوائد النفط.

ادى الغاء اتفاقية السيب واحتلال قوات السلطان سعيد، التي يقودها ضباط بريطانيون، لمناطق من عمان الى ثورة الشعب العماني خلال السنوات ١٩٥٧ - ١٩٥٩. ومع ان الثوار نجحوا في استعادة سيطرتهم على هذه المناطق بعد فترة وجيزة، الا ان المساعدة العسكرية البريطانية للسلطان قلبت الموقف لصالحه ولصالح قواته. فقد جلبت بريطانيا قسما من قواتها الجوية من قواعدها في كينيا والملايو والشارقة كما جلبت الجنرال روبرتسن J.A.R. Robertson من قبرص لقيادة قوات السلطان سعيد. وما ان حلت سنة ١٩٥٩ حتى كانت مقاومة الثوار العمانيين قد انتهت تقريبا، ومع ذلك استمرت عمليات زرع الالغام من قبل بعض العمانيين حتى بداية الستينات(٥٨).

لقد حظيت الثورة العمانية بدعم وتأييد بعض الاقطار العربية والاتحاد السوفيتي والصين ويوغسلافيا وغيرها من الدول الآسيوية والافريقية التي احتفلت بيوم ١٨ تموز ١٩٦٠ باعتباره «يوم عمان». وفي تشرين الاول من السنة ذاتها طلبت عشرة اقطار عربية ادراج موضوع عمان في جدول اعمال الجمعية العامة للامم المتحدة. وفي سنة ١٩٦٣ شكلت الجمعية العامة للامم المتحدة لجنة خاصة لتقصي الحقائق عن «المسألة العمانية». الا ان السلطان سعيد رفض دخول هذه اللجنة الى عمان. وبعد ان اجرت اللجنة مقابلات مع بعض زعماء الثورة العمانية في الدمام

---

(58) J.E. Peterson; Oman in the Twentieth Century (London - 1978) PP. 183 - 184.

وكذلك؛

فردهاليداي؛ المجتمع والسياسة في الجزيرة العربية (الكويت - ١٩٧٦ - ترجمة د. محمد الرميحي) ص ص ٢٢٨ - ٢٣٠.

والكويت والقاهرة ومع المسؤولين البريطانيين في لندن، اصدرت تقريرا في كانون الثاني ١٩٦٥ اشارت فيه الى ان قضية عمان قضية دولية وبانها نتجت عن «السياسات الامبريالية والتدخل الاجنبي». وبعد ذلك اصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة عدة قرارات نصت على انسحاب القوات البريطانية من عمان والإعتراف باستقلالها ولكن دون جدوى. ولقد استمرت مناقشة القضية العمانية في جلسات لاحقة للجمعية العامة حتى سنة ١٩٧١ عندما ادى قبول سلطنة عمان(×) في هيئة الامم المتحدة الى انهاء مناقشات القضية العمانية(٥٩).

الى جانب الثورة العمانية واجه سلطان مسقط ثورة اخرى لاتقل عنها اهمية في اقليم ظفار في جنوب عمان. ففي اوائل الستينات، وبعد عدد من الانتفاضات القبلية، كانت هناك مجموعة من التنظيمات السياسية المحلية المؤيدة لاستقلال اقليم ظفار عن السلطنة وهي(٦٠):

أ ـ التنظيم المحلي لحركة القوميين العرب.

ب ـ «الجمعية الخيرية الظفارية» التي اسسها مجموعة انشقت عن التنظيم المحلي لحركة القوميين العرب في ١٩٦٢.

جـ ـ منظمة الجنود الظفاريين وكان تضم مجموعة من الشباب الذين هاجروا وعملوا سابقا في قوة «كشافة ساحل عمان» (جيش دولة الامارات العربية المتحدة في الوقت الحاضر).

لقد بدأت هذه التنظيمات الثلاثة اتصالاتها لتوحيد صفوفها في سنة

(×) بعد تولي السلطان قابوس مقاليد الحكم في تموز ١٩٧٠ أمر بتغيير اسم البلاد من سلطنة مسقط وعمان الى سلطنة عمان.

(59) Peterson; Op. cit., P. 186.

(60) Kelly; Hadramaut, Oman, Dhufar; The experience of revolution Middle Eastern Studies, Vol. 12, No. 2, May 1976, PP. 222 - 223.

عبد الله النفيسي؛ تثمين الصراع في ظفار ١٩٦٥ ـ ١٩٧٥ (بيروت ـ ١٩٧٥) ص ص ٥٢ ـ ٥٣.

١٩٦٤ واسفرت هذه الاتصالات عن تشكيل «جبهة تحرير ظفار» في السنة ذاتها. واعتبر اليوم التاسع من حزيران ١٩٦٥، وهو اليوم الذي شنت فيه بعض عناصر الجبهة هجوما مسلحا على دورية حكومية، التاريخ الرسمي لبدء الثورة في ظفار. ومن بين العمليات المهمة للجبهة في هذه الفترة محاولة اغتيال السلطان سعيد الفاشلة في ٢٦ نيسان ١٩٦٦. وبعد مؤتمر حمرين الذي عقدته الجبهة في ايلول ١٩٦٨ تبدل اسم جبهة تحرير ظفار الى «الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي المحتل» واعلنت بان هدفها تحرير كل المنطقة وتحقيق ثورة اجتماعية في الاراضي المحررة. وبدأت الجبهة تحظى بدعم متزايد من اليمن الجنوبي والعراق والصين والاتحاد السوفيتي، ونتيجة لذلك توسعت عمليات الثوار العسكرية. وما ان حلت سنة ١٩٧٠ حتى كان الثوار مسيطرين على معظم القسم الجبلي المأهول بالسكان من اقليم ظفار تقريبا، ونجحوا ايضا في قصف مواقع القوة الجوية الملكية البريطانية في صلالة. وقد شجع هذا النجاح ظهور مجموعات ثورية مماثلة في شمال عمان اهمها «الجبهة الوطنية الديمقراطية لتحرير عمان والخليج العربي» التي تأسست في صيف ١٩٧٠. وبعد حوالي سنة واحدة، اي في اواخر سنة ١٩٧١، اندمجت جميع هذه المجموعات مع بعضها فيما عرف بالجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي. وفي هذه الاثناء كان الوضع السياسي قد تغيير فقد نحي السلطان سعيد بن تيمور عن الحكم وارسل منفياً الى بريطانيا وعين محله السلطان قابوس الذي اعلن عن عزمه عن تغيير اسلوب الحكم وفتح عمان للنهضة الحديثة واستخدام العوائد النفطية في تنمية اجتماعية واقتصادية وثقافية.

الفصل السابع
الاطماع الايرانية في الخليج العربي

مقدمة :

لم تظهر ايران(×) كقوة خليجية مؤثرة الا في السنوات الاخيرة، ولكن لفترة محدودة جدا، بالرغم من حدودها الطويلة مع الخليج العربي. ويعزى ذلك عادة الى عوامل عديدة من بينها قلة خبرة الايرانيين في شؤون البحر وادارة الاساطيل، وانشغال الحكومات الايرانية المتعاقبة بمشاكلها مع الدولة العثمانية في الغرب والشمال الغربي ومسألة «الخطر الروسي» في الشمال، والوجود البحري العربي القوي في الخليج العربي، وبالاخص في القرن الثامن عشر، واخيرا الوجود البريطاني في الخليج العربي. الا ان هذا لايعني مطلقا عدم بروز اهتمام ايراني سابق بالخليج العربي ذلك ان بعض حكام ايران الاقوياء ابدوا اهتماما كبيرا بالخليج العربي وكان التعبير العملي عن هذا الاهتمام بناء او محاولة بناء قوة بحرية ايرانية في الخليج العربي. ومن ابرز هذه المحاولات في تاريخ ايران الحديث تلك التي قام بها نادر شاه (١٧٣٦ - ١٧٤٧) في النصف الاول من القرن الثامن عشر، وناصر الدين شاه (١٨٤٨ - ١٨٩٦) في الربع الاخير من القرن التاسع عشر.(١) الا ان هذه المحاولات كانت قصيرة الامد ولم تحقق نتيجة مهمة تذكر. وفيما عدا بناء القوة البحرية فان الادعاءات الايرانية بالسيادة على كل الخليج العربي(٢) او اجزاء منه تشكل مظهرا آخر من مظاهر ذلك الاهتمام، وان كانت هذه الادعاءات قد استخدمت، في احيان كثيرة، من قبل الحكومات الايرانية المتعاقبة للتخفيف

(×) في اذار ١٩٣٥ غير رضا شاه بهلوي اسم بلاد فارس الى ايران.

(١) بشأن هذه المحاولات انظر؛
د. عبد الامير محمد امين؛ القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر (بغداد - ١٩٦٦) ص ص ٩ - ٣٦، ج. ج. لوريمر؛ دليل الخليج، القسم التاريخي، جـ ٥، ص ص ٢٩٥٤ - ٢٩٥٥.

(٢) جاء في مذكرة مؤرخة في ١٥ اذار ١٨٤٤ بعثها حاجي ميرزا آغاسي رئيس وزراء بلاد فارس الى اللورد ابردين وزير خارجية بريطانيا بشأن مشكلة البحرين بان الخليج العربي من شط العرب الى مسقط تابع لايران وكذلك الحال بالنسبة لجميع الجزر في الخليج العربي بدون استثناء، انظر؛
Husain M. Al - Baharna; The Arabian Gulf states (Beirut - 1975) P. 170.

من الضغوط السياسية التي تتعرض لها في الداخل[3].

الادعاءات الايرانية في الخليج العربي:

يمكن تتبع الادعاءات الايرانية في الخليج العربي منذ القرن التاسع عشر. واهم هذه الادعاءات هي تلك التي تخص البحرين والجزر العربية الثلاث طنب الكبرى وطنب الصغرى وابي موسى.

ان الادعاءات الايرانية بالسيادة على البحرين تستند الى حجتين يمكن تفنيدها بسهولة وهما:

١ ـ ان البحرين كانت دوما جزءا من بلاد فارس باستثناء الفترة التي خضعت فيها للاحتلال البرتغالي ١٥٠٧ ـ ١٦٠٢.

٢ ـ اتفاقية ٣٠ آب ١٨٢٢ المعقودة بين امير شيراز (عاصمة مقاطعة فارس) والمقيم البريطاني في الخليج العربي الكابتن وليم بروس W. Bruce والتي اعتبر فيها الاخير البحرين جزءا من بلاد فارس.

ان الرجوع الى المصادر التاريخية الموثوقة كفيل بتفنيد الحجة الاولى واثبات عروبة البحرين، فقد استوطن البحرين عرب من اليمن منذ سنة ١٩٠٠ ق. م. وفيما بين القرن السابع والحادي عشر الميلادي كانت البحرين جزءا من الدولة العربية الاسلامية. وبعد سقوط الخلافة العباسية حكمت البحرين، بسبب قربها من الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية، من قبل اسر عربية مختلفة حتى بداية القرن السادس عشر عندما احتلها البرتغاليون. ومع ان الفرس احتلوا البحرين بين ١٦٠٢ و ١٧٨٣ الا ان سيادتهم عليها لم تكن مستمرة فقد حكمها بعض الشيوخ العرب لمدد قصيرة، وفيما بين سنة ١٧١٨ و ١٧٢٠ اصبحت البحرين جزءا من ممتلكات سلطان مسقط. ومنذ سنة ١٧٨٣ استقر بها

---

(3) R.M. Burrell; Britain, Iran, The Persian Gulf, Some aspects of the situation in the 1920 and 1930s in, Derek Hopwood (ed.); The Arabian Peninsula, Society and Politics. (London - 1972) P. 183.

عرب العتوب الاقوياء وماتزال تحكم من قبلهم حتى الوقت الحاضر.

اما اتفاقية ٣٠ اب ١٨٢٢ فلا يمكن الركون اليها كوثيقة رسمية ذلك ان المقيم البريطاني وليم بروس لم يخول صلاحية عقدها بصورة رسمية وقد عاقبته الحكومة البريطانية بنقله من منصبه في الخليج العربي بسبب عقده هذه الاتفاقية. كما عبر شاه ايران فتح علي شاه (١٧٩٧ ـ ١٨٣٤) عن استيائه من امير شيراز لعقده هذه الاتفاقية دون معرفته ودون اوامر منه[٤].

لقد اثارت ايران موضوع البحرين عدة مرات خلال القرن التاسع عشر ودخلت في مراسلات ومباحثات مع الحكومة البريطانية حول هذا الموضوع باعتبار الاخيرة مسؤولة عن علاقات البحرين الخارجية وفقا لمعاهداتها مع شيوخ البحرين من آل خليفة في السنوات ١٨٢٠ و١٨٤٧ و ١٨٥٦ و ١٨٦١ و ١٨٨٠ و ١٨٩٢. فقد اثارت ايران موضوع البحرين في عشرينات القرن الماضي وفي السنوات ١٨٤٥ و ١٨٤٨ و ١٨٦٩. وبعد ذلك هدأت نسبيا حدة الخلاف البريطاني ـ الايراني حول البحرين لاكثر من نصف قرن من الزمان حيث عادت ايران الى مطالبتها المستمرة بالسيادة على البحرين منذ سنة ١٩٢٧[٥].

اما بالنسبة للجزر العربية الثلاث فان الادعاءات الايرانية بالسيادة عليها تعود الى اواخر القرن التاسع عشر. وهذه الجزر الصغيرة التي تقع بالقرب من مدخل الخليج العربي، اي مضيق هرمز، ذات اهمية استراتيجية كبيرة وبالاخص في الوقت الحاضر حيث ان بامكان الجهة التي تسيطر عليها مراقبة حركة الملاحة البحرية في هذا المضيق الحيوي ويصبح بامكانها ايضا، في حالة الضرورة، التحكم في هذه الملاحة. ولاتتوفر

(4) Al - Baharna; op. cit., PP. 168 - 169.

(5) Rouhollah K. Ramazani; The Foreign Policy of Iran 1500 - 1941, A Developing Nation in World Affairs (Virginia - 1966) P. 247, Al - Baharna; Op. cit., P. 176.

لدينا في الوقت الحاضر معلومات عن تاريخ هذه الجزر قبل سنة ١٧٢٠ ، الا ان الامر المؤكد هو انها كانت، منذ منتصف القرن الثامن عشر، تابعة لشيوخ القواسم الذين حكموا رأس الخيمة والشارقة ومايزالون(٦). ففي سنة ١٧٥٠ استولى القواسم على ميناء لنجة في الجانب الشرقي من الخليج العربي واصبح شيخ او حاكم لنجة يحكم الميناء وجزر الطنب وابي موسى وصري Sirri باسم شيخ القواسم(٧).

ولكن مع ضعف حكام لنجة في سبعينات القرن الماضي ازداد تدخل السلطات الايرانية في شؤون لنجة، وانتهى الامر باحتلال الايرانيين لها في ١١ ايلول ١٨٨٧ . وفي الوقت نفسه ارسلت قوة ايرانية احتلت جزيرة صِري. وقد احتج شيخ الشارقة القاسمي على ذلك باعتبار ان جزيرة صري تابعة للقواسم. وكان هذا رأي السلطات البريطانية ايضا التي فهمت دائما ان الاشراف على جزيرة صري الذي يمارسه شيخ لنجة نتج عن وضعه كشيخ للقواسم وليس عن طريق الالتزام بالميناء الايراني او اقليم لنجة. وتبع ذلك مباحثات دبلوماسية بريطانية ـ ايرانية توقفت في آب ١٨٨٨ دون نتيجة وذلك لتسهيل تسوية امور اخرى بريطانية كانت معلقة مع ايران(٨).

في السنة التي سقطت فيها لنجة بيد الايرانيين طالبت الحكومة الايرانية بجزر الطنب. وتكرر النزاع حول هذه الجزر في سنة ١٩٠٤ عندما قام المدير الاوربي للكمارك الايرانية بزيارة جزر الطنب وابي موسى في نيسان من تلك السنة وانزال اعلام امارة الشارقة العربية ورفع العلم الايراني

---

(٦) بشأن تفاصيل عن القواسم ودورهم في الخليج العربي انظر؛
صالح محمد العابد؛ دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧ ـ ١٨٢٠ (بغداد ـ ١٩٧٦).

(7) Burrell; op. cit.. P. 172

عبد العزيز عبد الغني ابراهيم؛ التوسع الاقليمي الإيراني في الساحل العماني (جامعة البصرة ـ مركز دراسات الخليج العربي ـ السلسلة الخاصة، ٦ ـ ١٩٧٨) ص ص ١١ ـ ١٢.

(٨) لوريمر؛ دليل الخليج، القسم التاريخي جـ ٥ ص ص ٢٩٦٨ ـ ٢٩٧١ .

بـدلا عنها، الا ان احتجـاجات الحكـومة البـريطانيـة، التي اصبحت مسؤولة عن علاقات امارات ساحل عمـان الخارجيـة ايضا بمـوجب معاهداتها مع شيوخ المنطقة، ادت الى انزال الاعلام الايرانيـة في ١٤ حزيران ١٩٠٤ . وبعدها بعدة ايام اعيد رفع العلم العربي فوقها(٩). ومع ان الحكومة الايرانية اثارت موضوع الجزر الثلاث في مناسبات اخرى قبل الحرب العالمية الاولى، الا ان ادعاءاتها بالسيادة على هذه الجزر اتخذت طابعا خطيرا خلال فترة مـابين الحـربين العـالميتين. امـا الاسس التي استندت اليها ايران في ادعاءاتها بالسيادة على هذه الجزر فهي خارطة غير رسمية لبلاد فارس رسمها اللورد كرزون Lord Curzon في سنة ١٨٨٨ وثبت فيها الوان هذه الجزر بنفس لون بلاد فـارس. كما استنـدت الى خارطة اخرى لبلاد فارس اعدتها مديرية مساحة الهند سنة ١٨٩٧ وثبتت فيها نفس الالوان الواردة في الخارطـة، علما بان الحكـومة البـريطانيـة اعتبرت ان ماجاء في تلك الخارطتين امر غـير مقصود يؤسف لـه وانه لايمكن اعتباره تصريحا رسميا من الحكومة البريطانية بشأن عائدية الجزر، وهي لاتجد فيه اية اهمية تذكر(١٠).

ايران والخليج العربي في عهد اسرة بهلوي:

ادت الاوضاع السيئة في ايران بعد الحرب العالمية الاولى الى حدوث انقلاب عسكري في شباط ١٩٢١ بقيادة العقيد رضا بهلوي الذي اصبح وزيرا للحربية وقائدا عاما للجيش الايراني بعـد الانقلاب. وفي سنـة ١٩٢٣ اصبح رئيسا للوزراء ثم اعلن نفسه شاها لايران في سنة ١٩٢٥ مبتدأ بذلك حكم الاسرة البهلوية في ايران والذي استمر حتى شبـاط ١٩٧٩.

---

(٩) لوريمر؛ المصدر نفسه، جـ٢ ، ص ١١٣٠،

Donald Hawley; The Trucial States (London - 1970) PP. 161 - 162.

(١٠) د. مصطفى عبد القادر؛ «بريطانيا وتحديد السيادة على جزر الخليج العربي في فترة مابين الحربين كما تكشفها الوثائق البريطانية» مجلة الخليج العربي - العدد ٨ - السنة ١٩٧٧، ص ٣١.

يمكن تقسيم السياسة الايرانية في الخليج العربي خلال عهد الاسرة البهلوية الى مرحلتين الاولى تغطي فترة حكم رضا شاه بهلوي التي انتهت في ايلول ١٩٤١ والثانية تغطي الجزء الاعظم من فترة حكم محمد رضا بهلوي (١٩٤١ ـ ١٩٧٩). وتبدأ هذه المرحلة منذ ١٩٥٣ حتى بداية ١٩٧٩. اما الفترة الواقعة بين ١٩٤١ و ١٩٥٣ فقد انشغلت فيها الحكومة الايرانية بمشاكلها الداخلية ولم توجه خلالها سوى القليل من الاهتمام لشؤون الخليج العربي.

تميزت السياسة الايرانية في الخليج العربي خلال عهد رضا شاه بهلوي بسمتين اساسيتين هما تقوية البحرية الايرانية والمطالبة بالبحرين والجزر العربية الثلاث. فبعد تقوية مركزه في الداخل بقضائه على انتفاضات خراسان وجيلان في ١٩٢١ وانتفاضات الاكراد في ١٩٢٢ واحتلاله عربستان في ١٩٢٥ وجه رضا شاه اهتمامه نحو الخليج العربي وبدأ بتطوير الموانيء الايرانية الواقعة على الخليج العربي لاغراض تجارية وعسكرية واستخدمت وزارة الحربية الايرانية ضابطين بحريين ايطاليين كمستشارين لها[11]. وفي سنة ١٩٢٧ قدمت وزارة الحربية الايرانية طلبا للحصول على فرقاطتين «Frigates» لقوتها البحرية الجديدة المشكلة حديثا باسم «القيادة الجنوبية»[12]. وفي السنة نفسها ارسلت اول مجموعة من الطلاب الايرانيين الى ايطاليا للتدريب حيث عادوا بعد خمس سنوات، بالتحديد في تشرين الاول ١٩٣٢، مع مدمرتين واربعة زوارق مسلحة ايطالية الصنع كانت ايران قد طلبتها من ايطاليا، وتبعتها سفن حربية اخرى خلال السنوات التالية، وعلى اية حال فان هذه القوة البحرية كانت قد انتهت مع حلول نهاية الحرب العالمية الثانية[13]، بسبب الاحداث

---

(11) R.K. Ramazani; The Persian Gulf, Iran's Role (Virginia - 1973) P. 25.

(12) Alvin J. Cottrell; Iran's Armed Forces Under the Pahlavi Dynasti in, G. Lenczowski (ed.); Iran Under the Pahlavis (Stanford - 1978) P. 422.

(13) Cottrell; Op. cit., PP. 392, 423; Burrell; Op. cit., P. 161;

ر. م. بوريل؛ الخليج العربي (بغداد ـ ١٩٧٦) ترجمة مكي حبيب المؤمن ص ٢٣.

والاضطرابات التي شهدتها ايران خلال تلك الحرب، وبالاخص بعد

الاحتلال البريطاني ـ السوفيتي لايران في ايلول ١٩٤١. واذا كان وصول هذه السفن قد ارضى غرور رضا شاه ونزعته العسكرية فانها لم تحقق انجازا مهما يذكر على مستوى السياسة الايرانية في الخليج العربي باستثناء جلاء البريطانيين من محطتين صغيرتين في بسيدو Basídu في جزيرة قشم وفي جزيرة هنجام، (١٤) اضافة الى الاعتداء على السفن والزوارق التجارية العربية ومضايقتها، كما سنوضح ذلك.

اما بالنسبة للادعاءات الايرانية في الخليج العربي فقد جرى التأكيد عليها خلال هذه الفترة، فمنذ سنة ١٩٢٣ طالبت ايران بجزيرة ابي موسى الا ان الحكومة البريطانية لفتت انتباهها الى ضرورة الابتعاد عن هذه الجزيرة وجزر الطنب والا فان الحكومة البريطانية ستتخذ الاجراءات التي تكفل المحافظة على تلك الجزر. وفي سنة ١٩٢٥ وجهت الحكومة البريطانية انذارا الى الحكومة الايرانية بسبب ارسال سلطات كمارك الاخيرة احدى زوارقها الحربية الى جزيرة ابي موسى لاستخراج الاوكسيد الاحمر الذي يوجد بكثرة في تلك الجزيرة، وهددت الحكومة البريطانية بارسال سفينة حربية الى تلك الجزيرة للمحافظة على حقوق شيخ الشارقة فيها(١٥). وفي تموز سنة ١٩٢٨ قامت سلطات الكمارك الايرانية بحجز مركب تجاري صغير، يملكه احد مواطني دبي، عندما كانت في طريقها من دبي الى حزيرة ابي موسى. وقد حدثت مضاعفات فورية على طول ساحل عمان وخاصة في دبي حيث تحول الشعور بالسخط الشديد الى خطط لارسال قوة بحرية عربية مسلحة لاطلاق سراح النساء اللواتي كن على متن المركب والرد على الاذى بالمثل، غير ان ممثل المقيم السياسي البريطاني في الشارقة افلح في اقناع عرب الساحل بالعدول عن خرق بنود

(١٤) بوريل؛ المصدر نفسه، ص ٢٣.

(١٥) النجار؛ المصدر نفسه، ص ٣٠.

المعاهدات التي ارتبطوا بها مع بريطانيا وذلك باتخاذهم مثل هذه الاجراءات الانتقامية. ولذلك فقد قرر عرب الساحل الاعتماد على فعالية المساعدة البريطانية التي نصت عليها بنود معاهدتي ١٨٢٠ و ١٨٩٢[١٦]. وبالفعل اطلق سراح المركب وركابه بعد تدخل الحكومة البريطانية. وقد انتهزت الحكومة الايرانية هذه الفرصة لتجدد ادعاءاتها في جزيرة ابي موسى. اما الحكومة البريطانية فقد ارسلت مذكرة للحكومة الايرانية جاء فيها ان الحكومة البريطانية «لن تتحمل بعد هذا اية دعاوى للحكومة الايرانية على ابي موسى التي يمتد تاريخ سيادة القواسم عليها لاكثر من مائتي سنة على الاقل وان الحكومة البريطانية لا تعرف لايران اي سند على دعاويها في تلك الارض»[١٧]. وفي ضوء هذا الموقف البريطاني لجأت الحكومة الايرانية الى اساليب اخرى للاستحواذ على هذه الجزر.

ففي آب ١٩٢٩ صرح تيمور تاش وزير البلاط الايراني بان ايران ستتخلى عن مطالبتها بجزيرة ابي موسى اذا قبلت بريطانيا بملكية ايران لجزر الطنب. وكانت وزارة الخارجية البريطانية مهتمة في هذه الاونة، بسبب خلافاتها مع الحكومة الايرانية حول موضوع عوائد النفط الايراني على الاكثر، بايجاد تسوية للنزاع ولم تكن تعارض فكرة الحصول على عقد ايجار من الشيخ سلطان حاكم رأس الخيمة يؤجر بموجبه جزر الطنب لايران. غير ان المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي كان يعتقد بصعوبة تحقيق ذلك لان الشيخ سلطان «رجل عنيد وكثير الشكوك وسوف يشك في الدافع الذي يكمن وراء اي عرض يقدم اليه»[١٨]، وكان المقيم السياسي البريطاني على صواب حيث انه اجتمع مع حاكم رأس الخيمة في ايار ١٩٣٠ وحاول اقناعه بتأجير جزر الطنب لايران الا ان الحاكم رفض ذلك. ومع ان الحكومة الايرانية تقدمت بعروض اخرى لاستئجار هذه

---

(١٦) د. روزماري ج سعيد؛ «النزاع حول الجزر العربية في الخليج ١٩٢٨ - ١٩٧١»، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية - السنة الثانية - العدد ٦ - نيسان ١٩٧٦، ص ص ١٧ - ١٨.

(١٧) عبد العزيز ابراهيم، المصدر نفسه، ص ص ٢٤ - ٢٥.

(١٨) روزماري سعيد، المصدر نفسه، ص ٢١.

الجـزر في تشرين الاول ١٩٣٠ و صيف ١٩٣٣ الا ان مصيـرها كـان الاخفاق[١٩]. وكان المقيم السياسي البريطاني قد اشار ايضا في رسالة منه الى حكومة الهند بتاريخ ٦ كانون الثاني ١٩٣١ الى شكوك العرب في ايران وبان اي تعبير عن رغبة الايرانيين في تأجير الجزر سوف يزيد من شكوك العرب ومن تصميم الشيوخ العرب على الحفاظ على ممتلكاتهم[٢٠].

ان هذا الفشل دفع الحكومة الايرانية الى العودة الى اساليبها وتجاوزاتها السابقة، ففي نيسان ١٩٣٤ قام حاكم ميناء بندر عباس وجابي الضرائب ورئيس البوليس بزيارة الطنب وفي آب ١٩٣٤ قام مركب ايراني بانزال جماعة على جزيرة طنب ورسا مقابل ساحل الجـزيرة الامـر الذي اثـار الحكومة البريطانية حيث قررت اللجنة الفرعية للشرق الاوسط المتفرعة من لجنة الدفاع الامبراطـوري Committee of Imperial Defense وجوب استعمال القوة بعد ان تردت الاوضاع الى حد كبـير، وبناء عـلى ذلك ابلغت الحكومة الايرانية بان الاوامر قد صدرت الى الاسطول البريطاني في الخليج العربي بمقاومة ايـة محاولـة ايرانيـة لاحتلال الـطنب مقاومـة قصوى[٢١]. واذا كانت الحكومة الايرانية قد اوقفت تجاوزاتها فانها لم تتخل عن ادعاءاتها في هذه الجزر ففي ٨ تشـرين الاول ١٩٣٤ ابلغ الوزيـر الايراني في لندن وزارة الخارجية البريطانية بان حكومته تعتبر جزر الطنب وابي موسى مناطق ايرانية[٢٢]. وفي اواخر كانون الثاني ١٩٣٥ اعـادت الحكومة الايرانية الكرة عندما احتجت على توقيع شيخ الشارقة امتيازا مع شركة بريطانية لاستخراج الاوكسيد الاحمر في ابي موسى[٢٣].

وبعد سنة ١٩٣٥ فترت ادعاءات الحكومة الايرانية في الجزر الثلاث

---

(١٩) روزماري سعيد، المصدر نفسه، ص ٢٢، Burrell; Op. cit., P. 174

(20) Burrell; Op. Cit., P. 173.

(٢١) النجار؛ المصدر نفسه ص ٣٢، روزماري سعيد، المصدر نفسه، ص ٢٣ وكذلك Burrell; Op. cit., P. 175.

(22) M.M. Abdullah; The United Arab Emirates, A Modern History (London - 1978). P. 269.

(٢٣) روزماري سعيد؛ المصدر نفسه، ص ٢٥.

بعد ان اتضح لديها جدية الموقف البريطاني في عدم التخلي عن هذه الجزر لايران[٢٤]، اضافة الى بدء تأزم العلاقات الدولية في اوربا ونشوب الحرب العالمية الثانية. ومن الجدير بالذكر ان الموقف البريطاني من مسألة الجزر قد تحدد بالمصالح السياسية والاقتصادية البريطانية في الخليج العربي. وسنرى كيف انها تخلت عن هذه الجزر ومهدت للاحتلال الايراني لها في اواخر سنة ١٩٧١ عندما اقتضت مصالحها ذلك.

اما بالنسبة للادعاءات الايرانية في البحرين فقد بدأت مجددا في سنة ١٩٢٧، عندما احتجت الحكومة الايرانية على معاهدة جدة الموقعة بين المملكة العربية السعودية وبريطانيا في ٢٠ ايار من السنة نفسها والتي نصت المادة السادسة منها على تعهد الملك السعودي عبد العزيز بن سعود بعدم التدخل في شؤون البحرين. وقد ارسلت الحكومة الايرانية في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٧ مذكرة احتجاج الى الحكومة البريطانية بشأن البحرين كما ارسلت نسخة من الاحتجاج الى عصبة الامم. وقد اجابت الحكومة البريطانية على مذكرة الاحتجاج الايرانية في ١٨ شباط ١٩٢٨ مؤكدة عدم وجود «اية مبررات شرعية» لايران يمكن الاشارة اليها. ثم عادت الحكومة الايرانية وارسلت في آب ١٩٢٨ مذكرة اخرى الى عصبة الامم شرحت فيها وجهة النظر الايرانية وقد اجابت عليها الحكومة البريطانية بمذكرة مطولة دحضت فيها الحجج الايرانية. وفي بداية سنة ١٩٢٩ احتجت الحكومة الايرانية ضد التعليمات التي اصدرتها السلطات البريطانية والتي طالبت فيها الايرانيين الذين يزورون البحرين بابراز جوازات السفر الا ان الحكومة البريطانية اهملت الاحتجاج. وقد تكررت هذه الادعاءات في الثلاثينات ايضا في مناسبات مختلفة مثال ذلك احتجاجها في سنة ١٩٣٤ على قيام الشركات الامريكية بانتاج النفط في البحرين وتصديره واشارت الى ان امتياز النفط «غير معترف به طالما ان

---

(٢٤) عبد العزيز ابراهيم، المصدر نفسه، ص ٣٠.

شركة النفط لم تحصل عليه من طهران»، كما احتجت في السنة نفسها على اقامة قاعدة عسكرية بريطانية في البحرين، وفي سنة ١٩٤٠ قدمت الحكومة الايرانية احتجاجا ضد ايطاليا بسبب تعرض البحرين لغارة جوية من قبل بعض الطائرات الايطالية[٢٥].

ومنذ سنة ١٩٤١ وحتى منتصف الخمسينات ساهمت عوامل داخلية وخارجية عديدة في ابعاد منطقة الخليج العربي نسبيا عن دائرة اهتمامات الحكومة الايرانية. ففي آب ١٩٤١ تعرضت ايران لاحتلال عسكري بريطاني ـ سوفيتي مشترك ادى الى تشتيت الجيش الايراني واستقالة رضا بهلوي في ايلول من السنة نفسها وتولى الحكم من بعده ابنه الشاب محمد رضا بهلوي. وخلال السنوات الخمس التالية انشغلت الحكومة الايرانية بقضية وجود وانسحاب قوات الاحتلال واعادة سيطرة الحكومة المركزية على اذربيجان وكردستان الايرانية اللتين تشكلت فيهما جمهوريات مستقلة في سنة ١٩٤٥. وبعد سنة ١٩٤٦ انشغلت الحكومة الايرانية بعلاقاتها المتأزمة مع الاتحاد السوفيتي في الشمال بسبب رفض الحكومة الايرانية منح امتياز نفط يغطي شمال ايران للحكومة السوفيتية. وفيما بين نيسان ١٩٥١ ونيسان ١٩٥٣ واجهت الحكومة الايرانية مشكلة خارجية مهمة تمثلت في ازمة العلاقات مع بريطانيا بسبب اقدام حكومة مصدق على تأميم عمليات شركة النفط الانكلو ـ ايرانية، وهي شركة بريطانية. وخلال الحقبة ذاتها تدهور الوضع الاقتصادي في ايران بسبب الحظر الذي فرضته بريطانيا على شراء النفط الايراني وتهديدات الولايات المتحدة المستمرة بايقاف المساعدات الاقتصادية الامريكية لايران، وازداد الوضع سوءا بسبب هرب الشاه الى خارج البلاد. وخلال هذه الحقبة ١٩٥١ ـ ١٩٥٣ تجددت الاحتجاجات الايرانية بشأن البحرين وكانت تعليقات

---

(٢٥) تفاصيل الادعاءات الايرانية بالبحرين خلال هذه الفترة في:
امل ابراهيم الزياني؛ البحرين ١٧٨٣ ـ ١٩٧٣ (بيروت ـ ١٩٧٣) ص ص ١٠٢ ـ ١٠٦؛ ابراهيم خلف العبيدي؛ الحركة الوطنية في البحرين ١٩١٤ ـ ١٩٧١ (بغداد ـ ١٩٧٦) ص ص ١٦٨ ـ ١٧٢؛
AL - Baharna; Op. cit., P. 170, ff.

الصحف عنيفة ايضا بسبب العداء لبريطانيا، وفي كانون الاول ١٩٥٢ ادرجت البحرين في قائمة المناطق الانتخابية الايرانية(٢٦).

عاد محمد رضا بهلوي الى ايران في ١٩٥٣ وبدأ باتخاذ الخطوات اللازمة لتعزيز مركزه في الداخل ومن ثم توجيه اهتمام اكثر الى الشؤون الخارجية وبالاخص شؤون الخليج العربي منذ اواخر الخمسينات وبداية الستينات. وكان الشاه قد بدأ في هذه الاونة باظهار قلقه من طغيان المد القومي في العالم العربي بما في ذلك الخليج العربي. واذا كان نظام الشاه يراقب التطورات السياسية الثورية في العالم العربي بقلق فانه اخذ يتتبعها بحذر منذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، وفيما عدا الخسارة التي منيت بها ايران نتيجة الاطاحة بالنظام الملكي الصديق في العراق بدأ الشاه يتخوف من احتمال حدوث ثورة ضده في ايران(٢٧). وفي الوقت نفسه شعر الشاه بانه يواجه تحديا خطيرا من الزعيم الراحل جمال عبد الناصر الذي اتخذ موقفا متشددا من الشاه لانضمامه الى حلف بغداد (حلف منظمة المعاهدة المركزية ـ السنتو ـ بعد ١٩٥٨) وعلاقاته الوثيقة بالكيان الصهيوني، وقد قطع عبد الناصر علاقاته الدبلوماسية مع ايران في سنة ١٩٦٠ بسبب هذه العلاقات.(٢٨) ومن جهة اخرى قدم عبد الناصر الدعم لحركات التحرر الوطني في المنطقة ومن ضمنها تلك العاملة في عربستان كما وقف بشدة في وجه الادعاءات الايرانية في الخليج العربي، ففي تشرين الثاني ١٩٥٧ ادخلت الحكومة الايرانية البحرين ضمن المنطقة الادارية الجديدة «موانيء وجزر الخليج العربي (الفارسي) الامر الذى ادى الى احتجاجات مصرية وسعودية، وفي السنة التالية كررت ايران ادعاءها بالبحرين عندما عقدت اتفاقية حدود بحرية بين البحرين والمملكة العربية السعودية في سنة ١٩٥٨ على اساس ان البحرين مقاطعة

---

(26) Burrell; Op. cit., P. 184.

(27) Ramazani; The Persian Gulf, Iran's Role, PP. 33 — 34.

(٢٨) اعيدت العلاقات الدبلوماسية بين مصر وايران في خريف ١٩٧٠.

ايرانية[٢٩]، الامر الذي ادى الى رد فعل مصري مماثل. اما بالنسبة للجزر العربية الثلاث فان ايران تجاوزت عليها في سنة ١٩٦٤ عندما نزلت قوات ايرانية على جزيرة ابي موسى مؤقتا في تلك السنة ووضعت عليها علامات ايرانية تدخلها في نطاق المياه الاقليمية الايرانية، الامر الذي ادى الى ردود فعل عربية قوية تجددت في ارسال بعثة من الجامعة العربية الى ساحل عمان خلال السنة نفسها[٣٠].

واضافة الى هذه الاعتبارات السياسية كانت هناك اعتبارات اقتصادية ايضا لهذا الاهتمام الايراني بالخليج العربي. وتتمثل هذه الاعتبارات في استغلال الثروة النفطية الموجودة في قاع البحر منذ سنة ١٩٥٧ وبناء ميناء نفطي كبير في جزيرة «خارج» لتصدير النفط المستخرج من قاع البحر. ان وجود هذه الثروة النفطية كان معروفا منذ الثلاثينات الا ان الوسائل الفنية اللازمة لاستغلالها لم تتوفر الا في اواخر الخمسينات، وان اولى التنقيبات عن النفط في المياه الاقليمية الايرانية بدأت في سنة ١٩٥٧، وخلال السنوات التسع التالية منحت ايران ٩ امتيازات للشركات الاجنبية للتنقيب عن النفط في الجرف القاري الايراني[٣١]. ومن الجدير بالذكر ان استغلال النفط الموجود في الجرف القاري قد ادى الى مشاكل بين ايران والاقطار العربية الخليجية بشأن الحدود البحرية فيما بينها. ولاجل تسوية هذه المشاكل بدأت مفاوضات عراقية - ايرانية بشأنها في سنة ١٩٦٣ ومفاوضات كويتية وسعودية - ايرانية في ١٩٦٤ واخيرا مفاوضات بين

---

(29) Burrell; Op. cit., P. 184; Anis F. Kassim Conflicting Claims in the Persian Gulf Journal of Law & Economic Develop - Ment, vol. 17, No. II, 1970, P. 327.

(٣٠) جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات؛ دولة الامارات العربية، دراسة مسحية شاملة ١٩٧٨، ص ص ٦٢ - ٦٣، د. سيد نوفل؛ الخليج العربي او الحدود الشرقية للوطن العربي (بيروت - ١٩٦٩) ص ص ٣٣٨ - ٣٣٩، وقد راقبت ايران نشاطات الجامعة العربية هذه بحذر واشارت صحيفة اطلاعات الايرانية في ٢٢ كانون الاول ١٩٦٤ ان هدف هذه النشاطات هو تدمير النفوذ الايراني في امارات الخليج العربي وطرد الايرانيين من جزر الخليج العربي وسيطرة مصر على الخليج العربي، انظر Ramazani; Op. cit., P. 40

(31) Cottrell; Op. cit., P. 400; Anis; Op. cit., P. 289.

ايران وبريطانيا، نيابة عن قطر وامارات ساحل عمان، في ١٩٦٦(٣٢). وفي البداية كانت هذه المفاوضات غير مجدية بسبب اصرار ايـران على استخدام جزرها كخط اساس يقاس منه امتدادها القاري واصرار العرب على استخدام الساحل الايراني كخط اساس لتحديد الامتداد القاري(٣٣). وبعد مفاوضات طويلة، على اية حال، عقدت سلسلة من الاتفاقيات بين الاقطار العربية الخليجية وايران خلال السنوات ١٩٦٨ - ١٩٧٥ لتحديد الحدود البحرية فيما بينها(٣٤).

ان العامل الذي مكن ايران من تركيز اهتمامها على الخليج العربي منذ بداية الستينات هو الانفراج في العلاقات الايرانية - السوفيتية. وكانت العلاقات بين الدولتين قد بلغت حداً خطيراً من التوتر في منتصف وأواخر الخمسينات بسبب دخول ايران في حلف السنتو في سنة ١٩٥٥ ورفضها اقتراحا سوفيتيا بعقد معاهدة صداقة وعدم اعتداء وتوقيع ايران معاهدة تعاون عسكري مع الولايات المتحدة في سنة ١٩٥٩. الا ان العلاقات الايرانية - السوفيتية تحسنت بعد سنة ١٩٦٢ عندما اعلنت ايران انها لن تسمح باقامة قواعد صواريخ موجهة ضد الاتحاد السوفيتي في اراضيها. وفيما بين ١٩٦٥ - ١٩٦٦ زار الشاه الاتحاد السوفيتي واوربا الشرقية واجرى مفاوضات بشأن بعض الصفقات التجارية المهمة. وفي شباط ١٩٦٧ اعلن عن عقد صفقة معدات عسكرية بين ايران والاتحاد السوفيتي قيمتها ١١٠ مليون دولار خصصت كلها لشراء سيارات عسكرية وناقلات جنود مصفحة ومدافع مضادة للطائرات(٣٥).

---

(32) Abdullah; Op. cit., P. 278.

(٣٣) د. بدرية عبد الله العوضي؛ القانون الدولي للبحار في الخليج العربي (الكويت - ١٩٧٦ - ١٩٧٧) ص ص ١٢٢ - ١٢٣، Abdullah; Op. cit., P. 278.

(٣٤) د. بدرية العوضي؛ المصدر نفسه، ص ص ١٠٨ - ١١٢.

(45) SIPRI; The Arms Trade With the Third World (Stockholm - 1971) P. 578.

بويل؛ المصدر نفسه، ص ٢٦.

اتضح الاهتمام الايراني الجديد بالخليج العربي من خلال التصريحات الرسمية الايرانية والاجراءات الدبلوماسية والعسكرية في الخليج العربي. ففي ٢٧ ايلول ١٩٥٨، اي بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بفترة وجيزة، عقد الشاه مؤتمرا صحفيا قال فيه «ان هيمنة ايران على الخليج العربي امر طبيعي». وبعد حوالي سنة ونصف صرح الشاه قائلا «نحن نفعل كل مابوسعنا من اجل استعادة مركزنا الطبيعي والتاريخي في الخليج العربي (الفارسي)»[٣٦]. وفي مذكراته التي نشرها في سنة ١٩٦١ كتب الشاه قائلا «طالما اننا القوة المهيمنة في الخليج العربي (الفارسي) يجب علينا تقوية بحريتنا بسرعة»[٣٧]. وفي اذار ١٩٦٥ اعلن الشاه بان «استعدادات ايران العسكرية سوف تتركز من الآن فصاعدا على الخليج العربي»[٣٨]. وفي سنة ١٩٦٢ تأسست في وزارة الاقتصاد الايرانية دائرة خاصة لتجارة الخليج وعملت الحكومة الايرانية على تطوير ميناء بندر عباس في ١٩٦٤ وميناء بوشير في ١٩٦٥ ليصبح بامكان هذه الموانيء استقبال السفن العملاقة عابرة المحيطات[٣٩].

وفي الوقت نفسه شجعت الحكومة الايرانية هجرة الايرانيين الى اقطار الخليج العربي لما لهذه الهجرة من علاقة وثيقة باطماعها السياسية في المنطقة، ولاجل ذلك اتخذ مجلس الوزراء الايراني في ايلول ١٩٦٦ قرارا خول بموجبه السفارة الايرانية في الكويت صلاحية اصدار جوازات سفر للايرانيين الموجودين في الكويت وبقية اقطار الخليج العربي التي ليس لايران تمثيل دبلوماسي فيها. وقد ردت الحكومة الكويتية على هذا الاجراء باصدار امر يقضي بمنع دخول او عودة الايرانيين الذين اصدروا جوازات سفرهم من تلك السفارة الى الكويت. وقد ادى ذلك الى اجراء

---

(36) S. Chubin & S. Zabih; The Foreign Relations of Iran (Berkely - 1974) P. 196.

(37) Mohmmed Reza Shah Pahlavi; Mission for my Country (London - 1961) P. 311.

(38) A. J. Cottrell; Iran, the Arabs, and the Persian Gulf Orbis, vol. 17, Part. 3, 1973. P. 979.

(39) Abdullah; op. cit., PP. 264 - 275.

مفاوضات كويتية - ايرانية بشأن الموضوع في سنة ١٩٦٧(٤٠). وفي الوقت نفسه استمرت الحكومة الايرانية في تسهيل امر الهجرة الايرانية الى اقطار الخليج العربي. وللتدليل على المغزى السياسي لهذه الهجرة نذكر ما قاله احد الكتاب الايرانيين البارزين في ١٩٧٥ بان المصالح الايرانية في الخليج العربي «لاتقف عند الاعتبارات الاقتصادية بل ان هناك حوالي مليون ايراني يعيشون في الجانب العربي من الخليج»(٤١).

ان احد المظاهر الاكثر اهمية لهذا الاهتمام الايراني الجديد بالخليج العربي هو عملية بناء القوة العسكرية الايرانية في المنطقة. ففي نيسان ١٩٦٤ اجرت القوات الامريكية والايرانية مناورات مشتركة في الخليج العربي (عملية دلاوير Delaware Operation). وفي صيف تلك السنة وافق البرلمان (المجلس) الايراني على لائحة تخول الحكومة الحصول على قرض قدره ٢٠٠ مليون دولار من البنوك الامريكية لتمويل صفقة لشراء اسلحة ومعدات عسكرية متقدمة من الولايات المتحدة. وفي اذار ١٩٦٥ صرح الشاه بان على ايران تركيز خططها الحربية على الخليج العربي، وفي كانون الاول من السنة نفسها اقر البرلمان الايراني لائحة قيمتها ٤٠٠ مليون دولار خصص جزء كبير منها لشراء المدمرات والبوارج الحربية والصواريخ وغيرها. وفي شباط ١٩٦٧ تقرر تأسيس فيلق ايراني ثالث مجهز بالمظليين وان تصبح مدينة شيراز، وهي اكبر مدينة ايرانية في الجنوب، مقرا لهذا الفيلق(٤٢). وفي خريف تلك السنة قدمت ايران طلبا للحصول على عشرة حوامات «هوفركرافت» من بريطانيا لخفر السواحل، وقد استلمت ايران هذه الحوامات في آذار ١٩٦٨(٤٣). وبعد فترة وجيزة

(40) Chubin& Zabih; op. cit., P. 211.

(41) Amir Taheri; Policies of Iran in the Persian Gulf Region in, A. Amirie (ed.); The Persian Gulf and Indian Ocean In International Politics (Tehran - 1975), P. 291.

(42) Cottrell; Irans Armed Forces, P. 401; Chubin & Zabih; Op. cit., P. 202,

بوريل، المصدر نفسه، ص ٣٢.

(43) Chubin & Zabih; Op. cit., P. 202.

استلمت ايران سفنا حربية اخرى ومدمرة كانت قد طلبتها من بريطانيا ايضا منذ آب ١٩٦٦[٤٤].

في ١٦ كانون الثاني ١٩٦٨ اصدرت الحكومة البريطانية بيانا سياسيا اعلنت فيه عزمها على الانسحاب من شرقي السويس، اي المنطقة الواقعة بين عدن وسنغافورة بما في ذلك الخليج العربي، في موعد اقصاه نهاية سنة ١٩٧١. وقد وجدت الحكومة الايرانية في بيان الانسحاب هذا فرصة لتحقيق اطماعها التوسعية في الخليج العربي وممارسة دور الوصاية الذي مارسته بريطانيا في المنطقة لحوالي قرن ونصف، فمنذ سنة ١٩٦٨ اعلن شاه ايران المخلوع محمد رضا بهلوي بوضوح بان الامن والاستقرار في المنطقة سيحافظ عليهما من خلال القوة الايرانية بعد انسحاب بريطانيا من هناك[٤٥]. ولتأكيد هذا الدور الايراني الجديد عجلت الحكومة الايرانية في عملية بناء القوة العسكرية الايرانية، وخصوصا البحرية والجوية. وفي حين كانت نسبة الزيادة في النفقات العسكرية الايرانية حوالي ١٠٪ سنويا فانها قفزت في سنة ١٩٧٠ الى حوالي ٥٠٪ مرة واحدة[٤٦]. ثم قفزت نسبة الزيادة الى اضعاف اضعاف ذلك خلال السنوات القليلة التالية بحيث اصبحت ايران في منتصف السبعينات اكبر دولة مشترية للسلاح في العالم. وكانت الولايات المتحدة الامريكية المصدر الرئيس للاسلحة والمعدات العسكرية التي حصلت عليها ايران[٤٧]. وقد برر الشاه المخلوع

(44) New Middle East, No. 49. October 1972, P. 7.

(٤٥) د. اميل نخلة؛ العلاقات العربية ـ الامريكية في الخليج العربي (ترجمة د. فاروق عمر فوزي ـ مركز دراسات الخليج العربي ـ جامعة البصرة ـ السلسلة الخاصة (٣)، ١٩٧٨) ص ٣٧.

(٤٦) سلمى حداد؛ «التسليح الايراني والاحلام الامبراطورية» شؤون فلسطينية، العدد ٦٢ / كانون الثاني ١٩٧٧، ص ٨٠.

(٤٧) بين سنتي ١٩٧٢، ١٩٧٦ بلغت قيمة صفقات الاسلحة التي عقدتها ايران مع الولايات المتحدة الامريكية حوالي ١٠,٤ بليون دولار. وخلال السنة المالية الامريكية المنتهية في ايلول ١٩٧٧ عقدت ايران مع الولايات المتحدة صفقات اسلحة قيمتها ٦,٠٣٦ بليون دولار، انظر؛ Arabia & the Gulf, 16. 1. 1978. P. 8; R.K. Ramazani; Beyond the Arub - Israeli Settlement (Washington D. C - 1977) P. 18.

سياسته العسكرية هذه بانها ضرورية لملء الفراغ السياسي - الايديولوجي الذي سيعقب الانسحاب البريطاني، ذلك الفراغ الذي سيجعل من الخليج هدفا مغريا للدول والنفوذ الخارجي»[٤٨]. وقد ايدت الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا، ودعمت ايضا، سياسة الشاه المخلوع هذه، وبنهاية سنة ١٩٧١، اي في الوقت الذي انسحبت فيه القوات البريطانية من شرقي السويس، كان هناك اتفاق بين الولايات المتحدة وبريطانيا وايران بشأن بعض المباديء التي تتعلق بالدبلوماسية البعيدة المدى في الخليج العربي ومن بين هذه المبادي المهمة ان «النفوذ الايراني الدبلوماسي والعسكري سيبقى الضمان الرئيس للاستقرار في منطقة الخليج العربي» وان «اي نمط من انماط الحركات المتطرفة (الراديكالية) سواء كانت متأتية من دولة او حركة سياسية، لايمكن الترحيب بها او احتمالها»[٤٩]. بتعبير اخر ان الولايات المتحدة الامريكية اسندت الى ايران دور «شرطي الامبريالية» في المنطقة. وهذا يفسر لنا التدخل العسكري الايراني في سلطنة عمان منذ كانون الاول ١٩٧٣ لضرب الثورة المسلحة في اقليم ظفار. وقد عبر احد الباحثين عن هذا التدخل قائلا انه كان بمثابة «تعبير مباشر للنظرة الامريكية فيما يخص الامن الداخلي»[٥٠] في الخليج العربي. كما تفسر لنا تدخل ايران المستمر في شؤون العراق الداخلية وتجاوزاتها المستمرة على حرمة الاراضي والمياه الاقليمية العراقية منذ سنة ١٩٦٩ وحتى سنة ١٩٧٥ عندما تم التوصل الى اتفاق عراقي - ايراني في اذار من تلك السنة (اتفاقية الجزائر).

وفيما يتعلق بالادعاءات الايرانية في الخليج العربي فان ايران اضطرت الى التوقف عن ادعاءاتها بالسيادة على البحرين بعد ان ادركت مدى تصميم الشعب العربي في البحرين على الحفاظ على عروبة البحرين

---

(٤٨) د. اميل نخلة، المصدر نفسه، ص ٣٨.
(٤٩) د. اميل نخلة، المصدر نفسه، ص ٤٠.
(٥٠) المصدر نفسه، ص ٢٤.

ومقاومة الادعاءات الايرانية بكل شدة وعزم. كما ان بعض الضرورات السياسية تطلبت تخلي ايران عن ادعاءاتها بالسيادة على البحرين ايضا، ذلك ان شاه ايران المخلوع محمد رضا بهلوي حاول منذ صدور اعلان الانسحاب البريطاني، وبتشجيع من الولايات المتحدة الامريكية، اقامة تحالف امني يضم ايران وبعض الاقطار العربية الخليجية، وبالاخص المملكة العربية السعودية، وان تتولى ايران زعامة هذا التحالف[51]. ولما كانت قضية البحرين تشكل عقبة مهمة بوجه المحاولات الايرانية للتفاهم مع هذه الاقطار[52] فان الحكومة الايرانية بدأت بالتراجع عن ادعاءاتها في البحرين. واول مظهر من مظاهر التراجع الايراني اتضح من تصريح الشاه المخلوع محمد رضا بهلوي في ٥ كانون الثاني ١٩٦٩ في دلهي حيث قال «ان سياسة بلادي الاساسية هي معارضتنا لاستخدام القوة لغرض الاستيلاء على اراض خلافا لرغبات اهلها. وبناء عليه فسأقول للمرة الاولى، اذا كان اهل البحرين غير راغبين في الانضمام الى بلادي فان استخدام القوة لاعادة هذه الاراضي التابعة لنا امر مخالف لمبدئنا». وفي ٢٨ آذار ١٩٧٠ ادلى وزير خارجية ايران ببيان امام البرلمان الايراني حدد فيه سياسة حكومته الجديدة تجاه المشكلة. وبعد ان سرد لاعضاء البرلمان تاريخ الادعاءات الايرانية في البحرين واخفاق ايران في استرجاع البحرين، خلص الى القول «ان المشكلة ظلت قائمة على الرغم من كل هذه المساعي التي بذلت. اما الآن فبالنظر للتطورات الراهنة ولما ينتظر الخليج من مستقبل فان من الضروري حل هذه المشكلة العريقة وان حلها اصبح ملموسا اكثر من اي وقت مضى». ولأجل حفظ ماء وجه الحكومة الايرانية فانها تقدمت باقتراح اجراء استفتاء رسمي لسكان

---

(٥١) تفاصيل هذا المشروع في؛

Chubin & Zabih; op. cit., P. 237 ff ;

دار الابحاث والنشر، بيروت، سجل الاراء حول الوقائع السياسية في البلاد العربية لسنة ١٩٦٨.

(٥٢) في ٨ شباط ١٩٦٨ وصل وكيل وزارة الخارجية الامريكية يوجين روستو الى طهران في زيارة رسمية وقد شدد اثناء محادثاته مع الشاه واعضاء حكومته على ضرورة قيام تفاهم بين ايران وجيرانها العرب في الخليج العربي لضمان امنه، وقد اكد على السعودية والكويت بشكل خاص، ؛ جريدة العمل، ١٠ / ٢ / ١٩٦٨ نقلا عن سجل الاراء حول الوقائع السياسية في البلاد العربية لسنة ١٩٦٨.

البحرين تحت رقابة الامم المتحدة بخصوص الانضمام او عدم الانضمام لايران. الا ان الاوساط العربية والحركة الوطنية في البحرين والخليج العربي رفضت هذه الفكرة لان عروبة البحرين ليست موضع شك، كما ان الاستفتاء سابقة خطيرة قد تطالب بها ايران في الامارات الصغيرة في ساحل عمان التي يشكل الايرانيون فيها نسبة عالية من السكان. وبعد ذلك طرحت حلول اخرى غير الاستفتاء من بينها رفع المسألة الى «لجنة تصفية الاستعمار» في الامم المتحدة، واثير اعتراض بان البحرين ليست مستعمرة من الناحية القانونية. كما اقترح عرض القضية امام «محكمة العدل الدولية» للنظر فيها فاحتج بعض موظفي الامم المتحدة بان المسألة ليست ذات طابع قانوني. واستقر الرأي اخيرا على الطلب من الامين العام لهيئة الامم المتحدة ان ينتدب مبعوثا شخصيا عنه لتقصي الحقائق، والقيام باستطلاع عن رغبات سكان البحرين. وطبقا لذلك وصل السيد فيتوريو ونسبير جوشياردي مدير مكتب الامم المتحدة في جنيف الى البحرين في نيسان ١٩٧٠ بصفة ممثل شخصي للامين العام للامم المتحدة لتقصي الحقائق ثم رفع تقريراً عن مهمته الى مجلس الامن الدولي.

لقد استخدم جوشياردي جميع وسائل الاتصال بالاهالي كالاذاعة والصحف كما يسرت له الحكومة البحرينية الاتصال بالمواطنين المنحدرين من اصل ايراني. وفي ختام مهمته رفع جوشياردي تقريرا الى الامين العام للامم المتحدة جاء فيه: «اكدت لي مشاوراتي ان الاغلبية العظمى من شعب البحرين ترغب في الحصول على اعتراف بشخصيتهم في دولة مستقلة تماما ذات سيادة كاملة في تقرير علاقاتها مع الدول الاخرى». ثم عرض التقرير على مجلس الامن الدولي الذي عقد جلسة خاصة في ١١ مايس ١٩٧٠ اقر فيها تقرير الممثل الشخصي للامين العام كما رحب بما استنتجه وتوصل اليه التقرير وخاصة النص الذي يقول بان «اغلبية شعب البحرين الساحقة ترغب في الحصول على اعتراف بهويتهم في دولة مستقلة ذات سيادة، وحرة في تقرير علاقاتها بالدول الاخرى»[٥٣]. وهكذا تمت

(٥٣) ابراهيم العبيدي؛ المصدر نفسه، ص ص ٢٧٣ ـ ٢٨٠.

تسوية قضية البحرين بعد نزاع استمر حوالي ١٥٠ سنة.

اما بالنسبة للادعاءات الايرانية في الجزر العربية الثلاث فان الحكومة الايرانية لجأت الى استخدام القوة لتحقيقها على اساس ان هذه الجزر مهمة لسلامة الصادرات النفطية الايرانية المتزايدة عبر مضيق هرمز اضافة الى احتمال استيلاء قوة معادية على هذه الجزر واستخدامها كقواعد لتهديد ومهاجمة المدن والمؤسسات الايرانية في المقاطعات الجنوبية والجنوبية الغربية(٥٤). فعلى اثر تسوية قضية البحرين جددت ايران ادعاءاتها في الجزر العربية الثلاث، ففي مايس ١٩٧٠ نشرت صحيفة كيهان انترناشنال Kayhan International الايرانية قولا منسوبا الى مصدر موثوق في طهران جاء فيه بان الجزر الثلاث كانت دائما جزءا لايتجزأ من الاراضي الايرانية، واضافت الصحيفة التي اوردت هذا القول بان «جميع هذه الجزر الثلاث تقع ضمن المياه الاقليمية الايرانية»(٥٥).

ان اول تلميح لنية ايران استخدام القوة لتحقيق ادعاءاتها في هذه الجزر صدر عن الشاه المخلوع في مقابلة له في صحيفة Blitz الهندية في ٢٤ حزيران ١٩٧١ حيث قال بان تلك الجزر تعود لايران وبان بريطانيا قد اغتصبتها قبل حوالي ٨٠ سنة عندما لم تكن هناك حكومة مركزية في ايران، وبان والده رضا بهلوي قد ارسل سفنا مسلحة لاستعادة الجزر الا ان بريطانيا اكدت لايران ان اي جهة سوف لن ترفع علمها فوق هذه الجزر لحين تسوية القضية واختتم الشاه حديثه للصحيفة المذكورة قائلا « امل ان يحدث ذلك الان والا لن يبقى امامنا اي بديل سوى الاستيلاء على هذه الجزر بالقوة». وبعد يومين فقط كرر وزير خارجية ايران اردشير زاهدي ما قاله الشاه المخلوع في المؤتمر الصحفي الذي عقده في

---

(54) R.K. Ramazani; The Persian Gulf and the strait of Hormuz, (The Netherlands - 1979) P. 73;
بوريل؛ المصدر نفسه، ص ٥٧.

(55) Ramazani; The Persian Gulf: Iran's Role P. 59.

البحرين في ٢٦ حزيران ١٩٧١ اثناء زيارته لها. وفي اليوم التالي ٢٧ حزيران ١٩٧١ خطب رئيس الوزراء الايراني امير عباس هويدا في اهالي ميناء بندر عباس قائلا «ان ايران بحاجة للجزر الثلاث من اجل امنها ورخائها وستقاتل ايران بكل قوة من اجل تحقيق هذا الهدف اذا ما فشلت في حل المسألة بالوسائل السلمية»(٥٦) وفي ١٠ تشرين الثاني ١٩٧١ قال الدكتور عباس خلعتبري، وزير الخارجية الايراني المعين حديثا، ان السيادة على الجزر ليست موضوع نقاش، وانها مسألة اساسية لسلامة ايران، وان ايران مصممة على وضعها تحت سيطرتها. (٥٧) وقد ذكر احد الباحثين ان وزارة الخارجية الايرانية قد اخبرت الشاه والحت عليه في القول خلال سنة ١٩٧١ ان الفرصة مناسبة جدا لاحتلال الجزر العربية الثلاث طالما ان العرب منشغلون جدا بالقضية الفلسطينية(٥٨).

ومن الجدير بالذكر ان محادثات طويلة قد بدأت بين الحكومة البريطانية والحكومة الايرانية وشيوخ امارات ساحل عمان حول مستقبل هذه الجزر. مع ان تفاصيل هذه المحادثات ماتزال غير معروفة الا ان الكاتب الصهيوني مردخاي ابير M. Abir علق على نتيجتها قائلا « . . ان بريطانيا التي جوبهت بتصميم ايران على احتلال الجزر بدأت التفاوض من اجل تسوية تحصل بموجبها ايران على هذه الجزر ولكن بشكل يحفظ طبيعتها العربية!!»(٥٩). وهكذا فان بريطانيا التي عارضت الادعاءات الايرانية في هذه الجزر سابقا اخذت تعمل على تسهيل مهمة حصول ايران على هذه الجزر لان مصالحها اصبحت تقتضي ذلك. وبناء على ذلك قامت ايران باحتلال الجزر الثلاث في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٧١، اي قبل يوم واحد فقط من انتهاء الحماية البريطانية(٦٠).

(56) Ibid; PP.59 - 60.

(٥٧) بوريل، المصدر نفسه، ص ٥٨.

(58) John D.Anthony; Arab States of the Lower Gulf, People, Politics, Petroleum (Washington D. C. 1975) P. 27.

(59) MordechaiAbir; Oil, Power a[illegible] Politics, Conflict in Arabia, the Red Sea, and the Gulf (London - 1974) P. 20.

(٦٠) بوريل، المصدر نفسه، ص ٥٨.

لقد ادى الاحتلال الايـراني للجزر العـربية الثـلاث طنب الكبرى وطنب الصغرى وابي موسى الى ردود فعل قوية في انحاء مختلفة من الوطن العـربي، وكان القـطر العراقي سبـاقا الى اتخـاذ موقف حـازم من هذا الاحتـلال حيث ادانت الحكـومـة العـراقيـة هذه العـدوان الايـراني كما ادانت بريطـانيـا ايضـا لعـدم ايفـائها بتعهداتها للحفاظ على الطابع العربي للجزر. وقد قطعت الحكومة العراقية علاقاتها الدبلوماسية مع لندن وطهـران. واصدرت امارة رأس الخيمة(×) بيانـا شجبت فيه الاحتـلال العسكري الايراني للجزر كما احتجت ضد بريطانيا لتخليها عن مسؤ وليتهـا ازاء الجـزر. واوضـحـت امـارة رأس الخيمــة انهـا سوف لن تدخـل في اتحـاد الامـارات العــربيــة ما لم يتبنى الاتحـاد مشكلة الجـزر واعـادتهـا بالطـرق الدبلوماسية وعدم اقامة اي علاقات سياسية واقتصـادية وثقـافية بين الاتحـاد وايـران وان يتم ترحيـل جميـع الايـرانيـين المـوجـودين في الامـارات والـذين لم يمض على وجـودهم اكثـر من خمس سنـين ولم يحصلوا على جنسيـة من احدى الامارات. وعلى المستوى الشعبي قامت مظاهرات عنيفة في رأس الخيمة ودبي والشارقة معادية لبريطانيا وايران واحرق المتظاهرون خلالها بعض المؤسسات الايرانية. واعلن الشيخ صقر القاسمي شيخ رأس الخيمة في ٣ كانون الاول ١٩٧١ ان امارته تتطلع لاستقبال اي قوة عربية لغرض الدفاع عن الجزر التي احتلتها ايران. وفي الكويت طالب مجلس الامة الكويتي باتخاذ اجراءات مشددة ضد الاطماع الايرانية. كما وافق المجلس على التجنيد الاجباري لاول مرة في تاريخ الكويت وطالب وزيـر الخـارجيـة الكـويتي ووزراء الخـارجيـة العـرب باتخـاذ اسـتراتيجية عربية موحـدة لمواجهـة المـوقف بجـد وفعـالية. كما ادانت المملكة العربية السعودية، ولكن بلهجة اقل شدة، هذا الاحتلال. وفي ليبيا تقرر سحب الارصدة الليبية من البنوك البريطانية وتأميم حصص شركة البترول البريطانية في نفط ليبيا. ولم تزد بقية الاقطار العربية عن اصدار بيانات دهشة واستنكار

(×) تعود جزر طنب الكبرى وطنب الصغرى لامارة رأس الخيمة اما جزيرة ابي موسى فتعود لامارة الشارقة.

ضد الاحتلال. كما قدمت العراق والجزائر وليبيا واليمن الجنوبي شكوى ضد ايران الى مجلس الامن الدولي. وفي ١٧ تموز ١٩٧٢ قدمت ١٥ دولة عربية رسالة الى رئيس مجلس الامن الدولي اكدت فيها ان الجزر الثلاث تشكل جزءا لايتجزأ من دولة الامارات العربية المتحدة والوطن العربي. وعلى اية حال لم تؤد مناقشات الجامعة العربية ومجلس الامن الدولي لمشكلة الجزر الى نتيجة[٦١].

ان السنوات الواقعة بين احتلال ايران للجزر العربية الثلاث في ١٩٧١ وسقوط نظام الشاه محمد رضا بهلوي في شباط ١٩٧٩ تميزت بتوتر العلاقات العربية ـ الايرانية في الخليج العربي وازدياد شكوك العرب في ايران بسبب احتلالها للجزر العربية الثلاث وتدخلها العسكري في عمان، والتصريحات المتكررة للمسؤولين الايرانيين والتي اشارت الى الدور الذي قدر للشاه ان يلعبه باعتباره حاميا لـ ٦٠٪ من نفط العالم، اضافة الى برامج التسلح واسعة النطاق التي نفذتها ايران خلال السبعينات وخاصة في مجالي القوة البحرية والقوة الجوية[٦٢]. وقد ربط العرب بين هذا التسلح الايراني المذهل وبين التهديدات الامريكية المستمرة منذ سنة ١٩٧٤ بالتدخل عسكريا في منطقة الخليج العربي بهدف احتلال منابع النفط فيها. ان هذا التسلح اثار قلق المملكة العربية السعودية وبقية اقطار الخليج العربي الصغيرة قليلة السكان، باستثناء العراق، من احتمال لجوء ايران، بعد ان يقل احتياطيها النفطي، الى السيطرة على بعض هذه الاقطار او الى تجاهل الاتفاقيات التي تنص على تحديد المناطق التي يمكن لايران ان تنقب عن النفط فيها في الخليج العربي[٦٣]، كما حدث في شتاء ١٩٦٨ عندما ارسلت ايران سفنا حربية

---

(٦١) حول ردود الفعل هذه انظر؛

عبد العزيز ابراهيم؛ المصدر نفسه، ص ص ٣٧ ـ ٤٠، بوريل، المصدر نفسه ص ٥٩.

Ramazani; The Persian Gulf and the Strait of Hormuz, P. 75.

(٦٢) د. اميل نخلة، المصدر نفسه، ص ٤١.

(٦٣) ديل. آر. تاهتين؛ التحديات الأمنية التي تواجه المملكة العربية السعودية (ترجمة ـ منشورات مركز دراسات الخليج العربي ـ جامعة البصرة ـ السلسلة الخاصة (١٥) ـ ١٩٧٩) ص ١٢.

لحراسة المنطقة التي كانت احدى الشركات النفطية الحاصلة على امتياز من الحكومة الايرانية تقوم بالتنقيب عن النفط فيها علما بان هذه المنطقة كانت تقع في الجانب السعودي من خط الحدود كما ورد في الاتفاقية التمهيدية المعقودة بين المملكة العربية السعودية وايران في سنة ١٩٦٥ لتحديد الحدود البحرية فيما بينهما(٦٤).

ان هذه الشكوك العربية لم تكن بلا اساس كما يتضح من بعض التصريحات الرسمية الامريكية. ففي ٢١ مايس ١٩٧٣ القى السناتور وليم فولبرايت بيانا امام لجنة العلاقات الخارجية، التابعة لمجلس الشيوخ في الكونغرس الامريكي، اشار فيه، عند حديثه عن احتمال احتلال الاقطار المنتجة للنفط في الخليج العربي، الى انه قد لايتعين على الولايات المتحدة الامريكية القيام بهذا العمل بنفسها مع وجود وكلاء لها ذوي قوة عسكرية مثل اسرائيل وايران(٦٥). اما الكاتب الامريكي جيوفري كمب فقد ذكر في مقال نشره في مجلة الشؤون الخارجية Foreign Affairs، وهي مجلة امريكية واسعة الانتشار، في كانون الثاني ١٩٧٨ قائلا «. . . منذ سنة ١٩٧٣ هناك حديث عن استخدام قوة عسكرية غربية لاحتلال حقول النفط العربية في حالة فرض خطر (نفطي عربي)، وثمة اقتراح بامكان اغراء ايران، التي تواجه النضوب السريع في امداداتها النفطية الخاصة، بان تهاجم عبر الخليج لكي تسيطر على الاحتياطيات (النفطية) الهائلة لجزء على الاقل من شبه الجزيرة العربية. . .»(٦٦).

---

(64) Charles G. MacDonald; Iran's Strategic interests and the law of the sea The Middle East Journal; vol. 34, No. 3, summer 1980, P. 318.

(٦٥) د. مصطفى خليل؛ ازمة الطاقة في الولايات المتحدة الامريكية (القاهرة - ١٩٧٤) ص ٣٨٠.

(66) Geoffrey kemp; Scarcity and Strategy Foreign Affairs, Jonuary, 1978, P. 398.

الفصل الثامن

«امن الخليج العربي»

تمهيد:

ان موضوع «امن الخليج العربي» من الموضوعات الحساسة والحديثة جدا، ذلك ان الحديث عن هذا الموضوع قد بدأ بعد صدور بيان الحكومة البريطانية في ١٦ كانون الثاني ١٩٦٨ الذي اعلنت فيه عزمها على الانسحاب من شرقي السويس، بما في ذلك منطقة الخليج العربي، في موعد اقصاه نهاية سنة ١٩٧١، فقد اعقب صدور البيان المذكور حديث كثير عن «فراغ القوة» الذي سينشأ في المنطقة بعد رحيل البريطانيين، ومستقبل الامن والاستقرار فيها. ولقد ازداد الحديث عن «امن الخليج العربي» بشكل ملحوظ بعد الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة في اكتوبر ١٩٧٣ وماصاحبها من حظر نفطي عربي، ومااعقب هذا الحظر من تهديدات امريكية، منذ سنة ١٩٧٤، بالتدخل العسكري في الخليج العربي.

ومما لاشك فيه ان هذا الاهتمام المتزايد بموضوع «امن الخليج العربي» يرجع الى اهمية الخليج العربي البالغة في السياسة الدولية. وتكمن هذه الاهمية في حقيقة تركز حوالي ٦٠٪ من احتياطي النفط العالمي الثابت في منطقة الخليج العربي مقارنة بحوالي ٧٪ فقط في الولايات المتحدة الامريكية وحوالي ١٤٪ فقط ـ وفقا لبعض التقديرات ـ في الاتحاد السوفيتي[1]. ولما كان النفط يشكل المصدر الرئيس للطاقة في العالم في الوقت الحاضر، فان وجود هذه النسبة العالية من الاحتياطي النفطي العالمي في منطقة الخليج العربي تعني ايضا ان هناك حاجة كبيرة لهذه المادة الحيوية في الدول الصناعية المهمة التي تستهلك مقادير هائلة من الطاقة، وبالاخص دول اوربا الغربية واليابان وكذلك الولايات المتحدة الامريكية التي لم يعد انتاجها النفطي المحلي يكفي لتغطية احتياجاتها المتزايدة

(1) Mordechai Abir; oil, Power & Politics (London - 1974) P. 1.

باستمرار. ان معظم هذه الدول تستورد نسبه عالية جدا من احتياجاتها النفطية من منطقة الخليج العربي خصوصا والشرق الاوسط عموما. وطبقا للتقديرات الرسمية فان نفط الشرق الاوسط شكل ٢٢٪ من النفط المستهلك في الولايات المتحدة الامريكية وحوالي ٥٠٪ من نفطها المستورد في سنة ١٩٧٧(٢)، علما بانها كانت تستورد حوالي ٨,٧ مليون برميل من النفط يوميا في تلك السنة(٣). اما بالنسبة لدول اوربا الغربية فانها تستورد حوالي ٧٥٪ من احتياجاتها النفطية من الخليج العربي مباشرة في حين تستورد اليابان مايتراوح بين ٨٥٪ و ٩٠٪ من احتياجاتها النفطية من المنطقة ذاتها(٤). وفيما يتعلق بالاتحاد السوفيتي، الذي يعتمد حاليا على انتاجه النفطي المحلي لتلبية احتياجاته والجزء الاكبر من احتياجات حلفائه في اوربا الشرقية(٥)، فان بعض التقارير والتقديرات، المشكوك في دقتها، تشير الى احتمال اعتماده على نفط المنطقة بعد بضع سنوات فقط(٦). ولقد ادت هذه الحاجة العالمية المتزايدة للنفط الى استحالة بقاء منطقة الخليج العربي «بمعزل عن تقلبات وعواصف السياسة الدولية بما في ذلك التوازن العسكري والتنافس السياسي بين الدول الكبرى»(٧). وهذا التنافس هو السبب الرئيس لظهور مسألة «امن الخليج العربي».

ومنذ صدور اعلان الانسحاب البريطاني في مطلع سنة ١٩٦٨ ايضا

---

(٢) انظر تصريح هارولد ساندرز مساعد وزير الخارجية الامريكي لشؤون الشرق الاوسط في ١٢ حزيران ١٩٧٨ في؛

MERIP Reports, No. 70, September 1978, P. 13.

(3) Daniel Yergin; U.S. Energy Policy, Transition to What? The World Today, March. 1979, P. 82.

(4) Abir; Op. cit., PP. 1 - 2; M. Bezboruah; U.S. strategy in the Indian Ocean (New York - 1977) P. 37.

(٥) في سنة ١٩٧٥ جهز السوفيت دول اوربا الشرقية بحوالي ٧٥٪ من احتياجاتها النفطية، وقبل ذلك التاريخ كانوا يجهزونهم بحوالي ٩٠٪ من احتياجاتهم النفطية. وتشير بعض المصادر الى ان السوفييت قد لفتوا انتباه دول اوربا الشرقية الى ضرورة البحث عن مصادر أخرى للحصول على النفط؛

M. Mughisuddin (ed.); Conflict and Cooperation in the Persian Gulf (New York - 1977) P. 123.

(6) M.A. Conant & F. R. Gold; The Geopolitics of Energy, (Colorado - 1978) P. 21; The Middle East News Letter, No. 120, 1979, P. 8.

(7) John C. Campbell; The Super Powers in the Persian Gulf Region in A. Amirie (ed.); The Persian Gulf and Indian Ocean in International Politics (Tehran - 1975), P. 40.

طرحت وجهات نظر عديدة حول موضوع امن الخليج العربي من قبل الاقطار العربية الخليجية وايران وبعض الدول الكبرى التي لها مصالح مهمة في المنطقة. وقد بنى كل طرف من هذه الاطراف تصوره لامن الخليج العربي على اساس مصالحه واهداف سياسته الخارجية، وتصوره لامنه القومي الخاص.

وجهة النظر العربية:

يتضمن موضوع «امن الخليج العربي»، من وجهة نظر الاقطار العربية الخليجية، نقطتين مهمتين هما اولا مسألة الملاحة البحرية في الخليج العربي، وبالاخص عبر مضيق هرمز الحيوي بالنسبة لكافة دول المنطقة بلا استثناء، وثانيا مسألة الاستقرار السياسي في الخليج العربي والعلاقات فيما بين الاقطار العربية الخليجية من جهة وفيما بينها وبين ايران من جهة اخرى. وبغض النظر عن بعض الاختلافات الطفيفة فان هناك اتفاقا عاما في وجهة نظر الاقطار العربية الخليجية من جهة وفيما بينها وبين ايران من جهة اخرى. وبغض النظر عن بعض الاختلافات الطفيفة فان هناك اتفاقا عاما في وجهة نظر الاقطار العربية الخليجية، حول موضوع «امن الخليج العربي» كما يتضح من تصريحات كبار المسؤولين في هذه الاقطار[8]. ويمكن اجمال وجهة النظر العربية هذه حول الموضوع فيما يلي:

١ ـ العمل على تسوية بعض المشاكل القائمة بين بعض اقطار المنطقة وتوثيق علاقات الصداقة والتعاون فيما بين اقطار المنطقة على اساس التكافؤ واحترام السيادة والاستقلال الوطني وعدم تدخل اي طرف

---

(٨) تفاصيل هذه التصريحات في:
مركز دراسات الخلجيج العربي ـ جامعة البصرة: امن الخليج العربي في الدوريات العربية (السلسلة الخاصة ـ ٩ ـ ١٩٧٩) و، البحرين، الامارات العربية المتحدة، قطر، سلطنة عمان وامن الخليج العربي (السلسلة الخاصة ٣٧ ـ ١٩٨٠).

في الشؤون الداخلية للطرف الآخر، وهذا افضل سبيل لتجنب حدوث المشاكل في المنطقة والتي قد تستغل كذريعة من قبل بعض القوى الخارجية للتدخل في شؤون المنطقة وبالتالي تعريض امنها واستقرارها للخطر.

٢ - رفض اي شكل من اشكال الاحلاف العسكرية او التكتلات الاجنبية الاقليمية في المنطقة.

٣ - رفض أي شكل من اشكال التدخل الاجنبي في منطقة الخليج العربي، وان مهمة الحفاظ على الأمن والاستقرار في الخليج العربي من مسؤولية دول المنطقة وحدها وهي قادرة على القيام بهذه المهمة دون الحاجة لاي طرف آخر من خارج المنطقة.

٤ - ضرورة ضمان حرية الملاحة البحرية في الخليج العربي ومضيق هرمز المهم. وقد اتضح هذا من مواقف ممثلي هذه الاقطار في مؤتمر الامم المتحدة الثالث لقانون البحار الذي عقد في كراكاس في صيف سنة ١٩٧٤[٩].

ومما لاشك فيه ان تحقيق هذه النقاط، وبالاخص حرية الملاحة البحرية ومنع القوى الخارجية من التدخل في شؤون الخليج العربي، يشكل مساهمة فعالة في ضمان الامن والاستقرار في الخليج العربي. ان وجهة النظر العربية هذه تحظى بتأييد العديد من الهيئات والمنظمات العربية والدولية ومن بينها دول حركة عدم الانحياز التي اعلنت رفضها واستنكارها لاي تدخل خارجي او تهديد بالتدخل في منطقة الخليج العربي. ففي نهاية شهر تموز ١٩٧٨ كان العراق قد تقدم بوثيقة هامة الى مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز الذي انعقد في بلغراد حول الخطط العسكرية الامريكية للتدخل في الخليج العربي وتهديدها للسلام والامن الدوليين. وقد تضمنت الوثيقة تفصيلا عن استراتيجية حلف

(9) R.K. Ramazani; The Persian Gulf and the Strait of Hormuz (The Netherlands - 1979) PP. 82 - 88.

الاطلسي في اوربا لتشمل الخليج العربي والمحيط الهندي وردود فعل اقطار الخليج العربي ازاء تهديدات التدخل العسكري الامريكي وجذور سياسة التدخل الامريكية في الخليج العربي. وقد اكدت هذه الوثيقة العراقية بان تبني الولايات المتحدة الامريكية العلني الصارخ لخطط الطوارىء المنطوية على التدخل عسكريا في الخليج العربي يعد خرقا لاهداف دول عدم الانحياز والتزاماتها، وقد اكدت هذه الدول في جميع بياناتها على ضرورة مراعاة سيادة القانون في ادارة العلاقات الدولية وعلى التزام الدول بعدم التدخل في شؤون الدول الاخرى واحترام سيادتها واستقلالها وسلامتها الاقليمية وعدم اللجوء الى القوة او استعمالها في علاقاتها الدولية، وقد اشارت الوثيقة الى الاجتماع الوزاري الثالث لمكتب التنسيق التابع لدول عدم الانحياز الذي عقد في هافانا في اذار ١٩٧٥ الذي اكد على الارتباط بين التهديدات الامبريالية العسكرية بالتدخل ضد الاقطار المنتجة للمواد الخام وبين مسألة اسعار هذه المواد، وقد اكد الاجتماع ان اي عدوان على دولة من دول عدم الانحياز سيعد عدوانا على دول عدم الانحياز كلها واكدت هذه الدول ارادتها في التعاون المشترك لمواجهة التهديدات الامريكية واستخدام القوة والعدوان وانها مقابل ذلك ستتخذ خطوات وسياسات تتناسب والدفاع عن سيادتها(٢٠).

اما بالنسبة لسلطنة عمان فان وجهة نظرها حول «امن الخليج العربي» تتعارض مع وجهة نظر بقية الاقطار العربية الخليجية. وقد تأثرت وجهة نظر سلطنة عمان حول امن الخليج العربي بعوامل عديدة من بينها الروابط القوية القائمة بين السلطنة والولايات المتحدة الامريكية ومواجهة السلطان قابوس لمشاكل داخلية كانت في مقدمتها الثورة في اقليم ظفار، واخيرا الوضع الجغرافي لسلطنة عمان كدولة مطلة على مضيق هرمز الحيوي الذي يقع جزء منه ضمن المياه الاقليمية لسلطنة

---

(٢٠) النص الكامل للوثيقة العراقية في:
صحيفة الثورة ـ العدد ٣٠٢٢، ٣٠ / ٧ / ١٩٨٠.

عمان.

فيما يتعلق بالملاحة البحرية عبر مضيق هرمز تمسكت سلطنة عمان بقاعدة المرور البريء «innocent passage»(١١) الذي يمنح سلطنة عمان، بصفتها دولة مطلة على مضيق هرمز، نوعا من الحق في التدخل في حركة الملاحة البحرية عبر المضيق في حالات معينة(١٢).

وفيما عدا طبيعة الملاحة البحرية في مضيق هرمز فان سلطنة عمان اتخذت موقفا مغايرا لموقف بقية الاقطار العربية الخليجية بشأن مسألة كيفية ضمان الملاحة البحرية في مضيق هرمز وسبل ضمان امن الخليج العربي. ان سلطنة عمان لم تمانع في مشاركة القوى الخارجية في مهمة حماية الملاحة البحرية في مضيق هرمز وضمان امن الخليج العربي. وقد اتضح ذلك من المشروع العماني لامن الخليج العربي ومن موافقة سلطنة عمان على منح الولايات المتحدة الامريكية قواعد بحرية وجوية مهمة جدا في سلطنة عمان. ففي صيف ١٩٧٩ تقدمت سلطنة عمان بمشروع لامن الخليج العربي يتضمن اقتراحا باقامة تكتل عسكري يضم الدول المطلة على الخليج العربي بالاضافة الى الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا والمانيا الغربية لاجل «حماية الممرات المائية» في الخليج العربي. ويتضمن المشروع العماني الذي نقله مبعوث عماني خاص الى حكومات الخليج العربي فكرة اعادة الخليج العربي الى مناطق النفوذ والتكتلات الاجنبية ووضع الخليج العربي مجددا تحت الحماية الاجنبية(١٤). ولما كانت الاقطار العربية الخليجية ترفض مبدئيا فكرة الاحلاف او التكتلات العسكرية في المنطقة وتدخل القوى الخارجية في شؤون الخليج العربي فانها اعترضت

---

(١١) للحصول على فكرة واضحة عن مفهوم المرور البريء في القانون الدولي للبحار راجع؛ د. محمد سعيد الخطيب؛ القانون والحق العربي في منع الملاحة الاسرائيلية في المياه الاقليمية العربية (بغداد ـ ١٩٧٩) ص ص ٥٩ ـ ١٠٧.

(12) Ali M. Khalifa; The United Arab Emirates, Unity in Fragmentation (London - 1979) P.

(١٤) د. محمود علي الداود؛ الخليج العربي والعمل العربي المشترك (بغداد ـ ١٩٨٠)، ص ٣٤٤.

على المشروع العماني بشدة[١٥]. وكان القطر العراقي سباقا الى معارضة هذا المشروع.

وفي الوقت نفسه ارسل السيد الرئيس صدام حسين مبعوثا شخصيا عن سيادته الى بعض اقطار الخليج العربي لشرح موقف العراق من المشروع العماني. وقد اكد المبعوث الشخصي للسيد الرئيس لحكومات هذه الاقطار رفض العراق للمشروع وبان «الدفاع عن المياه الاقليمية للخليج مسؤولية دول المنطقة وحدها وفقا لميثاق الامم المتحدة»[١٧].

وبعد فشل المشروع العماني لامن الخليج العربي مباشرة لجأت سلطنة عمان الى تعويض هذا الفشل بمنح الولايات المتحدة الامريكية حق استخدام بعض القواعد العسكرية المهمة في سلطنة عمان. وكانت الولايات المتحدة الامريكية قد سعت منذ منتصف السبعينات الى الحصول على مثل هذا الحق. ففي كانون الثاني ١٩٧٥ استفسر وزير الخارجية الامريكي الاسبق هنري كيسنجر من السلطان قابوس الذي كان في زيارة لواشنطن انذاك، حول امكانية استخدام الطائرات الأمريكية لقاعدة مصيرة الجوية المهمة التي يستخدمها سلاح الطيران الملكي البريطاني منذ سنة ١٩٥٨. وفي شباط ١٩٧٥ اشارت صحيفة نيويورك تايمز الى ان الحكومة الامريكية قد طلبت من الحكومة البريطانية السماح للطائرات الامريكية باستخدام التسهيلات العسكرية المتوفرة في القاعدة المذكورة وبان الحكومة البريطانية قد وافقت على ذلك[١٨]. وبعد

---

(١٥) تفاصيل رفض الاقطار العربية الخليجية للمشروع العماني لامن الخليج العربي في؛ مركز دراسات الخليج العربي - جامعة البصرة؛ المشروع العماني لامن الخليج العربي في الدوريات العربية (السلسلة الخاصة ٣١ - ١٩٨٠).

(١٧) المشروع العماني لامن الخليج العربي، ص ١٦.

(18) The Middle East, No. 8, May 1975, P. 63, The New York Times, 702. 1975.

ومن الجدير بالذكر ان بريطانيا حصلت على حق استخدام هذه القاعدة مقابل دعمها لسلطان مسقط اثناء الثورة العمانية ١٩٥٧ - ١٩٥٩.

ان اعلنت الحكومة البريطانية في ١٩ تموز ١٩٧٦ عزمها على التخلي عن قاعدتي مصيرة وصلالة الجويتين في يوم ٣١ اذار ١٩٧٧[19] كثفت الحكومة الامريكية محاولاتها للحلول محل بريطانيا في هاتين القاعدتين، وعلى الاخص قاعدة مصيرة. ومع ان سلطنة عمان انكرت نيتها في تسليم قاعدة مصيرة للامريكان بعد رحيل البريطانيين الا انها اوضحت بانها «ستسمح لبعض الدول الصديقة بالتمتع بتسهيلات مرور في كافة المناطق ومن ضمنها قاعدة مصيرة»[20] ومن الواضح ان السلطنة كانت تقصد بـ «الدول الصديقة» الولايات المتحدة بشكل خاص. وبعد سقوط حليف امريكا القوي في المنطقة شاه ايران السابق محمد رضا بهلوي في شباط ١٩٧٩ وفشل المشروع العماني لامن الخليج العربي الذي طرح في صيف سنة ١٩٧٩ ايضا، بادرت سلطنة عمان الى توقيع اتفاقية عسكرية - اقتصادية مع الولايات المتحدة الامريكية في شباط ١٩٨٠. وبموجب هذه الاتفاقية تقدم الولايات المتحدة الامريكية مساعدات عسكرية واقتصادية لسلطنة عمان بقيمة ١٠٠ مليون دولار سنويا مقابل منح تسهيلات للقوات الامريكية في ثلاث قواعد جوية هي مصيرة وصلالة وثماريت وفي ميناء قابوس وميناء رايسوت بحجة تأمين حماية جنوب شرق الجزيرة العربية وحراسة مضيق هرمز. وبعد حوالي ثلاثة اشهر وبالتحديد في ١٨ أيار ١٩٨٠، قامت القوات الامريكية بتدريبات، استخدمت فيها الذخيرة الحية، للانزال في مضيق هرمز عند مدخل الخليج العربي[21].

وجهة النظر الايرانية :

ان وجهة النظر الايرانية، التي حظيت بتأييد امريكي وبريطاني، حول امن الخليج العربي تقوم على اساس اسناد مهمة الحفاظ على امن الخليج

---

(19) Arab Report & Record, No. 14, July 16 - 31. 1976, P. 459.

(20) The Middle East, No. 27, January 1977, P. 37.

(٢١) مركز الخليج للدراسات العربية / الشارقة: التقرير السياسي - العدد - ٢ - ايلول ١٩٨٠ - ص ٦٠.

العربي لايران التي يجب ان تملأ «فراغ القوة» الذي تركه رحيل البريطانيين من المنطقة[22]. وقد اتضحت وجهة النظر الايرانية هذه من الكثير من التصريحات الرسمية والاجراءات العسكرية الايرانية في الخليج العربي منذ سنة ١٩٦٨ فصاعدا. ففي ٢٧ كانون الثاني ١٩٦٨، اي بعد حوالي عشرة ايام من صدور بيان الانسحاب البريطاني، اعلن رئيس الوزراء الايراني الاسبق امير عباس هويدا قائلا «من الطبيعي ان ايران، بوصفها الدولة الاقوى في عموم الخليج العربي، مهتمة بدرجة كبيرة بالاستقرار والامن في منطقة الخليج، وان ايران مستعدة، لاجل ضمان تحقيق ذلك، للتعاون مع اية دولة ساحلية ترغب في التعاون»[23]. وفي مقابلة له مع صحيفة الواشنطن بوست في سنة ١٩٦٩ صرح شاه ايران السابق قائلا بان من الضروري لايران ان تبني قدرتها الدفاعية لاجل مجاراة كافة صانعي القلاقل المحتملين في المنطقة[24]، وخلال السنة ذاتها ايضا شرح الشاه السابق وجهة نظر بلاده حول امن الخليج العربي قائلا «سنكون راغبين، بالارتباط مع المملكة العربية السعودية، لتوفير الحماية لدول الخليج. ان بامكان قواتنا المظلية ووحداتنا المدرعة في شيراز ان توفر لهم حماية بقدر الحماية التي توفرها القوات البريطانية في الوقت الحاضر. اننا نرغب في رؤية اقامة سياسة دفاعية مشتركة للمنطقة»[25]. وقد استمرت التصريحات الرسمية الايرانية في التعبير عن وجهات نظر مماثلة خلال السنوات القليلة التالية ايضا. وقد بلغت هذه التصريحات ذروتها في حديث الشاه السابق الذي نشرته صحيفة الوطن الكويتية في ٢ ايلول ١٩٧٥ حيث قال «فكرت احيانا في توازن جديد لهذه المنطقة، توازن يقوم على دور ايراني في هذه الناحية (اي في الخليج العربي) ودور مصري في وسط العالم العربي ودور جزائري هناك عند اقصى المغرب»[26].

(22) Khalifa; Op. cit., P. 160.

(23) Ibid., P. 164.

(24) SIPRI; The Arms Trade With the Third World (Stockholm - 1971) P. 575.

(25) Khalifa; op. cit., P. 162.

(٢٦) جامعة الكويت، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية؛ وثائق الخليج والجزيرة العربية ١٩٧٥ (الكويت - ١٩٧٩) ص ٣٩٨.

ولاجل تأكيد هذا الدور الايراني الجديد سعى الشاه الى تحويل بلاده الى ترسانة عسكرية وبدأ يضغط من اجل حصول ايران على معدات عسكرية امريكية متقدمة. ولدعم طلبات الحصول على الاسلحة اشار الشاه الى «تحديث جيشه وفراغ القوة الذي سينشأ عن رحيل البريطانيين والتهديدات المحتملة من تزايد النشاط السوفيتي في الخليج العربي، والحاجة لايجاد انظمة معتدلة موالية للغرب في المنطقة لاحلال التوازن مع الانظمة العربية الراديكالية (المتطرفة)[×]». وقد قوبلت جميع هذه الحجج بتعاطف من قبل الادارة الامريكية التي وجدت ان «متطلبات التحديث معقولة»[٢٧]. وقد اكدت الادارة الامريكية تعاطفها هذا مرارا عند زيارة الشاه السابق لواشنطن في حزيران ١٩٦٨ وزيارة رئيس وزرائه هويدا لواشنطن ايضا في كانون الاول ١٩٦٨ وزيارة الشاه التالية لواشنطن في تشرين الاول ١٩٦٩ وزيارة الرئيس الامريكي الاسبق ريتشارد نيكسون لايران في نهاية ايار ١٩٧٢ حيث اعلن خلالها بان الولايات المتحدة الامريكية ستستمر، كما في السابق، في التعاون مع ايران من اجل تقوية دفاعاتها[٢٨]. وفي السنة ذاتها اصدر نيكسون قرارا ببيع طائرات إف - ١٤ و إف - ١٥ المتطورة وكل ماتطلبه ايران من معدات عسكرية امريكية[٢٩]. وقد قامت الولايات المتحدة فعلا فيما بين ١٩٧٣ و ١٩٧٨ بتزويد نظام الشاه باحدث الاسلحة والمعدات العسكرية الامريكية[٣٠]. كما ساهمت الولايات المتحدة، بشكل مباشر وفعال، في تطوير وتحديث القواعد البحرية الايرانية في الخليج العربي مثل ميناء خارج وبندر عباس وجاسك[٣١].. وليس ادل على المساهمة الامريكية في بناء القدرة العسكرية الايرانية من وجود عدد كبير جدا من المستشارين والخبراء العسكريين

(×) تستخدم المصادر الغربية عموما هذا المصطلح للدلالة على الانظمة والحركات الوطنية والثورية.

(27) R.K. Ramazani; Iran's Foreign Policy 1941 - 1973 (Virginia - 1075) P. 364.

(28) Ibid., PP. 365 - 370.

(29) MERIP Reports, No. 51, Octcber 1976, P. 15.

(30) U.S. Arms Sales to Iran 1973 - 1978 MERIP Reports, No. 71, October, 1978, PP. 22 - 23.

(31) The New York Times, 25. 7. 1971.

الامريكان في ايران والذين كان من المحتمل وصول عددهم الى ما يتراوح بين ٥٠٠٠٠ و ٦٠٠٠٠ في سنة ١٩٨٠ ـ ١٩٨١[٣٢]. وفيما عدا الولايات المتحدة عقد نظام الشاه السابق صفقات اسلحة مهمة مع بريطانيا والمانيا الغربية ايضا.

لقد ترافق بناء القوة العسكرية الايرانية هذا مع اجراءات عسكرية ايرانية في الخليج العربي كان الهدف منها خلق الانطباع بان ايران هي القوة الوحيدة القادرة على ضمان امن الخليج العربي. ففي ٣٠ تشرين الثاني ١٩٧١ احتلت ايران الجزر العربية الثلاث بحجة ان امتلاك هذه الجزر امر حيوي بالنسبة لايران لتمكينها من حماية الملاحة البحرية في مضيق هرمز. وفي نهاية سنة ١٩٧٣ ارسلت ايران قوة عسكرية الى سلطنة عمان لضرب الثورة في اقليم ظفار بحجة ان هذه الثورة تهدد الامن في الخليج العربي[٣٣]، وفي سنة ١٩٧٣ ايضا عرض الشاه تقديم دعم عسكري للكويت خلال ازمة العلاقات العراقية ـ الكويتية آنذاك

وقد حاول الشاه السابق الحصول على اعتراف الاقطار العربية الخليجية بدور «رجل البوليس» الذي تمارسه ايران من خلال اقتراحه (اي الشاه) في مناسبات مختلفة على بعض الاقطار العربية الخليجية، وبالاخص المملكة العربية السعودية والكويت، اقامة حلف امني خليجي تكون الزعامة فيه لايران بوصفها دولة ذات امكانيات عسكرية اكبر الا ان اقتراحات الشاه هذه لم تلق تجاوبا من قبل الاقطار العربية الخليجية[٣٥]. وفيما عدا الدور العراقي المهم في معارضة هذه المشاريع الايرانية انطلاقا

---

(32) ShafQat A. Shah; The Political and Strategic foundations of International Arms Transfers, A Case Study of American Arms Supplies to, and Purchases, by Iran and Saudi Arabia 1968 - 1976 (Unpublished PH. D. Thesis - University of Virginia - 1977) P. 183.

(٣٣) وثائق الخليج والجزيرة العربية ١٩٧٥، ص ص ٣٩٢ أ ٣٩٣، وكذلك Khalifa; Op. cit., P. 167.

(34) Khalifa; op. cit., P. 162.

(35) Amir Taheri; Policies of Iran in the Persian Gulf Region in Amirie (ed.), Op. cit., P. 293.

من وجهة نظر العراق بخصوص امن الخليج العربي التي وتعارض بشدة اي نوع من أنواع السيادة الايرانية على الخليج العربي(٣٦) فان اخفاق جهود الشاه لاقامة الحلف الامني الخليجي يرجع الى الاسباب التالية :

١ ـ تخوف بعض الاقطار العربية الخليجية من ان عقد تحالف او ميثاق امني مع ايران، وهي عضو في حلف السنتو، قد يفسح المجال امام تدخل بعض القوى الخارجية في شؤون المنطقة.
٢ ـ ان اقامة مثل هذا الميثاق الامني سوف يؤدي الى ازدياد تأثير القوة العسكرية الايرانية في الخليج العربي، وشعور بعض الاقطار العربية الخليجية بان ايران تحاول استغلال حجة «الامن الجماعي» للحلول محل بريطانيا وممارسة نفس الدور الذي مارسته بريطانيا في المنطقة.
٣ ـ ان الميثاق الامني يعني الاعتراف بالهيمنة الايرانية في المنطقة واضفاء صبغة شرعية عليها.
٤ ـ ان عقد الميثاق الامني يعني ايضا اضفاء صبغة شرعية على احتمالات تدخل ايران في الشؤون الداخلية للاقطار العربية الخليجية(٣٧).

محاولات التوفيق : مؤتمر مسقط ١٩٧٦ :

بذلت بعض المحاولات من اجل التوفيق بين وجهتي النظر العربية والايرانية حول موضوع امن الخليج العربي ولكنها كانت عبثا. ولقد بذلت هذه المحاولات بعد توقيع اتفاقية الجزائر (اذار ١٩٧٥) بين العراق وايران والتي بموجبها تمت تسوية مشاكل الحدود القائمة بين الدولتين. ففي صيف سنة ١٩٧٥ استغل وزراء خارجية الاقطار العربية الخليجية وايران

---

(٣٦) اميل نخلة: العلاقات العربية ـ الامريكية في الخليج العربي (مركز دراسات الخليج العربي ـ جامعة البصرة ـ السلسلة الخاصة ٣ ـ البصرة ـ ١٩٧٧ ـ ترجمة د. فاروق عمر فوزي) ص ٣٦.

(٣٧) تفاصيل مشروع الميثاق الامني وموقف العراق منه في:
Enver. M. Koury (ed.); The Arabian Peninsula, Red Sea and the Gulf: Strategic Considerations (U.S.A. 1979) PP. 41 - 44.

مناسبة انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية في جدة للاتفاق على القيام بالترتيبات اللازمة لعقد مؤتمر قمة خليجي لمناقشة موضوع الامن الاقليمي في الخليج العربي حول المسائل التالية :-

١ - كيفية ابقاء الأساطيل الاجنبية والقواعد العسكرية بعيدا عن المنطقة .
٢ - كيفية ضمان التعاون العسكري بهدف الحفاظ على حرية الملاحة في الخليج العربي .
٣ - كيفية تسوية المشاكل الاقليمية البارزة في المنطقة .
٤ - كيفية ضمان السيادة الاقليمية لدول الخليج العربي .
٥ - طرق وسبل انهاء تقسيمات الجرف القاري بين الدول الساحلية .

ان مؤتمر القمة الخليجي المقترح لم ينعقد، وبدلا منه عقد مؤتمر اوزراء خارجية دول الخليج العربي في مسقط في تشرين الثاني ١٩٧٦ . الا ان هذا المؤتمر فشل في التوفيق بين وجهات نظر دول المنطقة . ان احدى العقبات الاساسية في المؤتمر كانت قضية الملاحة البحرية في مضيق هرمز، فقد طالب العراق باتباع مبدأ «حرية الملاحة» في حين فضلت ايران وسلطنة عمان مبدأ «المرور البريء» . اما العقبة الثانية التي واجهت المؤتمر فهي مسألة تحديد الاخطار التي تهدد امن الخليج العربي، فقد اعتبر العراق التدخل الخارجي التهديد الوحيد والرئيس للامن في الخليج العربي في حين اصرت ايران والمملكة العربية السعودية على ضرورة عدم الفصل بين التدخل الخارجي والحركات الثورية وجماعات المعارضة في بعض دول المنطقة كتهديد للوضع الراهن Status quo[٣٨] . ونتيجة لذلك فشل مؤتمر مسقط، الذي مثل آخر محاولة للتوفيق بين وجهات نظر دول المنطقة حول موضوع امن الخليج العربي، في تحقيق اية نتيجة مهمة تذكر .

---

38) Khalifa: Op. cit., PP. 163 - 164.

الدول الكبرى وامن الخليج العربي :

اضافة الى وجهات نظر دول المنطقة طرحت وجهات نظر اخرى من قبل الدول الكبرى حول موضوع «امن الخليج العربي» واهمها تلك التي طرحت من قبل الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي. وقد تحددت وجهة نظر هاتين الدولتين بمصالحهما الخاصة في المنطقة والتوازن الاستراتيجي فيما بينهما.

ان للولايات المتحدة الامريكية مصالح سياسية واقصادية واستراتيجية «مهمة جدا جدا»(٣٩) في الخليج العربي على حد قول جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية الامريكي. ويشكل النفط اهم مصلحة امريكية في المنطقة سيما وان تقارير الخبراء في شؤون الطاقة تشير الى ان الولايات المتحدة الامريكية وحلفاءها الغربيين واليابان ستستمر في الاعتماد على نفط المنطقة كمصدر مهم للطاقة في الثمانينات والتسعينات ايضا(٤٠). وقد اعلن المسؤولون الامريكان مرارا بان الوصول المستمر الى احتياطي نفط المنطقة يشكل احد الاهداف الاساسية للسياسة الامريكية في الخليج العربي(٤١). الا ان الادارة الامريكية ترى بان هناك عوامل عديدة تهدد استمرار تدفق النفط من الخليج العربي الى الولايات المتحدة ودول اوربا الغربية واليابان. ومن بين هذه العوامل:

١ - تغير العلاقة فيما بين حكومات الاقطار المصدرة للنفط والشركات النفطية الغربية الاحتكارية لصالح الطرف الاول. فقد ازدادت قوة

---

(٣٩) نخلة؛ المصدر نفسه، ص ٤٩.

(40) Conant & Gold; Op. cit., P. 77.

(41) U.S. Congress; The Persian Gulf 1974: Money, Politics, Arms and Power; Hearings befor the Subcommittee on the Near East and South Asia of the Committee on foreign affairs, House of Representatives - 93d cong, 2nd Session (Washington - D.C. 1975) P. 73.

منظمة الاقطار المصدرة للنفط (اوبيك) واصبحت المنظمة تقرر اسعار النفط وحكومات المنظمة تحدد كميات النفط التي يجب انتاجها وهذه امور كانت متروكة للشركات النفطية الاحتكارية حتى بداية السبعينات.

٢ ـ الموقف الامريكي من الصراع العربي ـ الصهيوني ولجوء العرب الى استخدام النفط سلاحا سياسيا في هذا الصراع وقد اتضح ذلك من الحظر النفطي العربي في ١٩٦٧ و١٩٧٣ ـ ١٩٧٤.

٣ ـ الوجود العسكري السوفيتي في المحيط الهندي والخليج العربي وتطور العلاقات السوفيتية مع بعض اقطار المنطقة كالعراق ودول اخرى قريبة من المنطقة مثل اليمن الجنوبية منذ سنة ١٩٦٨ والسودان قبل محاولة الاطاحة بحكم النميري في تموز ١٩٧١ ومصر قبل طرد الخبراء السوفيت منها في تموز ١٩٧٢ والصومال قبل تردي العلاقات فيما بينها وبين الاتحاد السوفيتي بسبب الدعم السوفيتي للنظام العسكري الحاكم في اثيوبيا منذ نهاية ١٩٧٧ واخيرا العلاقات السوفيتية ـ الافغانية المتطورة بعد سنة ١٩٧٨[٤٢]. وترى واشنطن ان هذا الوجود السوفيتي يؤثر على اقطار الخليج العربي الرئيسة وعلى امن الغرب وحلف شمال الاطلسي (الناتو) حيث سيصبح بامكان الاتحاد السوفيتي استخدام وجوده العسكري في المحيط الهندي لمنع وصول نفط الخليج العربي الى الولايات المتحدة الامريكية ودول اوربا الغربية واليابان وحدوث مثل هذا الامر معناه جعل حلفاء الولايات المتحدة تحت رحمة الاتحاد السوفيتي[٤٣]، وتغير ميزان القوى العسكري

---

(٤٢) تفاصيل العلاقات السوفيتية مع هذه الاطراف في؛
مركز معلومات الدفاع ـ واشنطن؛ التوسع الجغرافي ـ السياسي السوفياتي خرافة ام تهديد؟ اتجاهات النفوذ السوفياتي في العالم ١٩٤٥ ـ ١٩٨٠ (ترجمة مؤسسة الابحاث العربية ـ سلسلة دراسات استراتيجية ـ ١٣) ص ص ٢٩ ـ ٣١، ٣٨، ٤١.

(43) U.S. Congress, House of Representatives; Hearings on Military Posture, 96th Cong, Ist Session (Washington - 1979) P. 379; D.R. Tahtinen; Arms in the Indian Ocean, Interests and Challenges (Washington D.C. 1977) PP. 20 21.

بين الشرق والغرب، بالتالي، لصالح الاتحاد السوفيتي.

ان امن الخليج العربي بالنسبة للولايات المتحدة يعني، في ضوء ماسبق، كيفية تأمين وصول امدادات النفط من المنطقة باستمرار الى الولايات المتحدة ودول اوربا الغربية واليابان. وقد اعتمدت واشنطن على الوجود العسكري الامريكي المباشر وغير المباشر في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي لتأمين هذه المصالح. وقد بررت وجودها العسكري هذا بضرورة الحفاظ على «الامن والاستقرار» في الخليج العربي، وواقع الحال هو ان هذا الوجود العسكري، مصحوبا بالتهديدات المستمرة بالتدخل العسكري لاحتلال منابع النفط في المنطقة، يشكل اخطر تهديد للامن والاستقرار في المنطقة.

بعد صدور اعلان الانسحاب البريطاني في سنة ١٩٦٨ مباشرة صرح زعيم الاغلبية في مجلس الشيوخ في الكونغرس الامريكي مايك مانسفيلد قائلا: «انا اسف لشعور البريطانيين بانهم مجبرون على اتخاذ تلك الخطوة لانه سيطلب منا ان نملأ هذا الفراغ، ولاادري كيف سنقوم بهذا العمل لاني لااظن بان لدينا الرجال او الموارد له»[٤٤]. وبدلا من احلال قوات امريكية محل القوات البريطانية قررت واشنطن حماية مصالحها في المنطقة من خلال تسليح بعض حلفائها في المنطقة وفي مقدمتهم شاه ايران المخلوع الذي استمر في ممارسة دور «شرطي الامبريالية» في الخليج العربي لحين سقوطه في بداية سنة ١٩٧٩.

كما عملت الادارة الامريكية على ابقاء ميزان ألقوى العربي - الصهيوني لصالح الكيان الصهيوني بوصفه قاعدة متقدمة للامبريالية الامريكية

---

(٤٤) د. محمد عبد الغني سعودي؛ «الخليج بين مقومات الوحدة وصراع القوى الاعظم» مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية - العدد ٢٠ - تشرين الاول ١٩٧٩ - ص ٢٩.

لحماية مصالحها في المنطقة. وقد علق السناتور هنري جاكسون في ١٩٧٣ على هذا الدور المرسوم للكيان الصهيوني قائلا: «انني اعتقد ان وجود اسرائيل قوية مثل وجود ايران قوية يعتبر حيويا للمصالح الامريكية في الشرق الاوسط والخليج العربي»(٤٥).

ويجب النظر الى عملية تسليح وتقوية ايران من خلال الاستراتيجية الامريكية الجديدة التي تبنيها منذ نهاية الستينات والتي عرفت بـ «مبدأ نيكسون»(٤٦). وجوهر هذه الاستراتيجية الجديدة هو تقليص الالتزامات والنفقات العسكرية الامريكية في الخارج عن طريق تقوية حلفاء الولايات المتحدة بتسهيل عملية حصولهم على الاسلحة والمعدات العسكرية الامريكية، سواء على شكل مساعدات او مبيعات ـ افضل وسيلة لحماية المصالح الامريكية في الخارج واقلها تكلفة من الناحية المادية والبشرية.

وفيما عدا تقوية وتسليح الحلفاء احتفظت الولايات المتحدة الامريكية بنوع من الوجود العسكري في الخليج العربي. ففي الوقت الذي انسحبت فيه القوات البريطانية من الخليج العربي عقدت الادارة الامريكية اتفاقية مع حكومة البحرين في ٢٣ كانون الاول لضمان استمرار استخدام قاعدة الجفير البحرية من قبل قوة الشرق الاوسط الامريكية U.S. MIDEAST FORCE التي تأسست منذ سنة ١٩٤٩ واتخذت قاعدة الجفير مقرا لها بعد عقد اتفاقية مع الحكومة البريطانية التي كانت تشرف على علاقات البحرين الخارجية انذاك(٤٧). وبعد عقد

---

(٤٥) د. مصطفى خليل، ازمة الطاقة في الولايات المتحدة الامريكية (القاهرة - ١٩٧٤) ص ٣٨٣.

(٤٦) بشأن مبدأ نيكسون والظروف التي ادت الى صدوره واهدافه انظر،
ف برودين و م. سلدن: السر المعروف، مبدأ نكسون وكيسنجر في اسيا (بيروت - ١٩٧٤ ترجمة د. احمد طربين ود. نصير عاروري) ص ص ٨٩ - ١٧١.

(47) J.S. Szyliowicz & B.E. O'Neill (ed.) The Energy Crisis and U.S. Foreign Policy (New York - 1975) P. 127; The New York Times, 12.1. 1972.

اتفاقية ١٩٧١ صرح احد كبار مسؤولي وزارة الخارجية الامريكية لصحيفة نيويورك تايمز عن الدور الجديدة لقوة الشرق الاوسط في المنطقة قائلا بان هذه القوة ستأخذ على عاتقها «دور الحماية الذي مارسته بريطانيا في الخليج لاكثر من قرن من الزمان»(٤٨). وقد استمرت القوات الامريكية في استخدام القاعدة حتى ٣٠ حزيران ١٩٧٧ عندما انهت حكومة البحرين الاتفاقية وسمحت للولايات المتحدة بالابقاء على مدرسة بحرية وان يسمح لعدد محدود من السفن الحربية الامريكية بالاستفادة من تسهيلات قاعدة الجفير لعدد محدود من الايام في كل سنة، كما تقرر رحيل العسكريين الامريكان عن القاعدة ايضا(٤٩).

ومن جهة اخرى احتفظت الولايات المتحدة بوجود عسكري مؤثر في المحيط الهندي لما لذلك من علاقة بمصالحها المهمة في الخليج العربي. كما عملت على تطوير القاعدة العسكرية الموجودة في جزيرة دييغوغارسيا في عرض المحيط الهندي لما لها من علاقة ايضا بالمصالح الامنية الامريكية البعيدة المدى في الخليج العربي وشبه القارة الهندية وجنوبي اسيا.(٥٠). كما ان بعض وحدات البحرية الامريكية في المحيط الهادي واوربا تساهم بشكل منتظم في اجراء «مناورات» في منطقة الخليج العربي(٥١).

ومنذ سقوط نظام الشاه في ايران و ... ازمة الرهائن الامريكان والتدخل العسكري السوفيتي في افغانستان في نهاية ١٩٧٩ بدأت الادارة الامريكية العمل على تنفيذ خطط التدخل العسكري في الخليج العربي حيث اعلنت رسميا في ١ اذار ١٩٨٠ عن تشكيل مايسمى بقوة الانتشار السريع لحماية المصالح الامريكية في الشرق الاوسط بصورة عامة والخليج العربي بشكل خاص.

---

(48) G. Dymov; Persian Gulf Countries at Cross - Roads International Affairs - Moscow - March 1973 - P. 56.

(٤٩) سعودي؛ المصدر نفسه، ص ٥١.

(٥٠) نخلة؛ المصدر نفسه، ص ٥٤.

(51) U S. Congress; Hearings on Military Posture 1979, P. 379.

اما بالنسبة للاتحاد السوفيتي الذي تقع حدوده الجنوبية الغربية على مسافة غير بعيدة عن الخليج العربي، فان «امن الخليج العربي» يعني بالدرجة الاولى منع تغلغل اية قوة غربية في المنطقة، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية، لما لذلك من تهديد للامن القومي السوفيتي. وقد سعى السوفيت في بداية السبعينات الى اقامة «ميثاق امن جماعي» في المنطقة يضم العراق وايران والهند وباكستان وافغانستان، الا ان هذا المشروع لم يتحقق[٥٢]. الامر الذي دفع الحكومة السوفيتية الى التأكيد على ضرورة تحقيق توازن استراتيجي مع الوجود الغربي عموما، والامريكي خصوصا، في الخليج العربي والمحيط الهندي. واتضحت هذه السياسة من ازدياد الوجود العسكري السوفيتي قوة في المحيط الهندي وحصول الاتحاد السوفيتي على تسهيلات عسكرية في بعض دول المنطقة كاليمن الجنوبي والصومال واثيوبيا وغيرها[٥٣]. ومن الجدير بالذكر ايضا ان بعض الدراسات الاكاديمية الغربية قد توصلت مؤخرا الى نتيجة مفادها ان الاتحاد السوفيتي كان راغبا، في سياق سياسته الهادفة الى ابعاد الوجود العسكري الامريكي عن الخليج العربي، في «ترك ايران تلعب دورا رئيسا في الخليج لان هذا يوفر بعض الاستقرار (في الخليج العربي) كما انه افضل بالتأكيد من اي وجود امريكي كبير في المنطقة»[٥٤].

امن الخليج العربية وعلاقته بأمن البحر الاحمر والمحيط الهندي:

يمكن اعتبار البحر الاحمر بمثابة خط انابيب لنقل النفط الخام من مصادر انتاجه على الخليج العربي الى دول اوربا الغربية، ويتضح من ذلك ان الخليج العربي وان كان يعتبر مركز ثقل من الناحية الاقتصادية فان

---

(52) S.A. Shah; Op. P. 52.

(٥٣) انظر هامش رقم (٤٢).

(54) Arthur J. Klinghoffer; The Soviet Union & International Oil Politics (New York - 1977) P. 110.

اهميته تلك تعتمد اعتمادا كليا على باب المندب والبحر الاحمر، ومن جهة اخرى يعتبر الخليج العربي والبحر الاحمر، من ناحية النظرة الاستراتيجية التي تتسم دائما بالشمول، منطقة واحدة ايضا(٥٥). والشيء نفسه ينطبق تقريبا على المحيط الهندي الذي يشكل الخليج العربي امتدادا طبيعيا له من الناحية الجغرافية. ونتيجة لهذه العلاقة الاقتصادية والاستراتيجية والجغرافية بين هذه المناطق الثلاث فان هناك تداخلا وعلاقة وثيقة بين امن واستقرار هذه المناطق الثلاث ايضا. وهذه العلاقة تفسر لنا اهتمام دول المنطقة المتزايد بالبحر الاحمر واحداث القرن الافريقي في السنوات الاخيرة، كما تفسر لنا سياسات الدول الكبرى ازاء الاحداث(٥٦)، وسباق التسلح بين هذه الدول في المحيط الهندي، وبالاخص بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي(٥٧). ومنمالاشك فيه ان سباق التسلح هذا كان ومايزال يشكل اخطر تهديد لامن المحيط الهندي والبحر الاحمر والخليج العربي، بل للامن والسلام العالميين. ولقد ادركت العديد من الدول والمنظمات الدولية مخاطر استمرار مثل هذا السباق ودعت منذ فترة مبكرة الى ايقافه وتحييد المحيط الهندي واعتباره منطقة سلام. فقد طرح هذا الموضوع امام مؤتمر دول حركة عدم الانحياز في القاهرة سنة ١٩٦٤ وامام مؤتمر القمة الثالث لدول عدم الانحياز في لوساكا في ايلول ١٩٧٠، ودعا مشروع قرار تقدمت به هذه الدول سنة ١٩٧١ الى احترام سلام المحيط الهندي وابعاد الاسلحة والتجارب النووية عن مياهه واغلاق القواعد العسكرية القائمة عند سواحله وقصر استخدامه، وفقا لقواعد القانون الدولي، على حركة الملاحة المدنية. وفي السنة ذاتها تبنت

---

(٥٥) امين هويدي؛ «البحر الاحمر والامن العربي: الاهمية الاستراتيجية»، مجلة المستقبل العربي - السنة ٢ - العدد ١١ - كانون الثاني ١٩٨٠ - ص ص ٢٥، ٣٣.

(٥٦) تفاصيل هذه المواقف والسياسات في؛
جيل «صعب محمود» القضية الارتيرية، دراسة نظرية وميدانية (بيروت - ١٩٨٠ منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية - سلسلة دراسات - ٢٢٦) ص ص ٢٧٨ - ٣٠٥، ٣٢٥، ٣٤٢.

(٥٧) حول سباق التسلح في المحيط الهندي انظر؛
D.R. Tahtineu; Arms in the Indian Ocean.

الجمعية العامة للامم المتحدة في جلستها السادسة والعشرين اعلانا بشأن اعتبار المحيط الهندي منطقة سلام. وقد دعا هذا الاعلان الدول الكبرى الى التشاور مع الدول الساحلية في المنطقة بهدف ايقاف سباق تسلحها واغلاق قواعدها العسكرية في المحيط الهندي، وعبثا استمرت الجمعية العامة للامم المتحدة في بذل الجهود خلال السنوات التالية من اجل تحقيق هذه الغاية(٥٨)، بسبب تجاهل الدول الكبرى لمثل هذه الدعوات.

وقد جرت في سنة ١٩٧٧ محاولة للتفاهم بين موسكو وواشنطن لتحديد انواع الاسلحة في المحيط الهندي، ولم يكتب لتلك المحاولة النجاح بسبب تصاعد اجواء التوتر بين المعسكرين(٥٩)، وقد اشتدت حدة سباق التسلح في المحيط الهندي بين الدولتين في الوقت الحاضر وازدادت تبعا لـذلك حتمالات تعريض امن المنطقة والسلام الدولي للخطر.

---

(58) Ferenc A. Vali; Politics of the Indian Ocean Region, the Balances of Power (New York - 1976) PP. 59 - 63;

مركز الخليج للدراسات العربية / الشارقة؛ المصدر نفسه، ص ٢١.

(٥٩) مركز الخليج للدراسات العربية / الشارقة؛ المصدر نفسه، ص ٢١.

الفصل التاسع

التطورات التاريخية لقضية شط العرب

المحاولات الاولى لتحديد الحدود في منطقة شط العرب

تزودنا وثائق وزارة الخارجية البريطانية بمعلومات وافية عن اجتماعات لجنة تحديد الرباعية التي تشكلت اثر عقد معاهدة ارضروم الاولى للنظر في امر تحديد الحدود[1] وقد بدأت اللجنة اجتماعاتها في ١٥ مارس سنة ١٨٤٣ ، واستمرت حتى مارس سنة ٤٤٨١ . واتخذت من مدينة ارضروم مقرا لها. وكان المندوب الفارسي في المفاوضات هو ميرزا تقي خان[2]. اما المندوب العثماني فكان انور افندي[3] .

وباستطاعتنا تقسيم اجتماعات اللجنة الى مراحل ثلاث .

المرحلة الاولى:

وكانت قد عقدت خلالها اجتماعات ثلاثة تمت على التوالي في (١٥ ، ١٩ ، ٢٤ مارس سنة ١٨٤٣) اتضح خلالها ان الصلاحيات المعطاة لكل من الطرفين كانت قد ضيقت بشكل لايمكن معه تحقيق اي تقدم . فانقطعت المفاوضات خمسة اشهر انتظارا لوصول كتب تفويض منقحة[4] .

---

(١) للزيادة من التفاصيل حول اجتماعات لجنة الحدود في ارضروم يمكن الرجوع الى سجلات دار الوثائق التابعة لرئاسة مجلس الوزراء التركي باسطنبول . كما يمكن الرجوع اليها في ملفات دار المحفوظات بلندن فقد طبعت نسخ من تلك المحاضر سنة ١٩١٢ وحفظت في ملفات خاصة .

(٢) حل محل ميرزا جعفر الذي كان سفيرا لبلاده لدى الباب العالي . لكن المرض جابهه وهو في طريقه الى ارضروم فعاقه عن الحضور .

(٣) حل محل ناري افندي الذي عمل سفيرا لبلاده في لندن وفينا . لكنه توفي قبل بدء المفاوضات .

(٤) F.O.371-1897, E, Perso-Iragi Frontier disputes: Proces-Verbaux of the conferenceof Erzcrum.)30 Jan. 1935(.

المرحلة الثانية :

بدأت بالاجتماع الرابع وانتهت بالاجتماع الثامن عشر، وقد عقدت تلك الاجتماعات في الفترة مابين ٨ تشرين الثانية سنة ١٨٤٣ و ٢مارس سنة ١٨٤٤ وقد اخذت اللجنة تجمع الوثائق المتعلقة بالحدود. الا ان المفاوضات قد تعثرت بسبب بعض الاحداث المحلية وكادت تودي بها. لولا توصل الدول الاربع الى تصفية الازمة، وعندئذ عادت اللجنة للنظر في مواد النزاع. وقد اخذت تستدعي من يستطيع ان يعاونها على اداء مهمتها . ولذلك قامت سنة ١٨٤٤ باستدعاء الشيخ ثامر رئيس قبيلة كعب السابق ـ وكان لاجئا في البصرة من احتلال معتمد الدولة امارته ـ لمناقشته في الوضع القديم والجديد في منطقة المحمرة .. وقد اعترض المندوب الفارسي على استدعائه مدعيا ان (قبيلة كعب[٥] خاضعة لفارس، وانها لم ترتبط بالدولة العثمانية مطلقا)[٦] وامام الحاح الفرقاء الاخرين تقدم الشيخ ثامر للادلاء بشهادته وذلك في الجلسة الثامنة في كانون الثاني سنة ١٨٤٤ وقد كان حضوره كافيا لاثارة غيظ ميرزا تقي لاسيما وانه جاء برفقة عضو استئناف البصرة عبد القادر افندي . وتذكر المصادر الانكليزية (ان الحماسة العربية لهذين الاخرين احدثت شيئا من الاضطراب، وكانت الاسئلة والاجوبة تتلاحق متداخلة بعضها ببعض وفي وسط هذه المقاطعات تعذر على المرء ان يفهم مايجري) على ان الشيخ ثامر استطاع ان يعطي اللجنة ادلة كافية فيما يتعلق بالوضع الدولي لقبيلة كعب. وعند رجوعه الى البصرة في نيسان سنة ١٨٤٤ احتجز في بغداد بناء على طلب الوكيل السياسي البريطاني لئلا يكون ظهوره في البصرة ثانية مدعاة لاثارة

---

(٥) كلام .عتباطي يظهر نيه الاندفاع الشديد . والثابت ان قبيلة كعب لم تظهر في منطقة شط العرب الا في منتصف القرن السابع عشلاً . راجع:
كتابنا ـ التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية ص ٤١-٤٢ .

(٦) ادموندره كرد وترك وعرب ص ١٢١

اضطرابات في المنطقة المتناع عليها، لاسيما ان مسألة الحدود لم تحل بعد[٧] .

وعند تتبع سير المفاوضات بعدئذ نلاحظ ان فارسا طالبت بتعويضات قدرها مليون جنيه استرليني عن الخسائر التي لحقت المحمرة خلال احتلال علي رضا باشا لها. بينما طالبت الدولة العثمانية بانسحاب الفرس من المحمرة في الحال باعتبارها ارضا عثمانية. وقد تبادل المندوبون الفرس، والعثمانيون خلال المفاوضات الاتهامات والادعاءات ،وتشعبت القضية الى درجة اصبح من العسير معها الوصول الى اتفاق نهائي بين الطرفين المتنازعين. وقد كلفت اللجنة (جيمس جونس) من الخبراء الانكليز في المنطقة ان يتولى وضع خريطة تعين اللجنة خط دقيق للحدود[٨] ولما قطع الامل في الوصول الى اتفاق نهائي، توقفت المفاوضات في مارس سنة ١٨٤٤ ، وتعطلت اعمال اللجنة وتحولت بعد ذلك الى اوربا وبقي اعضاء اللجنة ينتظرون النتيجة في ارضروم[٩] .

المرحلة الثانية :

وهي تمثل فترة جمود في المفاوضات، حيث تحولت فيها الى اوربا. وقد طرح خلالها احد امرين بشأن الحدود في منطقة شط العرب فاما تكون قناة نهر كارون القديمة اي بهمنشير المؤدية الى خور موسى حدودا فاصلة بين

---

(٧) بعد مرور ثلاة اشهر على حجزه سمح له بالسفر الى جهات وطنه على اساس اعطاء تأكيدات معينة .

(٨) قائد احدى البواخر البريطانية في العراق . عهد اليه تخطيط الاماكن على الحدود . وقد سجل استقصاءات مفيدة على الحدود العثمانية الفارسية . وقام بمسح اجزاء مهمة منها ، كانت حصيلة عملة الذي استهله في عام ١٨٤٣ حتى عام ١٨٥٥ . وعين في السنة الاخيرة مقيما سياسيا في بوشهلاً . وعندئذ عين القائد سلبي خلفا له . ثم نقل الى وظيفة القنصل السياسي في بغداد . راجع :

Selections from the Recerds of the Bombay Government No. XL. III. Mermoirs by: Commander James Felix Jones P. 136.

(٩) ان تفاصيل تلك المفاوضات محفوظة في دائرة السجلات البريطانية تحت عنون :

Extracts from correspondence relative to the Turco-Persi Boundary negotiations, Parts III,1844-1845 and III,1845-1852.

الدولتين، او تكون ضفة شط العرب اليسرى هي خط الحدود وقد رجح الاقتراح الثاني - كما سنرى - وبينما كانت المفاوضات جارية حدثت احتكاكات مباشرة بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية في المحمرة وشط العرب. ففي سنة ١٨٤٥ قام الفرس بارسال فرقة من الجنود المشاة مزودين بمدفع واحد الى المحمرة، ظاهرها لاخذ الاحتياطات من حدوث هجوم مباغت من قبل الشيخ ثامر والاتراك، وباطنها لتحصيل الايرادات من الحاج جابر شيخ المحمرة الذي كان لايزال متسلما زمام الامور في المنطقة واول مانتج عن ذلك ان هرب الحاج جابر عبر شط العرب الى الاراضي العثمانية حيث كان الشيخ ثامر قد استقر بها[١٠]. وقد احتج الباب العالي على عودة الاحتلال العسكري الفارسي للمنطقة المتنازع عليها والتي مازال امرها معلقا. وشرع الفرس في توسيع وتحسين التحصينات في المحمرة، بينما رحل عدد كبير من قبيلته، من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية في شط العرب، وفشلت كل المحاولات لحملهم على العودة. وفي اواخر سنة ١٨٤٥ حاولت السلطات الفارسية اقناع الحاج جابر بالعودة الى المحمرة، عن طريق منحه شروطا مفيدة، لكنه خاف من الغدر به، وانه لن يخاطر بنفسه لكي يصبح في قبضة حكمهم، وبسبب هذه التطورات وللحفاظ على الحق العثماني في المحمرة عمدت الدولة العثمانية الى خطوة جريئة لاستعادة مااستحوذت عليه فارس في ضفة شط العرب الشرقية، بان ارسلت سنة ١٨٤٦ سفينة حراسة حربية، لترابط عند مدخل الحفار، لالتحمي السفن العثمانية، وانما لتحويل تجارة المحمرة الى البصرة، وكانت هذه السفينة ترغم القوارب الذاهبة الى المحمرة على ان تصعد النهر اولا الى البصرة لتدفع ماعليها من رسوم جمركية ثم لتذهب بعد ذلك الى حيث تشاء. واحتجت

---

(١٠) عاد الحاج جابر الى المحمرة بعد عقد معاهدة ارضروم الثانية وحصل على اعتراف رسمي من الفرس بعد حاكما لها . لكن الشيخ ثامر لم يتمكن ابدا من استرداد مركزه كرئيس كعب .

الحكومة الفارسية على هذا الاجراء بشدة وايدتها في ذلك الحكومة البريطانية، لان الاجراء يؤثر حتما على تجارتها. ولم تقبلا المبررات التي قدمتها السلطات العثمانية القائلة بان وضع السفينة عند مدخل الحفار لن يؤثر على تجارة المحمرة(١١) ،لكن الانكليز ظلوا متمسكين بان وجود السفينة مخالف لما تسعى اليه الدول المعنية نحو حرية الملاحة في شط العرب. واستمروا يضغطون على الباب العالي حتى اضطر الى ان يصدر الاوامر الى والي بغداد نجيب باشا، بان يسحب السفينة الى مكان يقع شمالي الحفار. ولكن رغم ذلك فقد استمرت في التجول في المناطق المجاورة(١٢) .

دراسة معاهدة ارضروم الثانية لسنة ١٨٤٧ :

بعد مضي اربع سنوات على لجنة تحديد الحدود الاولى في مفاوضات شاقة - كما مر بنا - وقع في ٣١ مارس سنة ١٨٤٧ المندوبان العثماني والفارسي انور افندي وميرزا تقي خان على معاهدة ارضروم الثانية(١٣) بحضور المندوبين البريطاني والروسي الكولونيل فنويك وليامز (١٤) Wil-liams fenwick الذي اشتهر امره في حرب القرم ببلائه في الدفاع عن قارص والكولونيا دانيس Dainese .

وتعتبر معاهدة ارضروم الثانية(١٥) اول معاهدة حدود تتعرض بالذكر لشط العرب. ويمكن تلخيص بنودها الرئيسية المتعلقة بمنطقة شط العرب كما يلي:

---

(١١) Lorimer, Gazetter of the Persian Gulf Vol. 1,Part 1.P.P.1378-1380.

(١٢) عبد العزيز نوار - تاريخ العراق الحديث ص ٣٣٤-٣٤٠ز (القاهرة ١٩٦٨) .

(١٣) راجع عنها بعنوان Treaty of Erzerum of May 3, 1847. محفوظات دار السجلات والوثائق التابعة لرئاسة مجلس الوزراء التركي باسطنبول كما يمكن الرجوع الى ملفات دار السجلات البريطانية في لندن بعنوان League of Nations, Official No. C. M. 10, 1935, VII)P.51(, Geneva, January, 11 TH, 1936, F.O.

(١٤) التحق به ايضا القس روبرت كرزن مؤلف كتاب شهير باسم «زيارات لديارات في الشرق ، وكان انضمامه في الاشهر الاولى بصفة عضو لجنة مشارك . وكان قد سجل مشاهداته في كتاب ثان عنوانه «الأمينيا: عام واحد في ارضروم وعلى حدود روسيا وتركيا وايران» نشر في لندن سنة ١٨٥٤ .

(١٥) المعاهدة في تسع مواد راجع نصها باللغة الانكليزية في: =

فيما يختص بقضية الحدود:

ان الحكومة العثمانية تعهدت رسميا بالسماح لفارس بوضع يدها بسيادة تامة على: مدينة وميناء المحمرة والمرسى، جزيرة خضر (عبادان) والاراضي الواقعة على الضفة الشرقية - اليسرى من شط العرب، التي تقطنها قبائل معترف بها بانها من رعايا فارس. وقد حددت المادة الثانية من المعاهدة تفاصيل ذلك، وماتقدمه فارس للدولة العثمانية مقابل هذا التنازل حيث نصت على ان «تتنازل الحكومة الفارسية عن كل مالها من ادعاءات في منطقة شهرزور، وتتعهد بان لاتتدخل في سياذة الحكومة العثمانية على تلك المنطقة او تتجاوز عليها. وتعترف الحكومة العثمانية بسيادة الحكومة الفارسية على مدينة المجمرة وميناثها ومرساها وجزيرة خضر (عبادان) والاراضي الواقعة على الضفة الشرقية - اي الضفة اليسرى - من شط العرب التي تحت تصرف عشائر معترف بانها تابعة لفارس» كما جاءت المعاهدة على ذكر حرية الملاحة لفارس في شط العرب[16]، حيث تابعت المادة الثانية نصها «وفضلا عن ذلك، فللمراكب الفارسية حق الملاحة في شط العرب بملء الحرية، وذلك من مصب شط العرب في البحر الى نقطة اتصال حدود الطرفين». اما الحدود الممتدة من المحمرة في الجنوب والى الشمال منها فلم يأت ذكرها في المعاهدة مطلقا لهذا فقد ترك امر تسويتها بموجب بند نهائي في معاهدات لاحقة.

= Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East, Vol. I;Aichison, C.U.A collection of Treaties Engagements and Sands Relating to India and Neighbouring Countries, Vol.11.

كما يمكن الرجوع الى نصها الفرنسي في :

Edward Hergslet, Treaties Ec. Concluded betw :c ;. Brittian and Persia and between Persia and other foreign Powers(PP. 169-172.

كذلك اصدرت الحكومة العراقية مذكرة قدمتها الى عصبة الامم سنة ١٩٣٤ ، تتضمن نصها الفرنسي

Ministry for Foreign Affairs, Baghdad) th November, 1934(PP.1-7.

(١٦) F O 371-1897, E 2743. Perso-Iragi Frontier Interpretation Placed on the)Explanatory Note(by the various parties concerned'.

اما بخصوص ادارة الحدود:

فقد تقرر ان تجبر كل قبيلة على الاقامة فقط على جانب واحد من الحدود، وان اعمال الغارات والجرائم التي ترتكب عبر الحدود، يجب ان يعاقب عليها من قبل سلطات الحدود التي ترتكب فيها هذه الاعمال؛ كما تقرر وضع جنود على المراكز الملائمة لردع القبائل التي تقوم بالنهب وقطع الطرق .

وفيما يختص بالقضايا المالية :

فقد اتفق الجانبان على عدم المطالبة بها؛ ولهذا عاقت المعاهدة بوجه عام طلب فارس للحصول على تعويض بسبب الاضرار التي الحقها العثمانيون عام ١٨٣٧ بالمحمرة وبكربلاء عام ١٨٤٣ .

والملاحظ ان هذه المعاهدة قد حلت جميع النقاط التي يدور حولها الخلاف، لكنها تركت معظم المسائل التفصيلية لتسويات في المستقبل .

وفي ٢٥ نيسان ١٨٤٧ ، وقبل التوقيع على المعاهدة، الحقت مذكرة ايضاحية[١٧] حول بعض الشروط الواردة فيها، قدمت من الدولة العثمانية الى السفيرين الوسيطين في القسطنطينية طلبت فيها عما يعنيه المرسى anchorage الذي تنازلت عنه بالضبط ، واكدت ان تنازلها عن مدينة المحمرة والميناء والمرسى وجزيرة خضر، لايعني انها تخلت عن اراض اخر او مرافيء يمكن ان تقام في المنطقة المذكورة. كما ان تنازلها هذا لايعني انها تنازلت عن الاراضي التي تخص الدولة العثمانية في الضفة

---

(١٧)Explanatory Note Relative to certain stipulation in the Prorposed Traety of Erzerum. Addressed by the British and Russian Amabassadors at constantiople to the Ottoman Government on April 26, 1877. F.O. 371- 1877³, Annex IV, op. cit.

اليسرى حتى في حالة اقامة القبائل الفارسية بشكل جزئي او كلي على الضفة. ولايحق لفارس تحت اي ادعاء المطالبة بالمناطق الواقعة على الضفة اليمنى من شط العرب[18] .

والواقع ان موضوع حركة القبائل العربية المستمرة بين ضفتي شط العرب اليسرى واليمنى سببا ظروفا صعبة للغاية بشأن علاقات الحدود العثمانية ـ الفارسية ولما كانت ضفتا شط العرب تكونان وطنا واحدة بالنسبة لتلك القبائل، فان كثيرا من قبائل كعب والمحيسن، وغيرهما من قبائل عربستان ـ ضفة شط العرب اليسرى ـ كانت تسكن على طول شفة شط العرب اليمنى في البصرة، ولم يمكن اعاقة انتقالها بين الضفتين، وهم في الوقت نفسه يعتبرون رعايا لشيخ المحمرة، وبالتالي سيكونون رعايا فرسا رغم انهم لايحبذون تلك التبعية. وكان شيخ المحمرة قد منحهم اعفاءات قبلية من الضرائب. وهم في الوقت نفسه يملكون شهادة الجنسية العثمانية التي يعتبرونها مجرد وثيقة ادارية لاعلاقة لها بالمسائل القبلية. وعليه فانهم اصبحوا رعايا للدولة العثمانية وفارس في ان واحد. وهذا شذوذ في العلاقات الدولية غير مألوف ومما يزيد في تعقيد الامر قضية الخدمة العسكرية العثمانية والفارسية .

ومن هنا جاء تأكيد الدولة العثمانية في مذكراتها الايضاحية بعدم اعطاء فارس الحق تحت اي ادعاء المطالبة بهم او بمناطق سكناهم .

وبعد دراسة المذكرة العثمانية اجاب السفيران (البريطاني والروسي) الباب العالي بمذكرة مشتركة شملت تأكيدا اكثر وضوحا جاء فيها: «ان مرسى المحمرة هو القسم الواقع مقابل مدينة المحمرة في قناة الحفار فقط ـ الممر المائي الذي يصل نهر الكارون بشط العرب ـ الى مسافة تبعد قليلا

---

(١٨) F.O. 371 1997?, F 2745 Perso-Iraqi Frontier Dispute: Interpretation placed on the)Explanatory Note(by the various parties concerned

من نقطة اندماجه بشط العرب، لا لرسو في العرب بـالذات. وهـذا التعريف لايحتمل تفسيرا اخر في معناه» .

وفضلا عن ذلك فان الممثلين الموقعين في ادناه يشـاطران الحكـومة العثمانية الرأي القائل بان ترك الحكومة العثمانية لفارس مدينة المحمرة وميناءها ومرساها، وجزيرة خضر في المنطقة المذكورة لايعني تركها ايـة اراض او موانيء اخر موجودة في تلك المنطقة. ويصرح كذلك الممثلان الموقعان في ادناه بانه سوف لايكون لفارس الحق باية حجة كانت في ان تقدم ادعاءات حول المناطق الكائنة على الضفة اليمنى من شط العرب، ولاحول الاراضي العائدة للدول العثمانيـة على الضفـة اليسرى حيث تقـطن فيهـا او في تلك عشـائـر فـارسيـة او اقسـام منهـا. امـا بشـأن الاستحكامات والحصون فلا يستطيعان سوى بيان رأيهما الشخصي وهو ان تعهد الدولتين الاسلاميتين تعهدا متبادلا بعدم تحصـين ضفتي شط العرب معناه ضمان اخر لدوام العلاقات سلمية بين المملكتين(١٩)

وقد اجابت الدولة العثمانية على مذكرة السفيرين بموافقتها على تلك الايضاحات مضيفة تأكيدات اخرى حول ماجاء في مذكرتها الاولى (٢٠)

اما بالنسبة لفارس فان مذكرة السفيرين لم تسلم للحكومة الفارسية الا بعد بضعة اشهر. فجاء الجواب بان الشـاه قد وافق كـل الموافقـة على الايضاحات التي قدمها ممثلا الدولتين الوسيطتين الى الباب العالي. اما فيما يخص الاستحكامات والحصون فان الشاه يوافق على عدم اقامتها على الضفة اليسرى التي اعطيت لفارس بموجب هذه المعاهدة طالما ان الدولة العثمانية لاتقوم بانشاء التحصنات على الضفة اليمنى من شط العـرب المقابلة للحدود الفارسية .

---

(١٩) Ibid.

(٢٠) Reply of the Ottoman Governement to the British and Russián Ambassadors at Constdntunoplc. F.O. 371-1897, Annex V, op, cit.

وعليه ابلغ ميرزا محمد خان السفيرين البريطاني والروسي موافقة حكومته على مذكراتها[٢١] وانه ابلغ مندوب حكومته في ارضروم للتوقيع على مسودة المعاهدة وموافقة حكومة الشاه على الايضاحات وتأييدها لها. وبذلك تم التوقيع على المعاهدة وبعد عشرة اشهر تقريبا، من توقيع المندوبين حضر السفير الفارسي في باريس الى الاستانة بناء على امر صدر اليه، وهو في طريقه الى طهران، وقام بابرام التصديق وتبديل الوثائق وذلك في (٢١) اذار سنة ١٨٤٨، وكان مقررا كما نص اصل المعاهدة ان يتم تبادل وثائق ابرامها في مدة لاتزيد على الشهرين.

والذي يمكن ملاحظته على معاهدة ارضروم الثانية مايلي :

١ ـ قررت المعاهدة مصير شعب ضد ارادته، وبدون ان يعطي فرصة للاسهام في تقرير هذا المصير، اذ تفاوضت اطراف غير معنية على منطقة لم تخضع لاي منها في اي وقت مضى، فقد كانت مستقلة تماما عن الحكومة الفارسية باعترافها الرسمي هي نفسها؛ كما عجز العثمانيون عن تثبيت نفوذهم فيها، ولكن كلا منهما منحت مالاتملك للاخرى. وبالرغم من ذلك فان الوثائق اللاحقة لهذه المعاهدة تثبت كلها ان عربستان لم تخضع حتى بعد المعاهدة للدولة الفارسية، وان هذه اكتفت من عربستان بولاء رمزي فقط.

٢ ـ تضم المعاهدة بين احكامها ونصوصها شروطا غامضة، مما تسبب في استمرار النزاع على عربستان، فقد قسمتها المعاهدة الى منطقتي نفوذ جعلت للدولة الفارسية المنطقة التي (تحت تصرف عشائر معترف بها بانها تابعة لفارس)، اما ماعداها فتكون تابعتها للدولة العثمانية فالتقسيم اذن كان على اساس عشائري قبلي، وكان من الصعب تطبيقه، الامر الذي دفع الدولة العثمانية بعدئذ الى الاحتجاج عليه

(٢١) N... From Mirza Mohamed Ali Khan to the Russian and British Ambassadors, dated January 14, 1848, F.O. ... Annex V I P. 191, op. cit.

بمذكراتها الايضاحية للسفيرين البريطانية والروسي التي طلبت فيها تفسيرا عن كيفية اجراء هذا التقسيم .

٣ ـ اعتبرت المعاهدة مناطق بني كعب من المناطق المعترف بتبعيتها لفارس، وهذا ادعاء باطل، لان قبيلة بني كعب لم تتنازل عن سيادة اراضيها لفارس، ولالغيرها في اي يوم من الايام، كما انها لاتمت لها باي صلة قومية او بشرية ،ويبدو ان الدولة العثمانية عقدت المعاهدة دون ان يكون لديها اقتناع كاف للتنازل الذي التزمت به بموجبها، وان هذا التنازل كان نتيجة ضغط خارجي من روسيا القيصرية او بريطاني او منهما معا من اجل تحقيق مصالحهما .

٤ ـ اقتصر تنازل الدولة العثمانية في المعاهدة على مدينة المحمرة ومرساها وجزيرة خضر (عبادان) ولم يمتد هذا التنازل الى الاجزاء الاخرى من اقليم عربستان. وبالرغم من هذا التنازل فان عربستان ظلت من حيث الواقع مستقلة عن حكومة طهران، ولم يعترف شعب عربستان بالمعاهدة وانما اعترضوا بشدة عليها وعلى بنودها .

٥ ـ اخذت فارس نفسها تطعن بالمعاهدة بعد توقعها ، وادعت بعدم شرعيتها بحجة انها كانت مفروضة عليها بالقوة والضغط من قبل روسيا وبريطانيا وانها قبلتها مكرهة ، وان المندوب الفارسي تجاوز صلاحياته عند توقيعها ، واخيرا ان البرلمان الفارسي لم يصدقها .

٦ ـ كانت المعاهدة من الضعف بحيث جعلت العثمانيين انفسهم يتعرضون لها بالنقد والرد . فقد وضع درويش باشا عضو لجنة الحدود تقريرا في عام ١٨٥٢ اورد فيه خلاصة السندات المتعلقة بالمحمرة وما يجاورها ، وحذر من بقائها وعبادان تحت السيطرة الفارسية ، وجاء ببعض البنود التي تؤكد على ان بساتين النخيل والمقاطعات الحويزة ، ونفى خضوعها للسيطرة الفارسية .

اما موقف امير المحمرة الحاج جابر من المعاهدة فانه لم يعترف بها مطلقا وبقي يمارس حكمه مستقلا عن فارس وعن الدولة العثمانية ، ولم يخضع لنفوذ اي منهما او سيادة امارته المطلقة . حتى ان عربستان

تعـرضت في ٢٦ اذار ١٨٥٧ لهجوم بـريطاني ، واحتلت القـوات البريطانية المحمرة لمدة ثلاثة الشهر فوجدت نفسها عاجزة عن الدفاع عنها ، وحتى عن ادارة شؤونها او الادعاء بهذه الادارة الشكلية ، اذ كانت فارس انذاك في وضع لا تحسد عليه من التفكك والانهيار ، ولم يكن في كل هذا ما يربطها بعربستان سوى معاهدة سياسية شكلية ، لهذا قرر ناصر الدين شاه (١٨٤٨ ـ ١٨٩٦) ان مصلحـة بلاده في اعلان استقلال المحمرة تحت امارة الحاج جابر للتخلص من عبء ادارتهـا (الاسميـة)، وللأعـتراف بالامـر الـواقـع فأصدر في اواخر عـام ١٨٥٧ مرسوما ملكيا تضمن ما يأتي :

١ ـ تكون امارة المحمرة الى الحاج بن مرداو ولابنائه من بعده
٢ ـ تبقى الجمارك تحت ادارة الدولة الفارسية ، ويديرها امـير المحمرة نيابة عنها .
٣ ـ يقيم في المحمرة مأمور من قبل الدول الفارسيـة ليمثلها لـدى امير المحمرة، ومهمته تنحصر في الامور التجارية فقط .
٤ ـ يتعهد امير المحمرة بنجدة الدولة الفارسية بجيشه في حال اشتباكها بحرب مع دولة اخرى .
٥ ـ يتعهد الشاه ناصر الدين قاجار بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للامارة .

وهكذا صدر هذا الاعتراف الرسمي باستقلال المحمرة وبامارة الحاج جابر عليها بعد مرور عشرة اعوام فقط على عقد معاهدة ارضروم الثانية وهذا المرسوم بالرغم من عدم نصه على وجود شخصية دولية للامارة، الا انه تضمن صراحة استقلال المحمرة في شؤونها الداخلية، واعترف، بها امارة وراثية لها قواتها المستقلة،وعليه تقع جميع مصـروفاتهـا، وانه هـو المسؤول عن أمنها وادارة شؤونها الداخلية، وان لاميرها جميع واردات الامارة ومناطقها المختلفة ، وله الحق في ان يعين حكاما يمثلونه في مدن الامارة وبهذا بقيت علاقاته مع فارس شكلية لا تتعدى النواحي الاسمية

التي فرضها عليه معاهدة ارضروم الثانيةكما ان المعروف عنه انه كان لا يعطي فارس الا شيئا قليلا لا يتعدى واردات الجمارك وهكذا استقر الامر للحاج جابر في حكمه واقام علاقات طيبة مع شيوخ المناطق المجاورة في كل من العراق والكويت واخذ في بناء كيان امارته الاقتصادي فوضع الاسس لاقامة مشاريع لتشجيع الملاحة في شط العرب كما كان يعني بتوسيع نهر كارون ، وجعله صالحا للملاحة من مصبه في شط العرب الى ميناء تستر ، وقد رفض عروضا اقتصادية بريطانية لفتح نهر كارون للملاحة البريطانية ليحتفظ باستقلاله الذاتي عن اي تأثير خارجي ، ولئلا يفسح المجال للشركات الاجنبية ان تستغل نهر كارون .

هذا من جهة ومن جهة اخرى نلاحظ ان تنازل العثمانية عن اقليم عربي تسكنه قبائل كعب العربية الى فارس ، يعني ان تلك المناطق لم تكن تابعة لفارس من قبل؛ وقد جرى تبادلها باعتبارها من المناطق المتنازع عليها في وقت لم يكن يمارس حق الشعوب في المصير على نطاق واسع . واصبحت الحدود بناء على هذا التنازل ـ بين الدولتين ـ هي الضفة اليسرى لشط العرب . وان سيادة فارس على المحمرة وميناءها لا تشمل العرب باي شكل من الاشكال ، وان مرسى المحمرة يقع على قناة الحفار ـ في مصب نهر كارون ـ لاعلى شط العرب .

كما اثارت مسألة الاراضي التي تصرف عشائر معترف بانها تابعة لفارس تفسيرات مختلفة . والدليل على غموضها ان الحكومة استفسرت من المندوبين الوسيطين عن المقصود بهذا التعبير في مذكرة ايضاحية .

كما نصت الفقرة الاخيرة من المادة الثانية على السماح للسفن الفارسية في حرية الملاحة البرية في شط العرب ، اي ان للدولة العثمانية الحق في ان ترفض السماح للسفن الحربية الفارسية بالملاحة في مياهها الوطنية الاقليمية بدون رخصة مسبقة .

كما نلاحظ من المذكرات الإيضاحية التي تبادلتها الدولة العثمانية انها كانت حريصة على المحافظة على سيادتها على شط العرب . وقد اكدت بان تركها لمدينة المحمرة لا يعني تركها اية اراض او موانئ اخرى . ولذلك فان شط العرب بقي اقليما عثمانيا .

وبهذا فان معاهدة ارضروم الثانية - رغم انها جاءت على حساب الحق العربي في المنطقة - قد نظمت الحدود بين الامبراطوريتين العثمانية والفارسية، واستمرت مع بعض التعديلات، تعتبر الاساس في قضايا الحدود بين الدولتين العراقية والايرانية بعدئذ(٢٥) .

ولكن الذي حدث ان ايران الحديثة، اخذت تحاول التشكيك فيها والطعن بها، وتعتبرها قد فرضت عليها من قبل ممثلي روسيا القيصرية وبريطانيا - الدولتين الوسيطتين - وادعت بأنها تصرفا من جهة واحدة من غير ابلاغ فارس بالمذكرة الايضاحية التي دارت حولها المراسلات. واعتبرا ان فارس قد وافقت على ذلك. وان ميرزا محمد علي خان لم يكن مخولا بالتوقيع على المذكرة الايضاحية التي قدمها الباب العالي .والتي كان مضمونها من من مصلحة الباب العالي(٢٦). وقد الحت بريطانيا وروسيا القيصرية على السفير الفارسي لادخال المذكرة الايضاحية في ابرامه ولو كان قد قبل المذكرة التي اضيفت الى المعاهدة المذكورة كمعاهدة ملحقة، لكان معنى ذلك مخالفته للتعليمات الصادرة اليه وتعديه حدود صلاحياته . لكنه مع ذلك اخذ على عاتقه، بعد الحاح الباب العالي، بان يقبل بالمذكرة الايضاحية في وثيقة الابرام بشكل يتطلب تصديق الشاه، ويلاحظ انه اوضح وقتئذ بان صلاحياته لم تكن لتشمل ذلك الامر وبأن تصريحه كان تصريحا شخصيا محضا. وهكذا ابرمت المعاهدة من غير ان

---

(٢٥) للاطلاع على وجهة النظر الفارسية تفصيلا في هذا الصدد . راجع :
Ramesh Sanghvi, Shatt al arab, The Facts behind the Issue)London, 1969(.

(٢٦) Ibid .

يتم قبولها. ولم تقبل الحكومة الفارسية بتصريح ميرزا محمد علي خان في ٣١ كانون الثاني سنة ١٨٤٨، لان عمله كان خارج حدود صلاحيته. كما ان الباب العالي هو الاخر رفض الاعتراف بوجود المعاهدة مالم تتناول الامتيازات المهمة المتضمنة في المذكرة الايضاحية.

كما اعترضت على مسألة تنظيم المعاهدة للحدود، وترى ان الحالات التي تكون فيها الحدود الدولية على ضفة واحدة من النهر بحيث يصبح النهر ملكا خاصا لدولة واحدة لاوجود لها في خرائط العالم السياسية.

اما العراق فقد اتخذ موقفا اخر رغم ان المعاهدة جاءت على حساب حقوقه، فانه عد معاهدة ارضروم الثانية وثيقة لايمكن لايران الطعن بها، وان توقيعها والتصديق عليها وتبادل وثائقها قد تم وفقا للنظم القانونية. وان ماتحاول ايران التدليل عليه لاتؤيده الوقائع التاريخية. وان قضية الحدود في شط العرب ليست بدعة تنفرد ايران والعراق بها. ففي العالم عدد من الانهار الحدودية يمتد اقليم احدى الدولتين فيها حتى شاطىء الدولة الاخرى شاملا كل مياه النهر. ومنها الدوب Ie Doubs الذي يفصل بين فرنسا واقليم برن من الاتحاد السويسري فان شاطىء برن هو الذي يعد خط الحدود، ويعد النهر كله اقليما فرنسيا. ومنها ايضا نهر الفستولا vistula اذ اتبع فيه هذا الاسلوب سنة ١٩١٩ في رسم الحدود بين المانيا وبولندا[٢٧].

هذا وان شط العرب كان يعد دائما نهرا تابعا للدولة العثمانية منذ ان مدت الحكومتان العثمانية والفارسية سلطتها عليه واتصلتا ببعضهما في جواره. وان محاولة ايران التحلل من نص المعاهدة بشأن مرور سفنها

---

(٢٧) وزارة الخارجية العراقية ـ حقائق عن الحدود العراقية الايرانية ص ١٢.

الحربية في شط العرب صادف معارضة شديدة من العراق[٢٨] ذلك ان حق المرور البريء للسفن الحربية، يمكن تطبيقه على المياه الاقليمية للبحر المفتوح بمسافة معينة اما تطبيقه على المياه الوطنية للعراق وعد شط العرب مياها اقليمية ، فهو مخالف لابسط قواعد القانون الدولي. وان موافقة العراق على دخول السفن الحربية في مياهه في شط العرب حتى بعد حصول الاذن، هو تسامح قلما تقدم عليه دولة حتى ايران نفسها. والا لحق للعراق ان يدخل سفنه الحربية الى قناة بهمنشير او نهر كارون. فالشيء المنطقي هو انه اذا كان حق المرور البريء للسفن الحربية الايرانية في المياه الوطنية العراقية مكفولا فلابد من كفالة حق لمرور للسفن الحربية العراقية في المياه الايرانية. هذا وان التصريح لمرور السفن الايرانية الحربية لم يكن مبنيا على القانون الدولي، وانما جاء اتفاقا بين الطرفين المتعاقدين تضمنته معاهدة ارضروم الثانية[٢٩] وكان باب اولى يحتج العراق على المعاهدة قبل ايران، ذلك ان الوجود الايراني على ضفة شط العرب اليسرى لايتفق ومصلحة العراق. ويبقى دائما مصدر تهديد لامنه وتجارته .

تطورات مشكلة الحدود

لقد نصت معاهدة ارضروم الثانية على تأليف لجنة فنية لتحديد الحدود بين الدولتين. وقد تألفت بموجب ذلك لجنة تضم مندوبين ومهندسين لتخطيط الحدود من مصب شط العرب حتى الحدود المشتركة عند الاناضول. وضمت اللجنة كلا من دوريش باشا ممثلا عن الدولة

---

(٢٨) وقد ايدت بريطانيا العراق حيث جاء في كتاب المستر بورديلون رقم (٣٢٥) مؤرخ (٢٢) ايلول ١٢٨ عبد المحسن السعدون «ترى حكومة صاحبة الجلالة البريطانية ان حق الملاحة المحفوظ بهذه المادة لا ؛ حق استعمال المياه العراقية الوطنية للاعمال العسكرية ، كما طلب المعتمد السامي البريطاني من السا العراقية منع شرطة خفر السواحل الايرانية من الدخول الى مياه شط العرب . راجع :
وثائق المركز الوطني ببغداد ـ كتاب دار الاعتماد البريطاني (٣٣١٤) مؤرخ (١٠) اكتوبر سنة ٢٨، وملف ١١/٦/٦١ لسنة ١٩٢٨ ص ١٢٢ .

(٢٩) 371/18974, E 4005, Rkghts of Persian Warships on the Shatt at Arab.

العثمانية[٣٠] وميرزا جعفر خان الكولونيل وليامز[٣١] williams والكولونيل تشريكوف Tcherikoff وكان معهم المخطط البريطاني الكابتن كلاسكوت، والمخطط الروسي اكرانوتيش Agranowitch وعين لوفتس جيولوجيا ملحقا باللجنة البريطانية، غير ان اللجنة فشلت في مهمتها لعدم اتفاق اعضائها خلال مدة عملها .

فقد اجتمعت اللجنة عام ١٨٤٩ في بغداد. غير ان المشروع قد تعطل في اتخاذ الاجراءات بسبب تأخر وصول المندوب العثماني. ولم تبدأ المفاوضات الا في كانون الثاني سنة ١٨٥٠ في المحمرة، وحتى حين بدئها فانها تعثرت بسبب ادعاء المندوب العثماني بحق الدولة العثمانية في جزء كبير من المنطقة الى شرق وشمال المحمرة، بالاضافة الى قبان والتي تقع بينهما الممتلكات العثمانية الى غربي شط العرب .

وكان المندوب العثماني درويش باشا بارعا وذكيا في مهمته، فقام باعمال مسح انفرادية واستقصاءات احصائية بين القبائل التي تحيط بالمحمرة واخذ يصدر لها على حد قول لويمر[٣٢] بلاغات ملهبة. كما انه ادعى في شباط ١٨٥٠ بان اعمال جباية الضرائب التي تقوم بها السلطات الفارسية في المحمرة يجب ان تتوقف، وان يتم سحب الموظفين والجنود الفرس منها، نظرا لانها لم تسلم بعد رسميا الى فارس. وطلب ضرورة استبدال العلم الفارسي على المحمرة باعلام محلية، ريثما يستقر امر تبعيتها. وشدد على قوله بوجوب نقل الحاج جابر الذي كان الفرس قد اعترفوا به كحاكم على المحمرة[٣٣] . وكان قد مانع بشدة اعتبار المحمرة جزءا من الامبراطورية العثمانية. ويدفعه الى ذلك طمعه في الاستقلال الذي كان اقرب له في ظل الدولة الفارسية المفككة

---

(٣٠) وكان بصحبته كاتب واسمه خورشيد باشا . راجع العزاوي - العراق بين احتلالين ج ٧ للوقوف على تفاصيل اكثر .

(٣١) لقد انيب عنه المستر كيزرون عندما مرض اثناء المفاوضات . وقد صدرت الاوامر بعدئذ بتعيين المستر لايارد مندوبا مشتركا لبريطانيا في المباحثات . وكان المترجم الانكليزي هو رد هاوس :

(٣٢) دليل الخليج - القسم التاريخي ج ٤ ص ٢٠٤٧

(٣٣) المصدر نفسه ص ٢٠٤٨

وحوالي سنة ١٨٥١، واستنادا الى اشاعات بأن هناك جنودا فرسا قادمون للذود عن المحمرة وافق المندوب العثماني مع بقية اعضاء اللجنة خطيا على تعليق قضية الحدود الى ان يوجد حل نهائي بشأنها. وانه لايجوز لكل من الطرفين خلال مدة التعليق المطالبة بأي حق في منطقة المحمرة. كما ان هناك نقطة خاصة تتعلق بامتلاك جزيرة الحلية (الحاج صبلوخ) في شط العرب حيث رفض المندوب العثماني ان تصبح الجزيرة جزءا من عبادان. وطلب سحب الموظف الفارسي منها ريثما يتم التوصل الى حل بشأنها.

وقد اقترح اللورد بالمرستون في أواخر سنة ١٨٥١ ان تنقل المفاوضات الى عواصم الدول الاربع بدلا من ان يترك امر فض المنازعات الى لجنة الحدود وحدها[٣٤].

وجرت مراسلات مطولة بين مندوبي الدول الوسيطة، وكانت تعطى صورا منها الى الحكومات المعنية. وحينما اطلع اللورد بالمرستون عليها، كتب الى السفير البريطاني في بطرسبورك يقول: « ان الحدود بين الدولة العثمانية وفارس، لايمكن تسويتها نهائيا الا بقرار تقديري من جانب بريطانيا العظمى وروسيا،[٣٥] وهدد الفريق الذي ينتهك حرمة الحدود باسداء العون الكامل للفريق الآخر.[٣٦]

وفي ١٩ كانون الثاني ١٨٥٢ طلب درويش باشا نقض مايسمى بالحالة الراهنة Status Puo في المحمرة. ولعدم الاستجابة لطلباته، فقد اعلن انه لن يتعاون مع بقية اعضاء اللجنة، ورفع تقريرا لحكومته ضمنه آراءه في قضية شط العرب.[٣٧] أورد فيه خلاصة السندات والحجج الشرعية المتعلقة

---

(٣٤) F. O. 371/18978, E. 3045, Perso-Iragi Frontier Dispute.

(٣٥) المراسلات المتعلقة بتحديد الحدود بين الدولة العثمانية وفارس والمقدمة الى البرلمان بامر من صاحب الجلالة الملكة في سنة ١٨٦٥: صفحة ١٢.

(٣٦) نفس المراسلات ص ١٣. من الفيكونت بالمرستون الى السيد سيمون في ١٨٥١/١٠/١١

(٣٧) تقرير درويش باشا عن تحديد الحدود الايرانية ـ العثمانية المقدم الى الحكومة العثمانية سنة ١٢٦٩هـ (١٨٥٢م) ترجمة وزارة الخارجية العراقية.

بالمحمرة وماحواليها، وهي مصدقة بفرمانات سلطانية موجودة في سجلات المحاكم الشرعية بالبصرة، وكلها تثبت انتساب عشيرة كعب الى الدولة العثمانية. واستنادا الى ذلك فان مناطق سكناها تكون ضمن حدود لواء البصلأة. كما حذر من ان ضم المحمرة الى السلطة الفارسية معناه فقدان البصرة لاهميتها التجارية، وانخفاض وارداتها الجمركية. وقد أورد بعض البنود التي تدلل على ان بساتين النخيل والمقاطعات الزراعية في المحمرة، كانت وماتزال تعود ملكيتها الى اهالي البصرة، وتعد من ملحقات اللواء وتدار من قبل السلطات العثمانية.[٣٨]

وبعد انسحاب درويش باشا حددت مهمة المندوبين الوسطاء في القيام بأعمال التخطيط فقط. وفي نهاية نيسان ١٨٥٢ تم التخطيط ابتداء من الطرف الشمالي لزهاب (وتسمى زهاو) حتى الخليج العربي. وفي الشهر التالي (مارس) عاد المندوب العثماني وانضم الى زملائه في اللجنة.
وقد تعرضت اللجنة الى عقبتين كادتا تؤديان بالمفاوضات:

العقبة الأولى:

قيام حرب القرم (١٨٥٣ ـ ١٨٥٦). وكان قد اشيع ان الشاه سيدخلها الى جانب روسيا القيصرية ضد السلطات العثمانية[٣٩]. لذا فان الدولة العثمانية اتخذت بعض الاجراءات العسكرية لحماية الحدود ـ وكان الامل يراودها في ام تستعيد المحمرة ـ وقد اتصل رشيد باشا الكوزلكي والي بغداد بالحاج جابر شيخ المحمرة، وطلب منه التعاون معه على خطة مشتركة لمواجهة اي هجوم فارسي محتمل يشن من المحمرة على البصرة[٤٠].

(٣٨) عن الوسائل التي استخدمت لاثبات الحقوق العثمانية في المناطق المتنازع عليها يمكن الرجوع الى:
عبد العزيز نوار ـ تاريخ الشعوب الاسلامية في العصر الحديث ج ١ : هامش ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .
(٣٩) لقد بذلت روسيا جهودا كبيرة من جانبها ـ قبل تدخل بريطانيا وفرنسا في الامور ـ لاغراء فارس بالانضمام اليها ضد العثمانيين وبدا ان جهودها هذه ستكلل بالنجاح .
Residence to British Embassy, 25 Han. No. 2, Saladanha.
(٤٠) (نقلا عن نوار ـ تاريخ العراق الحديث ص ٣٤٥) .

وكانت بريطانيا تعمل على ان تقف الحكومة الفارسية على الحياد خلال حرب القرم، ولذلك ضغطت باستمرار على الشاه لمنعه من الانسياق وراء روسيا. وبعثت في الوقت نفسه القطعتين البحريتين: اوكلانـد Aukland واكبر Akbar الى شط العرب لتتعاونا مع الباخرة البريطانية كوميت Comet الراسية أمام المقيمية البريطانية في بغداد، والتي قدمت الى شط العرب في اوائل سنة ١٨٥٣، وعلى ظهرها المستر رولينسون الوكيل السياسي البريطاني في بغداد، في مظاهرة بحرية، لترهب بها القوى الفارسية في منطقة عربستان[٤١] اذ ان سيطرة فارس على شط العرب والبصرة تعني ان منفذ العراق اصبح في قبضتها، وان السفن البريطانية العاملة بين بغداد والبصرة والخليج العربي والهند تصبح تحت رحمتها[٤٢]. وكانت السلطات العثمانية قد أوعزت الى شيخ الكويت بأن يضع سفنه في شط العرب لمنع الفرس من عبوره.[٤٣]

العقبة الثانية:

اما العقبة الثانية هي نشوب حرب قصيرة بين بريطانيا وفارس سنة ١٨٥٦[٤٤] بسبب خلافات الاخيرة مع افغانستان، حليفة بريطانيا، واحتـلال فارس هراة، فتقدم القائد الانكليزي السير جيمس اوترام James Outran Sir.

في شط العرب، وضرب المحمرة في ٢٦ مارس ١٨٥٧ واحتـل الضفة الشرقية من شط العرب، ولقي من السلطات العثمتنية في العراق مساعدة، فقد كانوا يأملون من هذه الحرب ان تؤول المحمرة اليهم. ويذكر لوريمر بأن سقوط المحمرة في يد الانكليز قوبل بالابتهاج في البصرة.[٤٥] ومما يذكر ان شيخ المحمرة الحاج جابر، اضطر الى الانسحاب الى الدعيجي على ضفة شط

---

(٤١) Lormier, Op. cit. Vol. I, Part I, P. 1386

(٤٢) عبد العزيز نوار ـ تاريخ الشعوب الاسلامية في العصر الحديث ج ز، ص ٢٥٣.

Kemball to Thompson: December 15, 1885. Vol.107, PP, 03-90

(٤٣) (نقلا عن نوار ـ المصدر السابق: ٢٥٢).

(٤٤) Cuzon, Persian Question, Vol, II,P.405.

(٤٥) Kelly, J.B.Britian and the Persian Gulf, P.475.

العرب الغربية في البصرة [٤٦]. وقد بحث القائد الانكليزي مع السلطات العثمانية امكانية ضم مدينة المحمرة الى العراق، ولكن قبل ان يتم اي اتفاق سياسي، كانت معاهدة باريس قد ابرمت في مارس ١٨٥٧، ومن شروطها انسحاب الانكليز من جميع المناطق التي احتلوها بمجرد خروج الفرس من هرات.

وبعد هزيمة فارس وعقدها معاهدة باريس مع بريطانيا استؤنفت المفاوضات، واستمرت أعمال المساحين الروس والبريطانيين من ١٨٥٧ ـ ١٨٦٥ في بطرسبرك Petersbourg، حيث انتقل مقر اللجنة اليها من الاستانة في تشرين الثاني سنة ١٨٥٧، وضعت خلالها خريطة للحدود الممسوحة، على ضوء المعلومات والمواد التي جمعوها في الاعوام ١٨٥٠ ـ ١٨٥٢، من جبال آرارات الى الخليج العربي، اطلق عليها اسم «الخريطة المطابقة» inentic Map، وقد قدمت الخريطة الى أطراف النزاع للمصادقة عليها. وقد ظهر انه لايمكن ان تقدم العلاج اللازم لمشكلة الحدود، اذ تبين لدى فحصها انها تتضمن بعض الاخطاء مما اضطر السفارتين البريطانية والروسية في الاستانة الى الامتناع عن توقيعها. وتبعا لذلك فقد دارت المفاوضات عليهة خمس سنوات في اجتماع ثان عقد من أجل ذلك، ولم ينفذ نهائيا حتى عام ١٩٦٩ حيث ارسلت نسخ من الخريطة البريطانية ـ الروسية الجديدة التي اطلق عليها اسم (الخريطة الموحدة» Iden-tipue Carte ألي الباب العالي في تشرين الأول سنة ١٨٦٩ والى حكومة فارس في شباط ١٨٧٠ لتجري المداولات بين الطرفين المتنازعين على ضوئها، ووفقا لاتفاق تم بين بريطانيا وروسيا سنة ١٨٦٥، عبرت الدولتان الوسيطتان عن املهما في ان يكون الخط الفاصل بين الاملاك الخاصة للسلطان والشاه ضمن التخوم المرسومة على الخريطة، وان تعين الحكومتان العثمانية والفارسية ـ

---

(٤٦) اثر انسحاب الانكليز من المحمرة اغرت فارس الحاج جابر بالرجوع الى المحمرة سنة ١٨٥٧ بوجه السلطات العثمانية متاعب كثيرة فيها يخص الضرائب المستحقة على المحمرة. ويذكر لوريمر ـ دليل الخليج ج٧: ٣٨٦٨ ان لياقته ونفوذه والاثارة التي مارست بها علاقته مع فارس امكنته الاحتفاظ بنوع من الاستقلال النافذ.

نفسها ذلك الخط، على انه في حالة نشوء اي موقع خاص فان نقاط النزاع تحال الى الحكومتين البريطانية والروسية(٤٧).

التسوية المؤقتة لتحديد الحدود ونتائجها:

لقد تم في عام ١٨٦٩ عقد معاهدة بين الدول العثمانية وفارس(٤٨)، آخر معاهدة حدود بين الدولتين، تعهدت كل منهما بمقتضاها بأن تؤجل التسوية النهائية، والبقاء على الحالة الراهنة Status Puo وبقاء القديم على قدمه، وعدم انشاء اية ابنية جديدة في مناطق النزاع، ولما كان مفهوم الحالة الراهنة مختلفا من الجانبين فان المعاهدة لم تثمر نتائج طيبة.

وقد بذل مدحت باشا خلال فترة حكمه للعراق (١٨٦٩ ـ ١٨٧٢)، مزيدا من الجهد لحل المشكلة، وبدأ الجو اكثر تفاؤلا عندما زار(٤٩) ناصر الدين شاه (١٨٤٨ ـ ١٨٩٦) العتبات المقدسة في (١٨٧٠ ـ ١٨٧١) وخلال هذه الزيارة التي اسمترت ثلاثة اشهر، دارت المفاوضات بين الطرفين حول مشكلة الحدود، ولكن الاجتماعات انقطعت دون الوصول الى نتيجة مجدية.

وفي سنة ١٨٧١ استؤنفت المفاوضات وقد اتفق الطرفان على عقد مؤتمر فارس عثماني في الاستانة لوضع معاهدة أرضروم الثانية موضع التنفيذ. كما تقرر ان يحضر ممثلون عن الحكومتين البريطانية والروسية لهذا المؤتمر، ولكن المؤتمر لم يعقد.

وبعد أن اخفقت أساليب المفاوضات اتبع مدحت باشا أساليب عسكرية بغية حل مشكلات الحدود، وقد كان لها أثرها في وقف تطورات الحدود عند حدها بعض الوقت، حيث بني بعض القلاع على ضفة شط العرب اليمنى.

---

(٤٧) Ryder, Derarcation of the Turko-Persian Boundary 1913-1914, Geographical Hlurnal. 66/3 1925(pp. 228-242.

(٤٨) Aitchison, A collection treaties, engagement and sands relation to India and neighbouring counties, Vol, XII,pp. 21-22.

(٤٩) خلال حكم السلطان عبد العزيز.

ولكن أزمة الحدود استمرت قائمة على أوسأ ماتكون عليه بعد انتهاء فترة حكم مدحت باشا في العراق، ولم تتنازل فارس عن ادعاءاتها. ولما بلغت الأزمة ذروتها رؤي سنة ١٨٧٤ - ١٨٧٥ تشكيل لجنة فارسية - عثمانية للتوصل الى حل مناسب. ولما اجتمعت اللجنة في الاستانة سرعان ماتوقفت اعمالها، لان فارس طلبت السير في الاعمال وفقا لمعاهدة أرضروم الثانية. (٥٠) اما الدولة العثمانية فقد أرادت الرجوع الى معاهدة ١٨٣٩(٥١). وقد اضيف الى هذه اللجنة في السنة التالية عضوان وسيطان، احدهما بريطاني والآخر روسي وهما السير كمبول Kemball والعقيد زلموي، Zelmoi. وقد ايدا اعمال لجنة تحديد الحدود التي بدأت عملها سنة ١٨٥٠. ولكن الحرب الروسية التركية سنة عرقلت مرة اخرى سير اعمال اللجنة.

وفي سنة ١٨٧٦ - وبعد مرور قرابة ثلاثين عاما على ابرام معاهدة أرضروم الثانية، كانت حالة الحدود الفارسية - العثمانية من الفوضى والاضطراب، بحيث جعلت المراقبين يرون ان الامل في التوصل الى حل بشأنها بعيد المنال، واستمرت هذه الحالة طوال عهد السلطان عبد الحميد على ان موضع تبعية الجزر في شط العرب لاسيما جزيرة الشلهة كان من ابرز الخلافات الرئيسية في هذه الفترة. (٥٢)

والشلهة عبارة عن ضفة لشط العرب انفصلت وحدها فأصبحت جزيرة تبعد عن اسفل المحمرة بحوالي (٣٢) ميلا، وعن اعلاها بستة اميال. اتخذت هذه الجزيرة شكلها الاول كجرف طيني حوالي سنة ١٨٧٠. ويفصل الجزيرة عن الضفة الشرقية مجرى ضحل لشط العرب بينما يفصلها عن الضفة الغربية مجرى عميق. وأصبحت تبعيتها سنة ١٨٧٧ موضع جدل بين فارس

(٥٠) الغريب ان فارس التي تتحمس لمعاهدة ارضروم الثانية في هذه الفترة عادت وتنكرت لها في السنوات التالية واتخذت تشكك بها.

(٥١) تسمى معاهدة زهاب كما تسمى معاهدة مراد الرابع. وتعتبر المعاهدة محاولة لتحديد الحدود بين الدولتين على أساس مناطق الحدود: Frontiers Zones. اما فيما يخص منطقة شط العرب لم تتطرق لها. ونصوص المعاهدة في مذكرة رولينسن عن الحدود العثمانية الفارسية المشار اليها سابقا.

(٥٢) Aitichison, op. cit. pp. 21-22./22

والدول العثمانية. فقد اعتبرتها فارس جزءا من جزيرة خضر «عبادان» ومعنى هذا انها تؤول الى فارس بموجب المادة الثانية من معاهدة أرضروم الثانية. وقبل هذا التاريخ كانت تتبع الدولة العثمانية. والجزيرة كانت آنذاك خالية من السكان ويذكر لوريمر «ان المكان على درجة من البؤس بحيث انه لاتوجد عائلة من الفلاحين مهما كانت فقيرة تقبل الجزيرة هدية، شريطة ان تعيش فيها باستمرار». [٥٣]

وقد وافقت الدولة العثمانية - ربما بسبب حربها مع روسيا - على اخلاء الشلهة، مشترطة عدم اقامة ابنية فيها من قبل الرعايا الفرس، الى ان تبت لجنة الحدود الدولية في مسألة تبعيتها، الا انه لوحظ بعد اخلاء السلطات العثمانية لها بوقت قصير وقوعها بيد مزارعين تابعين لشيخ المحمرة. ويذكر ابراهيم فصيح الحيدري[٥٤] انه «استخلصها جابر المرداو[٥٥]، شيخ المحمرة، من املاك الدولة العثمانية، وتصرف بها من غير حق، لانها واقعة في البصرة وقربها وهي مقاطعة جسيمة تبلغ قريبا من إلف كيلو وغفل عنها المتصرفون في البصرة».

وقد اثيرت قضية تبعيتها سنة ١٨٨٤ من قبل متصرف البصرة الذي أكد ان عائديتها للدولة العثمانية، معترضا على فارس اعتبارها جزءا من جزيرة عبادان وأنذر أمير المحمرة بوجوب انسحاب أتباعه منها. الا ان الشيخ مزعل امير المحمرة (١٨٨١ - ١٨٩٧) حاول تجاهل الانذار العثماني له، وحشد اتباعه المسلحين على ضفافها، عندما كان المتصرف وجنده متجهين في قارب حربي صوبها، واصر المتصرف على مقابلة الأمير، ووصل الى الفيلية حيث اعلن له الشيخ مزعل ان الشلهة ستبقى في حوزته.

---

(٥٣) لوريمر - دليل الخليج - القسم التاريخي ج٤ ص ٢٢٥٤ .
(٥٤) عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد ص ١٧٨
(٥٥) فترة حكمه (١٨٢٩ - ١٨٨١) .

اما بالنسبة للمحمرة فقد وجدت في وقت مبكر سنة ١٨٩١ همسات في البصرة عن تجديد الدولة العثمانية لحقوقها في المحمرة. وبناء على طلب الشاه، ضيغ احتجاج شديد من قبل السفير البريطاني في القسطنطينية اعد بالمحمرة. وفي نفس الوقت وضع د. بيتزو D. Butzow الوزير الروسي في طهران بيانا غريبا بخصوص المذكرة الايضاحية ذكر فيه ان تلك المذكرة التي تقرر بأن المعاهدة بقليل، القائم بالاعمال البريطاني والروسي في الاستانة من المندوب الفارسي، لكن السفير العثماني في طهران اكد ان مثل هذه الوثيقة موجودة ولم ترفضها الدول الفارسية، في حين زعمت حكومة الشاه ان يجب رفضها لعدم تصديقها من قبل السلطات الفارسية المختصة.

وعلى اي حال فان الباب العالي سرعان ماأقر بأنه ليست له مطالب في المحمرة.(٥٦) ويبدو ان بواعث الدول العثمانية في استرجاع المحمرة كانت بواعث اقتصادية، ذلك ان المحمرة تحتل مركزا جمركيا ممتازا في ضفة شط العرب اليسرى (عربستان) فمنها تخرج صادرات المنطقة، ومنها تدخل وارداتها. وان استرجاعها معناه الحصول على رسوم جمركية ذات قيمة عالية. وهذه الدوافع نفسها سببت صراعا بين الحكومة الفارسية وشيخ المحمرة بعدئذ، صممت السلطات الفارسية على انتزاع ادارة جمرك المحمرة من يد الشيخ.(٥٧)

بروتوكول طهران سنة ١٩١١ والموقف الفارسي من التسوية

لم تنقطع حوادث الحدود ومشاكلها حتى بداية القرن العشرين. وقد فشلت لجنة تخطيط الحدود في معالجة المشكلة. وبعد اتفاقية سنة ١٨٠٧ المعقودة بين

---

(٥٦) لوريمر - المصدر السابق ص ٢٢٥٧ - ٢٢٥٨ .

(٥٧) راجع عن نقل كمارك عربستان من شيخ المحمرة الى الكمارك الابرانية بحثا مفصلا كتبه : لوريمر - دليل الخليج - القسم الجغرافي ج ٧ ص ٢٣٨٣ - ٣٩٩٠ .

روسيا القيصرية وانكلترا التي فيها حددت مناطق نفوذهما وسيوت مشاكلهما في المنطقة، وجدتا من الضروري ان تتيحا الفرصة للدولتين العثمانية والفارسية لكي تحسما نزاعهما بشكل مباشر، وذلك درءا لما قد يحدث بينهما من خلاف يؤثر على الوفاق الذي توصلت اليه بريطانيا وروسيا القيصرية. ومما شجعهما على ذلك ان رجال جمعية الاتحاد والترقي الذين جاءوا للحكم بعد ثورة سنة ١٨٠٨، في الاستانة كان هدفهم الوصول الى تسويات عامة لحل المشكلات الخارجية التي ارهقت الدولة العثمانية ليتفرغوا الى تطبيق برنامجهم الداخلي الخاص بسياسة التتريك.

ويحدد المؤرخ الالماني كيركية (٥٨) Ulrich Kehrke عاملي المصالح الروسية في أذربيجان الفارسية، والمصالح البريطانية في شط العرب بأنهما يقفان وراء قضية الاخذ والرد في موضوع التدخل الروسي - البريطاني في مشكلة الحدود والرغبة في تثبيتها في ذلك الوقت.

وكان من حصيلة الاتصالات المباشرة بين طرفي النزاع ان وقع وزير الخارجية الفارسي والسفير المفوض العثماني في طهران في ٢١ كانون الاول سنة ١٩١١، بروتوكول طهران لغرض وضع اسس المفاوضات لتحديد الحدود المشتركة والاصول التي تتبع في ذلك التحديد.

ويتكون البروتوكول من خمس مواد، (٥٩) نص في مادته الأولى على تعيين لجنة مؤلفة من مندوبي الحكومتين تجتمع في الاستانة بأسرع وقت، وتكلف بمهمة تخطيط الحدود وفقا لاسس معاهدة أرضروم الثانية. ويلاحظ من نصوص البروتوكول انه لم يشترك لاول مرة مندوبا الدولتي الوسيطتين، كما اعتدنا ان نجده في اللجان المؤلفة منذ سنة ١٨٤٧.

---

(٥٨) Ulrich Gehrke and Gustav Kuhn, Die Grenzen Des Irak. Band 2 (1)pp. 184-220.

(٥٩) F.O. 371/18973, op.cit. Annex VII. p. 20 Teheran Protocol of December 21, 1911.

اما مادته الثاني: فقد دعت اللجنة لان تقرر باخلاص وعدم محاباة خط الحدود بعد الرجوع الى الوثائق والادلة المقنعة. على ان تعقبها لجنة فنية تثبت التحديد النهائي على الارض وفقا للاسس التي تضعها اللجنة السابقة.

وقد اقرت المادة الثالثة لسنة ١٨٤٧، واعتبرتها الاساس المعول عليه في تخطيط الحدود، فقد نصت على ان : « تكوت اعمال القومسيون المشترك الذي سيجتمع في الاستانة مبنية على المعاهدة المعروفة بمعاهدة أرضروم المنعقدة في سنة ١٨٤٧، ولهذه المادة اهمية كبيرة لان ايران الحديثة عادة بعد الانقلاب البهلوي تنكر صحة المعاهدة المذكورة واعتبرتها باطلة وملغاة،(٦٠) وأخذت تردد ان المعاهدة فرضت على فارس من قبل ممثلي الدولتين الوسيطتين بريطانيا وروسيا القيصرية، وافصحت في مناسبات عديدة عن عدم رضاها عن تلك المعاهدة. بينما كانت فارس من مناطق النفوذ الروسي. وكانت رسويا القيصرية تحميها، وان العلاقات الروسية ـ العثمانية في اكثر الاوقات كانت علاقات غير ودية. اما عدم الرضى فلا يعني مشروعية المعاهدة. ورغم ذلك فان «فارس اشارت الى المعاهدة في مذكراتها الموجهة الى الدولة العثمانية، واشتركت في لجنة تحديد الحدود العثمانية ـ الفارسية عام ١٨٥٠ ـ ١٨٥٢ واشار اليها بروتوكول طهران صراحة.

والمادة الرابعة من البروتوكول ترجع فض الخلافات المحتملة الى محكمة العدل الدولية في لاهاي. وهذا اتجاه جديد في حسم النقاط المختلف عليها. وكانت قبلا ترجعها الى الدولتين الوسيطتين. وقد حددت المدة التي يجب فيها ان ترفع قضايا الخلافات الى المحكمة بستة اشهر.

ودعت المادة الخامسة الى ضرورة المحافظة على الوضع الراهن Status Puo واشترطت ان لايتخذ من الاحتلال العسكري للأراضي المتنازع عليها حجة

---

(٦٠) F.O. 371/17897, E 5780. Perso-Iraq Boundary in Shatt Al-Arab

في الادعاء بملكيتها.

وبموجب البروتوكول اجتمعت لجنة تقرير الحدود في الاستانة لتحديد الحدود. وعقدت ثماني‌عشرة جلسة في الفترة من ٢٥ آذار الى ٢٢ آب سنة ١٩١٢. ولكن اللجنة اختلفت في تفسير المذكرة الايضاحية الملحقة بمعاهدة أرضروم الثانية لسنة ١٨٤٧. فقد اعتبرتها الدولة العثمانية جزءا من معاهدة أرضروم الثانية بينما فارس ابت الاعتراف بها. لهذا فإن فارس أصرت على أن يقوم أعضاء القومسيون بعملهم وفقا لاحكام (المعاهدة المسماة معاهدة أرضروم المعقودة في السنة ١٨٤٧»، كما جاء في المادة الثالثة من البروتوكول. وهي ترى انه لما كان المقصود بتلك المعاهدة معاهدة سنة ١٢٦٣ هجرية، لان السنة الهجرية كانت السنة الوحيدة التي ذكرت، فمعنى هذا ان العمل يجب ان يجري بالرجوع الى المواد التسع التي نصت عليها المعاهدة فقط غير اخذة بالمذكرة الايضاحية، ولاللابرام المسمى بإبرام الميرزا محمد علي خان المؤرخ سنة ١٨٤٨ (يبرة ٢٣ صفر سنة ١٢٦٤). لكن الباب العالي عارض ذلك باللجوء الى محكمة لاهاي» بغية حسم مسألة الحدود برمتها حسما نهائيا « عملا بمنطوق المادة الرابعة من بروتوكول طهران». الا ان الوفد الفارسي صرح في (١٥) آب ١٩١٢ في الجلسة قبل الختامية ان بناء على « رغبة فارس الصادقة في التوصل الى تسوية مسألة الحدود، وبناء على توسط بريطانيا العظمى وروسيا لمدة السبعين سنة المنصرمة يصرح بقبوله المذكرة المشتركة التي قدمتها الدولتان المذكورتان والمؤرخة في نيسان ١٨٤٧. ويعترف بالايضاحات المدرجة فيها باعتبارها قسما متمما لمعاهدة أرضروم». [٦١].

وحدث في (٢٢) آب سنة ١٩١٢ ان بعثت السفارة الروسية في الاستانة الى الباب العالي مذكرة جاء فيها: « تعتقد الحكومة الامبراطورية بأنه ليس في

---

(٦١) راجع وجهة النظر الفارسية كاملة في :

Ramesh Sanghvi,
Shatt al-Arzb: The Facts behind the Issue.

الاستطاعة القـول بضرورة وضـع الشروط الصـريحة الـواردة في معاهـدة أرضروم موضع التنفيذ بلا تأخير لان تلك الشروط تعتبر بمثابة الرجوع الى الوضع الذي كان سائدا في سنة ١٨٤٨ ، وقد توقفت اعمال القـومسيون المشترك في نفس ذلك اليوم. واستمر تبادل المذكرات بين السفارة الروسية في الاستانة والباب العالي من آب سنة ١٩١٢ حتى آب سنة ١٩١٣ ، وشرعت خـلالها السفـارة الروسيـة بتخليص أسس ومبـاديء التحـديـد المقـرر في المراسلات المتعلقة بالحدود العثمانية ـ الفارسية ، كما صاحبت هذه المذكرات محادثات بين سفيري بريطانيا وررسيا القيصرية رفعت نتائجها بمذكرة اضافية الى البـاب العالي في آب سنـة ١٩١٣ . (٦٢) وهكذا ادى تـدخل الـدولتين الوسيطتين الى عرقلة نائج المفاوضات واجهاضها.

وفي اثناء انشغال روسيا القيصرية بالمذكرات مع الدولة العثمانية كـانـت تعقد في لندن صفقة بين بريطانيا و الدولة العثمانية ، استطاعت بريطانيا فيها ان تحقق مكاسب عديدة لها في شط العرب من خلال عقدها اتفاقية شط العرب للملاحة سنة ١٩١٣ .

بروتوكول الاستانة لسنة ١٩١٣ والتنازلات العثمانية لفارس في شط العرب

بعد التوقيع على اتفـاقية شط العـرب للملاحـة بين بـريطانيـا والدولة العثمانية بثلاثة اشهر تقريبا ، توصل مندوبو الدول الاربع الى تعريف خط الحدود في شط العرب في بروتوكول من ثماني مواد وقع عليه في الأستانة في

(٦٢) للتفاصيل راجع :
Ulrich Genrke und Gustay Kuhn, Die Grenzen Des Des Irak. pp. 184-220.

(٦٢) للتفاصيل راجع :
Ulrich Genrke und Gustav Kuhn, Die Grenzen Des Ses Irak. pp. 184-220.

(٤) تشرين الثاني سنة ١٩١٣[٦٣]. وقد وقعه عن الجانب البريطاني السفير المفوض لدى الدولة العثمانية السير لويس مالت، وعن الجانب الفارسي السفير الروسي السفير المفوض لدى الدولة العثمانية المسيو ميشيل ده جيير وعن الجانب العثماني الامير سعيد حليم باشا الصدر الاعظم ووزير الخارجية. وهذا البروتوكول يحدد الحدود بتفصيل كبير، وهو يشير الى الظواهر الجغرافية[٦٤].

واصبح خط الحدود في شط العرب يسير على الوجه الاتي :

«يسير خط الحدود من نقطة تقع الى الشمال الشرقي من كشك البصرة نحو الجنوب لحد قناة الخين الى نقطة كائنة بين ديايي ونهر ابو العربيد. ويتبع منتصف مجرى قناة الخين لحد نقطة اتصال القناة المذكورة بشط العرب عند مصب نهر نازالله (نزيله) ومن هذه النقطة تتبع الحدود مجرى شط العرب لحد البحر تاركة النهر وجميع الجزر الموجودة فيه تحت السيادة العثمانية.

كما تضمن البروتوكول المواد التالية:

١ ـ اقر لفارس الجزر التالية :

أ ـ جزيرة محيلة (الحاج صلبوخ)

ب ـ الجزيرتان الواقعتان بين جزيرة محبلة والضفة اليسرى (الشرقية) من شط العرب.

(ج) الجزر الأربع الواقعة بين جزيرة شطيط معاوية.

(د) الجزيرتان الواقعتان مقابل منيوحي والتابعتان لجزيرة عبادان.

(ه) جميع الجزر الصغيرة الموجودة الآن والتي قد تتكون فيما بعد والتي

---

(٦٣) Protocol signed at Constantinople on November 4. (17), 1913

في دائرة P.R.O.: بملفات League of Nations, Official No. C22, M. 10, 1935. VII, Geneva, January, 31, 1953. F. O. 371/7842 (pp.96-106)

ولقد نشرت وزارة الخارجية العراقية النص الكامل لبروتوكول تحديد الحدود باللغة الفرنسية (بغداد ـ ١٩٣٣). كما يمكن الرجوع الى النص الاصلي للبروتوكول مع ملحقية وجدول اوصاف الحدود في دار الوثائق التابعة لرئاسة مجلس الوزراء التركي باسطنبول.

(٦٤) Wilson, Persia: Chapter, V.

تتصل عند هبوط الماء بجزيزة عبادان او الاراضي الفارسية الى اسفل نهر نازالله .

٢ ـ يبقى ميناء ومرسى المحمرة الى فوق واسفل ملتقى نهر كارون بشط العرب تحت السلطة الفارسية عملا بما جاء في معاهدة ارضروم الثانية . بيد انه ليس لهذا الأمر مساس بحق الدولة العثمانية في استعمال هذا القسم من النهر، كما ان سلطة فارس سوف لاتتناول اقسام النهر الواقعة خارج المرسى .

٣ ـ لايجري تغيير ما في الحقوق والتقاليد الحالية فيما تعلق بصيد الاسماك في الضفة اليسرى من شط العرب، وتشمل كلمة «ضفة» الأراضي التي تتصل الشاطىء وقت هبوط الماء. والملاحظ ان هذه المادة تبحث عن الضفة اليسرى الخخضعة لفارس وليس عن النهر، ولذلك يظهر ان القصد منه ان يجعل للفرس حقا في الصيد في النهر التابع للدولة العثمانية. وعليه فان صيد الاسماك من قبل الفرس الخارجية العثمانية الى جميع الممثلين السياسيين في الاستانة في (١١) أيلول سنة ١٩٠٢ .

٤ ـ لاتمتد السلطة العثمانية الى اقسام الشاطىء الفارسي التي قد تغطيها المياه مؤقتا عند ارتفاعها او من جراء عوامل عرضية اخرى. كما لاتمارس فارس السلطة على جانبها في الضفة اليسرى من الاراضي التي قد تصبح مكشوفة بصرة وقتية ام عرضية عندما يكون مستوى هبوط الماء دون الحد الاعتيادي .

واضافة الى ذلك نص البروتوكول على تعيين قومسيون تحديد مؤلف من قوميسيري الحكومات الاربع لغرض تحديد الحدود موقعيا على الارض وتأثيرها. وقد نصت المادة الخامسة من البروتوكول على «انه اذا تم تحديد قسم من الحدود يعتبر ذلك القسم كأنه مثبت نهائيا. ولايكون عرضة لأي تدقيق او تعديل فيما بعد» .

ونلاحظ في هذا البروتوكول انه عاد وخول العضوين المفوضين للدولتين

الوسيطتين سلطة الفصل التام في المسائل المتنازع عليها، وكان بروتوكول طهران لسنة ١٩١١ قد جعل ذلك من شأن محكمة العدل الدولية في لاهاي.

ويبدو لنا من خلال دراسة نصوص البروتوكول بشأن الحدود النهرية، انه قد جعل الحدود تسير في نهر خيين - احد فروع شط العرب - في وسط المجرى. اما بشأن الحدود في شط العرب فقد سارت على نظام آخر، وهو اعتبار الضفة اليسرى منه حدودا بين الدولتين، وعلى هذا فقد ثبتت السيادة العثمانية التامة على طول مجرى شط العرب لحد البحر - ومعنى ذلك ان امتداده في المستقبل داخل البحر يقع تحت السيادة العثمانية، بما فيه جميع الجزر الموجودة، عدا ما استثنى منها (٦٥)، وهذا توضيح دقيق لم تفصله معاهدة أرضروم الثانية. كما انه وضح حدود ميناء المحمرة والمرسى وجعله الى فوق والى اسفل ملتقى نهر كارون بشط العرب، لا كما جاء في معاهدة ارضروم الثانية وبهذا تحقق لفارس مكسبا جديدا اضافيا.

وعند دراستنا لمعاهدة أرضروم الثانية والمذكرات الايضاحية الملحقة بها، وجدنا ان المعاهدة والمذكرات تشير بصراحة الى ان مرسى المحمرة لايقع في شط العرب وانما على قناة الحفار (٦٦) في مصب نهر كارون. والتنازل الذي تم لم يشمل اي جزء من شط العرب وانما اقتصر على قناة الحفار، ولكن بروتوكول الاستانة هذا يجعل الدولة العثمانية تتنازل عن جزء من شط العرب يقع امام المحمرة باعتباره مرسى للميناء، وهذا اختلاف واضح مع معاهدة أرضروم الثانية، التي اعتبرت الاساس في وضع البروتوكول، ويعلق طه الهاسمي (٦٧) على ذلك بقوله: « هل كان هذا التناقض هو تنازل من الحكومة العثمانية أم كان جهلا من قبل الصدر الاعظم ووزير خارجية الباب

---

(٦٥) F.O. 371/1606, E. 1770, Humphrys (Baghdad) to Mr. Rendel Propos Shatt Al-Arab conservancy Board.

(٦٦) F.O. 371/1606, The Previous Coresspondence (P.87).

(٦٧) في كتابه جغرافية العراق (بغداد - ١٩٣٦)

العالي سعيد حليم باشا لجغرافيا شط العرب ونهر كارون، هذا مالا يمكن معرفته». ولكن الوثائق البريطانية تفصح لنا ان الحكومة العثمانية ارتضت التنازل هذا، - بضغط من شركة النفط الانكليزية - الفارسية،(٦٨) التي اصبح لها من المصالح في شط العرب مايجعلها تدفع فارس لان تطالب بمرسى لبواخر النفط فيه، وفي وقت كان لبريطانيا نفوذ معترف به من جنوب فارس بموجب اتفاقية سنة ١٩٠٧.

وشركة النفط الانكليزية - الفارسية هذه تأسست سنة ١٩٠٩ اثر تفجر النفط في عربستان. ومنذ ذلك الوقت اندفع الانكليز لان يهيئوا كل الوسائل اللازمة لاستغلاله، فمدوا سنة ١٩١٢ خط الانابيب من حقوله الى ضفة شط العرب يصلح لنقل اربعمائة الف طن من الزيت الخام في العام، وأنشأوا محطات للضخ، كما اعدوا سنة ١٩١٣ على ضفة شط العرب ايضا رصيفا لشحن النفط في الناقلات لغرض تصديره، وأكملوا بناء مصفاة صالحة سنة ١٩١٣. وفي نفس السنة وضعت الحكومة البريطانية بوساطة الاميرالية يدها على الشركة المذكورة واصبحت بذلك مصلحة بريطانية حكومية،(٧٠) وارتفع الانتاج فجأة من (٣٣) الفا الى (٦٠٠) الف غالون يوميا.(٧١)

ان ذلك دفع بريطانيا لان تحرص في جميع المفاوضات على ان لاتدع في مواد البروتوكول مايسمى حقوق شركة النفط الانكليزية - الفارسية - لابل انها لم تغفلها عند وضع مواد البروتوكول. فقد جاءت المادة السابعة من البروتوكول ضمانا اكيدا لحقوق الشركة وتعهدا بحمايتها. وقد تحول مفهوم المرسى في هذا البروتوكول من قناة الحفار، كما تعتبره معاهدة أرضروم الثانية - الى شط العرب. وعندئذ استثنى الجزء المقابل للمحمرة في شط العرب

---

(٦٨) F.O. 371/7842 (16-6-1922) Port of Basrah and the Shatt Al-Arab River.

(٦٩) Wilson, Loyalties-Mesopotamia (1914-1917) P.9.

(٧٠) اندره نوسشي - الصراعات البترولية في الشرق الاوسط ص ٥٠

(٧١) هارفي - الازمة العالمية في البترول ص ٣٤٤

وتنازلت عنه الدولة العثمانية لفارس، وعليه فقد اصبح خط الحدود في شط العرب بين الدولتين الفارسية والعثمانية منذ الآن على طول خط الماء الواطىء للضفة اليسرى من شط العرب،[٧٢] عدا مرسى المحمرة الجديد في شط العرب الذي ستحدده لجنة تحديد الحدود كما سنرى، وارفق بالبرتوكول خارطة مؤشرا عليها خط الحدود المقرر بالاحمر، وعليه اصبحت مياه شط العرب في غالبيتها العظمى، بعد ان كانت جميعها تحت السيادة العثمانية. ومن الواضح ان ذلك لم يؤثر على الدولة العثمانية في مسؤوليتها عن سلامة الملاحة في شط العرب.

والملاحظة ان الدولة العثمانية منذ بداية العقد الثاني من القرن العشرين، قد بدأت تتغير سياستها تجاه فارس. وكانت قيادة جمعية الاتحاد والترقي الحاكمة مستعدة لان تفرط ببعض الحقوق الاقليمية للبلاد العربية من اجل الوصول الى تسويات دولية، وهذا اتجاه جديد في السياسة العثمانية، وحجتها في ذلك ان الاوضاع في سنة ١٩١٣ تبدلت كثيرا عما كانت عليه سنة ١٨٤٧لاعند عقد معاهدة أرضروم الثانية مع فارس، لذا فقد اصبح من الضروري اعادة النظر على أسس جديدة[٧٣] وكان من نتائج اعادة النظر هذه عقد بروتوكول سنة ١٩١٣.

وفي تقديرنا ان مسؤولية تردي الاوضاع في شط العرب في الفترة التي اقدمنا على دراستها، تقع بلا شك على عاتق اطراف متعددة، فلقد تضافرت عدة عوامل لخلق الوضع الشاذ في المنطقة. ويأتي على رأس تلك العوامل التدخل البريطاني ـ الروسي في ممتلكات الرجل العثماني المريض، والتي تعتبر منطقة شط العرب جزءا منها. فكانت الحدود تتقدم حينا وتتراجع حينا آخر تبعا لمصالح الدولتين الوسيطتين. فقد شهدت المنطقة صراعا حادا بين بريطانيا وروسيا القيصرية، كانت منطقة شط العرب خلالها من المناطق التي

---

(٧٢) F.O. 371/7842, E. 13589, British Legation, Legation Tehran-Percy Loraine, Novomber 8, 1922 to Fore-ign Office.

(٧٣) عبد العزيز نوار ـ تاريخ العرب المعاصر ج ١ ص ٥٤١ .

جرت المساومة عليها وكانت تلك المساومة على حساب الارض العربية. ووهبت الدولة العثمانية مالا تملك لفارس، ولم يكفها تنازلها عن منطقة عربستان سنة ١٨٤٧، وانما تعدته لان تفرط بجزء من شط العرب، وكان سابقة خطيرة زادت من طموح ايران بعدئذ لان تطالب بالمزيد من مياهه، وتتحمل فارس العبء الاكبر في تردي الاوضاع. ذلك انها اظهرت على مر التاريخ نواياها العدوانية تجاه العرب، وكانت منطقة شط العرب باعتبارها جيبا من الجيوب العربية المجاورة لفارس مثار اطماعها المستمرة كغيرها من مناطق الحدود، وكانت تخطط دوما لابتلاعها، واستطاعت ان تتحدى جميع الاعتبارات التي تشد المنطقة بالعراق وتقتطعها من جسم الامة العربية.(٧٤)

ورغم كل ماحصلت عليه فارس من مكاسب سنلاحظ ان ايران الحديثة بعدئذ تحاول الطعن ببروتوكول الاستانة، وتدعي بانها اضطرت «الى قبول حدود ليست بالعادلة ولا بالموافقة للتعامل الدولي(٧٥) في وقت منيت بالهزيمة امام الدولة العثمانية، وكانت الجيوش التركية تحتل جزءا من اراضيها، وماكان لها الا ان كان لها الا ان توافق على البروتوكول الذي اعتبرته اهون الشرين. «ولم يكن بوسعها ان ترفض تقسيما غير منصف كهذا لانها لم تكن في حالة تستطيع معها تمديد امد احتلال الاتراك اراضي فارسية «ارمية» على طول الحدود تقريبا، فاضطرت وهي مكرهة الى قبول هذا التحديد.»(٧٦)

---

(٧٤) للوقوف على تفاصيل وافية عن ذلك راجع كتابنا : التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية ـ عروبة المنطقة ـ صفحة (٧١) وما بعدها .

(٧٥) ووثائق المركز الوطني ببغداد ـ ملفات البلاط الملكي : ٦/٢/٤/٥ ملاحظات على اقتراح ايران المتعلق بتعديل الحدود العراقية الفارسية في شط العرب وضعها C.G.E في ١٩٣١/١٠/٢٢ .

(٧٦) من حديث لوزير الخارجية الفارسية فروغي مع الوزير المفوض العراقي في طهران . راجع : وثائق المركز الوطني ببغداد ـ ملفات البلاط الملكي ٦/٢/٤/٥ من الوزير المفوض العراقي الى وزارة الخارجية العراقية . مذكرة رقم (٧٧٠) مؤرخة (٣٠) ايلول ١٩٣١ .

وهي ترى ان البروتوكول يذهب الى ابعد مما ذهب اليه في معاهدة سنة ١٨٤٧. وان ماورد في المادة الثانية من معاهدة أرضروم الثانية، ليس معناه قبول الضفة اليسرى بمنزلة الحدود كما جاء في البروتوكول، حيث جعل النهر كله تحت سيادة الدولة التي على الضفة اليمنى منه، ومع ان المعاهدة لاتذكر شيئا عن هذه المنطقة لكن القانون الدولي لاشك يضع الحدود في منتصف النهر، وفضلا عن النصر الذي يجعل الموانىء والطرق المائية الداخلية الكائنة على الضفة الشرقية تحت سيادة فارس التامة اسوة بالاراضي الواقعة على تلك الضفة، فان النصر الذي يعطيها حق الملاحة بمل الحرية افترض بأنه لكلتا المملكتين نفس الحقوق من حيث السيادة لحد منتصف النهر.

واضافة الى ذلك فهي ترى ان البرتوكول قد حادت احكامه عن الاحكام والشروط الواردة في بروتوكول طهران لسنة ١٩١١ والقاضية بالتحكيم فيما اذا لم يتم الاتفاق بين الطرفين. وقد اهملت بصورة علنية جميع القواعد المختصة باصول الوساطة، تلك القواعدالتيكان قد تم تعيين اهمها قبل مدة وجيزة جدا في مدينة لاهاي.

كما انها ترى ان البروتوكول عقد في وقت كانت قد عقدت فيه اتفاقية اخرى حول شط العرب بين بريطانيا العظمى والباب العالي بتفاهم من جانبين فقط وانه غير معقود على الاصول في وقت كانت تجري المفاوضات في مدينة الاستانة بين الفرقاء المعينين لعقد البروتوكول. وهذا تناقض في العلاقات لايمكن الاخذ به. ورغم كل هذا فان الدولة العثمانية نفسها عجزت اثر عقد البرتوكول عن العمل باحكامه من وجوه كثيرة. وان ذلك ترتب عليه بطلان احكامه. (٧٧)

ومهما كانت الاراء الايرانية في البروتوكول فان الواقع يشير الى عدم صحتها. ذلك ان وصف الحدود المبين في البروتوكول كان مبنيا على الحالة

---

(٧٧) F.O. 3712/18973, League of Nations, Official No. C. 22. M. 10. 1935, VII, Geneva, January 11, 1945

الراهنة في سنة ١٨٤٧ تعتبر كل شط العرب تحت السيادة العثمانية، وان خط الحدود الموصوف في البروتوكول يمتد تماما على الخط المعتمد ان معاهدة ارضروم الثانية نصت عليه نتيجة للتحقيقات التي تمت بهذا الصدد. وكانت فارس في جميع مراحل المفاوضات تطالب باتخاذ معاهدة ارضروم اساسا للتحديد. ويذهب البعض (٧٨) الى ان هذا «البروتوكول على علاته اتفاق قانوني أسوة ببروتوكول طهران لسنة ١٩١١، فكما أن الذين وضعوا بروتوكول طهران كان لهم الحق الكامل في وضعه، كان لهم كذلك الحق الكامل في أن يعقدوا اتفاقاً جديداً حين ظهر لهم أن بروتوكول طهران غير قابل للتطبيق». أما بالنسبة لسير خط الحدود في منتصف النهر باعتباره قاعدة عامة، فيمكن تجاوزه حين يتم الإتفاق، ومتى تم فيكون اتفاقاً لا جدال في صحته.

والملاحظ ان ايران لم تطعن في صحة برتوكول الاستانة الا بعد ان افادت منه في الحصول على اتفاقيات ومعاهدات كثيرة عقدتها مع الدولة العثمانية نفسها. ويعلق البعض (٧٩) على ذلك بقوله: ان ايران «تعتمد على الشكليات الدبلوماسية من اجل التخلص من المعاهدات والبروتوكولات الملزمة لها، حتى اذا حصلت على مكاسب جديدة لها عادت واعترفت بما تنكرت له من قبل».

اما ادعاؤ ها بانها قبلت البروتوكول مرغمة، فهو ادعاء يثير الكثير من التساؤلات، فكيف يمكن ان يكون هناك ضغط على دول كسبت بموجب البرتوكول الكثير من الحقوق وخرجت بالنتيجة فائزة بالغنائم. في وقت لو ادعت الدولة العثمانية بهذا الضغط لكان هناك مايبرره وهو تنازلها عن جزء من اقليمها لفارس.

والغريب ان ايران تعترف ببروتوكول سنة ١٩١١ ولكنها تصر على رفض بروتوكول ١٩١٣ مع ان البروتوكولين عقدا بنفس الطريقة ويهدفان الى تنفيذ

---

(٧٨) جابر ابراهيم الراوي ـ الحدود الدولية: ص ٤٣٢ وما بعدها.

(٧٩) عبد العزيز نوار ـ تاريخ العرب المعاصر ج ١ ص: ٥٤٤ـ٥٤٦.

مقررات معاهدة ارضروم الثانية لسنة ١٨٤٧ . وان فارس لم يعرف عنها انها اثارت تلك الادعاءات في عهد الدولة العثمانية . ويبدو انها كانت مقتنعة بما وقعت عليه مع الدولة العثمانية، والالأثارت جوانبها انذاك. وان السكوت على ذلك لفترة طويلة ثم اثارته من قبل الدولة الايرانية الحديثة بعد تسلم رضا شاه مقاليد الحكم، لهو اسلوب اريد به الحصول على مكاسب اكثر تمشيا مع سياسة «خذ وطالب».

تحديد الحدود العثمانية ـ الفارسية لسنة ١٩١٤

بنـاء على احكـام المادة الثانية من بروتوكول الاستانة لسنة ١٩١٣ تم تاليف قوميسون تحديد الحدود من مندوبي الدول الاربع (بريطانيا)[٨٠] وروسيا القيصـريـة[٨١] وفارس والدولة العثمانية «وباشر اعضاء اللجنة ونوابهم اعمالهم في المحمـرة حيث عقـدت اللجنـة جلستهـا الاولى في الثامن من كانون الثاني سنة ١٩١٤ وتـوالت اجتـماعاتها وفقا لنظامها الداخلي، حتى اتمت اجتماعاتها في ٢٦ تشـرين الاول ١٩١٤ استمـرت اجتـماعـاتهـا قرابة عشرة اشهر». وقد سجلت اعمال اللجنة في محاضر تفصيلية للجلسات التي عقدتها في (٨٧) محضرا. وتعتبر هذه المحـاضـر من المستنـدات الدولية الرسمية التي يستند اليها موضوع الحدود بين الدولتين العثمانية والفارسية.

لقد اقرت هيئة القوميسون Delimition Commission (تحديد الحدود) في جلستها الثانية والثالثة تفاصيل الحدود التي نص عليها بروتوكول الاستانة لسنـة ١٩١٣[٨٢] ورسمت خرائط تفصيليـة كبيرة وجـديدة للحـدود. وقد

---

(٨٠) المندوب البريطاني هورواتيسلو Wratislaw وهو الموظف الاقدم في الدائرة القنصلية الشرقية وبعد مرضه خلفه نائبه ارنولد ويلسون Sir Arnold Wilson . .

(٨١) المندوب الروسي هو مينورسكي الموظف في الملك الدبلوماسي الروسي الامبراطوري .

(٨٢) Ruder, Demarvation of the Turko-Perian Boundrary, 1913-1914 in Geographical Journal Vol. 66-3 (1925) pp. 227.272.

اوضحها جدول اوصاف الحدود الملحق بمحاضر جلسات القوميسون. وبلغ عدد هذه الخرائط التفصيلية ١٨ خارطة اشرت عليها(١٢٤)دعامة تخص الحدود. وقد اتمت اللجنة تحديد الحدود على الطبيعة، مبتدئة من شط العرب ومنتهية بآرارات حيث توجهت الى شط العرب وواصلت عملها الشاق لتحديد الحدود والاشارة اليها بعلامات في اراضي الحدود ذاتها. وانجزت اللجنة مهمتها بغاية من الصعوبة وبدقة ومهارة. وكانت نتيجة عملها ان اتمت بشكل كامل الاشارة الى الحدود وذلك بوضع اعمدة لها تثبت اوصافها وارقامها(٨٣) وبلغ عددها(٢٢٣)دعامة وشملت جميع الحدود بين فارس والدولة العثمانية .

وعلى هذا فقد اصبحت الحدود في شط العرب تسير على الوجه الاتي :
«تأتي الحدود من العرض وتمس ضفة شط العرب اليسرى الى نقطة مسافة ميلين نازلا من القلعة العائدة حاليا الى الشيخ خزعل - رصد موقع هذه القلعة من شرفة دائرة البريد العثمانية في الفاو حيث تحقق سمتها مع الشمال هو درجة ٨٧ من هذه النقطة تتبع الحدود مستوى المياه المنخفضة لضفة شط العرب اليسرى الى جزيرتين واقعتين امام منيوحي التي تحيط بهما بشكل يتركهما لفارس، ثم تأتي الحدود مباشرة لتنظم لخط المستوى المذكور وتتبعه الى اربع جزر واقعة بين جزيرتي معاوية وشطيط بعد ان تلتف حول هذه الجزر بشكل يتركها في الاراضي الفارسية، تختلط الحدود ثانية مع خط مستوى المياه المنخفضة وتتبعها الى جزيرة محلية التي تؤلف قسما من الاراضي الفارسية مع الجزيرتين الواقعتين بين هذه والضفة الفارسية. وبعد ان تحيط محيلة متبعة دائما نفس المستوى، تأتي الى نقطة حيث يبدأ ميناء او مرسى المحمرة،نقطة متقدمة من ضفة كارون اليسرى بالقرب من ملتقاه مع شط العرب»(٨٤) .

---

(٨٣) يمكن الرجوع اليها مطبوعة بعنوان «مجموعة محاضر جلسات قومسيون تحديد الحدود التركية الفارسية لسنة ١٩١٣ ٨ ٤ في دار الوثائق التابعة لرئاسة مجلس الوزراء التركي باسطنبول وقد قامت الحكومة العراقية بطبعها مترجمة (بغداد - ١٩٤٨) كما يمكن الرجوع اليها في دائرة السجلات البريطانية بعنوان :
Extract from the Minutes of the Delimitation of 1914. F.O. 371-18973.

(٨٤) محاضر الجلسة الثانية المنعقدة في ١٦ كانون الثاني سنة ١٩١٤ على ظهر الباخرة الفارسية كرون .

لكن المندوب العثماني طلب تغيير عبارة في المحضر بعد ان وجد ان الجزر التابعة لفارس قد جرى تعدادها عند الوصف في حين ان الجزر العائدة للدولة العثمانية لم تذكر. ورأى ان تكون الصيغة : «من النقطة تتبع الحدود مجرى شط العرب الى البحر تاركة تحت السيادة العثمانية النهر وجميع الجزر الموجودة فيه» وقد جرى نقاش بين المندوبين الفارسي والعثماني حول هذه النقطة. ثم تقرر ان تدخل عبارة «الجزر الاخرى تعود للدولة العثمانية» .

وتستمر محاضر جلسات قوميسون الحدود في اكمال وصف خط الحدود في شط العرب حيث تذكر(٨٥) : «يتحول خط الحدود من تويدجات بخط مستقيم في وسط مجرى ماء الشط الذي يتبعه عند مرور بين الضفة الفارسية والجزيرة المسماة ام الرصاص في قسمها الشرقي وام الخصاصيف في قسمها الغربي، الى ان يصل امام المدخل الشرقي لقناة الخيين ـ الذي يميز بوساطة علامتين مبنيتين بالطابوق عند نهاية هاتين الضفتين واللتين تحملان كلتاهما رقم (١)(٨٦) فيدخل خط الحدود القناة ويتبع وسط مجرى الماء الى نقطة تقع على مسافة (٤٠٠) قدم غرب نقطة اتصال نهر العرابيد بنهر الخيين»(٨٧) .

ويبدو لنا من دراسة محاضر جلسات قوميسون الحدود بشأن خط الحدود في شط العرب انها قد تثبت الحدود على طول خط الماء الواطيء للضفة الشرقية من شط العرب كلها عدا استثناء واحد امام ميناء المحمرة يتحول فيه خط الحدود في وسط مجرى الماء من موقع تويدجات الى موقع التقاء قناة الخيين بشط العرب. وطول هذا الاستثناء من الشط حوالي (سبعة وربع) كيلو متر من اصل (١٠٩) كيلو متر طول شط العرب من نقطة التقاء الحدود بين الدولتين في شط العرب عند قناة الخيين حتى الخليج العربي .

---

(٨٥) محضر الجلسة الثالثة المنعقدة في ١٢ كانون الثاني سنة ١٩١٤ على ظهر الباخرة العثمانية مرمريس .
(٨٦) للدعامة الاولى من دعامات الحدود .
(٨٧) يبلغ طول هذا القسم زهاء سبعة كيلومترات وربع .

وقد ثبت محاضر الجلسات هـذه حقوق فـارس في مياه شط العـرب في الاستثناء المار الذكر فاصبح ذلك الجزء المستثنى مياها تابعة لفارس. ويعلق نوسشي[88] على ذلك بقوله ان تحديد هذه التخوم الجديدة جاء وفقا لمصلحة الشركة الانكليزية ـ الفارسية للبترول .

ولكن نلاحظ في محضر الجلسة الثالثة تأكيدا قاطعا من جانب فارس على ان شط العرب حتى الخليج العربي وكافة الجزر الموجودة فيه عدا مااستثنى منها تعود ملكيتها الى الدولة العثمانية. وبناء على ذلك فلميناء البصرة المسؤولية الكاملة في ادارة الامور الملاحية في شط العرب

ويتضح من محاضر جلسات قوميسون الحدود انه قد تمت تسوية معظم الخلافات ماامكن التوصل الى تسوية فرعية خاصة بهذا الموضوع. ونتيجة لذلك اعتبر شط العرب كله ـ عدا استثناء واحد ـ داخلا في سيادة الدولة العثمانية وتحت سلطتها .

وهكذا تم تخطيط الحدود. ويذكر السيد ارنولد ولسـون[89] الذي كـان يشغل منصب رئيس اللجنة. انه قد تم تثبيت ٢٢٣ عمودا في اقل من سنة بين فارس والدولة العثمـانية. والى هـذا الحد اوشكت المسـألة ان تنتهي .ولكن قيام الحرب العالمية الاولى اوقف اعمال اللجنة .

ومن المفارقات ان ايـران الحديثـة لم يرق لهـا ان تعترف بخط الحـدود العثمانية الفارسية لسنة ١٩١٤[90] وهي ترى انه كان نتيجـة ضغط روسيا القيصرية وبريطانيا، فجاء خط الحدود في بعض الاماكن غير متفق بوجه من الوجوه وحالة الاراضي من الوجهتين الطبيعية والجغرافية. وعملا باحكام الدستور الفارسي (المادتان ٢٢ ، ٣٤ من دستور (٥) اب سنـة ١٩٠٦،

---

(٨٨) لندره نومسكي ـ الصراعات البترولية في الشرق الآوسط ص ٥٢ .

(٨٩) لازم اللجنة منذ تكوينها فقد شغل وظيفة رئيس جماعة المسح ثم غدا نائبا للرئيس ثم عين رئيسا . راجع ولسون بلاد ما بين النهرين ص ٣٩٧ .

(٩٠) F.O. 371/19890. Humphrys to John Simon No. 246 Eastren, (Confidential)

والمادة (٣) من ذيل دستور (٧) تشرين الاول سنة ١٩٠٧، لايتسنى تغيير او تصحيح حدود الدولة من غير موافقة مجلس الامة، حيث لايمكن تعديل حدود الدولة الا بقانون خاص. لكن بروتوكول الاستانة وخط الحدود سنة ١٩١٤ لم ينالا موافقة المجلس الذكور. لذا فانه ينقصهما شرط جوهري لجعلهما مشروعين ليس من وجهة نظر القوانين المحلية فحسب وانما من وجهة نظر القانون الدولي ايضا[٩١] وتستشهد ايران بحكومة تركيا الحديثة التي حلت محل الامبراطورية العثمانية - إذ أنها لاتعتبرهما هي الاخرى وثيقة سياسية معترفا بها. وقد صرحت بصورة رسمية بانه لايتسنى اعتبار بروتوكول سنة ١٩١٣ ومحاضر الجلسات وثيقة سياسية مشروعة لانها لم تتم بالشكل الضروري لجعلها مشروعة. اي انها مااقترنت بموافقة مجلس المبعوثان العثماني ولا ابرمت من قبل السلطان الذي كان انئذ على رأس الهيئة التشريعية[٩٢] وعليه فان الحكومتين التركية والايرانية قامتا بعدئذ بالدخول في المفاوضات بقصد البت في مسألة الحدود بينهما. ولم تصبح الحدود نهائية الا بعد مااقترنت معاهدة سنة ١٩٣٢[٩٣] بموافقة مجلس الأمة في كل من تركيا وإيران.

وتبرر ايران عدم تقديم تحديد سنة ١٩١٤ والوثائق التي استند اليها بوقته الى البرلمان الفارسي الى ماتوقعته الحكومة من المعارضة ذلك انه قد ترك الشط بمجموعه الى الدولة العثمانية رغم انه فاصل بين المملكتين[٩٤].

اما العراق فانه اعتبر - فيما بعد - البروتوكول وخط الحدود وثيقتين شرعيتين[٩٥] ملزمتين لكل من العراق وايران، رغم انهما اقرا التخلي عن اقسام

(٩١) F.O. 371/17890. Humphrys to John Simon. No. 246 Eastren,)19(F.O. 371/18973. League of Nations, Official NOO. C. 22M. 10,1945, VII, Geneva, 1935.

(٩٢) [illegible]

(٩٣) راجع نص المعاهدة في: F O. 371/18973, Annex XI, op. cit. Agreement Regarding the definition of the Frontier Line between Persia and Turkey.

(٩٤) للزيادة في الاطلاع على وجهة النظر الايرانية الحديثة في هذا الصدد راجع: [illegible], Shatt Al Arab, the Facts behind the Issue.

(٩٥) محمود همي واخرون - دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠ ص ٩٨ - ١٠٢.

من ارض العراق وشط العرب لايران[٩٦] .

ويرد على الادعاء الايراني بان البروتوكول - كالمعاهدات السابقة - لم يتضمن نصا على التصديق . فضلا على ان البرلمان الفارسي كان قد حل منذ كانون الاول سنة ١٩١١ ولغاية كانون الاول سنة ١٩١٤ فكيف يمكنه ان يصدق عليها عند توقيعها . ولماذا تعترف ببروتوكول سنة ١٩١١ ولم يحظ هو الاخر بتصديق البرلمان، وتأبى الاعتراف بالوثائق التي تلته . كما ان اشتراك فارس في اللجنة المشتركة لتحديد الحدود على الاراضي واقامة الدعامات وتوقيع ممثلها المخول على محاضر جلسات الحدود يناقض تماما ادعاءاتها وثبت شرعية الوثائق المعقودة. كما ان المادة الخامسة من البروتوكول تنص على ان الحدود متى ثبتت من قبل اللجنة على الارض تصبح هذه الحدود نهائية ولايمكن ان تكون عرضة لاي تدقيق او تعديل .

يتضح مما مر ان ادعاءات السلطات الايرانية لااساس لها من الواقع ولاسند لها من القانون. وهي كثيرا ماتنقض معاهدات ابرمتها واعتقدت بصحتها ، بحجة او اخرى، دون الالتفات الى الالتزامات الدولية التي عليها وهدفها في كل هذا تحقيق مكاسب اقليمية جديدا[٩٧] .

معاهدة سنة ١٩٣٧
ومكاسب ايران الاقليمية

تتكون معاهدة سنة ١٩٣٧[٩٨] من ست مواد الحق بها بروتوكول من خمس مواد وكتبت في طهران باللغات العربية والفارسية والفرنسية. وعند وجود اختلاف بكون النص الفرنسي هو النص المعمول عليه .

---

(٩٦) للزيادة في الاطلاع على وجهة نظر العراقية في هذا الصدد راجع : وزارة الخارجية العراقية حقائق عن الحدود العراقية الايرانية .

(٩٧) وزارة الخارجية العراقية - تعليق على المزاعم والادعاءات الايرانية حول معاهدة الحدود العراقية الايرانية لعام ١٩٣٧ والوضع القانوني للحدود بين البلدين في شط العرب ص ٩ .

(٩٨) راجع نصها في F.O. 371/24574. Treaty Concluded Between Iraq and Iraq on July, 1937 .

واوضح في ديباجة المعاهدة ان الغرض من عقدها هـو تحقيق ماعلنـه الطرفان من (وضع حد بصورة نهائية لقضية الحدود بين دولتيهما

وقد نصت المادة الاولى منها على اعتبار بروتوكول سنة ١٩١٣ ومحاضر سنة ١٩١٤ وثائق مشروعة. كما نصت على ان يكون خط الحدود بين الدولتين عين الخط الذي تم تعيينه وتخطيطه من قبل اللجنة المذكورة اعلاه

وادخلت المادة الثانية من المعاهدة تعديلا جديدا على خط الحدود في شط العرب .

وقد تنازل العراق بموجب ذلك التعديل عن جزء من شط العرب امام عباذان بحيث يمر خط الحدود فيه بمجرى المياه ألعميق لمسافة يقرب طولها من ٧ر٧٥ كيلو مترا. وتقضي المادة الثالثة من المعاهدة بتأليف «لجنة لأجل نصب دعائم الحدود التي كانت قد عينت اماكنها اللجنة المذكورة (أي لجنة سنة ١٩١٤) وتعيين دعائم جديدة مما ترى فائدة في نصبه».

والمادة الرابعة حددت فيها الاحكام التي يجب ان تطبق على شط العرب ابتداء من المنطقة التي تنزل فيها الحدود البرية بين الدولتين الى النهر المذكور حتى عرض البحر .

اما المادة الخامسة فجاءت بتعهد الطرفين عقد اتفاقية بشأن صيانة وتحسين طريق الملاحة وبشأن اعمال الحفر ودلالة السفن واستيفاء الاجور والعوائد والتدابير اللازمة الاخرى في سبيل منع التهريب ، وكذلك بشأن كافة الامور المتعلقة بالملاحة في شط العرب .

وجعلت المادة السادسة ابرام الوثائق في بغداد باسـرع مايمكن وعنـدئذ تصبح المعاهدة نافذة المفعول .

اما بنود البروتوكول الملحق بالمعاهدة فكانت توضيحا لمواد المعاهدة. ومن

اجل توضيح المادة الثانية من المعاهدة كان البند الاول من البرتوكول .

والبند الثاني يخص تعهد الطرفين بعقد الاتفاقية المنصوص عليها في المادة الخامسة من المعاهدة. في مدة امدها سنة واحدة من تاريخ تنفيذ المعاهدة . لكنه اجاز تحديد هذه المادة باتفاق الطرفين ونص البروتوكول على ان تتولى الحكومة العراقية القيام بكافة الاجور التي ستعالجها الاتفاقية المذكورة خلال مدة السنة او مدة تمديدها .

والبند الثالث من البروتوكول ذكر « ان الاجازة التي يمنحها احد الفريقين لاحدى السفن الحربية او لاحدى السفن الاخرى الحكومية غير المستخدمة لاغراض تجارية العائدة لدولة ثالثة لاجل الدخول في احدى الموانيء العائدة الى ذلك الفريق والواقعة في شط العرب تعتبر اجازة منحت من قبل الفريق الاخر. وذلك لكي تتمكن السفينة المذكورة من استعمال المياه العائدة له في شط العرب عند مرورها منه . ومع ذلك عندما يمنح احد الفريقين اجازة من هذا القبيل عليه ان يخبر بذلك الفريق الاخر فورا » .

اما البند الرابع فقد ذكر انه « ليس في المعاهدات المبحوث عنها مايخل بحقوق العراق وواجباته وفق التعهدات التي قطعها للحكومة البريطانية فيما يخص شط العرب » .

هذا وعلى اثر التوقيع على معاهدة سنة ١٩٣٧ تم عقد معاهدة صداقة بين العراق وايران في ١٨ تموز سنة ١٩٣٧ (٩٩)، ومعاهدة أخرى بينهما لحل الخلافات بالطرق السلمية في ٢٤ تموز سنة ١٩٣٧ ، واتفاق خاص لتنظيم اعمال لجنة تحديد الحدود العراقية الايرانية في ٨ كانون الاول سنة ١٩٣٨ (١٠٠) .

---

(٩٩) راجع تحليل الموقف اتجاهها في: F. O. 371/20829, E 4755, Vritish Legation Tehran to the Right Honourable Anthony Eden. (Dated 28 th July, 1937).

(١٠٠) راجع نصوص جميع تلك المعاهدات منشورة في بداية الفصل وهي مقتبسة من مجموعة المعاهدات والاتفاقيات الثنائية المعقودة بين العراق والدول الاجنبية . ج٢ الذي اصدرته وزارة الخارجية جمع حسن الراوي وابراهيم معروف . ص ١١٥-١٤١ .

ولقد اخضعت الحكومة البريطانية معاهدة الحدود لسنة ١٩٣٧ بعد توقيعها للدرس لتقف على مدى موافقتها للرغبات التي سبق ان طرحتها في شباط سنة ١٩٣٧ اللجنة الفرعية الرسمية للشرق الاوسط في محضر اجتماعها الخمسين. وكان الموضوع الرئيسي الذي يهمها معرفته هو ضمان الحق القانوني للبواخر البريطانية فى المرور في شط العرب الى ميناء البصرة اولا، وعدم تعارض ذلك الحق بالنسبة لتنازل العراق عن خط الثالوك لايران امام عبادان ثانيا.

وقد جاء في التقرير الذي رفع بعدئذ ان «بعض النقاط في المعاهدة تلتقي مع رغباتنا وبعضها تختلف عما كنا نرغب فيه» فبالنسبة لضمان الحق القانوني لمرور البواخر البريطانية جاءت المعاهدة موافقة لرغبات بريطانيا، اذ اعطيت سفنها الحق في المرور في كافة مياه شط العرب بما فيها المياه الايرانية بمجرد حصولها على اذن من حكومة العراق. اما بالنسبة الى الملاحة في شط العرب فالمعاهدة ليست مرضية بقدر كاف كما كان مأمولا لها. وان نصوصها لاتلائم وجهة النظر البريطانية بسبب عدم ضمان المعاهدة استمرار صلاحية الملاحة في المرسى المتنازل عنه. كما ان اتفاقية الصيانة المنوي عقدها بين العراق وايران لايوجد تأكيد على انها ستتضمن ضمانات كافية او استمرار هذه الضمانات في حالة الغاء المعاهدة بعد فترة. والمهم هو وصول المفاوضات الخاصة باتفاقية الصيانة الى نتيجة مرضية.

واذا القينا نظرة فاحصة على المعاهدة وملحقها وجدنا: ان المعاهدة هي اتفاقية حدود عقدت بين بلدين عضوين في الهيئة الدولية، فهي والحالة هذه وثيقة دولية اتفق الطرفان المتعاقدان بموجبها على حل مشاكل الحدود بينهما بشكل نهائي. وانهما سوف يلتزمان بالواجبات المترتبة عليهما. وقد ظهر ذلك في ديباجتها التي اكدت بان عقد هذه المعاهدة سيضع حدا - وبصورة نهائيه - لقضية الحدود بين البلدين، اي ان المعاهدة ليست لها مدة محدودة وهو امر طبيعي في عقد معاهدات الحدود.

والمادة الاولى منها اعترفت صراحة وبشكل واضح لاغموض فيه بشروعية بروتوكول الاستانة الموقع في ٤ تشرين الثاني ١٩١٣ وبمحاضر جلسات لجنة الحدود لسنة ١٩١٤ . تلك الوثائق التي ابت ايران الاعتراف بها ووصفها ممثلها في عصبة الامم سنة ١٩٣٥ بانها وثائق مهملة وقديمة لاتواكب احتياجات العصر وليست ذات صفة قانونية تنفيذية ولا اثر للعدل والانصاف فيها. ولكن بموجب هذه المعاهدة اعترفت ايران بتلك الوثائق .

والمادة الثانية من المعاهدة أعطت لايران مكسباً جديداً بالاضافة إلى ما سبق أن كسبته سنة١٩١٤ أمام مدينة المحمرة. والغريب أن المعاهدة حققت لايران أكثر مما كانت تحلم به أمام عبادان في شط العرب، فقد جرى تعديل على خط الحدود في شط العرب بعد أن تنازل العراق عن منطقة من مياهه الوطنية بطول قدره ٧,٧٥كيلومتراً أمام عبادان (من النهاية الشمالية لجزيرة شطيط حتى الرصيف رقم «١» وهو برقم «٣» حالياً على طول خط الثالوك). وبذلك أصبح لايران منطقتان تكون لها مياهاً وطنية في شط العرب بطول (١٥) كيلومتراً إحداهما أمام المحمرة على طول خط وسط مجرى الماء بطول ٧,٢٥كيلومتراً والأخرى أمام عبادان على طول خط الثالوك بطول ٧,٧٥كيلومتراً.

اما الجزء الباقي من خط الحدود في شط العرب البالغ طوله ٩٤ كيلو مترا فهو مياه وطنية عراقية، وهو يسير على طول خط الماء الواطيء للضفة الشرقية اليسرى- من الشط(١٠١).

---

(١٠١) من المناسب ان نأي على تعريف المصطلحات التالية لتقف على الفرق فيما بينها :
(أ) خط الماء الواطئ : هو الخط الذي تكونه المياه على الشاطئ عندما ينخفض ماء النهر في الجزر الى اوطئ حد .
(ب) خط وسط مجرى الماء : هو الخط الذي يسير في منتصف النهر ويقسم المجرى الى قسمين متساوين بغض النظر عن جميع الاعتبارات الاخرى .
(ج) خط الثالوك : كلمة المانية تتكون من لفظتين Thal (بمعنى الوادي و Weg (بمعني المجرى فيكون معناها مجرى الوادي . واصبح مصطلحا دوليا لخط مجرى المياه الوسطى او التيار الذي يتوسط مجرى النهر .
راجع : محمد حافظ غانم ـ مبادئ القانون الدولي العام . ص ٣٢٣ .

وبذلك اصبح خط الحدود مع ايران ـ الذي يمر في منتصف النهر ـ اكثر حساسية(١٠٢) واصبحت مصالح العراق المتعلقة بالنفط وميناء البصرة اكثر تهديدا على اثر كل ازمة محتمل وقوعها بين البلدين .

وقد تنازل العراق عن هذا الجزء من مياهه الوطنية دون مقابل من ايران سوى اعترافها بصحة الوثائق التي تستند اليها الحدود. اما ايران فقد اعترفت بان شط العرب يكون مياها وطنية عراقية للسيادة العراقية الكاملة فيما عدا الاستثناءين .

ومن الملاحظ ان المعاهدة لم تتناول نصوصها تعريف الحدود بين العراق وايران بل انها احالت ذلك على برتوكول سنة ١٩١٣ ومحاضر جلسات لجنة الحدود لسنة ١٩١٤ فقد اكتفت باقرار تلك الوثائق وبخط الحدود الذي تعين بمقتضاها .

وبموجب المادة الثالثة من المعاهدة والمادة الاولى من البروتوكول اكد الطرفان تعهدهما بتاليف اللجان المشتركة اللازمة للاستمرار بنصب دعائم الحدود التي سبق ان تم تعيين محلاتها ولتعيين محلاتها لدعائم جديدة مما توجد فائدة لنصبها . بعد ان اعترفت الحكومة الايرانية بخط الحدود الذي عينته اللجنة السابقة .

ومن فحوى المادة الرابعة يكون شط العرب مفتوحا للملاحة امام السفن التجارية لجميع دول العالم بالتساوي. وقد سبق ان نصت معاهدة ارضروم الثانية لسنة ١٨٤٧ في الفقرة الاخيرة من المادة الثانية على ان للسفن الفارسية حق الملاحة في شط العرب بحرية تامة. اما بروتوكول الاستانة لسنة ١٩١٣ فلم ينص على الملاحة في شط العرب. وقد حصلت ايران على مكسب جديد بموجب هذه المعاهدة عندما نصت صراحة على ان يكون شط العرب مفتوحا لمرور السفن الحربية الايرانية والسفن الاخرى غير التجارية المستخدمة في

---

(١٠٢) جان جال بيريبي ـ الخليج العربي . ص ١٠٩ .

مصالح حكومية . فلم يكن من قبل للسفن الايرانية الحربية الحق في المرور بشط العرب الا طبقا لمبدأ حق الملاحة البري[103] .

ويلاحظ ان النص اقتصر على المرور فلا يجوز ان يتسع حق المرور للسفن الحربية الايرانية ، والسفن الحربية المجازة لدولة ثالثة الى حد السماح بالقيام في ممارسة اعمال الاكراه او التنفيذ -كأعمال الحراسة مثلا- في القسم العراقي من شط العرب .

ويرى البعض في معرض مناقشة وجهة نظر القانون الدولي[104] ان ايران حصلت على مكسب جديد لم يكن لها من قبل عندما قيد المفاوض العراقي - في البند الثالث من البروتوكول - العراق بمشاركة ايران له في الاجازة التي تمنح لاحدى السفن الحربية او السفن الاخرى الحكومية غير المستخدمة في اغراض تجارية والعائدة لدولة ثالثة تعتبر ممنوحة من الفريق الثاني. ولكن لما كان العراق مالكا لشط العرب وله السيادة التامة عليه فله الحق في ان يسمح لاي سفينة في الدخول بدون حاجة الى موافقة ايران او علمها. لذا فليس هناك سبب يدعو الى التقييد سوى الجهل بالمعاني التي تضمنتها المعاهدة والخضوع لطلبات المفاوض الايراني بدون مبرر .

هذا وقد حددت المادة الرابعة العوائد التي تجبى من قبل اي من الطرفين ممارسة منه لسيادته على مناطقه في شط العرب حددتها على اساس اجور الخدمات المؤداة على ان يخصص لتسديد كلفة صيانة وتحسين الملاحة .

---

(١٠٣) راجع الفقرة الاخيرة من المادة لمعاهدة ارضروم الثانية .

(١٠٤) جابر ابراهيم الراوي - الحدود الدولية : ٤٨٤ . وللاطلاع على تفاصيل وافية عن الجانب القانوني لمعاهدة ١٩٣٧ . راجع :

Abdul Hussein Al Quttife, Some Legal Aspects of the Iranian Attempt to Terminate the Iraqi-Iranian Boundary TREATY, 1937 (Review of Juridical Sciences-College of Law -University of Baghdad, Vol. I, No.2, 1969)

والمادة الخامسة ترتب عليها اختلاف كبير في وجهات النظر بين العراق وايران بشأن اتفاقية الصيانة والملاحة التي نصت عليها بسبب عدم وضوحها في المعاهدة. فهل تكون مسؤولية اللجنة المؤلفة بموجب الاتفاقية تنفيذية - وهذا يتنافى مع سيادة العراق - ام استشارية . ولهذا فلم يقدر للجنة ان ترى النور. والواقع ان واجبات اللجنة هذه - وهذا مكسب اخر لايران- من اختصاص مديرية ميناء البصرة وحدها وليس هناك مايدعو المفاوضين لان ينقلوه الى اللجنة لان ذلك يتنافى مع سيادة واستقلال العراق. فالحكومة العراقية مسؤولة دوليا عن الملاحة في شط العرب ليكون صالحا للملاحة باعتباره نهرا وطنيا. بينما ايران لم توافق على ادخال نهري كارون وبهمنتشير - وهما نهران وطنيان متصلان بشط العرب - ضمن صلاحية لجنة الصيانة والملاحة. مع العلم ان نهر كارون رافدا لشط العرب، ومايترتب على شط العرب يترتب عليه .

وقد تعهد الفريقان بعقد الاتفاقية الخاصة بالملاحة خلال سنة واحدة واذا لم يكن بالامكان عقدها فيجوز تمديد المدة باتفاق مشترك بين الطرفين ووافقت الحكومة الايرانية على انه خلال هذه الفترة او في حالة تمديدها تأخذ الحكومة العراقية على عاتقها كافة الامور المتعلقة بالملاحة في شط العرب. وليست هناك اية اشارة لمشاركة ايران في العوائد، كما لم تشر المعاهدة الى اي مجلس ادارة خاص لشط العرب يكون فيه لايران ممثل للاشراف على الملاحة - كما كانت تطالب - ولم تتطرق المعاهدة الى احتمال عدم تمديد المدة المشار اليها. وهي الحالة التي حصلت فعلا حيث لم تعقد اتفاقية الملاحة ولم يتفق الفريقان على تمديد مدة السنة(١٠٥) .

واخيرا فان مما يؤخذ على المعاهدة سنة ١٩٣٧ انها لم تنص على التغييرات التي قد تحصل في شط العرب لاتخاذ ضفة النهر كحدود. اذ ان التغييرات التي

---

(١٠٥) راجع نفس المقال السابق مترجما في مجلة العلوم القانونية : العدد (٢) كلية الحقوق جامعة بغداد - ١٩٦٩ بعنوان بعض الجوانب القانونية لمحاولة ايران انهاء معاهدة الحدود المعقودة بينها وبين العراق سنة ١٩٣٧ .

تحصل في النهر بصورة دائمية بعد عقد المعاهدة تثير المنازعات والخلافات .
كما ان موادها قد صيغت بالشكل الذي يوحي بـان ايران تملك النهـر كالعراق. وكان يجب ان تصاغ مواد المعاهدة بشكل تعهد بقطعة العراق - صـاحب النهر الشـرعي - على نفسـه يضمن بموجبـه مرور السفن في شط العرب(١٠٦) .

والواقع ان معاهدة سنة ١٩٣٧ قد حققت لايران مكاسب عديدة ماكانت تحلم بها من قبل اهمها :
اولا : حصلت ايران على مكسب جديد بتعديل حدودها في شط العرب بعد ان تنـازل العـراق لها عن (سبعـة كيلو مترات وثـلاثـة اربـاع الكيلومتر) من الاراضي العـراقيـة امـام مدينـة عبـادان. وهي مسافة اكبر مما كان الشاه يصبو اليـه حيث يؤخـذ من اقـوالـه للوزيـر المفـوض العـراقي في طهران سنة ١٩٣٦ عند مقابلته له ان العراق يحاسبني على المليم والسانتيم، واني لااريد اكثر من مبا بن في شط العرب امام عبادان(١٠٧) .

ثانيـاً: على الـرغم من ان شط العـرب نهر عراقي يجري في اراضي عراقيـة فقد سمـح لايـران -وهي غير مالكة للنهر- باستعماله والانتفاع به دون اجازة رسمية من السلطات العراقية.

ثالثا : جعل امر تقرير الضرائب والامور المالية والفنية والمتعلقة بالنهر من حق الدولتين والواقع يقرر ان للعراق وحدة الحق في البت بمثل هذه الامور.

رابعا : لم يؤخذ بنظر الاعتبار خط الحدود في شط العرب في موضوع استفادة ايران من مياه النهر رغم ان خط الحدود يمر من الخط الماء الواطيء حينا ومن خط الوسط حينا اخر ومن خط الثالوك حينا ثالثا .

---

(١٠٦) خورشيد شوكت : راندوزى ا الدوافع الخفية وراء مشكلة شط العرب . ص ٢١ .
(١٠٧) Ministry of Foreign Affairs, Comment on the Iranian claims concerning the Iraqi-Iranian Frontier Treaty of 1937 and the legel status of the frontier between the two countries in Shatt-al-Arab. p.9.

هذا ومن جهة اخرى فان المعاهدة فرضت قيودا عديدة على سيادة العراق في شط العرب. وان ذلك يشكل انتهاكا لسيادة العراق عليه بصفته اقليما عراقيا، وبوصفه نهراً وطنياً يجري في دولة واحدة ابتداء من اوله حتى مصبه في عرض الخليج العربي فيما عدا الاستثنائين الواردين في المادة الثانية من المعاهدة وهذه القيود هي :

اولاً : تقضي المادة الرابعة من المعاهدة ببقاء شط العرب مفتوحاً بالمساواة للسفن التجارية من اية جنسيه كانت. كما تقضي بان تكون العوائد المجبية في شط العرب من السفن من قبيل اجور للخدمات المؤداة وان تخصص فقط لتسديد كلفة صيانة وتحسين طريق الملاحة وغير ذلك من النفقات .

وتقضي تلك المادة كذلك بفتح شط العرب لمرور السفن الحربية والسفن العامة للفريقين .

وتنص الفقرة الاخيرة في نفس المادة: على ان خط الحدود في شط العرب لايؤثر في حق الطرفين في الاستفادة من مجرى الشط كله .

ثانيا: نصت المادة الخامسة على تعهد الطرفين بعقد اتفاقية لتنظيم الامور المتعلقة بالملاحة في شط العرب مما مهد لايران التوصل من وراء عقد الاتفاقية الى المطالبة بمشاركة العراق في السيادة على شط العرب .

ثالثا: اورد البروتوكول الملحق بالمعاهدة قيدا اخر على سيادة العراق في شط العرب مؤداه ان الاجازة التي يمنحها احد الفريقين لسفينة حربية او سفينة عامة تعود لدولة ثالثة لغرض الدخول في ميناء يعود الى ذلك الفريق في شط العرب، تعد اجازة منحت من قبل الفريق الاخر وذلك لتمكن السفينة سالفة الذكر من استعمال المياه العائدة له في شط العرب عند مرورها منه .

قضية التصديق على المعاهدة وموقف الشعب العراقي منها:

بعد مقتل قائد انقلاب سنة ١٩٣٦ الفريق بكر صدقي واستقالة وزارة حكمت سليمان في ١٧ اب ١٩٣٧ جاءت الى الحكم وزارة جميل المدفعي لتجد امامها امر تصديق المعاهدات التي تم عقدها في عهد حكومة الانقلاب. فكان من ضمن المنهاج الوزاري الذي اعلنته اقرار هذه المعاهدات من مجلس الامة حسب الاصول .

وبالنسبة لمعاهدة سنة ١٩٣٧ عرضت في باديء الامر على اللجنة المختصة بالمجلس بغية تقديمها الى المصادقة. ولكن اللجنة اعترضت بشدة على المادة الخامسة من المعاهدة والمادة من البروتوكول الملحق بها. وطالبت بتعديلها بحيث يترك للعراق مباشرة حق الرقابة على الصيانة والحفر في شط العرب، وتلافي سكوت النص في حالة عدم تمديد المدة .

وقد بذل سفير العراق في طهران بتكليف من حكومته جهودا كبيرة من اجل سد ذلك القصور الفني قبل التصديق على المعاهدة. غير ان وزارة الخارجية الايرانية رفضت الطلب بحجة عدم وجود اي غموض كما انه ليس سبب يدعو لسوء التفاهم حوله. وافهمت الوزير المفوض العراقي بان مدة الرقابة العراقية كانت موضع مناقشة شفهية بين السيد سميعي والدكتور ناجي الاصيل عند حضور الاخير الى طهران. وان ماااتفق عليه حينذاك هو الاجراء الوارد في المادة المنصوص عليها في البروتوكول الذي تريد الحكومة العراقية تعديله الان(١٠٨) .

وقدمت ايران تأكيدات شفهية مضمونها انه في حالة الاخفاق في الوصول الى اتفاق بشأن الصيانة في فترة السنة المحددة فان الاجراءات الحالية التي بمقتضاها يقوم العراق بتنظيم وادارة الملاحة بما في ذلك الجزء الايراني الجديد المقابل لعبادان ستظل قائمة سنة اخرى لحين التوصل الى الاتفاقية . اما اذا

(١٠٨) F.O. 371/21892, E 961.No. 18 (94-2-38) British Legation-Tehran to the Right Honourable Anthony Eden. (Dated 21st Jan.,1538).

تبين بعد فترة عدم امكان التوصل الى الاتفاقية فسترفض ايران استمرار حالة الامر الواقع (Statys Quo) وبالتالي سيقوم كل طرف بادارة الجزء التابع له من النهر . علما بان الشاه لايقبل تبادل المذكرات بشأن بقاء الامر الواقع .

وقد ارسلت تعليمات الى الوزير المفوض العراقي في طهران للالحاح على الحكومة الايرانية بقبول استمرار الوضع القائم لحين التوصل الى عقد الاتفاقية ، وعدم تحديده بمدة معينة . الا ان ايران عندما وجدت العراق يلح عليها اوعزت الى مدير ميناء المحمرة بان يتصرف بقوة حيال العراقيين في شط العرب . فكان موضوع احتجاج شديد من العراق سلمه الوزير المفوض العراقي في طهران الى الحكومة الايرانية .

وفي نفس الوقت طلبت الحكومة العراقية رأي الحكومة البريطانية حول المأزق الذي وجدت نفسها فيه . وفي إمكانية عدم التصديق على المعاهدة وقد وضحت الخطورة التي ستترتب على ذلك واحتمال عودة ايران الى وسائلها السابقة دون ان يكوت للعراق اي امل في مساندة فعالة من جانب عصبة الامم . وفي حالة التصديق وعدم الحصول من ايران على تأكيدات مرضية فسيأتي اليوم الذي تطالب فيه بادارة الاجزاء التابعة لها في شط العرب دون حاجة الى تنسيق(١٠٩) . وقد دلت القرائن حتى كانون الثاني سنة ١٩٣٨ على ان ايران لم تكن مصممة على عقد الاتفاقية في بحر السنة المنصوص عليها ذلك انها تبدي تلكوء ملحوظا في اشتراك بريطانية في اللجنة .

وعلى اثر ذلك عقد اجتماع في لندن في ١٨ كانون الثاني سنة ١٩٣٨ بين ممثلي وزارة الخارجية والادميرالية البريطانية بحضور السيد كلارك كير سفير بريطانيا في بغداد . ناقش فيه المجتمعون اوجه المشكلة من مختلف جوانبها مع التأكد على مايمس المصالح البريطانية من مؤثرات

---

(١٠٩) F.O. 371/21892, E 462. Mr. Seal, Admiralty, to Mr. Baggally, No. M.O.472-140-3 (secret) proposed Shatt-at-Arab conservanoy convention. (Dated 29th Jan.6938).

وطرحت عدة اقتراحات وحلول مع دراسة نتيجة كل اقتراح. ومن هذه الاقتراحات اقتراح يقضي باتباع خطة سير نانشبول هاكسن (Knatohoull Hugesens's Plan) القاضية بتشكيل هيئة وطنية تكون على اتصال دائم بهيئة مركزية استشارية، اي ان يشكل العراق وايران الهيئة. ويقتصر دور بريطانيا على دور الوسيط فيما لو نشب خلاف بينهما، على ان تمارس بريطانيا نفوذها بطريقة مستقرة تتمكن من مباشرة الرقابة المرغوب فيها والتي لايقبلها الايرانيون في صورة اتفاقية مكتوبة.

كما طرح اقتراح يقضي بعدم الحاح العراق على ايران لعقد الاتفاقية فتضع نفسها في مركز اضعف. وترك كل دولة تدير مياهها بنفسها وعندئذ سيصبح للعراق مركز اقوى يستطيع بوساطته ان يمارس وسائله للضغط على ايران. اذ ان العراق بقيامه بتطهير الاجزاء الخاصة به من شط العرب سيجعل الطمي يتكدس في الجزء التابع لايران. وعليه فان ايران ستطلب عقد الاتفاقية وفي وقت يكون فيه العراق في موقف يسمح له بان يملي شروطه. ولكن ممثل شرط النفط الانكليزية - الفارسية اتفق مع الكولونيل وورد مدير ميناء البصرة بان تقسيم الرقابة بهذا الشكل يترتب عليه حوادث خطيرة في عبادان. ولابد من ايجاد رقابة موحدة وعدم ترك الامور تسير في ذلك المجرى الخطر بدون اتفاقية.

واخيرا اتفق على صيغة تمثل وجهة نظر الحكومة البريطانية ابلغت الى الحكومة العراقية بشأن السياسة التي ستتبعها في موضوع اتفاقية الصيانة والملاحة لشط العرب جاء فيها «إن حكومة الملك ترى انه لاضرورة لتمسك العراق بضمانات اخرى من الحكومة الايرانية. وان الهدف الاهم هو ابرام المعاهدة وان التلكؤ في ابرامها خطأ كبير»(١١٠)

---

(١١٠) F.O.371/21891, E 397. A Meeting in Mr. RendelS Room at 3-0 p.m. on Tuesday, Jan. 18, to discuss the policy of His Majesty Government regarding negotiations for a conservancy convention on the Shart at-Arab. (21 Jan. 1938)

وعندئذ خشيت حكومة جميل المدفعي من ان يسبب اعتراضها هدم المعاهدة ويعيد الامور الى ماسبق فغضت النظر عن الموضوع واستجابت الحكومة البريطانية .

وكان من اكثر المتحمسين للتصديق على المعاهدة توفيق السويدي الذي واكب تطورات القضية منذ ان كان سفيرا لبلاده في طهران. وصار يدافع عنها دفاعا مستميتا. ويعلق طه الهاشمي على موقفه هذا بقوله: كأنما هو الذي عقد المعاهدة. (١١١)

ولما شرع مجلس النواب في مناقشة المعاهدات في الجلسة النيابية السابعة عشرة المنعقدة في ٦ اذار سنة ١٩٣٨ وافق على ثلاثة منها بالاجماع بدون مناقشة تذكر. اما معاهدة الحدود فبالرغم من انها قبلت باكثرية (٨٣) صوتا ضد عشرة اصوات الا انها كانت موضع مناقشة حادة .

وكان ابرز من تعرض لها بالنقد رستم حيدر حيث اشار الى ان وزارة جميل المدفعي القائمة لم تكن مسؤولة عن هذه المعاهدة ذلك ان عقدها قد تم في ايام الوزارة السابقة. وهو لايقصد من معارضة التصديق عليها ان يضع حكومة المدفعي فى موقف حرج او اضعاف سلطتها. ولايصح توجيه اي لوم لها بشأن ما في المعاهدة من عيوب . لكنه وجه لومه الشديد الى ناجي الاصيل فقال: وقع عليها في طهران دون موافقة الوزارة في العراق. ويظهر ان الموافقة وقعت فيما بعد، فاذا لم يكن للتشريفات وانغام الطبول والزمور تأثير على - هذه المعاهدة - لماذا قام الوزير بهذا العمل وحده (١١٢). وقد ابدى رستم حيدر استغرابه من استسلام المفاوض العراقي، وضربه مصالح العراق عرض الحائط .

---

(١١١) مذكرات طه الهاشمي (١٩١٩ - ١٩٤٣) . ض ٢٤٥ . .

(١١٢) محاضر مجلس النواب العراقي لسنة ١٩٣٧ =» ١٨٠ . كما يمكن الرجوع الى وصف المناقشة التي دارت في مجلس النواب في يوم ٦ اذار سنة ١٩٣٨ في : «Iraq Times» Monday, March 7 th, 1938.

ويعلق خليل كنه في مذكراته على موقف رستم حيدر هذا فيقول «ان رستم حيدر كان اعنف المعارضين للمعاهدة. ومن اقواله المأثورة ماخاطب به وزير الخارجية ناجي الاصيل «رأى قيصر فأراد فانتصر غير أنك أيها الوزير رأيت رغبت فاستسلمت»[113].

واعترض طه الهاشمي[114] شقيق ياسين الهاشمي ورئيس اركان الجيش قبل لانقلاب - على اشراك ايران في الملاحة في شط العرب فقال «ان الغبن في المعاهدة واضح. فلما كانت الاتفاقية قد خولت ايران حق مرور بواخرها في شط العرب بكل حرية وهذه معطاة الى سفن جميع الدول. . لذلك لم يكن لايران اي حق ان تطلب شيئاً اكثر مما هو موجود في الاتفاقيات السابقة[115].

وانتقد محمد مهدي كبه المعاهدة باعتبارها منحت إيران «حقوقاً وامتيازات أخرى لم تكن لها من قبل. الأمر الذي لا يتفق وحقوق السيادة والتملك التي ورثناها من الامبراطورية العثمانية. والتي ضمنتها لنا المعاهدات والبروتوكولات وجرى عليها التعامل منذ عهد بعيد»[116].

وفي نفس اليوم جرت مظاهرات صاخبة في بغداد والبصرة احتجاجا على مناقشة مجلس النواب اللوائح القانونية لابرام هذه المعاهدات. واتهم الاصيل بانه وافق على المعاهدة من دون ان يكون له تفويض بذلك خلافا لقرار مجلس الوزراء[117] واقفلت المتاجر وعطلت الاعمال. والقت الشرطة القبض في بغداد على اكثر من عشرين مواطنا من منظمي الحركة. ورغم هذا فقد تجمع عدد كبير من الطلاب في الطريق المؤدي الى البرلمان وحاولوا اقتحامه ولكن تدخل الشرطة الخيالة في الامر حال دون وصول المتظاهرين الى المجلس.

---

(١١٣) خليل كنه ـ العراق امسه وغده . ص ٥٧

(١١٤) استغل بكر صدقي غيابه اللاأ اوربا ، وكان وكيله فقام بالانقلاب .

(١١٥) محاضر مجلس النواب العراقي لسنة ١٩٣٧

(١١٦) المصدر نفسه

(١١٧) مذكرات طه الهاشمي . ص ٢٤٥ .

وقد فرضت الحكومة رقابة شديدة على الصحف. واصدر مكتب الرقابة تعليماته بخطر مهاجمة المعاهدة او التعرض لها بالطعن .وهددت الصحيفة التي لاتلتزم بالامر باغرقها وسادت بغداد موجة من الكآبة والحزن. ونعي الشعب حكومته لعدم استجابتها لرغباته المشروعة وتعنتها في هدر حقوقه . .

وفي البصرة امر متصرفها عبد الرزاق حلمي بجلد الطلاب القائمين بالمظاهرات على قارعة الطريق(١١٨). وقد باءت جميع الجهود التي بذلت لحمل مجلس الامة على رفض هذه المعاهدة بالفشل. ويعلق خليل كنه على موقف حكومة جميل المدفعي هذا بقوله «ان ذلك اثار عليها موجة من النقد المرير بسبب موقفها المتخاذل»(١١٩). وكانت وجهة نظر الحكومة ان الهياج الشعبي كان مبنيا على فكرة خاطئة حيث ظن ان ايران ستحصل على حقوق مساوية لحقوق العراق على كافة اجزاء شط العرب وان نصف النهر سيتنازل عنه الى ايران. وان بعض العناصر المعارضة للحكومة الحالية انتهزت فرصة اللغط الذي اثير حول المعاهدة لاثارة السخط على حكم رئيس الوزراء.

وبين ايدينا مذكرة سرية بعثها السفير البريطانية في بغداد الى حكومته فيها وصف وتعليق على الموقف من وجهة النظر البريطانية. فعنده ان المشكلة جاءت من ان بعضا من العراقيين لم يعملوا بمضمون المعاهدة. ولكنهم سمعوا من الغير بأنه قد نبذها بعض اقطاب الساسة فاخذوا يرددون بانها قضت على حقوق العراق. وقد اخبره بعض المدرسين الانكليز في العراق بان طلبتهم كانوا في هياج عظيم طيلة يومين من مناقشة المعاهدة في البرلمان(١٢٠).

والواقع ان ماعبر عنه السفير البريطاني يعطينا فكرة واضحة عن نظرة البريطانيين تجاه الحركات الوطنية بشكل عام في العراق. فهم يتجاهلون دائما

---

(١١٨) الحسني ـ تاريخ الوزارات العراقية . ج ٥ ص ٢٢ .

(١١٩) خليل كنه ـ المصدر السابق. ص ٥٧ .

(١٢٠) F. O. 371/21892, E 1579, No. 84. British Embassy, Baghdad to the Right Honour able, The Viscount Halifax, Marc., (1938)

بواعث تلك الحركات وابعادها. ويستخفون بتحركات الجماهير. ويظنون ان ماترده من اصوات لايتعدى ترديد الببغاء. وفاتهم ان الغليان الشعبي يعبر في كثير من الاحيان رغم استغلاله احيانا عن مشاعر وطنية صادقة ونقية، تكون كامنة في النفوس فاذا ماحركة انطلقت معبرة عن سخطها واستنكارها.

وفي معرض تعليق السفير البريطاني على الموقف يذكر ان هذه الحركة لن تبلغ مرتبة التهديد لكن الوزارات العراقية حساسة جدا من توجيه النقد اليها. وابدى تشككه في ان تعيش الحكومة الحالية طويلا. ولم يستبعد ان يقدم رئيسها استقالته. وذكر ان ناجي شوكت وزير العراق المفوض في انقرة والموجود حاليا في بغداد اخبره بان رئيس الوزراء متعب جدا وبدأ يفقد اعصابه رغم ان ثقته بنفسه عاليه ولاحظ انه قد ظهرت اصوات تردد كلاما كثيرا بشأن موقف نوري السعيد من قضية شط العرب وصلابته في مواجهة المشكلة. ولكن نوري السعيد يلتزم بالنصائح التي قدمت له بعدم العودة الى الحكم حتى يتهيأ الظرف المناسب له(١٢١).

وتكتشف لنا مذكرات طه الهاشمي عن اراء نوري السعيد في هذه الازمة حيث جاء فيها اجتمعت بنوري السعيد وهو يقول لي ان المذكرات السابقة حول معاهدة الحدود كانت على اساس تخصيص منطقة بطول كيلومترين لترسو فيها السفن الحربية الايرانية في عبادان. وان يكون لايران حق جباية الرسوم من البواخر التي ترسو في ذلك المحل مهما كانت جنسيتها. وان تفتش من قبل الشرطة الايرانية. اما التي تمر في طريقها فلا حق للايرانيين عليها. وكذلك ماتحت الماء في مرسى عبادان فانه ملك للحكومة العراقية تتصرف فيه كما تشاء لاجل الحفر تسهيلاً للملاحة. ولم يجر البحث حول اشراك الايرانيين في لجنة الملاحة على قدم المساواة، اذ ان الظاهر كما كان يرنو اليه الايرانيون الاشتراك الفعلي في لجنة الملاحة على اساس التصرف مناصفة في ممتلكات

---

(١٢١) Ibid

ادارة الميناء وبواخرها وحفاراتها. وان تكون الادارة على التناوب بين الايرانيين والعراقيين والمقر في البصرة عندما تكون الادارة تحت اشراف العراقيين. وفي المحمرة عندما تكون تحت ادارة الايرانيين، وكذلك نصف الموظفين منهم. فلم تتطرق الحكومة العراقية لذلك ولم ترغب فيه مطلقا. وهو يعتقد ان ابراهيم كمال مستاء ويفكر في التخلص من الوزارة. وان المدفعي في وضعية قلقة. ويعتقد بان الوزارة تصرفت تصرفا سيئا في معاهدا الحدود وكان بوسعها ان تقبل ميثاق سعد اباد وتمهد السبيل لمطالبة المجلس بتأجيل النظر في المعاهدة الى حين الاطلاع على نتيجة المفاوضات فيما يتعلق باشتراك ايران في لجنة الملاحة حتى يكون التصديق عليها مرة واحدة. غير انها اساءت التصرف واقلقت الايرانيين وجلعتهم يستنجدون بالاتراك والبريطانيين(١٢٢).

ويبدو ان اقوال نوري السعيد(١٢٣) - وهو بعيد عن السلطة - فيها بعض المجافاة للواقع. فرغم انه كان مفاوضا متشددا - الى حد ما - في قضية شط العرب الا انه كما مر بنا وافق على ان يتنازل عن اربعة كيلو مترات لاعن كيلومترين كما صرح لطه الهاشمي. وهو في كل هذا يحاول القاء اللوم على حكومة الانقلاب التي تركت في نفسه جرحا بليغا لايمكن ان ينساه(١٢٤) وبالتالي على حكومة المدفعي حيث جرت العادة بان يتبادل الساسة العراقيون التقليديون الاتهامات فيما بينهم..

ومهما حصل فلقد تم ابرام المعاهدة في ٢٠ حزيران سنة ١٩٣٨ بعد ان جرى التصديق عليها طبقا للنظم الدستورية في البلدين. وتم تبادل وثائق

---

(١٢٢) مذكرات طه الهاشمي.

(١٢٣) راجع عنه: Lord Virdwood ,Nuri As. Said (London- 1951)

(١٢٤) ذلك ان بكر صدقي عمل على اغتيال وزير الدفاع جعفر العسكري صهر نوري السعيد. والمعروف ان نوري السعيد سعى الى القضاء على الانقلاب بوسائل شتى وهو في القاهرة وبيروت. وانهم الملك غازي بالتواؤ مع الانقلابيين. وبعد مقتل بكر صدقي وسقوط وزارة حكمت سليمان عاد الى بغداد وتابع العمل في ميدان السياسة. انظر ابو خلدون ساطع الحصري مذكراتي في العراق ج١. ص ٨٦.

الابرام في شأنها . وابلغت الى عصبة الامم فتم تسجيلها لدى امانتها ونشرت في مجموعة معاهدات العصبة(١٢٥) . كما صدقت بالقانون العراقي رقم ١٦ لسنة ١٩٣٨ .

وقد صرح رئيس الوزراء جميل المدفعي بعدئذ بانه اراد تعديل المعاهدة او رفضها . ولما استشار الحكومة البريطانية كان جوابها بقبول المعاهدة ، وكذلك لما استشار الحكومة التركية الصديقة كانت توصيتها قبول المعاهدة ايضا . . وان المعاهدة اذا كانت في غير مصلحة العراق فهو مستعد للاستقالة ، لتحمل مسؤولية رفضها وزارة اخرى(١٢٦) .

لجنة تخطيط الحدود لسنة ١٩٣٨

تم في ٨ كانون الاول سنة ١٩٣٨ اتفاق وقعه وزير الخارجية العراقي والوزير المفوض الايراني ببغداد يبحث في تنظيم اعمال لجنة تخطيط الحدود العراقية الايرانية ، كما نصت عليه المادة الثالثة من معاهدة الحدود الموقع عليها في طهران بتاريخ ٤ تموز سنة ١٩٣٧ . والمبرمة في ٢٠ حزيران سنة ١٩٣٨ . والمادة الاولى من البروتوكول الملحق بالمعاهدة المذكورة والموقع عليه في نفس التاريخ .

وقد جاء الاتفاق الذي كتب باللغة الفرنسية في ستة عشر مادة(١٢٧)نصت المادة الاولى منه على تأليف اللجنة من ممثلين عن كل دولة . يعاونهما عدد من المساعدين . واذا حصل اختلاف بين الممثلين فتمكن احالته الى حكومتيهما لايجاد حل له بالطرق الدبلوماسية . وان تدون محاضر جلسات اللجنة باللغات العربية والايرانية والفرنسية . وعند وجود اختلاف يكون النص الفرنسي هو النص المعول عليه .

---

(١٢٥) نشرت في مجموعة معاهدات العصبة ج ١٩ . ص ٢٥٦ انظر ايضا :
F. O. 371/20735, E 5215 perso- Iraqi Fronteir Dispute- Shatt- al Arab. 6 Srab 6. Sept., 1937)

(١٢٦) مذكرات طه الهاشمي ص ٢٤٥

وقد حددت المادة الثانية اعمال اللجنة بتخطيط الحـدود وذلك بتعيـين الاحداثيات الجغرافية بالضبط للدعائم الحدود الجديدة والقديمـة وذلك بتهيئة خارطة حديثـة لكل الحـدود توضـح حدود سنـة ١٩١٤ والدعـائم والاعمدة التي تشيدها اللجنة في الفترة التالية .

ويخصوص اجتماعات اللجنة ذكرت المادة الرابعة ان اجتماعاتهـا تتم اسبوعيا لتدوين نتائـج الاعمال التي انجـزت في المحضر. وتعيـين المنهاج الواجب اتباعه .

واعتبرت المادة الخامسة محاضر لجنة تحديد الحدود لسنة ١٩١٤ بما في ذلـك المحـاضـر من جدول ووصف خط الحـدود ومـواقع دعائم الحدود والخـرائـط الاصليـة والاضـافيـة والمـادة الثانية من معاهدة الحدود لسنة ١٩٣٧ اساسا لاعمال اللجنة .

وتشير المادة السابعة الى ان على اللجنة تشييد دعائم اضافية على مسافات متقاربة بين الدعامات التي عينت اماكنها لجنة تحديد الحدود لسنة ١٩١٤ الا اذا كان خط الحدود خطا طبيعيا او ان طبيعة الارض لاتساعد على ذلك او لظروف استثنائية .

واشترطت المادة التاسعة ان تكون الخريطة الجديدة للحدود ذات مقايس ١/٥٠٠٠٠ ومحتوية عـلى مسح طـوبوغـرافي لمنطقة مساحتهـا خمسة كيلومترات على الاقل من كل جهة من جهتي خط الحدود .

وخولت المادة الحادية عشرة اللجنة الرئيسية بتعيين لجنة فرعية يعهد اليها باشراف على تشييد الدعائم والاعمدة في المواقع التي عينتها اللجنة .

اما باقي المواد فكانت في امور عامة كتحديد نفقات تشييد دعائم الحدود التي تتحملها الحكومتان مناصفة. وبتعهد الفريقين بتسهيـل سبل العمـل للجنة ووجوب المحافظة على الدعائم المقامـة وصيانتهـا. وبتنظيم محـاضر

جلسات اللجنة .

ويبدو من استعراض لاهم مواد الاتفاق الخاص بتنظيم اعمال لجنة تحديد الحدود العراقية - الايرانية، ان الاتفاق جعل الفصل التام في المسائل المتنازع عليها من اختصاص الحكومتين لتستعملا الطرق الدبلوماسية لحله. وهو يختلف في ذلك عن بروتوكول طهران لسنة ١٩١١ الذي جعل حل الاختلاف من شجن محكمة العدل الدولية. وعن بروتوكول الاستانة لسنة ١٩١٣ الذي خول اعضاء الدولتين الوسيطتين حله .

وبناء على ذلك الف العراق لجنة دائمة للنظر في الامور المختصة باعمال تلك اللجنة والبت فيها. وتتألف من المستر ماكدوكل نيابة عن وزارة الخارجية وتوفيق وهبي مدير المساحة نيابة عن وزارة الاقتصاد والمواصلات والمستر ادمز نيابة عن وزارة الداخلية .

ويبدو ان الاتفاق اراد تجنب الوقوع في اي التباس في المستقبل. فنلاحظ فيه تفاصيل مكررة لاعمال اللجنة وقد جعلها مقصورة على تشييد دعائم الحدود الجديدة ودعائم اضافية. ولكنه اعفى اللجنة من تشييد الدعائم في ظروف استثنائية ولم يأت بتفسير لتلك الظروف الاستثنائية .

وهو بذلك قد ضيق اعمال اللجنة ولم يمنحها اي صلاحيات لتكملة خط حدود او تأجيل اجتماعات فاصبحت اللجنة والحالة هذه لجنة فنية اكثر مما هي لجنة سياسية. على انها لم تمنح الصلاحيات التي سبق ان منحت للجان التي الفت قبلها .

وباشرت اللجنة اعمالها لتخطيط الحدود في كانون الاول سنة ١٩٣٨ وقد اتضح ان الوفد الايراني للتحديد لم يكن مهيأ تهيؤا كافيا لانجاز المهمة وخاصة من الوجهة الفنية. وقد ظهر ان الوفد كان مقتنعا - ان يكن حريصا - بان اعمال اللجنة يجب ان تتم خلال ثلاث او اربع سنوات. اما الوفد العراقي فقد جاء على لسان ماكدوكل (Mc Dougall) المستشار القانوني لوزارة

الخارجية العراقية واحد اعضاء اللجنة العراقية الدائمة «بانه كان ممونا من جميع الوجوه». وان الحكومة العراقية تحرص على ان تباشر اللجنة اعمالها بالسرعة المتيسرة لديها. وقد قدرت المدة لانجاز عملها بسنة واحد او اكثر بقليل. هذا فيما اذا لاقت مؤازرة الايرانيين. وانه تخفيفا للمصاريف يحبذ كثيرا ان يسارع في العمل[128].

ولما كان عمل اللجنة الرئيس تخطيط الحدود بانشاء اعمدة جديدة بدل اعمدة سنة ١٩١٤ مع اعمدة اضافية بينها، كما ان عليها ان تثبت بصورة نهائية نقطة الاتصال الوارد بيانها في المادة الثانية من معاهد الحدود، وهي التي تؤشر حدود المياه الايرانية من مجراها الشمالي والجنوبي في عبادان، وان تقوم بمسح مساحة اقلها خمسة كيلو مترات (نزالا) لما في طرفي الحدود مع تهيئة خريطة تلك المساحة، فان الحكومة العراقية قد طلبت من الحكومة الهندية تعيين ١٢ ملاحظا طوبوغرافيا تم استخدامهم في ٣ كانون الثاني سنة ١٩٣٩ تنفيذا لاحكام الاتفاق[129].

لكن الحكومة الايرانية اتضح انها غير راغبة او غير قادرة على تعيين ذات العدد من الطوبوغرافيين. اذ اقترح الوزير المفوض الايراني في بغداد على الحكومة العراقية اهمال المسح الجديد والخريطة المنصوص عليها. الا ان العراق رفض الاقتراح. وطالب بالحاح وجوب تنفيذ بنود الاتفاق الذي عقد بعد دراسة موارده دراسة عميقة ومفاوضة طويلة.

وعليه فقد قامت اللجنة بنصب الدعائم وفقا للفقرة الاولى من المادة السابعة من الاتفاق. فنصبت ٦٨ دعامة ابتداء من الدعامة القديمة رقم ١ الواقعة عند ملتقى نهر الخيين بشط العرب وانتهاء بموقع الدعامة القديمة رقم ١٠ الواقعة بالقرب من خرائب كشك البصرة في محافظة ميسان حيث نصب

---

(١٢٨) وثائق المركز الوطني ببغداد- ملفات البلاط الملكي ٢/٤/٥ : سري في ١٩٣٨/١٢/٢٩ تقرير عن القضايا الموقوفة - تحديد الحدود العراقية الايرانية - كتبه ماكدوكل .

(١٢٩) الوثيقة نفسها .

بدلها الدعامة رقم ٦٨ وقد صادقت اللجنة في محاضر جلساتها على تعيين وتثبيت ٦٠ دعامة من ٦٨ دعامة تم نصبها ويعتبر تثبيت هذه الدعائم تثبيتا نهائيا .

وكان من المقرر ان تستمر اعمال اللجنة لنصب دعائم الحدود اعتبارا من الدعامة رقم ٧٠ نحو الغرب حتى هور الحويزة لكن انغمار المنطقة بالمياه من جراء فيضان نهر كارون، وحصول بعض الخلافات بين المندوب العراقي والمندوب الايراني، جعل اللجنة تنتقل الى المكان المسمى (ام سير) في محافظة ميسان. وقامت باجراء المسح لتعيين شط الاعمى لغرض تعيين خط الحدود على الارض بصورة واضحة ومضبوطة كي تشيد دعامات الحدود ولما وجد المندوب الايراني تجاوزا على الاراضي العراقية من قبل السلطات الايرانية كالمخافر المشيدة، طالب بتأجيل اعمال اللجنة لاتمام عملية تخطيط الحدود. وعاد الوفد الايراني الى طهران في ايار سنة ١٩٤٠

والواقع ان الظرف الدولي الذي وجدت المنطقة نفسها محاطة به لم يكن يسمح بمواصلة اعمال اللجنة. وكان لابد ان تتوقف اعمالها. فالحرب العالمية الثانية كانت قد نشبت، والقوات البريطانية احتلت العراق على اثر الحرب العراقية البريطانية سنة ١٩٤١، والسفن الحربية البريطانية دخلت شط العرب وفقا لما نصت عليه معاهدة الحدود، والقوات البريطانية دخلت شط العرب وفقا لما نصت عليه معاهدة الحدود، والقوات البريطانية اتجهت لايران فاحتلتها رغم اعلان رضا شاه حياد بلاده فاجبر على التنال عن العرش لابته. ولم يكن للعراق او ايران حول ولاقوة للتغلب على هذا الظرف الدولي القاهر. مما سبب عرقلة اعمال اللجنة واجبرها على ان توقف اعمالها .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية كان واضحا ان اللجنة لايمكن ان تستأنف اعمالها دون ان تبت الحكومة الايرانية في التجاوز الذي ظهر للجنة على الاراضي العراقية. وقد نصت الفقرة الاولى من المادة الاولى من الاتفاق على انه «عند حدوث اختلاف بين الممثلين ولم يتوصلا الى حله فعندئذ يحيلان

الاختلاف الى حكومتيهما لايجاد حل له بالطرق الدبلوماسية ».ولكن شيئا من هذا لم يحدث . ولم تحاول الحكومة الايرانية ايجاد مخرج للازمة حتى سنة ١٩٤٩ حين عرض العراق عليها طلب محكم من دولة ثالثة .

وعندما طلب العراق رأي الحكومة السويدية في الامر اقترحت تحديد النقاط المتنازع عليها في بروتوكول واحالتها الى محكم تكون له سلطة استدعاء خبير فني في المسح يعتبر قراره قطعيا .

ولما عرض الاقتراح على الحكومة الايرانية لم تبد ارتياحا له . وفضلت عدم استئناف اللجنة لاعمالها وبقي الوضع كذلك حتى دخول العراق وايران في حلف بغداد . حيث اعيدت الاتصالات بشأن اعمال اللجنة ، وتم الاتفاق على قيام اللجنة بمواصلة تثبيت دعائم الحدود الباقية وفقا للاقتراح السويدي .

ولكن اللجنة لم يحدث ان اجتمعت ، رغم تبادل الحكومتين المذكرات بشأنها واستمرت حوادث الحدود . وقد حدث في اثناء انعقاد دورة حلف بغداد في كراجي اتصالات بين رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد ورئيس الوزراء الايراني اقبال بشأن اجتياز العقبات التي تحول دون اتمام اللجنة لاعمالها . فتم الاتفاق على حضور وفد عراقي الى طهران ، حيث تقرر في اجتماعاته مع الوفد الايراني تعيين محكم سويدي مختص بالمسح ليرأس اللجنة المشتركة لتثبيت دعائم الحدود تكون قراراته قطعية . واشترط ان الحلول التي يتفق عليها بشأن اية قضية لاتعتبر نافذة الا بعد الاتفاق على كل القضايا الاخرى .

وقد حضر المحكم السويدي . وقدم شروطا طلب تنفيذها قبل البدء في عمله . الا ان الحكومة الايرانية ارتأت تغييره بسبب عدم مرونته ، واستدعاء اخر بدله . ولكن لم يقدر للمحكم الجديد مباشرة عمله كما كان متوقعا له بسبب قيام ثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ في العراق

وقد قامت ايران جريا على عادتها في انتهاز الاحداث الداخلية في العراق للحصول على مكاسب جديدة. بالاتصال بالوضع الجديد، بعد مرور شهرين فقط على قيام الثورة، كما فعلت اثر انقلاب بكر صدقي سنة ١٩٣٦ مستفسرة عن رأي العراق في مباشرة المحكم الجديد لاعماله في اللجنة، ومطالبته باعادة تأليف اعضاء الوفد العراقي. واخذت تلح بطلبها على العراق بمذكرات متلاحقة، وهي تعلم جيدا ان العراق في اعقاب ثورته لم يكن بوضع يمكنه من الالتفات الى مشاكل الحدود المعقدة تلك. ولاشك ان هدف ايران من ذلك هو استغلالها عدم الاستقرار الذي اصبح العراق عليه لتفرض شروطها. وبذلك تكسب الجولة كما كسبتها سنة ١٩٣٧ ولكن شيئا من هذا لم يحدث. وهكذا بقي تشييد دعائم الحدود معلقا ولم يكتب له النجاح سوى له النجاح سوى تثبيت (٦٨) دعامة فقط كما مر بنا.-

محاولة عقد اتفاقية الصيانة والملاحة في شط العرب:

لقد كان مقررا بمقتضى المادة الثانية من البروتوكول الملحق بمعاهدة سنة ١٩٣٧ ان تقعد اتفاقية الملاحة والصيانة في شط العرب (Shatt al- Arab con- servancy and Navigation Convention) الوارد ذكرها في المادة الخامسة من المعاهدة في بحر سنة - ان امكن - من تاريخ تنفيذ المعاهدة.

وقد اصبحت المعاهدة نافذة المفعول في ٢٠ حزيران سنة ١٩٣٨ بعد تصديقها وفقا للنظم الدستورية في البلدين، الا انه لم يشرع في المفاوضات بين البلدين طيلة السنة التي اعقبت تاريخ تنفيذ المعاهدة. وكان لزاما في هذه الحالة ان تمدد المدة باتفاق مشترك بين المتعاقدين.

وخلال تلك السنة اعدت بريطانية مشروعا للاتفاقية بعد مشاروات لها مدير ميناء البصرة الكولونيل وورد. الا ان المشروع لم يقدم للحكومة العراقية نظرا لابلاغ الوزير المفوض الايراني في بغداد وزارة الخارجية العراقية بان ايران لاتقبل ان يكون احد اعضاء اللجنة المراد تشكيلها بريطانيا. وعلى ذلك

اتفق شفويا مع العراق على ان افضل خطة هي اعداد مشروع اخر للاتفاقية في حدود لاتتعدى لجنة مركزية تبدي نصحا استشاريا، وان يترك للعراق وايران وحدهما حق مزاولة سلطتها التنفيذية على مياهها الوطنية، وهو نفس المشروع الذي طرح في الاجتماع الذي عقده في لندن بتاريخ ١٨ كانون الثاني سنة ١٩٣٨ .

واستقر الرأي على ان يقدم العراق ذلك المشروع الى ايران في نهاية السنة المنصوص عليها في بروتوكول المعاهدة اي في (٢٠) حزيران سنة ١٩٣٩[١٣١]. الا ان وزير الخارجية الايرانية صرح بان بلاده لايمكنها ان تنظر موضوع بدء المفاوضات بشأن الاتفاقية قبل مرور ثلاث او اربع سنوات على توقيع معاهدة الحدود[١٣٢] . ومعنى هذا ان العراق سيستمر في ادارة شط العرب لحين التوصل الى عقد الاتفاقية على ان يطلع الحكومة الايرانية مرة كل ستة اشهر على ما يقوم به من اعمال وفقا لما نصت عليه معاهدة الحدود .

ولكن ايران رفضت حق استمرار العراق في تنظيم وادارة شؤون الملاحة في شط العرب متذرعة بأن معاهدة سنة ١٩٣٧ قد سكنت عن حالة «عدم تحديد المدة» . والغريب في الامر انها استغلت الان القصور الفني في المعاهدة الذي سبق ان نبهتها اليه الحكومة العراقية كما مر بنا . وبالرغم من انها هي التي تعمدت انكار وجود اي غموض في النص ورفضت بالتالي معالجة القصور فيه صارت الان تتذرع به وتؤكد عليه .

ويرد الدكتور عبد الحسين القطيفي على الحجة التي تستمدها الحكومة الايرانية من سكوت النص للطعن في حق العراق في تنظيم وادارة شؤون االملاحة في شط العرب بما يلي :

---

(١٣١) انظر مسودة الاتفاقية في كتاب وزارة الخارجية العراقية س ١٥٦٣٧/٢٣٧/٤ والمؤرخ في ١٩/١٢/١٩٣٩ الى رئاسة ديوان مجلس الوزراء العراقية .

(١٣٢) F. O. 37-1/23255. Enclosure in Baghdad Despatch No. 289 (Dated 13 th June, 1939(
Shatt al- Arab Conservandy and Navigation Convention.

١ ـ ان مبدأ حسن النية في تفسير المعاهدات لا يسمح للحكومة الايـرانية بالاستناد الى قصور فني ظاهر في نص البروتوكول تعمدت هي انكاره واصرت على عدم الحاجة الى معالجته بالرغم من تنبيه الحكومة العراقية الى قصور النص .

٢ ـ ان نية الطرفين اتجهت الى ضمان و-دة تنظيم مرفق الملاحة في الشط دون انقطاع خلال الفترة التي تسبق وضع تنظيم جديد بنص عليه في اتفاقية الملاحة في الشط قبل عقد اتفاقية الملاحة بينهما وذلك بالنظر لاهمية هذا التنظيم لمصلحة الطرفين وللمصلحة الدولية العامة لان الشط مفتوح لسفن جميع دول العالم .

٣ ـ ان قصور النص الناتج عن سكوته عن حالة عدم تحديد المدة يجب ان يسد بالرجوع الى القواعد العامة . وحيث ان القواعد العـامة تقضي باختصاص الدولة صاحبة السيادة على النهر في ان تقوم وحدها بتنظيم وادارة الملاحة في اجزاء النهر الخاضعة لسيادتها ، ولما كان شط العرب يخضع لسيادة العراق بمقتضى معاهدات الحدود ، فان من حق الحكومة العراقية وحدها ان تنظم الملاحة في شط العرب في مواجهة كافة السفن من اية جنسية كانت .

ومهما يكن الامر فقد عقد اجتمـاع بلندن في ذظ اب سنـة ١٩٣٩ حضره ممثلون عن وزارتي الخارجية والبحريـة البريـطانيتين ومصلحتي التجارة والبترول الى جانب مدير ادارة ميناء البصرة الكولونيل وورد لمناقشة عقد اتفاقية الصيانة والملاحة في شط العرب ، وما عسى ان تقدمه بريطانيا من مشروع جديد يحظى بقبول ايران .

وقد اثير موضوع احتمال رفض ايران اعمال الصيانة والملاحة التي يقوم بها العراق وموقف الحكومة العراقية في تلك الظروف فتقرر باقتراح الكـولونيـل وورد ان تقوم شـركة النفط الانكليـزية الايـرانية بتـذليل الصعاب مع الحكومة الايرانية وطلب معاونة الشركة المالية والفنية بهذا

الصدد(١٣٤) . ولكن وورد نبه الى ان الايرانيين يعتمدون اعتمادا كاملا على سلطات ميناء البصرة في تطهير الجزء التابع لهم من شط العرب . ولا يمكنهم ان يقدموا على رفض اعمال الجزء التابع لهم من شط العرب . ولا يمكنهم ان يقدموا على رفض اعمال الصيانة لما يعلقونه من اهمية كبيرة على تصدير النفط . اما فيما يتعلق بالملاحة فان وورد نبة الى خطورة تحرك السفن في مرسى عبادان دون اشارة صريحة من ضابط المراقبة بميناء البصرة . لذا فانه حث على وجود ايجاد سلطة رقابة تنفيذية موحدة بين العراق وايران لمراقبة السفن . واذا تعذر ذلك فلابد من وجود اتفاق مباشر بين الطرفين .

واتخذ قرار في هذا الاجتماع يقضي بجنة ليس هناك سبب يدعو العراق الى التحمس نحو المفاوضات المتعلقة بالاتفاقية طالما ان الظرف الحالي يحتم بقاء ادارة ميناء عبادان تحت اشراف العراق . الا ان وورد طالب في التوصل الى الاتفاق باقرب وقت ممكن قبل اعتزاله الخدمة في ربيع سنة ١٩٤٠ (١٣٥) .

ولقد تأجل موضوع بحث الاتفاقية طيلة سنوات الحرب العالمية الثانية ليحل بدله الاعداد لمشروع مشترك بين بريطانيا والعراق للدفاع عن شط العرب . وبايعاز من بريطانيا وضعت السلطات العراقية بالاشتراك مع قائد القوات البريطانية في العراق تفاصيل المشروع . وصدر بيان عن اهمية شط العرب لكل من العراق وبريطانيا جاء فيه «ان لشط العرب اهمية كبيرة بالنسبة للدولتين . وان البصرة الواقعة عليه هي ميناء العراق الوحيد . وانه مهم جدا بالنسبة للعراق ان يظل شط العرب مفتوحا للملاحة نظرا لمرور معظم صادرات العراق وارداته منه . وكذلك

---

(١٣٤) F. O. 371-23253, E 6903 - 38- 34. position regard to right of Iraqi Govt. to permit erection of jetties by Anglo- Iranian Oil Co., in Iraqi terrotorial waters .

(١٣٥) F. O. 371/23255, E 5810. Shatt al - Arab A Meeting at thr Foreign Office on 14th Aug. to discuss the question of a conservancy and Navigation Convention for the Shatt- Arab. (Aug., 1939) .

الحال بالنسبة لبريطانيا اذ ان شط العرب هو الطريق الوحيد الذي يمر منه البترول المستخرج من حقول آبار الشركة الانكليزية - الفارسية في عربستان لتصديره منه. والبصرة كذلك هي الميناء الوحيد الذي يمكن انزال الامدادات البريطانية فيه للمعاونة في الدفاع عن العراق او لارسالها بالطريق البري الى فلسطين ومصر(١٣٦).

وجاء في الاسباب الموجبة لخطة الدفاع انه لو بقي مدخل شط العرب من دون دفاع لامكن لقوات العدو المغيرة الصعود الى اعاليه دون مقاومة، والحاق اضرار بمصانع تكرير عبادان ومنشات ميناء البصرة. واذا حدث ان اغرق احدى سفنه في القناة لتوقف نقل البترول وحركة الملاحة في النهر لحين اتمام عملية التطهير.

واعطيت مهمة الدفاع عن مدخل شط العرب الخارجية الى الضابط البحري المساعد في الخليج العربي. اما المنطقة الداخلية فقد عهد امر حمايتها للسلطات العراقية التي عينت احد ضباطها قائدا للدفاع البري والجوي عن شط العرب.

وقد اثارت بريطانيا في هذا الوقت موضوع المياه الاقليمية العراقية ومايمكن ان تشمله لمدخل شط العرب الذي حرصت على ان يكون بعيدا عن النزاع لتؤمن دخول سفنها منه لاسيما خلال سنوات الحرب القائمة. وما اذا كان ضروريا ان تتضمن اتفاقية الملاحة والصيانة التي ستعقد مع ايران نصا يقرر ان موقع قناة الروكة داخل في المياه الاقليمية العراقية. ذلك ان اعتبارها في المياه العراقية سيلزم السفن الايرانية بقانونية دفع

---

(١٣٦) F. O. 371/23255, E 6709. no 544 (Secret) British Embassy Baghdad to rhe Right Honourable, The Vis- count Halifax. (22 Sept. 1939).

الرسوم دونما مناقشة. بينما اذا اعتبرت في البحر المفتوح فان حق الحكومة العراقية في جباية الرسوم قد يكون موضع شك. وهل من الافضل ان يستعاض عن كل ذلك بتثبيت تعريف شط العرب على الوجه الاتي: «ان لفظ شط العرب في هذه الاتفاقية يعني الشط الذي يجري من نقطة التقاء الحدود البرية للدولتين بالنهر المذكور حتى ابعاد البحر المفتوح، واحتوائه المداخل البحرية»(١٣٧) ذلك ان هذا التعريف ربما يكون اكثر قبولا لايران من ورود نص صريح لتحويل مدخل الشط.

ولكن رؤي ان اعادة تعريف شط العرب بعد ان عرفته المادة الرابعة من معاهدة الحدود سيلاقي رفض ايران بالتأكيد. كما انه سيلفت نظر ايران الى ضعف الموقف العراقي وان التوسع في تعريفه لاجدوى منه. فان امكن التوصل في المفاوضات الخاصة بالاتفاقية الى نهاية ناجحة فسوف لايبقى عمليا للحكومة الايرانية اي مصلحة في اثارة النقطة التي تنتهي فيها المياه الاقليمية لكل من العراق وايران. اما اذا اثارة ايران المسألة فان لدى العراق حججا قوية يستند اليها ليدلل بان قناة الروكة باكملها تقع في مياهه. وان تطهير العراق للقناة مدة عشرين عاما متصلة بلا منازعة من ايران يعتبر اقرارا واضحا بان العراق وحده صاحب السيادة على القناة .

وقد حدث في سنة ١٩٤١ ان وقف العراق مناهضا لبريطانيا اثر ثورة مايس. واعلن الحرب عليها: فاستخدمت بريطانيا شط العرب كوسيلة من الوسائل التي وجهتها لضرب الحركة. ودخلت بواخرها الحربية فيه لتحمي النظام المنهار ورجالاته من الطبقة الحاكمة العراقية. وقد التجأ الامير عبد الاله الوصي على العرش في الرابع من نيسان سنة ١٩٤١ الى احدى تلك البواخر المسماة «كوك شير» حيث استطاعت انقاذه من يد

---

(١٣٧) F. O. 371/23255, No. 239-24-39. E 7750. Basil Newton- British Embassy- Baghdad (Dated 12th Nov. 1939).

الثوار[139] واعلن تشرشل بانه لم يكن لنا مناص من التدخل في العراق وان علينا ان نؤسس قاعدة في البصرة. وان نراقب هذا الميناء للمحافظة على بترول ايران[140] وبذلك خضع العراق لاحتلال عسكري دام طيلةسنوات الحرب. وقد بررت بريطانيا عملها هذا بانها نفذت احكام الفقرة الرابعة من البروتوكول الملحق بمعاهدة سنة ١٩٣٧ حيث انها مستثناة من احكام المعاهدة والتقيدات التي وردت فيها. اضافة الى ان معاهدة التحالف المعقودة سنة ١٩٣٠ تغطيها الحق في استخدام كافة الموانيء والمواصلات والتسهيلات وقد جرى كل ذلك رغما عن «حكومة الدفاع الوطني» وبدون موافقة منها حيث انها كانت في حرب مع بريطانيا ولايمكن ان تمنحها مايحمل على القضاء على الحركة. وقد تعرضت الاراضي الايرانية هي الاخرى للاحتلال البريطاني رغم اعلان رضا شاه حياد بلاده واجبرته على التنازل عن العرش لابنه محمد رضا وبذلك خضع شط العرب بكلتا ضفتيه للاحتلال البريطاني العسكري المباشر في وضع شبيه بالوضع الذي كان عليه خلال سنوات الحرب العالمية الاولى .

مشكلة شط العرب بعد الحرب العالمية الثانية :

من الطبيعي ان تتوقف تطورات شط العرب طيلة سنوات الحرب ومابعدها بقليل. وكان الوضع في شط العرب يجري على اساس الحالة الراهنة. واستمر العراق يدير شؤون الصيانة والملاحة وكافة الامور الاخرى لحين التوصل الى عقد الاتفاقية .

---

(١٣٩) مجلة اخر ساعة - العدد ١٩٧٧ - ١٣ سبتمبر سنة ١٩٧٢ مقال بعنوان مفتي فلسطين الحاج امين الحسيني يرد على مذارات كمال الدين جلال. ص ١٣ .

(١٤٠) مذكرات ونستون تشرشلص ٢٢٧ .

ولم يحدث ان حركت القضية من جديد بعد الحرب حتى نيسان ١٩٤٩ حين طلبت ايران باعادة المباحث بشأن الاتفاقية . وقدم وزيرها المفوض في بغداد في الرابع من نيسان مذكرة الى وزارة الخارجية العراقية طالب فيها بنقل كافة سلطات وممتلكات مديرية ميناء البصرة الى لجنة ثنائية مشترمة يعهد اليها بادارة كافة شؤون الملاحة في شط العرب وان تخول هذه اللجنة سلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية على الاسس التالية : (١٤١) .

١ ـ تشكيل لجنة ثنائية تنفيذية يمثل فيها كل من العراق وايران بعضوين لادارة الملاحة في شط العرب وعلى اساس تناوب ممثلي الفريقين رئاسة اللجنة وتصدر قراراتها بالاجماع .

٢ ـ منح اللجنة اختصاصات واسعة في التشريع والتنفيذ والقضاء والادارة وعلم خاص واستيفاء الفوائد والاجور والبت في كافة الشؤون المتعلقة بالملاحة في شط العرب كالدلالة واعمال الحفر وصيانة العلامات الملاحية .

٣ ـ تنتقل الى اللجنة سفن ومنشات ميناء البصرة .

٤ ـ الزام الدولتين بقرارات اللجنة . .

ولاشك ان تلك الاسس لو قبلت فانها ستفرض على العراق مشاركة دولة اجنبية في ادارة مرفق عام يعمل في اقليم عراقي . الامر الذي يتعارض مع اختصاص الدولة في ادارة مرافقها العامة في اقليمها عن طريق سلطاتها الوطنية وكان من الطبيعي ان يرفض العراق عقد مثل هذه الاتفاقية . فاجابت وزارة الخارجية العراقية في ١٥ تموز سنة ١٩٥٠ الحكومة الايرانية بمذكرة رفعتها عن طريق السفارة الايرانية في بغداد بان العراق على استعداد لعقد الاتفاقية ولكن بموجب المبدأين التاليين : (١٤٢)

---

(١٤١) محمد طارق الكاتب شط العرب وشط البصرة والتاريخ ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .
وانظر ايضا : Vlrich Gehrke und Gurstav Kuhn ,Die Orenzen Des Irak ,pp. 250-251

(١٤٢) وزارة الخارجية العراقية ـ حقائق عن الحدود العراقية ـ الايرانية ص ١٧ .

١ ـ ان يحتفظ كل فريق بسيادته على اقسام شط العرب التي في منطقته ، لكنه يتعهد بان يمارس حقوقه وفقا للاحكام التي يتفق عليها بين الطرفين .

٢ ـ ان تكون صلاحية لجنة الشط استشارية لاتنفيذية يكون واجبها تمهيد السبيل لتقوم السلطات المختصة لدى الفريقين المتعاقدين كل من جانبه في اقسام شط العرب العائدة له باتباع نظم موحدة لادارة شط العرب الى اقصى حد ممكن . وعلى اللجنة ان تتلقى التقارير والمعلومات الاخرى بما في ذلك تعريفات العوائد والاجور من حكومتي الفريقين وتدرسها وتبدي مطالعاتها وتوصياتها حولها الى الحكومتين . وعلى الحكومتين المذكورتين ان تنيرا تلك المطالعات والتوصيات الاهتمام اللازم . .

الا ان الحكومة الايرانية رفضت المبدأ الثاني وسكتت عن القضية . وامتنعت منذ سنة ١٩٥٣ عن دفع اجور الحفر والدلالة المستحقة على بواخرها التجارية معلقة الامر على تسوية القضايا الموقوفة بين البلدين وعقد اتفاقية الصيانة والملاحة في شط العرب . وهي قضايا لا تمت الا هذه القضية بصلة ، اذ ان الحكومة الايرانية وافقت في الفقرة الاخيرة من المادة الثانية من البروتوكول الملحق بمعاهدة الحدود على قيام الحكومة العراقية بجميع الخدمات المتعلقة بالصيانة ومنها جباية العوائد التي تصرف عادة على تحسين وصيانة طريق الملاحة ومدخل شط العرب وعلى تدارك النفقات المتكبدة لصالح الملاحة .(١٤٣)

واصرت ايران عندما اثارت القضية مرة اخرى عام ١٩٥٥ على ان تكون صلاحية اللجنة تنفيذية . وان يكون لها حق الاشراف الكامل على الملاحة في شط العرب لتحل محل ادارة ميناء البصرة .

وللتوصل الى حل مرض للطرفين اتفقت الحكومتان على تأليف لجنة مشتركة من الجانبين لبحث جميع الامور المعلقة . وقد سافر وفد عراقي الى طهران عام ١٩٥٦ لحضور الاجتماعات التي عقدت في وزارة الخارجية

(١٤٣) نفس المصدر . ص ١٨ .

الايرانية . وتقدم الوفد العراقي بمشروع جديد [١٤٤] . ـ هو صورة تفصيلية للمشروع الذي سبق وضعه سنة ١٩٣٩ ـ واهم ما يلاحظ فيه :

١ ـ الاعتراف بسيادة العراق على مصب شط العرب ومدخله الرئيسي .

٢ ـ ان اللجنة التي تشرف على تنفيذ هذه الاتفاقية استشارية وليست تنفيذية كما اقترحت ايران في مشروعها .

٣ ـ ينحصر واجب اللجنة الاستشارية في الاقسام التي يكون فيها خط الحدود في منصف النهر مع الثالوك فقط في جميع اقسام شط العرب .

٤ ـ يعين رئيس اللجنة بالاتفاق بين الحكومتين ولمدة خمس سنوات قابلة للتجديد من بين رعايا دولة ثالثة تكون حمولة سفنها التجارية البحرية الداخلة الى شط العرب خلال السنوات الخمس التي تسبق تاريخ تنفيذ هذه الاتفاقية اكبر حمولة والتي تسبق شغور المنصب المذكور .
وفي هذه الحالة يكون من رعايا الحكومة البريطانية في الوقت الحاضر .

٥ ـ يتخذ كل فريق التدابير اللازمة بما فيها اعمال الحفر كل في اقليمه لتأمين ادامة قناة عميقة في شط العرب . اما في اقسام شط العرب التي تتبع فيه الحدود منتصف النهر او خط الثالوك فلأي من الفريقين القيام بهذا العمل بعد الحصول على اذن من اللجنة . وهذا يعني ان الحكومة العراقية ستقوم به حتما نظرا لامكانيات ميناء البصرة في انجاز ذلك .

٦ ـ بينت المادة السابعة عشرة من مسودة الاتفاقية حق استيفاء بعض الرسوم لملافاة كلفة الادامة وتحسين القناة ومدخل شط العرب وكافة النفقات المتعلقة بذلك عدا السفن البحرية والسفن الاخرى المستخدمة في مصالح حكومية غير تجارية ولا تعفى ناقلات النفط من الرسوم .

٧ ـ لا يحق للسفن العائدة الى دولة لم يتم الاعتراف بها من قبل الفريقين اعترافا كاملا الدخول والملاحة في شط العرب ، وكذلك السفن التي قرر احد الفريقين مقاطعتها ووضعها في القائمة السوداء .

---

(١٤٤) وثائق المركز الوطني ببغداد ـ ملفات البلاط الملكي ـ ملحق ـ تسلسل ٦٩ . كتاب وزارة الخارجية العراقية ـ الدائرة السياسية ـ الشعبة الشرقية. رقم ش /١٧٨٥١/٤/٨٥٠ (سري للغاية ومستعجل) الى رئاسة ديوان مجلس الوزراء موقع من وزير الخارجية برهان الدين باش اعيان .

٨ ـ جعلت مدة الاتفاقية (٢٥) سنة تبقى بعدها نافذة إذالم يشعر احد الطرفين الاخر قبل سنة من نفاذها برغبته في انهائها .

٩ ـ توقيع بروتوكول خاص يوضح اقسام شط العرب عندما تكون الحدود في منتصفه او تتبع خط الثالوك لا تقبل الشك يؤمن ترتيبات خاصة للملاحة وذلك تحاشيا للاخطار المحتمل وقوعها في حالة احداث سيطرة ثنائية في هذه الاقسام

ولكن دعوة العراق في مشروعه هذا لم تلق اهتماما من الدوائر الايرانية وقد اهملت من الجانب الايراني وعاد الوفد العراقي دون ان يحقق اي تقدم في نتائج مباحثاته .

والغريب ان المشكلة معلقة دونما اتفاق في ظل حلف بغداد الذي اشتركت فيه ايران الى جانب كل من تركيا والعراق وباكستان رغم ان جهودا كبيرة قد بذلت لمحاولت ابرام الاتفاقية . حيث اتفق على حضور وفد ايران الى بغداد للمفاوضة بشأن وضع اسس الاتفاقية وتأليف اللجان الخاصة بها . ولكن ايران اختلفت مع العراق في اصرارها على بدء عمل لجنة تخطيط ولجنة اتفاقية الصيانة والملاحة لشط العرب في آن واحد . اذ انها ترى ـ كما سبق ان مر بنا ـ ان الحلول التي ينفق عليها بشأن اي قضية لا تعتبر نافذة الا بعد الاتفاق على كل القضايا الاخرى . وهي بهذا لا تريد ان تتوصل الى حلول جزئية بشأن المسائل المعلقة .

وهذا اتجاه سليم لا شير فيه لو كان يخفي وراءه نية حسنة . ولكن واقع الامر ان ايران تصر على ذلك لانها لا تريد ان تنهي مشاكل الحدود وتثبيت دعائمها بدون موافقة العراق على عتبار لجنة الصيانة والملاحة في شط العرب تنفيذية لا استشارية كما يريد العراق . وهي بهذا وضعت الاتفاقية في الميزان . وكان من الطبيعي ان لا يوافق على الاقتراح الايراني . وبقي الحال على ما هو عليه حتى قيام ثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ حيث قدمت الحكومة

الايرانية الى وزارة الخارجية العراقية في (٢٥) ايلول مذكرة تطلب فيها وجوب تعيين اعضاء لجنة الاتفاقية ولجنة تخطيط الحدود لمباشرة اعمالها في الحال ، في وقت لم يمر على قيام الوضع الجديد اكثر من شهرين فقط . وعندما تأخر العراق في رده على المذكرة الايرانية ، هددت ايران بمذكرة اخرى سلمتها الى وزير العراق المفوض في طهران في الاسراع بتشكيل اللجنتين قبل تشرين الثاني سنة ١٩٥٨ ، والا اتخذت جميع الخطوات التي تراها ضرورية لتأمين مصالحها

وقد ساد العلاقات العراقية الايرانية بعدئذ في شط العرب توتر كبير . وحشدت القوات المسلحة على طول شط العرب . وكان الوضع ينبئ بالانفجار في اية لحظة .

وبعد مرور أقل من عام على ثورة العراق ابلغ وزير ايران المفوض في بغداد الحكومة العراقية في السابع من مارس سنة ١٩٥٩ بان بلاده اعلنت ان خسرو اباد قد اعتبر ميناء بحريا تابعا للمحمرة ، وطلبت من الحكومة العراقية الاعتراف به . وهو الهدف الذي كانت تخفيه من الحاحها على العراق اثر ثورته في وجوب التوصل الى اتفاق سريع بشأن القضايا المعلقة . وقد وجدت انها استطاعت ان تكسب ـ بسهولة ـ مرسى لميناء عبادان اثر الانقلاب سنة ١٩٣٦ فشجعها ذلك على ان تطالب مرسى اخر امام خسرو اباد اثر ثورة سنة ١٩٥٨

وميناء خسرو آباد سبق ان طلبت شركة النفط الانكليزية ـ الفارسية مديرية ميناء البصرة اجازة بناء رصيفين للشحن له بعد ان انجزت تشييد عدد من مخازن النفط . وكان العراق يتوقع منذ ذلك الوقت ان مشكلة عبادان ثانية ستخلق فيما اذا وافق على الطلب . ولكن بريطانيا ضغطت عليه بحجة انه لا يمكن ان يقف بوجه تقدم التجارة العامة في النهر فأذعن صاغرا للطلب

وقد اعترض العراق على الاعلان الايراني الجديد . ووضع لايران في مذكرة سلمت الى وزارة الخارجية الايرانية(١٤٥) في ٩ حزيران سنة ١٩٥٩ بأن خسرو آباد لا يصلح ان يكون ميناء بحريا من الوجهة الفنية . اما من الناحية القانونية فلأن حدود العراق تمتد بصورة عامة في شط العرب حتى مستوى المياه المنخفضة في الضفة الايرانية وفقا لاتفاقات الحدود ما عدا استثنائين محدودين في ميناء المحمرة وميناء عبادان . وان حدود العراق في خسرو آباد تشمل كل مياه شط العرب حتى مستوى المياه المنخفضة في الشاطئ الايراني . ولذلك فلا يجوز انشاء ميناء ايراني في هذه المنطقة لان مياهها اقليم عراقي يخضع للسيادة العراقية(١٤٦)

ولكن الحكومة الايرانية الحت على العراق بأربع مذكرات مستعجلة متلاحقة وباتصالات السفارة الايرانية المستمرة بان هناك بعض السفن الاجنبية وصلت الى مدخل شط العرب في الخليج العربي تنظر امر دخولها وان تأخيرها يكبد ايران مبالغ كبيرة . وطلب من العراق حلا سريعا للموضوع .

ومن الطبيعي ان امرا خطيرا كهذا لا يمكن للحكومة العراقية ان تتخذ موقفا سريعا بشأنه ، وان الموافقة عليه معناها تعديل الحدود العراقية الايرانية امام ميناء خسرو آباد وتنازل العراق عن جزء من اراضيه لايران . وكان قصد الحكومة الايرانية هو احراج موقف الحكومة العراقية الجديدة وقد تعودت ان تسلك سياسة خذ وطالب التقليدية في الحصول على حقوق جديدة في شط العرب .

ولما وجدت ايران من العراق لي قبول طلبها بأنها ستتخذ من جانبها الاجراءات اللازمة لحفظ ما سمته «حقها القانوني» ، ان لم تعمل السلطات

---

(١٤٥) مذكرة وزارة الخارجية العراقية (سري) رقم س ٦٥٢/٤/ مؤرخة ١٩٥٩/٦/٩ .
(١٤٦) وزارة الخارجية العراقية ـ حقائق عن حدود العراقية الايرانية . ص١٩ .

العراقية على ازالة العراقيل التي تضعها في هذا السبيل»(١٤٧) . وتمسكت باعتبار خسرو آباد ميناء ايرانيا ، مع ان مياهه مياه عراقية .

ومنذ ذلك الحين اخذت البواخر الايرانية ومعها بواخر شركة النفط الانكليزية - الايرانية تخالف تعليمات ميناء البصرة . وصارت تدخل شط العرب متجهة نحو خسرو آباد بحراسة زوارق مسلحة دون استحصالمرشدا عراقيا كما تقضي الاصول المرعية المعترف بها . كما عادت حوادث الحدود الى ما كانت عليه قبل ابرام معاهدة سنة ١٩٣٧ . وساد منطقة شط العرب توتر شديد بعد ان احتجزت السلطات الايرانية دورية عراقية كانت تقوم بواجبها على الحدود في ناحية شط العرب(١٤٨) .

وقد دعا العراق على لسان وزير خارجيته في ٢٩ كانون الاول سنة ١٩٥٩ الى وجوب حل الخلافات بالاساليب السليمة المباشرة وغير المباشرة ، وفي حالة فشلها فانه يعتمد على هيئة الامم المتحدة والهيئات الدولية الاخرى وانه يتمسك بحقوقه تمسكا شديدا ويدافع عنها بكل قوة ويرد عن نفسه اي اعتداء بكل الوسائل الشرعية .(١٤٩)

كما عرض العراق على الحكومة الايرانية سنة ١٩٦١ احالة الخلاف الى محكمة العدل الدولية . الا ان ايران رفضت دعوة العراق . واتهم الشاه محمد رضا بهلوي العراق بأنه يتبع «سياسة استعمارية» ولم تحاول ايران ان تتفاهم معه طيلة فترة حكم عبد الكريم قاسم . فساد العلاقات العراقية - الايرانية ركود شديد ممزوج بالتوتر والحذر . كانت منطقة شط العرب خلالها على أسوأ ما تكون عليه علاقات الجوار .(١٥٠)

---

(١٤٧) وزارة الخارجية العراقية - المصدر السابق ص٢٠ .

(١٤٨) للوقوف على تفاصيل وافية عن تلك الفترة راجع :
Scarcia la controversi tra persiae Iraq per a Shatt El- Arab (Dicember, 1950- Gennaio, 1960) in Orient Mcderno 40- 2 (1960) pp. 77- 93 .

(١٤٩) وزارة الخارجية العراقية - المصدر السابق ص ٢٦ .

(١٥٠) للزيادة في التفاصيل راجع :
. Melamid The Shat Al- Arab Boundary dispute. Middle East journal .Summary

وبعد انحسار حكم عبد الكريم قاسم بدأت الاتصالات مرة اخرى للتوصل لحل الازمة وتبودلت المذكرات والاحتجاجات[١٥١] . ولكن بدون جدوى . وحاول رئيس الوزراء العراقي عبد الرحمن البزاز استعمال الاساليب الدبلوماسية في التوصل الى نتائج ايجابية . ولكنه فشل في ذلك . واعلن في (٥) حزيران سنة ١٩٦٦ بأن «الرغبة في الصداقة شئ والاستسلام الى بعض مطالب ايران[١٥٢] شئ آخر . لا نستطيع بل ولا يستطيع اي عراقي ان يتنازل عن حق أساسي وخاصة اذا ما تعلق الامر بالسيادة» .

وفي ايام حكم عبد الرحمن عارف توقعت الدوائر السياسية للزيارة التي قام بها الى طهران نتائجها الايجابية على مشكلة الحدود . وقد صدر بيان يحمل بين طياته [illegible] في انفراج الازمة ولكن شيئا من هذا لم يحدث .

ولما تسلم حزب البعث العربي الاشتراكي الحكم في العراق سنة ١٩٦٨ حاول الدخول في مفاوضات لعقد الاتفاقية ، وحضر وفد ايراني رسمي الى بغداد في شباط سنة ١٩٦٩ للبت فيها . وقدم الوفد العراقي اليه مشروعا جديدا للاتفاقية رفضه الوفد الايراني ، وفاجأ الوفد العراقي بمشروع غريب لمعاهدة [illegible]دود لتحل محل معاهدة سنة ١٩٣٧ وبروتوكول ملحق به يتضمن ادارة شط العرب والملاحة فيه ادارة مشتركة . ولما احتج الوفد العراقي على ان امر تعديل الحدود في شط العرب ومن ثم عقد معاهدة جديدة لتحل محل معاهدة سنة ١٩٣٧ لم يكن في الاساس موضع بحث ولم يتفق عليه من قبل الجانبين ، وقد سبق ان [illegible]وي وليس هناك مبرر لاعادة النظر فيه ، قطع الوفد الايراني مفاوضاته بعد اجتماعين فقط . وعاد الى ايران ليعلن بان حكومته

---

(١٥١) [illegible]نوف على المخالفات راجع فلاح شاكر اسود ـ الحدود العراقية الايرانية ـ دراسة في المشاكل القائمة بين البلدين . ص ١٠١ ـ ١٠٣ ، كذلك انظر : مجلة المصور ـ العدد ٢٣٧٥ في ١٧ ابريل سنة ١٩٧٠ : اول تحقيق صحفي في منطقة ازمة الحدود العراقية ـ الايرانية .

(١٥٢) اتهمت الحكومة العراقية السلطات الايرانية في المذكرة التي سلمتها وزارة الخارجية العراقية الى القائم بالاعمال الايراني في بغداد في ٤ كانون الثاني سنة ١٩٦٦ بمساعدة دولته للحركة الكردية في شمال العراق ضد السلطة المركزية في بغداد

«تعتبر معاهدة الحدود باطلة وغير ذات قيمة ، وصارت السفن التي تقصد الموانئ الايرانية ترفع العلم الايراني حتى الاجنبية منها . ولما احتجت الحكومة العراقية على ذلك باعتباره يمس السيادة الوطنية العراقية على شط العرب اعلن نائب وزير الخارجية الايرانية في مجلس الشيوخ الايراني في ١٩ نيسان سنة ١٩٦٩ الغاء الحكومة الايرانية لمعاهدة الحدود المعقودة بين العراق وايران سنة ١٩٣٧ وكأنها لم تكن . وابلغت الحكومة العراقية رسميا بالقرار عن طريق المفوض الايراني في بغداد(١٥٣) .

ولوحظ ان القرار صاحبه تحشد عسكري كبير على ضفة شط العرب اليسرى . واخذت قطعات الاسطول الايراني وسرب من القوات الجوية الايرانية باصطحاب السفن الداخلة والخارجة من الموانئ متحدية بذلك كل انظمة الملاحة الدولية .

اتفاقية الجزائر سنة ١٩٧٥ ومحاولات ايران التعرض للسيادة العراقية

بعد قيام ثورة ١٧ تموز في عام ١٩٦٨ في العراق اتسمت العلاقات العراقية الأيرانية بظاهرتين متعاكستين فمن جهة كان نظام الشاه في ايران قد اعد له بمساعدات كبيرة من الغرب وعلى الأخص من الولايات المتحدة الأمريكية ليمارس دور الشرطي في المنطقة ومن جهة اخرى كان النظام الجديد في العراق يجاهد من اجل بناء مجتمع جديد وتثبيت الأستقلال الوطني . . . وهكذا وجد النظام الأيراني ان سياسته في بسط النفوذ تلقى المعارضة من العراق . . إذن فلابد من زعزعة الوضع في العراق وكانت البداية حملة اعلامية متنوعة الأساليب صعدت الى ازمة سياسية صاحبها

(١٥٣) مذكرة السفارة الايرانية في بغداد الى وزارة الخارجية العراقية رقم ٤٩٩ مؤرخة في ٢٩ نيسان سنة ١٩٦٩

سياسة ثابتة معتمدة في التدخل في شؤون العراق الداخلية سواء عن طريق تصدير المؤامرات او دعم التمرد والعصيان.

لقد بدأ اولاً بتركيز تجاوز ايران اقليمياً على حدود العراق البرية فدفع بمخافره الحدودية الى داخل الأقليم العراقي وشق الطريق بينها بصورة تدخل اراض عراقية شاسعة في داخل ايران معززاً كل ذلك بقوات عسكرية من اجل فرض تجاوزاته بالقوة ثم بدأ يطالب بتعديل الحدود في شط العرب خلافاً للوضع القانوني للحدود السائدة عندئذ. قام بممارسة الضغط العسكري المباشر وغير المباشر متجاوزاً في ذلك الصيغ التقليدية التي اعتاد ممارستها سابقاً لتحقيق مطامعه اعتقاداً منه بان الوسائل العسكرية كفيلة بتحقيق اهدافه ومطامعه التوسعية وهكذا قامت ايران بعدوانها المسلح على بعض المناطق الحدودية العراقية في وسط وجنوب العراق عام ١٩٧٤ والتي قدم العراق بشأنها شكوى الى مجلس الأمن.

والأخطر من ذلك بدأ الشاه بالتعاون على نطاق واسع مع حركة التمرد الأنفصالية الرجعية في شمال العراق واصبح بذلك يمارس الدور الميداني المباشر من اجل تجزئة العراق وتقسيمه.

لقد كان دعم الشاه لحركة التمرد الأنفصالية دون حدود إذ قام بتزويد قيادتها الرجعية بكمية هائلة من الأسلحة الحديثة والمتطورة ووضع في خدمتها كافة الأمكانيات المادية والعسكرية والسياسية والأعلامية بما في ذلك خدمة اجهزة المخابرات المتطورة.

وكان حال الشاه بذلك (شبيها بالكيان الصهيوني الذي اعلن رئيس وزرائه يوم ١٩٨٠/٩/٢٩ انه كان يزود البارزاني بالأسلحة والمعدات والخبراء ويقوم بتدريب المتمردين من عام ١٩٦٥ ولغاية ١٩٧٥

وقد خاض العراق صراعات ضد هذه الزمرة وضد من يقف وراءها مستهدفاً في ذلك الحفاظ على شرف العراق وواجب الدفاع عن وحدة الوطن فقدم كل التضحيات التي تتطلبها المعركة.

ولقد بلغ الوضع العسكري حداً خطيراً عندما قام الشاه باشراك قواته العسكرية مرات عديدة في قتال مباشر في جبهات متعددة من اجل اسناد الموقف العسكري المتمرد... وبلغ الأمر درجة اكبر من الخطورة فعلاً بالنسبة لطاقة العراق بعد قيام حرب تشرين ١٩٧٣، والتي كان لابد للعراق من المشاركة فيها انسجاماً مع موقعه ومسؤولياته القومية.

وفي عام ١٩٧٥ عندما بادر الرئيس الجزائري الراحل هواري بو مدين بالأتصال مع العراق وإيران مقترحاً للتفاوض المباشر بينهما في الجزائر حول القضايا المختلف عليها وافق العراق على هذه المبادرة تلبية منه لأنقاذ امن العراق ووحدته الوطنية وقد تكللت المفاوضات بعقد اتفاقية الجزائر في ٦ آذار ١٩٧٥ التي مثلت تسوية يتوازن فيها الجانب السياسي مع القانوني بصورة تجعل المساس بأي عنصر من عناصرها إخلالاً بذلك التوازن وسبباً لسقوطها.

وقد نص على ذلك صراحة في بندها الرابع الذي يترتب منطقياً على ذلك هو ان يحقق الطرفان عند تنفيذ التسوية المشار اليها ما تعاهدا عليه من مكاسب متوازنة غير ان الذي حصل فعلاً هو ان ايران حققت مكسباً فورياً مباشراً بمثابة الشريك في السيادة على الجزائر حيز التنفيذ... اذا صار وضعها في شط العرب بمثابة الشريك في السيادة على الجزء الأكبر منها استناداً الى اعادة تحديد الحدود فيه على اساس قاعدة الثالوك... وفي مقابل ذلك وافقت ايران على التخلي عن الأراضي المتجاوز عليها وايقاف الدعم للتمرد الأنفصالي الذي يقوده البرزاني.

ثم جاءت السلطة الجديدة في ايران التي استبشر العراق بقدومها لأنها انهت نظاماً قامت سياساته على العدوان والتدخل للشؤون الداخلية للغير وبخاصة العراق والوطن العربي. . فقد قدم العراق على لسان السيد رئيس الجمهورية العراقية التهاني للشعوب الأيرانية متمنياً للنظام الجمهوري الجديد فرصاً واسعة بما يعزز دور ايران لخدمة السلام والعدل في العالم وإقامة اوثق علاقات الصداقة والجيزة مع الأقطار العربية عموماً والعراق بشكل خاص.

وعندما اعلن النظام الجديد في ايران رغبته في انضمام الى حركة دول عدم الأنحياز كان العراق اول من بارك هذه الخطورة واعلن عن ترحيبه ودعمه لترشيح ايران لعضوية الحركة.

لقد طرق العراق كل السبل المتاحة وبنية صادقة لأقامة اتصالات مع النظام الجديد في ايران في سبيل تحقيق تعاون مثمر في مختلف الميادين وقد عبر العراق عن نيته الصادقة هذه عبر تصريحات المسؤولين في الحكومة العراقية ومن خلال الطرق الدبلوماسية ولكن واقع الحال كان يشير الى ان الجهود المخلصة التي بذلها العراق كانت تقابل بنوايا معاكسة لاتريد الحفاظ على الأسس التي من شأنها ان تسمح للبلدين باقامة علاقات طيبة ومثمرة بل اكثر من ذلك فلقد شهدت العلاقات تصرفاً مقصوداً من جانب السلطة الجديدة في ايران استهدفت تصديع وكسر الروابط القائمة بين البلدين وتأزيم الموقف بشكل خطير وثبت فيما بعد ان النظام الجديد في ايران كان يبيت النوايا المعاكسة تلك الأيام الأولى لتسلمه مقاليد الحكم في ايران اذ قام باستدعاء قيادة زمرة التمرد العميل البرزاني واولاده واعوانه من الولايات المتحدة للقدوم الى ايران.

وبعد وفاة البرزاني عاد اولاده واعوانه حيث احتضنهم النظام الأيراني وبدأ يقدم لهم المساعدات وسمح لهم باستخدام الأراضي الأيرانية وباسناد صريح كنقطة انطلاق لتهديد امن العراق الداخلي والتعرض له والمساس بوحدته الوطنية.

ومن جهة اخرى قامت الحكومة الأيرانية باساءات كثيرة لعلاقات حسن الجوار اد بدأت تسهل اعمال التسلل ذات الطابع التخريبي حيث ارتبكت في مدن عديدة من العراق اعمال قتل وتخريب وتدمير وتسميم لمصادر المياه والثروة السمكية ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تجاوزه الى اثارة القلاقل والفتن الدينية والطائفية واعمال النهب والسلب في المناطق الحدودية من قبل الجهات التي تطلق على نفسها اسم الحرس الثورية.

وجدير بالذكر ان حكومة الجمهورية العراقية قامت بتوجيه عشرات المذكرات الدبلوماسية الى الحكومة الأيرانية عن طريق سفارتها في بغداد تثبت فيها الأنتهاكات الأيرانية في جميع المسائل.

وكانت لجنة الحدود المشتركة بين البلدين قد قامت باعادة تخطيط الحدود البرية بصورة واضحة وتم ترسيمها على الخرائط المشتركة الجديدة من قبل الطرفين وتثبتت على الأرض ببناء الدعامات القديمة لعام ١٩١٣ وعددها ١٢٦ دعامة والدعامات الجديدة الأضافية لعام ١٩٧٥ وعددها ٥٩٣ دعامة. شيدت على مسار خط الحدود بين الدعامات القديمة لغرض توضيح المسار بشكل دقيق. ولكن على الرغم من كل ذلك فان انتهاكات الحدود من قبل النظام الأيراني استمرت وقد بلغت للفترة من حزيران حتى ايلول عام ١٩٨٠ ١٨٧ انتهاكاً واعتداءً عسكرياً عبر الحدود العراقية وضد المدن الأهلية بالسكان والقرى والطرق والمخافر الحدودية واصبحت هذه الأنتهاكات المسلحة نمطاً يومياً لسلوك القوات المسلحة الأيرانية.

وبتاريخ ٤/٩/١٩٨٠ حدث تطور خطير في سلسلة هذه الأنتهاكات حيث استخدمت القوات المسلحة الأيرانية المدفعية الثقيلة عيار ١٧٥ ملم الأميركية الصنع لقصف مدينتي خانقين ومندلي مسببة اضراراً بالغة بالأرواح والممتلكات.

ومن الجدير بالذكر ان المنطقة التي تم فيها هـذا القصف الوحشي هي منطقة زين القـوس المحصورة بـين الدعـامتين الحـدوديتين ٤٦ و ٥١ من دعامات الحدود العراقية الايرانية وبعمق داخل الاراضي العراقية .

وفي ظهر يوم ١٩٨٠/٩/٧ تكـرر القصف الوحشي وبنفس الاسلوب وقامت وزارة الخارجية باستدعاء القائم باعمال السفارة الايرانية في بغداد وسلمته مذكرة[1] اوضحت فيها ان القطعات العسكرية الايرانية قد تجاوزت على الاراضي العراقية واستمر تجاوزها على مناطق متعددة ومنها على سبيل المثال لا الحصر منطقة زين القوس خلافا لمعاهدة الحدود بين البلدين لسنة ١٩٧٥ وطلب اليه ابلاغ حكـومته لازالـة تلك التجاوزات فـورا بسحب القطعات العسكرية الايرانية من المناطق المتجاوز عليها .

الا ان القوات الايرانية استمرت بقصفها حتى ليل اليوم وفي اليوم التالي اي في ١٩٨٠/٩/٨ استدعي القائم بالاعمال مرة اخرى الى وزارة الخارجية وسلم مذكرة[2] ثانية بين فيها بأن القوات المسلحة العراقية ممارسـة بحقها المشروع في الدفاع الشرعي قد اضطرت الى ازاحة الاحتلال الايراني عن منطقة زين القوس واسترجاع الاراضي العراقية المحتلة .

وعبرت الحكومة العراقية عن املها في ان يستفيـد الايرانيـون من هذه الواقعة ويعيدوا الاراضي العراقية التي تجاوزت عليها ايران في فترات زمنية سابقة وحسبما تم الاتفاق عليه في معاهدة ١٩٧٥ وبذلك يتجنب البلدان احتمالات المواجهة الاوسع غير ان الايام التالية لهذا التاريخ شهدت مرة اخرى نشاطا عسكريـا مكثفا من القـوات المسلحة الايـرانية في الاراضي العراقية المتجاوز عليها مما اضطرت معه الحكومة العراقية الى استدعاء القائم بالاعمال الايراني بتاريخ ١٩٨٠/٩/١١ وتسليمه مذكرة[3] تفصيلية . وضحت النقاط التالية :

اولا ـ من خلال مراقبة الحكومة العراقية للتصرف الايراني وردود فعله قد كونت استنتاجات متعددة وفي المقدمة منها ان القيادة الايرانية بسبب الارتباك الحاصل في ايران وعدم انتظام الدولة ومعلوماتها قد لا تكون على علم واطلاع بأن ايران متجاوزة على الاراضي العراقية فعلا خلافا للقانون الدولي والاتفاقيات الدولية الموقعة بين البلدين ومنها اتفاقية الجزائر لعام ١٩٧٥ فاذا كان الامر كذلك فان العراق ينصح القيادة الايرانية بان تسأل اجهزتها المسؤولة عن الحدود والاتفاقيات لكي تتأكد من هذا ولكي يكون بعد ذلك تصرفها قائما على اساس المعرفة وليس الوهم .

ثانيا ـ ان تدرك القيادة الايرانية ان ضرب المدن الاهلة بالسكان المدنيين كما فعلت بقصف قضائي خانقين ومندلي ليس من الامور الهينة ولا هو من انواع العنف التي يتسلى بها المسؤولون الايرانيون احيانا داخل ايران . ان ضرب المدن العراقية يعتبر امرا خطيرا ينبغي ان تتجنبه ايران اذا كانت لا تريد للعلاقات بين البلدين ان تتدهور على نحو خطير وان حكام ايران وحدهم سيتحملون امام الله والشعوب الايرانية والرأي العام العالمي مسؤولية عملهم العدواني هذا .

ثالثا ـ ليس للعراق اية اطماع في الاراضي الايرانية .

غير ان جميع هذه المذكرات الدبلوماسية لم تلق اذنا صافية من حكام ايران وازاء هذا التمادي الايراني في الانتهاكات لاتفاق البلدين في الجزائر لعام ١٩٧٥ بل والاصرار عليه من خلال ما نوهت به بعض الاوساط الرسمية الايرانية من ان الاتفاق المذكور كان اتفاقا مشبوها وانه لا يحقق مصلحة ايران وان ايران لا تعتبر نفسها ملزمة به فقد ثبت لدى العراق بان الحكومة الايرانية قد قامت بانتهاك عناصر التسوية الشاملة التي تضمنتها اتفاقية الجزائر وبالغائها ومن جانبها ولذلك قررت الحكومة العراقية اعتبار الاتفاقية المذكورة وما لحقها من اتفاقيات استندت عليها ملغاة من جانب العراق بعد ان الغتها ايران قولا وفعلا وحسبما نص عليه في البند (رابعا) من تلك الاتفاقية والمادة

الرابعة من معاهدة الحدود الدولية وحسن الجوار التي استندت على الاتفاقية المذكورة وقد دعا العراق بهذه المناسبة السلطات الايرانية الى قبول الوضع الجديد والتصرف بعقلانية وحكمة ازاء ممارسة العراق لسيادته وحقوقه المشروعة في كامل اقليمه البري والنهري في شط العرب تماما كان عليه الوضع قبل اتفاقية الجزائر .

الا ان الحكومة الايرانية قامت بتصعيد الصراع حيث بدأت اعتبارا من ١٩/٩/١٩٨٠ باعمال القصف بنيران المدافع الثقيلة والطائرات مستهدفة المجمعات الاهلة بالسكان والمنشآت الاقتصادية الحيوية في العراق والسفن التجارية العراقية والاجنبية الداخلة والخارجة من شط العرب والقنوات الملاحية في النهر المذكور ومدخله في الخليج العربي . وفي مقابل هذه الاعمال قامت الحكومة العراقية باصدار بيان حذرت فيه السلطات الحاكمة في ايران من مغبة هذا التصعيد ومن اعمال القصف العشوائية وحملت تلك السلطات المسؤولية الكاملة عن كل ذلك كما اوضحت في البيان المذكور بان ما قامت به ايران جعلها مضطرة الى توجيه ضربات رادعة للاهداف العسكرية الايرانية داخل ايران حفاظا على سلامة وامن العراق ومصالحه الحيوية . وهكذا فان العراق اضطر من جديد الى ممارسة حقة في الدفاع الشرعي والوقائي بموجب القانون الدولي كي يردع العدوان .

كما اكد :

١ ـ ان العراق لم يكن مسؤولا عما آلت اليه الاحداث في صراعه المسلح مع ايران وان السلطة الحاكمة في ايران تتحمل كل المسؤولية عن ذلك .
٢ ـ ان العراق يدافع عن حقوقه المشروعة في السيادة والشرف والكرامة وانه مستعد لابداء كافة التضحيات اللازمة للذود عن ذلك .
٣ ـ ان على ايران ان تدرك بأن العراق سوف لا يفرط بحقوق ومصالح الامة العربية في العيش بسلام ورفاهية وسيتصدى لاية محاولة كانت ترمي

للتا حل في شؤونه وسيادته ومصالحه القومية .

٤ - ان العراق يدرك تماما اهمية الحفاظ على الامن والسلم الدولي والمصالح الاقتصادية العالمية وخاصة المتعلقة منها بتدفق النفط .

٥ - ان العراق كما اعلن على لسان السيد رئيس الجمهورية صدام حسين في رسالته الموجهة الى الامين العام للامم المتحدة مستعد لايقاف القتال اذا استجاب الطرف الاخر الى ذلك واللجؤ الى المفاوضات المباشرة او عن طريق طرف ثالث او اية جهة او منظمة دولية يحترمها العراق ويثق بها للوصول الى حل عادل ومشرف يضمن حقوقه وسيادته .

الفصل العاشر

عربستان

بين الحق العربي والتسلط الفارسي

عربستان

بين الحق العربي والتسلط الفارسي

يقع اقليم عربستان في الجنوب الشرقي من العراق وفي الجنوب الغربي من ايران وتفصلها عن ايران سلاسل جبلية شاهقة هي جبال زاكروس اذ يحدها من الشرق جبال البختيارية وجبال لورستان في الشمال الشرقي وهذه الجبال تكون حاجزا جغرافيا وطبيعيا يفصل بين كل من عربستان وايران ويجزئها الى منطقتين مختلفتين في خصائصها الجيولوجية والطوبوغرافية[1].

١ ـ الشخصية العربية لعربستان[2] عبر التاريخ

يرجع وجود العرب في منطقة حوض كارون[3] الى زمن تاريخي سحيق

---

(١) المساحة الحقيقية لاقليم عربستان هي (١٨٥) كم٢ اصبحت في الوقت الحاضر (١٥٩٫٦٠٠) كم٢ بعد استقطاع مساحات من اراضي الاقليم وضمها الى المحافظات الايرانية المجاورة وهي: فارس واصفهان وكرمنشاه.

(٢) يطلق على هذه البلاد العربية عدة تسميات مختلفة في الوقت الحاضر الا ان جميع هذه التسميات ذات مدلول واحد اذ انها تعني الارض العربية المغتصبة الواقعة في اقصى الجنوب الشرقي من العراق ولعل من المفيد التعرف على هذه التسميات: منطوقها ومنشوءها:

١ ـ عربستان:

ان هذه التسمية قد اطلقها الفرس على بلاد الاحواز العربية وهي تعني في لغتهم (بلاد العرب). وهكذا نرى انه بالرغم من هذه التسمية هي فارسية الاصل الا انها بقيت تنطق بحقيقة هذه المنطقة وعروبتها.

٢ ـ الاحواز «الاهواز».

ان كلمة الاحواز هي التسمية العربية الاصيلة للاحواز جمع حوز والحوز هي بقعة من الارض محدودة المساحة تقع غالبا بين نهرين او جدولين ويسميها الفرس «الاهواز».

٣ ـ خوزستان:

وهذه تسمية فارسية ايضا اطلقها الفرس بعد احتلالهم المنطقة بدلا من كلمة عربستان التي بقيت تحمل مدلولا عربيا عن المنطقة.

(٣) تطلق عليه المصنفات العربية دجيل الاحواز.

يرتبط بتكون الاقليم نفسه. وهم يكونون الى يومنا هذا الاغلبية الساحقة المطلقة فيه. والحقيقة الراسخة هي ان عربستان وطن عربي. وان عروبتها لم تكن وليدة ظرف تاريخي طاريء، وانما هي امر ثابت في اعماق التاريخ يعود في اصوله الى جذور ماض عريق في عروبته والى طبيعة الاقليم منذ اول نشأته.

والتاريخ القديم يؤكد ان عرب الاقليم ظلوا اسياد ساحل الخليج العربي، وان الفرس وملوكهم لم يتمكنوا ابدا من التقدم نحو البحر، وانهم «تحملوا صابرين على مضض بقاء هذا الساحل ملكا للعرب»(٤). (ولعل خير تعليل يوضح عجز الفرس عن ركوب البحر هو ماجاء به سير بيرسي سايكس احد المهتمين بدراسة تاريخ فارس، حيث قال «ليس هناك شيء يوضح تاثير العوامل الطبيعية في ميول الناس وسلوكهم اكثر من النفور والكره اللذين يظهرهما الفرس دائما نحو البحر الذي تفصلهم عنه حواجز جبلية شاهقة»(٥).

ويجمع الباحثون في كتاباتهم الرحالة الجغرافيين الذين جابوا المنطقة وكتبوا عنها انه ليس بين هؤلاء الرحالة من ذكر او اشار الى تبعية عربستان للحكم الفارسي(٦) بل انها كانت عندهم عربية الطبيعة تماما، وانها تعتبر مع القسم الاسفل من بلاد مابين النهرين وحدة جغرافية طبيعية وحضارية شاركت في الماضي في ازدهار الحضارة السومرية والاكدية ثم برزت بعدها سماتها العربية وترسخ سلطان حكمها العربي حتى جاء النفوذ العربي الاسلامي وامتد عبر بلاد فارس وتجاوزها(٧).

---

(٤) جاكلين بيرين: اكتشاف جزيرة العرب (بيروت - ١٩٦٣)، ص ١٦٦.

(٥) Sykes, Sir Percy: A History of Persia, P. 266.

(٦) Niebuhr, Travel Through Arabia and other coun - tries in East (Edinburgh - 1792).

(٧) جان جاك بيريبي - الخليج العربي (بيروت - ١٩٥٩)، ص ٩٨.

وبهذا تكون عربستان قد مرت بالادوار التاريخية التي مرت بها ولاية البصرة، اذ جاءها الفتح الاسلامي سنة ٦٤٠م في عهد خلافة عمر بن الخطاب (رض) واصبحت ولاية عربية تتبع في ادارتها البحرين حينا والبصرة حينا اخر وتستقل عنهما حينا ثالثا. وقد تعرضت لهزات سياسية متعددة اذ تجاذبتها حركات الخوارج والقرامطة والزنج ولكن حكمها العربي الاسلامي استمر، وظلت في كل ذلك جزءا من الامبراطورية العربية الاسلامية التي لم تعرف الحدود في اقاليمها، وبذلك اصبحت عربستان جزءا من وحدة متماسكة سياسية دينية تحت حكم الخلافة الاسلامية في عهود الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين، واستمر وضعها السياسي هكذا حتى سيطر المغول على الشرق الاسلامي في عام ١٢٥٨م فتفككت السلطة فيها. وتؤكد الوثائق والدراسات التاريخية على ان امارات عربية نشأت في عربستان نتيجة هذا التفكك، امارات لبني اسد طورا وطورا للسادة امراء المشعشعين ولبني كعب طورا اخر، وبقيت عربستان طوال تلك الحقب عربية ولم تخضع لحكم فارسي.

الامارات المشعشعية

تمكنت الاسرة العربية المشعشعية من بسط نفوذها على اقليم عربستان في عام ١٤٣٦ على يد محمد بن السيد فلاح بن هبة الله الذي وصفه لونكريك بانه سليل بيت عربي ينتمي الى ربيعة، وتمكن من انتزاع موافقة دولة الخروف الاسود في بغداد على الاعتراف باستقلال عربستان وامتداد حكمه الى البصرة وواسط، واتخذت الامارة في عهده مدينة الحويزة عاصمة لها. وبعد وفاته في عام ١٤٥٨ تولى الحكم ابنه محسن الذي بنى عاصمة جديدة لامارته سماها المحسنية، وبدا في عهده سك النقود المشعشعية، كما تم دعم العلاقات الدبلوماسية مع دولة الخروف الابيض التي خلفت دولة الخروف الاسود في بغداد، وبذلك استكملت دولة

المشعشعين سيادتها على عربستان كلها وعلى المناطق المجاورة لها، في الوقت الذي لم يكن فيه للفرس اي وجود سياسي، وبقيت فارس طيلة العصور الوسطى مجرد تعبير جغرافي. ولكن في عام ١٥٠١ انشأ اسماعيل الصفوي الدولة الصفوية، ذلك ايام حكم المشعشعين في عربستان، فبدأت عندئذ مرحلة متميزة من مراحل تاريخ المنطقة، اذ ظهر الصفويون كقوة جديدة مقابل قوة العثمانيين، وبدا بينهما صراع حاد اصبحت فيه عربستان احدى ساحاته. فقد تعرضت عربستان لهجوم فارسي صفوي وتم احتلال مدينتي دزفول وتشتر الشماليتين لفترة وجيزة. وعندئذ ظهر مبارك عبد المطلب بن بدران الامير المشعشعي الذي حكم من عام ١٥٨٨ الى عام ١٦١٦ ويعتبر حكمه عصرا ذهبيا لتاريخ امارته حيث استطاع فرض سيطرته على انحاء الاقليم كلها وطرد الفرس الغزاة واسترد مدنه الشمالية منهم.

ويذكر الرحالة البرتغالي بيدرو تاسكيرا(١٠) الذي زار المنطقة عام ١٦٠٤، ان جميع الاقليم الواقع الى شرق شط العرب كان يؤلف امارة عربية يحكمها مبارك بن عبد المطلب الذي كان مستقلا عن الفرس وعن الاتراك، وان هذا الامير قد دخل في تحالف عسكري مع الدولة البرتغالية التي كانت قد وسعت نفوذها يومئذ في الخليج العربي.

اما الرحالة الايطالي بترو ديلافالي(١١) الذي زار حوض كارون الى مصبه في شط العرب، فقد ذكر ان الشيخ منصور بن مطلب (الذي حكم من عام ١٦٣٤ الى عام ١٦٤٣) كان يسيطر على شط العرب الى درجة انه لم يسمح لاي سفينة بان تمر الا بعد ان تدفع ضريبة لوكيله، وانه كان على اتصال دائم مع حاكم البصرة، كما انه كان يقاوم بقوة محاولات شاه عباس الاول التدخل في شؤون امارته.

---

(10) The Travels of Pedro Teiskeira, with his 'Kings of Harmuz' and Extracts from his 'Kings of Persia' Hakluty Society, 1902.

(11) The Travels of Sig. Pietro Della into East. Indies and Arabian Desert. Hakluty So - ciety, 1902

امارة بني كعب

قدمت عشيرة بني كعب الى عربستان من العراق واستوطنت ضفاف شط العرب شرقا وغربا. شيدت مدينة قبان مقرا لها ثم اتخذتها عاصمة لها. وكان اول امراء هذه الامارة علي بن ناصر بن محمد الذي تولى الحكم في عام ١٦٩٠. وهو العام الذي يعتبر تاريخ تاسيس هذه الامارة. وفي عام ١٧٤٧ انتقل مقر الامارة الى الدورق وابدل اسمها الى الفلاحية وذلك بقيادة الشيخ سلمان. وبدخول بني كعب الى الفلاحية بدأت امارة المشعشعين بالزوال بعد حكم دام عدة قرون، وقامت على انقاضها امارة بني كعب التي اخذت قوتها تنمو نموا سريعا. ونفوذها يتوسع حتى استطاعت توحيد اقليم عربستان باجمعه تحت حكمها وسيادتها. واستطاع توحيد اقليم الصراع الناشىء في المنطقة بين الفرس والعثمانيين، دون ان يخضعوا لنفوذ اي منهما شانهم شأن امارة الحويزة، ان يثبتو وجودهم كعامل اساسي للامن والاستقرار وكضرورة ملحة لتأمين الملاحة والتجارة في الخليج العربي وقيادة القوافل البرية فحقق هذا الوضع لهم مركزا ممتازا بين الامبراطوريتين المتصارعتين مما دفع كلا منهما الى التقرب اليهم واجتذابهم.

لقد الزم موقع بني كعب المائي على شط العرب ـ والخليج العربي شيوخها ان يتجهوا الى بناء اسطول بحري كبير يعد من اضخم الاساطيل في الخليج العربي خلال القرن الثامن عشر استطاعوا به ان يدعموا استقلال امارتهم الناشئة.

والواقع ان مولد الاسطول البحري لبني كعب كان حدثا تاريخيا بارزا من احداث الخليج العربي، فقد لعب دورا رئيسيا في مياهه واعتبر واحدا

من الاساطيل القوية التي قامت في الخليج العربي الى جانب قوة القواسم، وهكذا تمكن بنو كعب ان يكونوا سادة الخليج العربي في قسمه الشمالي، كما كان القواسم سادته في القسم الجنوبي، وبذلك اصبح الخليج العربي انذاك منطقة نفوذ عربية ذات سيادة كاملة.

وقد شهد الخليج العربي نشاطا كبيرا لبني كعب ايام امارة الشيخ سلمان بن سلطان (١٧٣٧ - ١٧٦٧) الذي يعد اعظم من تولى امارة عربستان في القرن الثامن عشر اذ ازدهرت في حكمه ازدهارا لم تبلغ مثله من قبل، حيث اهتم بتشجيع الزراعة والتجارة في كل المناطق التي كانت تحت سيطرته، وقد وصف بالشجاعة والذكاء، واستعان بالخبراء العمانيين فعزز اسطول الامارة ووسعه حتى اصبح يضاهي في القوة الاسطول العثماني في الخليج العربي، وفرض الضرائب على السفن المارة شمال الخليج دون استثناء، وحمى المنطقة بالقوة، وتمكن من نشر سلطاته على جميع الموانئ الممتدة من جزيرة عبادان الى قرب مدينة بوشهر. وقد بلغ من قوة الشيخ سلمان ما اقلق الاتراك ومسؤولهم (المتسلم في البصرة والباشا والي بغداد). واقلق الفرس بشخص كريم خان الزندي، كما اقلق الانكليز الذين كانت تمثل مصالحهم شركة الهند الشرقية، فحاربوه منفردين فلم يفلحوا. اذ جرد كريم خان حملته عليه عام ١٧٥٧ لكسر شوكة النفوذ العربي في عربستان وضمها الى السيادة الفارسية، الا ان الحملة فشلت ولم تنجح في مهمتها. كما ان الاتراك تراجعوا امام قوة الشيخ سلمان وسطوته. وعندئذ حاربوه متحالفين في عام ١٧٦٥، ولكن بدوافع متباينة مختلفة. فقد حاربه كريم خان الزندي لنزعته التوسعية وحاربه الاتراك العثمانيون لانهم شعروا بالضعف امامه حين لم يدفع لهم الرسوم التي كان يدفعها لهم امراء المنطقة من قبل، كما انه كان يهددهم بالسيادة على شط العرب. اما الانكليز فحاربوه لتهديده مصالحهم التجارية المتمثلة بشركة الهند الشرقية التي حولت مقرها منذ عام ١٧٦٣ من بندر عباس الى البصرة.

ولكن الشيخ سلمان استطاع ان يشتت اساطيل المتحالفين. فلم يستطع الاتراك التصدي له بصورة فعالة فاضطروا الى مصالحته وزحف اليه كريم خان بجيش كبير، ولكن احتماء الشيخ سلمان بمناطق الاهوار والجزر التي تكتنف امارته لم يمكن كريم خان من اللحاق به ومنازلته بسبب فقدان وسائل المواصلات، فاضطر هذا ايضا الى الانسحاب ولكن بعد ان خرب السدود ومشاريع الري التي بناها العرب على ضفاف نهر كارون. وبذلك تسنى للشيخ سلمان ان يتفرغ للانكليز الذين لعبوا دورا فعالا في مساعدة سلطات البصرة العثمانية في نزاعها مع امارة كعب، فوجه اليهم الشيخ سلمان ضربته واستولى على بعض سفنهم القادمة من الهند، واشتبك معهم بعدها بحرب ابدى فيها من الشجاعة والمهارة العسكرية ماأثار اعجاب اعدائه حتى بلغت شهرته اوربا، واخيرا اضطر الانكليز الى التراجع بعد ان غنم منهم سفنا كثيرة وذخائر كبيرة.

لقد قوت هذه الأنتصارات المتوالية عزيمة بني كعب، ومدت نفوذ امارتهم على جميع عربستان. ويبدو أن الكعبيين كانوا على اتصال دائم مع القبائل العربية الأخرى في قطر والبحرين والكويت وعمان

وفي عام ١٧٦٧ توفي الشيخ سلمان، فعمل كريم خان مضطرا على الدخول مع الكعبيين في حلف من اجل تامين عدم مضايقتهم لجيشه، وكان ذلك في عهد المماليك في العراق وهنا لابد من الوقوف امام هذا الحلف وقفة قانونية متمعنة ولنبين كذلك قيمته السياسية. ففي هذا الحلف تاكيد واضح وصريح باعتراف فارس اعترافا قانونيا فعليا كاملا بامارة عربستان وبسيادتها التامة على المنطقة، بعد ان عجزت عن اخضاع هذه القوة العربية لسلطانها، ومثل هذا الحلف لايعقد في المفهوم السياسي وفي القانون والعرف الدوليين واسلوب التعامل والعلاقات بين الدول الا بين كيانين يعترف كل منهما بالاخر وبسيادته الكاملة.

بدأت قوة كعب في الفلاحية بالتلاشي ، ولكن قبيلة البو كاسب. وهي من افخاذ كعب، استقرت بزعامة مرداو بن علي بن كاسب على مصب نهر كارون لتؤسس بعد حين امارة المحمرة العربية ، ولتجدد قوة كعب ثانية .

وحين خلف مرداو ابنه الاكبر الحاج يوسف في رئاسة القبيلة، قام بتشييد مدينة المحمرة في عام ١٨١٢ . وبرزت اهميتها الدولية لموقعها الهام فازدهرت احوالها، مما جعل بريطانيا متمثلة بشركة الهند الشرقية تفكر بادخالها ضمن مناطق نفوذها، كما ثار حول تبعيتها نزاع عثماني فارسي طويل .

وبعد الحاج يوسف تولى اخوه الحاج جابر رئاسة الامارة ودام حكمه من عام ١٨٢٩ الى عام ١٨٨١ ، ويعتبر عهده في تاريخ عربستان عهدا جديدا . فقد امتاز هو بجرأته السياسية واستطاع ان يوطد دعائم امارته وان يكسب ثقة رعاياه وان يحصل على تأييد الدول المجاورة له .

ومن ابرز ماحدث في المحمرة ايام حكمه تعرضها لهجوم عثماني بقيادة علي رضا باشا اللا ز في عام ١٨٣٧ ، ولكن هذا الهجوم لم يغير شيئا في الكيان السياسي للمنطقة لانه كان خاطفا واستطاع الحاج جابر بعد انهائه وخروج العثمانيين من الامارة أن يعيد بناءها وتوسيعها .

ومن اجل وضع حد للنزاع العثماني الفارسي على المناطق المختلف على تبعيتها، بذلت عدة محاولات لتسوية هذا النزاع، وكان اخرها عقد مؤتمر في ارضروم بين الدولتين العثمانية والفارسية بتوسط كل من بريطانيا وروسيا القيصرية، وقد تمخض هذا المؤتمر عن عقد معاهدة سميت

معاهدة ارضروم الثانية في عام ١٨٤٧ . جاءت المعاهدة في تسع مواد، وقد غيرت كثيرا في حدود عربستان، اذ نصت المادة الثانية منها على ان «تعترف الحكومة العثمانية بصورة رسمية بسيادة الحكومة الفارسية على مدينة المحمرة وميناثها وجزيرة خضر (عبادان) والمرسى والاراضي الواقعة على الضفة الشرقية (اي الضفة اليسرى) من شط العرب التي تحت تصرف عشائر معترف بانها تابعة لفارس. وفضلا عن ذلك فان للمراكب الفارسية حق الملاحة في شط العرب بملء الحرية وذلك من مصب شط العرب في البحر الى نقطة اتصال حدود الفريقين». اما باقي مواد المعاهدة فانها تبحث بوجه عام في قبائل الحدود وشؤ ون الزوار وامور الملاحة والتجارة. وقد تم التصديق على المعاهدة بعد مخابرات سياسية دامت سنين عديدة.

ان مايعنينا من هذه المعاهدة النصوص الخاصة بعربستان ولو تاملنا فيها لبرزت لنا اكثر من ملاحظة عليها:

١ ـ قررت المعاهدة مصير شعب ضد ارادته وبدون ان يعطى فرصة للاسهام في تقرير هذا المصير، اذ تفاوضت اطراف غير معنية على منطقة لم تخضع لاي منها في اي وقت مضى، فقد كانت مستقلة تماما عن الحكومة الفارسية باعترافها الرسمي هي نفسها، كما عجز العثمانيون عن تثبيت نفوذهم فيها. ولكن كلا منهما منحت مالاتملك للاخرى. وبالرغم من ذلك فان الوثائق اللاحقة لهذه المعاهدة تثبت كلها ان عربستان لم تخضع حتى بعد المعاهدة للدولة الفارسية، وان هذه اكتفت من عربستان بولاء رمزي فقط.

٢ ـ تضم المعاهدة بين احكامها ونصوصها شروطا غامضة، مما تسبب في استمرار النزاع على عربستان، فقد قسمتها المعاهدة الى منطقتي نفوذ جعلت للدولة الفارسية المنطقة التي (تحت تصرف عشائر معترف بانها تابعة لفارس) اما ماعداها فتكون تبعيتها للدولة العثمانية، فالتقسيم

اذن كان على اساس عشائري قبلي. وكان من الصعب تطبيقه، الامر الذي دفع الدولة العثمانية بعدئذ الى الاحتجاج عليه بمذكرتها الايضاحية للسفيرين البريطاني والروسي التي طلبت فيها تفسيرا عن كيفية اجراء هذا التقسيم.

٣ ـ اعتبرت المعاهدة مناطق بني كعب من المناطق المعترف بتبعيتها لفارس، وهذا ادعاء باطل، لان قبيلة بني كعب لم تتنازل عن سيادة اراضيها لفارس، ولا لغيرها، في اي يوم من الايام، كما انها لاتمت لها بأية صلة قومية او بشرية. ويبدو ان الدولة العثمانية عقدت المعاهدة دون ان يكون لديها اقتناع كاف للتنازل الذي التزمت به بموجبها، وان هذا التنازل كان نتيجة ضغط خارجي من روسيا القيصرية او بريطانيا، او منهما معا من اجل تحقيق مصالحهما.

٤ ـ اقتصر تنازل الدولة العثمانية في المعاهدة على مدينة المحمرة ومرساها وجزيرة خضر (عبادان)، ولم يمتد هذا التنازل الى الاجزاء الاخرى من اقليم عربستان. وبالرغم من هذا التنازل فان عربستان ظلت من حيث الواقع مستقلة عن حكومة طهران، ولم يعترف شعب عربستان بالمعاهدة وانما اعترضوا بشدة عليها وعلى بنودها.

٥ ـ اخذت فارس نفسها تطعن بالمعاهدة بعد توقيعها وادعت بعدم شرعيتها بحجة انها كانت مفروضة عليها بالقوة والضغط من قبل روسيا وبريطانيا وانها قبلتها مكرهة وان المندوب الايراني تجاوز صلاحياته عند توقيعها. واخيرا ان البرلمان الفارسي لم يصدقها.

٦ ـ كانت المعاهدة من الضعف بحيث جعلت العثمانيين انفسهم يتعرضون لها بالنقد والرد. فقد وضع درويش باشا عضو لجنة الحدود تقريرا في عام ١٨٥٢ اورد فيه خلاصة السندات المتعلقة بالمحمرة وما

يجاورها، وحذر من بقائها وعبادان تحت السيطرة الفارسيـة، وجاء ببعض البنود التي تؤكد على ان بساتين النخيل والمقاطعات الزراعية في عربستان، كانت تديرها السلطات العثمانية واثبت استقلال الحويزة ونفى خضوعها للسيطرة الفارسية.

اما موقف امير المحمرة الحاج جابر من المعاهدة فانـه لم يعترف بهـا مطلقا، وبقي يمارس حكمه مستقلا عن فارس وعن الدولة العثمانية، ولم يخضع لنفوذ اي منهما اوسيادتهما، بل استمرت سيادة امارته المطلقة. حتى ان عربستان تعرضت في ٢٦ اذار ١٨٥٧ لهجوم بريطاني واحتلت القوات البريطانية المحمرة لمدة ثلاثة اشهر، وجدت فارس نفسهـا عاجـزة عن الدفاع عنها، وحتى عن ادارة شؤونها او الادعاء بهذه الادارة الشكلية، اذ كانت فارس انذاك في وضع لاتحسد عليه من التفكك والانهيار، ولم يكن في كل هذا ما يربطها بعربستان سوى معاهدة سياسية شكلية، لهذا قرر ناصر الدين شاه (١٨٤٨ ـ ١٨٩٦) ان من مصلحة بلاده اعلان استقلال عربستان تحت امارة الحاج جابر للتخلص من عبء ادارتها (الاسمية) والاعتراف بالواقع فاصدر في اواخر عام ١٨٥٧ مرسوما ملكيا تضمن ماياتي:

١ ـ تكون امارة المحمرة الى الحاج جابر بن مرداو ولابنائه من بعده.

٢ ـ تبقى الكمارك تحت ادارة الدولة الفارسية ويديرها امير المحمرة نيابة عنها.

٣ ـ يقيم في المحمرة مامور من قبل الدولة الفارسية ليمثلهـا لدى امـير المحمرة، ومهمته تنحصر في الامور التجارية فقط.

٤ ـ يتعهد امير المحمرة بنجدة الدولة الفارسية بجيشه في حالة اشتباكها بحرب مع دولة اخرى.

٥ ـ يتعهد الشاه ناصر الدين قاجار بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للامارة.

وهكذا صدر هذا الاعتراف الرسمي باستقلال المحمرة وبامارة الحاج جابر عليها بعد مرور عشرة اعوام فقط على عقد معاهدة ارضروم الثانية. وهذا المرسوم بالرغم من عدم نصه على وجود شخصية دولية للامارة، الا انه تضمن صراحة استقلال عربستان في شؤونها الداخلية، واعترف بها امارة وراثية لها قواتها المستقلة، وان لاميرها جميع واردات الامارة وعليه تقع جميع مصروفاتها، وانه هو المسؤول عن امنها وادارة شؤونها الداخلية، وله الحق في ان يعين حكاما يمثلونه في مدن الامارة ومناطقها المختلفة، وبهذا بقيت علاقاته مع فارس شكلية لاتتعدى النواحي الاسمية التي فرضتها عليه معاهدة ارضروم الثانية، كما ان المعروف انه كان لايعطي فارس الا شيئا قليلا لايتعدى واردات الكمارك، وهكذا استقر الامر للحاج جابر في حكمه، واقام علاقات طيبة مع شيوخ المناطق المجاورة في كل من العراق والكويت، واخذ في بناء كيان امارته الاقتصادي فوضع الاسس لاقامة مشاريع لتشجيع الملاحة في شط العرب، كما كان يعني بتوسيع نهر كارون وجعله صالحا للملاحة من مصبه في شط العرب الى ميناء تستر، وقد رفض عروضا اقتصادية بريطانية لفتح نهر كارون للملاحة البريطانية ليحتفظ باستقلاله الذاتي عن اي تاثير خارجي ولئلا يفسح المجال للشركات الاجنبية ان تستغل نهر كارون.

بعد وفاة الحاج جابر تولى شؤون الامارة ابنه الشيخ مزعل (١٨٨١ - ١٨٩٧) الذي امتاز عهده. باندفاع بريطانيا نحو التغلغل في امارته والسعي الى استثمار المناطق الغنية الواقعة على جانبي حوض كارون، فبذلت الجهد للحصول على امتيازات خاصة هناك. وفي عام ١٨٨٨ تم افتتاح نهر كارون للملاحظة التجارية الدولية وحصلت شركة لنج البريطانية على امتياز بهذا الشأن. وبذلك دخلت امارة عربستان عهدا جديدا في تاريخ العلاقات الدولية، ووقعت تحت تاثيرات وضغوط خارجة عجزت عن صدها، واصبحت موارد عربستان الاقتصادية تحت السيطرة البريطانية، وقد اسست بريطانيا في عام ١٨٩٠ قنصلية لها في

المحمرة لرعاية مصالحها في المنطقة، ثم تطورت هذه المصالح في عربستان بشكل اوسع ايام حكم الشيخ خزعل (١٨٩٧ ـ ١٩٢٥) الذي تبوأ الحكم بعد اخيه الشيخ مزعل، وشهدت الامارة والمنطقة بل العالم احداثا هامة، اذ تفجر النفط من منابعه وآباره في عربستان ونشبت الحرب العالمية الاولى، وانهار الحكم القاجاري في ايران وقام على انقاضه الحكم البهلوي، وكان حكم الشيخ خزعل اثناء تلك الاحداث يتسم بالاستقلالية تماما، فقد كتب عنه رضا شاه في مذكراته (انه كان اميرا مستقلا داخل حدوده، ليس لحكومة طهران اي سلطان عليه، وقد مضت عليه اعوام دون ان يدفع اية ضريبة لفارس).

وكانت السفن البريطانية التي تمر بشط العرب تطلق المدافع امام قصر الشيخ خزعل اعترافا باستقلاله. وحين ارادت بريطانيا انشاء معمل لتكرير النفط في عبادان انتدبت سير بيرسي كوكس ليتفاوض عنها معه، ووقعت بينهما اتفاقية بهذا الشأن، وصار يتسلم ايجارا سنويا للسماح بمرور انابيب النفط عبر اقليم امارته الى معمل التكرير في عبادان، وهذا اعتراف صريح وواضح بسيادة امير المحمرة على اراضيه.

اما علاقات الشيخ خزعل مع القوى التي تحيط بامارته فكانت تتذبذب مدا وجزرا، ولاسيما مع الكويت والعراق ونجد، وقد كان له نفوذ واضح في تلك المناطق، وشارك في كثير من الانشطة السياسية التي حدثت فيها، حتى انه رشح نفسه لعرش العراق.

على ان الشيخ خزعل كان قد حصل من بريطانيا قبل الحرب العالمية الاولى على تأكيدات رسمية لاستقلاله تضمنتها رسالة ارسلها اليه السفير البريطاني في طهران ارثر هاردنك في كانون الاول ١٩٠٢ وجاء في الرسالة: «اننا نحمي المحمرة من كل هجوم بحري تقوم به دولة اجنبية مهما كانت حجة التدخل الذي تدعيه، واكد السفير ضمان توارث الحكم

في اسرة الشيخ خزعل وسيادته على عربستان، والعمل على عدم احداث اي تغيير في المنطقة مهما كانت الوسائل.

والواقع ان علاقات الشيخ خزعل مع بريطانيا قد سارت بعدئذ باطراد ملموس، فقد وقع في ٢٩ تموز ١٩١١ مع الحكومة البريطانية على اتفاق يقضي بان لايمنح امتيازات باستخراج اللؤلؤ او الاسفنج الا برخصة من السلطات البريطانية، كما ان اتفاقية شط العرب التي عقدتها بريطانيا مع الدولة العثمانية التي اقرت بمبدأ حرية الملاحة في هذا الممر المائي تضمنت في الوقت نفسه حقوق شيخ المحمرة في ان يمارس كالمعتاد سلطانه في الاراضي الواقعة ضمن الممتلكات العثمانية، مع المحافظة على حقوقه في الولاية وتنظيم وراثة العرش وحصرها في اسرته.

ولما قامت الحرب العالمية الاولى في عام ١٩١٤ طلبت بريطانيا من الشيخ خزعل تحرير البصرة من العثمانيين بالتعاون مع شيخ الكويت وامير نجد لقاء وعد يقضي في «ان حكومة صاحب الجلالة، مهما طرأ من تبدل على شكل الحكومة الفارسية وسواء كانت هذه الحكومة ملكية مستبدة ام دستورية، مستعدة لان تمدكم بالمساعدات اللازمة للحصول على حل يرضيكم ويرضينا معا اذا تجاوزت الحكومة الفارسية على حدود اختصاصكم وحقوقكم المعترف بها.

ولكن الاحداث التي توالت بعد الحرب العالمية الاولى كانت قد غيرت التزامات بريطانيا المطلقة للشيخ خزعل. وكان قد ظهر في ايران رضاخان ذلك الضابط المتطرف ذو النزعة الفارسية العنصرية الذي كان يطمع بالسلطة، وكانت تراوده فكرة بعث الامبراطورية الفارسية الى كل ارض وطاتها جيوش فارس في التاريخ، فقام بانقلاب عسكري تسلم بعده منصب وزير الدفاع، ثم ازاح رئيس الوزراء ونصب نفسه مكانه ثم قضى على حكم الاسرة القاجارية واعلن نفسه ملكا على ايران باسم

الشـاه رضا بهلوي واسس بـذلك الحكم البهلوي اعتبـارا من نيسـان ١٩٢٦.

لقد بدأ رضا خان في تحقيق احلامه بان زحف بقواته العسكرية نحو عربستان من طهران عن طريق اصفهان شيراز بوشهر بهبهان حيث جرت معارك متعددة بين جيشه وعرب المنطقة، وكان موقف الشيخ خزعل ان اعلن الانفصال عن فارس نهائيا، واتجه الى انشاء فرق عسكرية هي نواة جيش عربستان سميت باسم (شباب حزب السعادة) وتمكن من طرد قائد حامية تستر باقر خان، ثم قام بارسـال وفود الى جميـع ارجاء الامـارة للاتصال بالقبائل العربية لحثهم على الثورة بوجه رضا خان الذي (نوى طرد العرب من اراضيهم واحلال الفرس بـدلهم وسلب ثروة الامـارة ومصادرة اموال العرب) كما ارسل رسله الى العراق والى فارس يوضح للشخصيات السياسية والاجتماعية هناك نوايا رضا خان في اذلال العرب ومحوهم من الوجود، وقدم شكوى رفعها عن اكثر من خمسة عشر الف عربي الى عصبة الامم يدعوها للوقوف بوجه رئيس وزراء فارس رضا خان المعتدي على امارته، وقدم طلبا الى بريطانيا يدعوها فيه الى الوفاء بتـعهداتهـا له وابلغها عن طريق الممثلين السياسيين بنوايا رضا خـان، وطلب ان تؤمن له:

١ ـ جلاء اخر جندي فارسي عن عربستان، لان بقاء الجنود في عربستان يساعد على الثورات والاضطرابات.
٢ ـ وجوب تاييد جميع الفرمانات التي يحملها رسميـا، والمحافـظة على التعهدات التي ابرمتها بريطانيا معه.

ولكن رضا خان، الذي قال عند خروجـه من طهران (انني ذاهب للقضاء على الشيخ خزعل فان توفقت فيها، والا فسأواري جسدي في مقابر المحمرة ولا اعود الى طهران بالفشل)، ابى الا ان يدخل المحمرة فاتحا فظل يزحف يحتل القرية بعد القرية. اما بريطانيا فانها عندما وجدت

اصرار رضا خان وتصميمه على احتلال عربستان تخلت عن جميع تعهداتها السابقة للشيخ خزعل، كما عملت على الحيلولة دون وقوع اي اشتباك بينه وبين رضا خان. ولم يجد الشيخ خزعل قدرة كافية للمقـاومة، فتحقق لبريطانيا ما ارادت، ودخل رضا خان الاحواز واتخذ من قصر الشيـخ خزعل فيها مقرا لقيادته، ومكث فيها يومين ثم انتقل الى المحمرة وشكل فيها حكومة عسكرية برئاسة الجنـرال فضل الله خـان زاهدي واعلنت الاحكـام العرفيـة في جميع انحـاء عربستـان، وشكلت محكمة خـاصة لمحاكمة الخارجين على الاحتلال الفارسي للامارة، وهنا وصل سير بيرس لورنس الوزير المفوض البريطاني في عربستان الى مقر رضا خان لتقديم التهنئة له على الوضع الجديد.

اتبع الجنرال زاهدي الحاكم العسكري في عربستان اساليب عديدة من اجل القاء القبض على الشيخ خزعل وارساله الى طهران حسب الخطة التي اتفق بموجبها مع رضا خان قبل رحيله عن عـربستان وعـودته الى طهران. فقد تم تنفيذ الخطة بان قام باسر الشيخ خزعل في احدى الليالي وهو على ظهر طراده الخاص في شط العرب بالفيلية ونقله منها الى المحمرة فالاحواز، حيث ارسل منها الى طهران وذلك في ٢٠ نيسـان ١٩٢٥، واحتجز فيها حتى وفاته في ٢٦ اذار ١٩٣٦، وبذلك زالت اخـر امارة للعرب في عربستان. وقد علق الكاتب الفرنسي بيريبي على ذلك بقوله: «وكان ذنبه ان امارته قائمة في مكان استراتيجي في عالم البترول الذي لا يحفظ حقا ولا ذمة».

٢ ـ التسلط الفارسي على عربستان

سارت الحكومة الايرانية منذ احتلالها لاقليم عربستان عـام ١٩٢٥ حتى الان على سياسة الارهاب والبطش ضد السكان العرب. ثم التمييز

العنصري الصارخ الذي دأبت على المجاهرة به دون وجل ولاحياء من اجل ازالة الهوية العربية لعربستان ومحو كل اثر للملامح العربية وتكريس الاحتلال الايراني وادامته وفق فكرة (ان الجنس الايراني متميز ومتفوق عن الجنس العربي). ومن هذه الفكرة انطلقت هذه السياسية في تمييزها بين العرب والفرس في اقليم عربستان. مما يؤكد بان الدولة الايـرانية بانكارها حقوق وحريات شعب عربستان انما لاترغب في ارساء السلام الدولي وتقدم على اخلالهـا بمبدأ حسن النيـة للدول الاعضاء في الامم المتحدة التي اخذت على عاتقها عهدا وفق المادتين (٥٥ و ٥٦) من الميثاق بتشجيع الاحترام العالمي الفعلي لحقوق الانسان وحرياته الاساسية لجميع البشر دون تمييز.

واذا كان احترام الانسان وحريـاته الاسـاسية يعـد شرطـا اساسيـا وضرورياً للسلام الدائم، فان انكار الدولة الايرانية لحقوق وحريات شعب عربستان يرتب التزاما على عاتق الامم المتحدة وكافة دول العالم بتقـديم ضمانـات كافيـة لاحترام تلك الحقـوق تحقيقـا للسلم والامن الدولي.

وفيما يلي نبذة عن الممارسات العنصرية تجاه شعب عَربستان:

اولا: الحقوق والحريات السياسية:

تقضي هذه الحقوق بان يكون لشعب عربستان حق المشاركة في حكم بلده اما مباشرة او بواسطة ممثلين عنه يختارهم اختيارا حرا وان يكون له حق اختيار نظام الحكم الذي يلائمه. ولكن الوضع في اقليم عربستان بما يمثله من حكم عسكـري مباشـر في عهد الشـاه او بمـا يمثله من حكم استبدادي بعده، هو حرمان شعب عربستان من حرياته السياسية وانكار حقة في تقرير مصيره.

فقد تألف في عام ١٩٤٦ في الاحواز حزب باسم (حزب السعادة) المار

الذكر انضم اليه عدد من العناصر العربية في الاحواز وكان من اهداف هذا الحزب تحقيق الحكم الذاتي واستعادة الاجزاء التي فصلها الايرانيون اداريا من اقليم الاحواز والحقوها بولايات فارس واصفهان ولرستان، وعندما اصبح الدكتور مصدق رئيسا للوزارة الايرانية عام ١٩٥١ انتهج سياسة وطنية وعزم على انها والنظام الرجعي في ايران فطلب مساندة حزب السعادة العربي وتعهد سرا في حال نجاحه استعداد الحكم الوطني في اعطاء الاحواز حكما ذاتيا. . وبعد ان سقط حكم الدكتور مصدق اثر انقلاب عسكري قاده الجنرال زاهدي بتدبير من المخابرات الاستعمارية والذي قتل على اثره الدكتور حسين فاطمي وزير خارجية مصدق كانت احدى التهم التي وجهت بعد ذلك الى الدكتور مصدق في محاكمته انه عمل مع الدكتور حسين فاطمي على اقتطاع جزء من المملكة الشاهنشاهية وتسليمها للاجانب والمقصود بهم العرب. وقد تعرض العرب في اعقاب هذا الانقلاب الى موجة من الارهاب الدموي والتنكيل العنصري على يد الايرانيين حيث واجهوا حملة اغتيالات واسعة ومنظمة، كما اطلقت السلطة الفارسية ايدي عصاباتها من الشقاوات المرتزقة وعناصر الاحزاب الفارسية اليمينية الرجعية لتتولى اذلال العرب والتنكيل بهم ومطاردتهم، حيث تم قتل عدد كبير من العرب كان منهم بعض قيادي حزب السعادة العربي.

كل ذلك يؤكد وبوضوح تام عدم احترام ايران حقوق هذا الشعب وحرياته الاساسية.

ثانيا: الحقوق والحريات المدنية:

١ ـ الحق في الرعاية الصحية: لاتوجد في جميع المناطق التي تسكنها القبائل العربية اية مؤسسات صحية. فلا وجود لمستوصف ولا اي اثر اخر من اثار العناية بصحة المواطنين، ولذلك فان الامراض بمختلف انواعها

متفشية بينهم بشكل ذريع . وتبين لنا نتائج التعداد الرسمي للسكان الذي اجرته الدولة الايرانية في اقليم عربستان عام ١٩٦٥ ان من مجموع ٧٧ قرية في مقاطعة المحمرة هناك قرية واحدة فيها امكانيات طبية .

ولايوجد في المقاطعة كلها سوى مستشفى واحدة يعود تاريخ انشائه الى ايام الحكم العربي في الاقليم . وان من مجموع (٤٣٥) قرية في مقاطعة الاحواز هناك (٧) قرى فيها امكانيات طبية .

وان من مجموع (٧٧) قرية في مقاطعة عبادان هناك (٣) قرى تتوافر بها الامكانيات الطبية .

وتتعهد الحكومة الايرانية في عدم توفير الامكانيات الصحية في عربستان كما تبين لنا الاحصائيات اعلاه ، اذ ان اغلب القرى هناك لاتتوفر فيها اي وسائل صحية ، كما ان المستشفيات في الاقليم قليلة جدا ولاتتوفر فيها الامكانيات الصحية والطبية ، وهذا يبين لنا مدى عدم تمتع شعب عربستان بحقه من الرعاية الصحية .

٢ ـ الحق في التقاضي : الدولة الايرانية ملزمة بحكم وجودها الفعلي في اقليم عربستان ان توفر لافراد شعب عربستان الضمانات الكافية لانصافه من اعمال فيها اعتداء على حقوقه الاساسية ، ولاريب في ان اهم هذه الضمانات تتمثل في السماح لهم باستعمال اللغة العربية امام المحاكم ، وان يكون عدد المحاكم كافيا في الاقليم . فقد منعت الحكومة الايرانية في المحاكم الترجمة من اللغة العربية واليها ، فوضعت بذلك اكبر عائق امام المواطن العربي في عربستان لضمان حقوقه كمراجعة المحاكم . كما ان قلة المحاكم في الاقليم جعلت مراجعاتها صعبة وتستنزف وقتا طويلا بالاضافة الى تكاليفها الباهظة وذلك بعد الغاء مؤسسات الحكم العربي السياسية والادارية والقضائية في اقليم عربستان ، واذا كان عدد

المحاكم في الاقليم كله لاتتجاوز محكمة استئناف واحدة تتبعها محكمة بداءة في الاحواز ومحكمة صلح واحدة في المحمرة. فاننا نستطيع ان نقرر بان الدولة الايرانية قد حرمت شعب عربستان من التمتع بهذا الحق الحيوي والاساسي.

٣ ـ حق الملكية: تبدو مظاهر التمييز العنصري في اقليم عربستان واضحة بالنسبة لهذا الحق. فقد اصدرت الحكومة الايرانية مرسوما برفع يد العشائر العربية عن اراضيها الزراعية، وفرضت تسليمها الى قائد المنطقة العسكرية الايراني في الاقليم. كما اصدرت في بداية سنة ١٩٦٢ قانون الاصرلاح الزراعي الذي قصرت تطبيقه على اقليم عربستان، وبموجب هذا القانون صودرت كافة الاراضي التي يملكها العرب، والتي تزيد عن مساحة معينة دون ان تدفع الحكومة الايرانية اية تعويضات مقابل الاراضي المصادرة، ووزعت هذه الاراضي على فلاحين فرس جيىء بهم من مناطق ايران المختلفة ولم يعط العرب الذين يملكون ارضا على الاطلاق اية قطعة منها. بل على العكس حرم على كل عربي ان يمتلك الاراضي او العقارات الا بموافقة مجلس الوزراء الايراني. ولابد من الاشارة هنا الى الدور الذي لعبه البنك الكشاورزى (الزراعي) من نشاط في السنوات الاخيرة، حيث عمد هذا لشراء الاراضي العربية والاستيلاء عليها تحت ستار وواجهات متعددة، فمثلا يمنح فلاحا عربيا صغيرا قرضا فوق طاقته، وبطبيعته الحال فهذا الفلاح البسيط لايدرك جلي الغاية، بقدر مايقضي له القرض كل حاجاته الملحة، وتحدد لتسديد القرض فترة زمنية قصيرة نسبيا، وطبيعي لايستطيع باي حال هذا الفلاح ان يسدد القرض، بسبب قلة الموارد الناتجة عن قلة المحصول بسبب الفيضانات في المنطقة تارة، وقطع المياه تارة اخرى، والجفاف التام في منطقة اخرى.. وعندئذ يخول البنك نفسه في الاستيلاء على الارض، ولا يكتفي بطرد الفلاح وعائلته فحسب، بل وينال الفلاح قسطا من السنوات في غياهب السجون منسيا، وعائلته تجوب الاماكن مشردة ضائعة. ثم يتولى البنك

تسليم الارض الى عملائه من غير السكان العرب .

ان اعمال البنك الزراعي (الكشاورزي) تمتد الى ابعد من منطقة عربستان فهو ينتهج ذات السياسية بالنسبة لباقي المناطق القومية في ايران كما هو الحال في المناطق الغربية من بلوجستان مثلا او سواها من مناطق ايران القومية المضطهدة .

٤ ـ الحق في التعليم : لابد من الاشارة اولا الى ان الحكومة الايرانية تمنع السكان العرب من تعلم لغتهم الاصلية، وتحارب هذه اللغة بكل السبل الموفورة لها. وجميع سكان الارياف والبوادي واكثر سكان المدن من العرب يجهلون القراءة والكتابة. ومن كان منهم متعلما كاتبا بلغته، فعن طريق الملالي، حيث يعنى بعض مشايخ القبائل بتعليم ابنائهم الكتابة والقراءة على ايدي اولئك الملالي وبعض رجال الدين الذين يترددون عليهم.

ان نسبة الامية بين السكان العرب هناك تبلغ نحو ٩٧٪ ولعلها اعلى نسبة معروفة في العالم .

ومن نتائج التعداد الرسمي للسكان الذي اجرته الدولة الايرانية في اقليم عربستان، ان في مقاطعة عبادان ونفوسها يقارب النصف مليون، اكمل مائة شخص فقط الدراسة الثانوية، وخمسون منهم فقط اكملوا ثلاث سنوات جامعية، في حين ان ٤١٪ من سكان هذه المقاطعة هم من المهاجرين اليها من المحافظات الايرانية الاخرى .

وان في مقاطعة المحمرة التي يقارب عدد سكانها ثلاثة ارباع مليون نسمة اكمل ثمانون منهم فقط دراسة ثلاثة سنوات جامعية في حين ان ٢٦٪ من سكان هذه المقاطعة هم من المهاجرين اليها في المحافظات الايرانية الاخرى . وان في مقاطعة الاحواز التي يزيد عدد سكانها عن ثلاثة ارباع مليون نسمة اكمل منهم مئتان وستة وسبعون فردا دراسة

ثلاث سنوات جامعية في حين ان ١٧٪ من سكان هذه المقاطعة هم من المهاجرين اليها من المحافظات الايرانية الاخرى .

فتبين لنا هذه الاحصائيات مدى تنكر الدولة الايرانية على شعب عربستان التمتع بحقه في التعليم.

ولابد ان نشير هنا الى ان الحكومة العراقية قد اسست ثلاث مدارس ابتدائية في كل من الاحواز وعبادان والمحمرة، ومدرسة متوسطة في المحمرة ايضا وقد توسعت بعد ذلك فصارت ثانوية، ولكنها لاتتناسب اطلاقا مع جمهور العرب الكبير المتعطش للعلم والثقافة العربيين.

وكم عانت هذه المدارس العراقية وكابد معلموها وطلابها من مضايقات الحكومة الايرانية ومأجوريها، فقد حاربت الصحافة الايرانية افتتاح المدرسة المتوسطة في المحمرة سنة ١٩٤٥ وكتبت تحذر من الغزو العربي لهذه المنطقة، وتحذر من النتائج الوخيمة التي تنتظر ايران من نشر الثقافة العربية. وطالبت صحيفة (خواندينها) في ذلك الوقت بغلق المدرسة المتوسطة، كما طالبت صحف اخرى وفي مقدمتها جريدة اطلاعات هفتكي المعروفة بطرد المعلمين العراقيين، الذين يعملون على نشر التعليم بين ابناء العرب هناك. واصلت الحكومة الايرانية ضغطها المكشوف على هذه المدرسة المتوسطة فلم تسمح بتوسعها وجعلها ثانوية، الا بعد مرور اكثر من عشر سنوات على افتتاحها

٥ ـ الحق في العمل: بالرغم من ان الفرس لايمثلون حتى الآن اكثر من ٢٠٪ من مجموع السكان في اقليم عربستان، الا انهم يسيطرون على كافة مجالات الخدمات والانتاج والافضلية في العمل والاستخدام تعطي دائما للفرس على العرب في الاقليم . وادى قرار مجلس الوزراء الايراني في ١٢ ـ ١١ ـ ١٩٦٤ الذي حرم على العرب اشغال الوظائف الحكومية والانتماء الى كلية الشرطة والعسكرية الى تدهور الحالة الاقتصادية للعرب في اقليم عربستان الى فقرة مدقع(٤٦) خاصة وانه لم يعد امامهم من وسائل

العيش سوى الزراعة والصيد بالوسائل البدائية وحمل البضائع. واذا نظرنا الى الزراعة التي هي العمود الفقري لحياة العرب الاقتصادية في عربستان، وجدناها لازالت بوضعها البدائي العجيب والفلاحون العرب يزرعون الحبوب ديما. على الرغم من سكناهم على ضفاف الانهار الكثيرة والمنشرة في الاقليم، لما سنته الدولة الايرانية من قوانين جائرة وضرائب باهضة على نصب مكائن ضخ الماء الزراعية، خوفا من ازدهار الاوضاع الاقتصادية هناك وبالتالي رفاه الشعب العربي.. فافقار هذا الشعب وتجويعه، يجعله في نظر الطغمة الايرانية الغاشمة اكثر خضوعا واستكانة.

ان الحكومة الايرانية تحتم كل من ينصب ماكنة لضخ الماء على احد انهار عربستان، ان يدفع مسبقا مرة واحدة عن اربع سنوات متوالية ضرائب مالية على الاراضي التي تسقيها الماكنة! وقد حالت هذه الضريبة الباهظة دون نصب المكائن وتقدم الزراعة وبقيت الزراعة كما كانت عليه في القرون الوسطى

لقد خططت الحكومة الايرانية مشاريع للري في عربستان لم يكن القصد من ورائها الا محاربة الزراعة العرب وموت اراضيهم.. ومن امثلة ذلك السد الذي اقيم على نهر الكرخة والمسمى بسد دز او سد بهلوي هذا السد الذي سبب في اندثار اكثر الاراضي العربية الواقعة في الدورق او الفلاحية، حيث تقوم زراعة الاراضي هناك على مياه نهر الكرخة. ومن اجل ذلك فقد هاجر من هناك اكثر السكان العرب.

٦ - حرية الاقامة والتنقل خلافا لميثاق الامم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الانسان فان الدولة الايرانية تمارس سياسة التهجير ضد العرب في اقليم عربستان، فهي تأتي بمهاجرين فرس الى الاقليم وتجبر العرب على النزوح الى العراق وتطبق هذه السياسة على وجه

الخصوص بحق زعماء العشائر العربية حيث قامت بنفيهم الى العراق .

ومن جانب اخر هناك قرار صدر عن مجلس الوزراء الايراني الزم التاجر العربي في عربستان عند منحه جواز سفر الى الخارج بتقديم تعهد خطي يؤكد فيه ان الغرض من السفرة هو للتجارة فقط وليس لاي غاية سياسية ويتعهد بعدم الاتصال باحد من العرب اللاجئين في الخارج وانه في حالة مخالفته هذا التعهد يكون متنازلا للدولة عن امواله المنقول وغير المنقولة، بالاضافة الى احالته الى المحاكم العرفية .

٣ ـ المقاومة العربية للاحتلال الفارسي في عربستان :

لم تستطيع عمليات الارهاب والتنكيل والتعذيب والبطش التي مارستها السلطات الفارسية ان تنال من عروبة عربستان بعد ان حولتها الى محافظة عاشرة من المحافظات الايرانية، ولم تفلح في اخماد جذوة الثورة في نفوس الشعب العربي في عربستان من اجل التخلص من الفرس الدخلاء، ولم تنفع الاعدامات العلنية والسرية في ارهابهم، فكانت تنفجر الثورات والانتفاضات من حين لاخر للاطاحة بحكم المغتصبين وازاحتهم عن ارضهم وفق اعرافه وتقاليده العربية الخالصة .

اذ لم تمر ستة اشهر على احتلال الاقليم حتى وقف بوجه سياسة التفريس جنود الشيخ خزعل وحرسه الذين كانوا يسمون الغلمان وقاموا بثورة سميت باسمهم، وكانت رد فعل لاسر شيخهم، ولكن السلطات الفارسية قضت على هذه الثورة بقسوة متناهية وبكل شدة، وحاكمت عددا كبيرا منهم، واعدمت اخرين دون محاكمة .

اما الشعب العربي نفسه فقد قام بعدة ثورات متفرقة ومتباعدة ضد الحكم الفارسي، اهمها :-

١ ـ ثورة بني طرف عام ١٩٣٦ :

اعلنت قبائل بني طرف الثورة على الفرس، فاستغل رضا شاه هذه الفرصة ليقوم بتصفية دموية شاملة للروح العربية في عربستان، فسير جيشا كبيرا الى مدينة الخفاجية واطرافها وقضى على الثورة بعنف وشدة وقسوة لايمكن وصفها، ثم جمع ستة عشر رئيسا من رؤ وساء القبائل. وامر بدفنهم وهم احياء، ليكونوا عبرة لمن يعارض النظام الفارسي.

٢ ـ ثورة عشيرة كعب الدبيس عام ١٩٤٠ :

قامت هذه العشيرة بثورتها بقيادة زعيمها الشيخ حيدر الكعبي. وذلك في منطقة الميناء على نهر دبيس، وتمكنت من ازالة الحاميات الفارسية والسيطرة على ثكناتها في المنطقة، ولم تتمكن السلطات الفارسية من القضاء عليها الا بعد القاء القبض على الشيخ حيدر واعدامه.

٣ ـ ثورة الفجرية عام ١٩٤٣ :

تزعم هذه الثورة الشيخ جاسب بن الشيخ خزعل، حيث قام بها ضد الفرس حين دخل الامارة بعد اتفاقه مع بعض رؤ وساء القبائل على الثورة، رغم ان بعضهم لم يف بوعده بالمشاركة، وقد تمكن الثوار من قتل العديد من الجنود والضباط الفرس، وتمكنوا من اسقاط طائرة حربية. وقد كان المرحوم الشهيد محي الدين آل ناصر رئيس اللجنة القومية العليا لتحرير عربستان الذي اعدمته سلطات الشاه مع اخرين من زملائه في ١٣ ـ ٦ ـ ١٩٦٤، كان قد شارك في هذه الثورة، حيث كان عسكريا في حينها.

٤ ـ حركة الشيخ عبد الله بن الشيخ خزعل عام ١٩٤٤ :

اتفق الشيخ عبد الله مع العشائر العربية على القيام بثورة، ولكن لم يكتب لهذه الثورة النجاح بسبب عدم استجابة رؤ وساء القبائل للمشاركة المسلحة.

٥ ـ ثورة بني طرف عام ١٩٤٥ :

امتدت شرارات هذه الثورة الى القبائل العزبية، ولا سيما بنو سالة وبنو لام والشرفة والمحيسن منهم، واحتلت العشائر الثائرة جميع القرى والمخافر والمدن المنتشرة في هذه المناطق، ودامت الثورة بضعة اشهر، فسيرت لها الحكومة الفارسية جيشا كبيرا حشدته في مختلف الثكنات العسكرية، وقد صادف الجيش الفارسي صعوبات كبيرة في اجتياز المناطق الثائرة نظرا لتحصينات الثوار وطبيعة الارض التي تكثر فيها الانهار والمستنقعات وبساتين والنخيل مما تعذر على الجيش ان يحرك الياته، فارسلت الحكومة الفارسية طائرات مقاتلة قامت بقصف القرى وتجمعات العشائر وبحرق البيوت وابادة المزارع فكانت مجزرة رهيبة راح ضحيتها الاف الابرياء من النساء والاطفال والشيوخ، وقد كان التكافؤ في القوة العسكرية بين الطرفين معدوما. وعند تغلب الفرس على الثوار، رحلوا منهم المئات، وكانوا حوالي (١٥٠٠) شخص، الى شمال فارس مشيا على الاقدام مجتازين بهم الجبال الوعرة والوديان العميقة، فمات اكثرهم في الطريق جوعا وتعبا وبردا، ولم يصل منهم الى طهران سوى حوالي اربعين شخصا وزعتهم السلطات الايرانية على القرى النائية.

٦ ـ تاسس في عام ١٩٤٦ حزب عربي في المحمرة باسم (حزب السعادة) كان هدفه جمع كلمة العرب، والمطالبة بحقوقهم وتحسين اوضاعهم، ولكن حكومة طهران لم يرق لها الامر، فقتلت من العرب العشرات حتى تفرق شملهم.

٧ ـ وفي عام ١٩٤٦ ايضا قام الشيخ مذخور الكعبي بانتفاضة مسلحة في المناطق التي تسكنها قبيلته على ضفاف شط العرب والى الجنوب من عبادان، وقد تمكن من السيطرة على تلك المناطق، ومن ازالة الحاميات الفارسية منها والقضاء على افرادها، ولكنه لم يستطيع الصمود امام قوة القمع الغاشمة التي تمثلت بالطائرات والمدرعات الفارسية.

٨ ـ وفي عام ١٩٤٦ ايضا وفي ٧ شباط منه قدم رؤ وساء عشائر عربستان شكوى رسمية الى جامعة الدول العربية يطلبون فيها تداخلها لانقاذهم من السياسية الفارسية في ضم اقليمهم وصهر شعبه العربي بالفرس وبالتالي محو عروبته .

٩ ـ وفي ٢٢ اب ١٩٤٦ قدم رؤ وساء عشائر عربستان شكوى اخرى الى جامعة الدول العربية يؤكدون فيها ماورد في شكواهم الاولى، ويشيرون الى تمسكهم بمطاليبهم في التخلص من النير الفارسي .

وفي عام ١٩٤٦ ايضا اسس الشباب العربي في عربستان جمعية باسم (جمعية الدفاع عن عربستان) هدفها استصراخ العالم رلفت نظره للوقوف على حالة اقليمهم التعسة، وقد جاء في نداء التاسيس ماياتي:

لكثرة الحوادث المؤلمة التي اصبحت تتكاثر على اخواننا عرب عربستان راى بعض شباب العرب اقامة جمعية تدعى باسم (جمعية الدفاع عن عربستان) لغرض ارسال الصرخات للعالم وبث الدعاية في جميع الاقطار للوقوف على حالة هذا الاقليم العربي المعذب، وقد سمي اعضاء هذه الجمعية انفسهم باسماء ابطالهم العظام الذين لهم المواقف المجيدة اثناء الحروب العربية الفارسية، وما القصد من ذلك الا تذكرة القوم بماضينا المجيد، والله من وراء القصد.

الرئيس	نائب الرئيس	كاتم السر	الاعضاء
سعدبن ابي وقاص	المثنى بن حارثة	المهلب بن ابي صفرة	خالد بن الوليد المغيرة بن زرارة النعمان بن قرن

١١ ـ نتيجة لزيادة الوعي السياسي القومي لدى ابناء الشعب العربي في عربستان من جهة، وردود فعلهم للتعسف الفارسي ضدهم من جهة ثانية، قامت في عام ١٩٥٦، واثناء المد القومي العربي والجماهيري انذاك حركة قومية سياسية ثورية لتنظيم عرب الاقليم سياسيا وثوريا ولنصرة الثوار

المحاربين في معركة بور سعيد، ثم تبلورت الحركة بشكل تنظيم سياسي باسم (جبهة تحرير عربستان). ولكن السلطات الفارسية قامت عام ١٩٦٤ باعدام ثلاثة من رجالات الجبهة هم الشهداء: محي الدين حميدان آل ناصر، ودهراب شميل ناصري وعيسى مذخور نصاري، واعتقلت اخرين كثيرين من المنتمين الى الجبهة في محاولة للقضاء عليها.

على ان مناضلي عربستان لم يكفوا عن نضالهم بالرغم من شدة بطش السلطات الفارسية وعنف الاجراءات التي تتخذها بحقهم لمطالبتهم بحقوقهم. ولكنهم في الوقت نفسه، ادركوا انه لابد من دراسة اسباب فشل جميع الثورات والانتفاضات السابقة والظروف التي احاطت بكل منها من اجل تنظيم نضالهم وكفاحهم في الدرب الذي يصلون منه الى التحرير والاستقلال، فتوصلوا الى انه لابد من توفر امور واجواء معينة لتهيئة السبل التي تكفل لهم الوصول الى اهدافهم القومية، ومنها:

١ ـ قيام تنظيم سياسي جماهيري واضح الاهداف مرسوم الخطط يستوعب في ثناياه جميع ابناء الشعب.
٢ ـ من اجل سلامة هذا التنظيم لابد من العمل على تعميق اهدافه وترسيخها في قلوب ابناء الشعب لتكون ايمانا تنبعث منه قوة الكفاح والاستمرار فيه حتى بلوغ الشوط الى مداه في التحرير الكامل.
٣ ـ القضاء على كل السلبيات التي تحد من ارادة الفرد العربي وتحول دون انطلاقه، وذلك بنكران الذات، وبعزل اعوان الاستعمار وعملائه وابعادهم عن التنظيم وعن طريقه.
٤ ـ القيام بثورة شاملة لانها المنطق السليم لاسترداد حرية الاقليم وضمان امال الشعب في التحرير والوحدة

وفي اخر عام ١٩٥٨ انبثق تنظيم سياسي في الاحواز باسم (الجبهة الشعبية لتحرير الاحواز) شعارها (الكفاح حتى النصر)، واتخذت الكفاح

المسلح وسيلة والعنف الثوري للتحرير ونيل الحقوق القومية المشروعة التي يطالب بها الشعب العربي.

وان مناضليها قاموا بعمليات عسكرية تجاوزت المائة اعلنت عنها ببلاغات عسكرية، وانها قدمت (٢٨) شهيدا اعدم سبعة منهم بالرصاص وسقط الباقون منهم في معارك وعمليات خاضوها ضد سلطات الشاه.

وفي عام ١٩٥٩ انبثقت (اللجنة القومية العليا)، وكان من اهدافها الكفاح ضد الغزاة الفرس وتحرير عربستان منهم، وكانت انشط فترة مرت بها خلال ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ في العراق، حيث ساندت الثورة مناضلي اللجنة ودعمتهم.

وفي عام ١٩٦٨ ولدت (حركة الثورة العربية لتحرير عربستان) باعتبارها الامتداد الحيوي لجذور المقاومة العربية الاولى في هذه المنطقة المغتصبة ولتحمل بزوغ الثورة العربية المنظمة فيها لتختصر كفاح الشعب العربي الذي امتد اكثر من نصف قرن ضد الاغتصاب الفارسي للارض العربية.

على ان نضال حركات التحرير العربية في عربستان لم يفتر، واتخذ جميع الاساليب في سبيل ايصال صوتها الى العالم، فقد قدمت طوال فترات نضالها مذكرات وبيانات الى جامعة الدول العربية، ومؤتمرات القمة العربية ولبعض رؤوساء الدول العربية والى مؤتمر وزراء الخارجية العرب والى الامم المتحدة ومنظمات دولية اخرى منها نقابات العمال العربية والعالمية والى الجماهير العربية والرأي العام العالمي للفت الانظار الى قضيتهم العادلة.

على ان النضال العربي في عربستان في اواخر حكم الشاه قد بلغ مرحلة عالية، فقد شارك ابناء الشعب العربي في عربستان بشكل مباشر في الثورة بوجه نظام الشاه، وكانت تضحياتهم البطولية تاريخا خالدا في صفحات النضال العربي وساهموا مساهمة فعالة في الاطاحة بحكم الشاه واسقاطه،

وكانوا في كل ذلك موقنين بان مساهمتهم في القضاء على الشاه ستحقق لهم اٰمالهم وحقهم في تقرير مصيرهم بكل حرية. ولكن تنامي الشعور القومي العربي افزع سلطات خميني بعدئذ، فجعلها تسلط هي الاخرى اعنف ضرباتها للطموح العربي العادل في عربستان، فكانت اشد من سلطات الشاه في حقدها العنصري وفي طغيانها وقمعها، لهذا زاد اصرار الجماهير العربية على مواصلة النضال المسلح، واتجه النضال هذه المرة ضد نظام خميني بالذات وضد الوجود الفارسي في عربستان بوجه عام، فقام العرب بعمليات هجوم خاطفة وموفقة ضد حراس خميني، كما جرت محاولات مستمرة لنسف انابيب النفط والغاز وضرب المنشآت الاقتصادية والعسكرية التابعة للسلطة في المنطقة، والتهبت شوارع مدن عربستان وقراها وطرقاتها بهتافات الشعب العربي الذي استمر في مظاهراته واحتجاجاته تجاه السياسة العنصرية التي اتبعها الحكام الجدد فجاءت انتفاضة شعبية قوية ضد الفرس وضد نظام خميني وحرسه. وكان المواطنون العرب يطالبون بالاعتراف بقوميتهم العربية في عربستان ويمنحهم الحكم الذاتي في اقليمهم وتشكيل مجلس تشريعي للقوانين المحلية في الشؤون الداخلية كافة والاشراف على تطبيق هذه القوانين في المنطقة والاشراك في المجلس التاسيسي ومجلس الشورى والمشاركة في الهيئة الوزارية للحكومة المركزية بنسبة مجموع الشعب العربي في عربستان، وتشكيل محاكم عربية لتحل مشاكل المواطنين العرب، وجعل اللغة العربية اللغة الرسمية في المنطقة واعتمادها في التدريس في المدارس بصفتها اللغة السائدة في المنطقة، هذا الى جانب تاسيس جامعة واطلاق حرية النشر والاعلام وطبع الكتب والصحف باللغة العربية، وايجاد بث اذاعي وتلفزيوني مستقل، واحياء التراث العربي والتقاليد والاداب العربية، والفنون الشعبية العربية، ومنع الرقابة عن هذه جميعا، اضافة الى مطاليب اخرى تتعلق باعادة النظر في توزيع الاراضي على الفلاحين، وتخصيص قسم كافي من موارد نفط عربستان لاعمارها وازدهارها، واعادة تسمية المدن والقرى والاحياء باسمائها العربية والتاريخية، على ان يسجل كل هذا في

الدستور الايراني الجديد، وقد جاء كل ذلك في مذكرة تحتوي على اثنتي عشرة مادة وقعها وفـد الشعب العربي في عـربستان وقـدموهـا الى رئيس الوزارة الايرانية انذاك مهدي بازركان

المصادر والمراجع
«العربية»

ابراهيم، عبد العزيز عبد الغني، التوسع الاقليمي الإيراني في الساحل العماني (جامعة البصرة، مركز دراسات الخليج العربي ـ السلسلة الخاصة ٦ ـ ١٩٧٨).

ابو علية، د. عبد الفتاح، الدولة السعودية الثانية، ١٨٤٠ ـ ١٨٩١ الرياض ١٩٧٤.

امين، عبد الامير محمد، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر (بغداد ١٩٦٦).

ـ دور القبائل العربية في ضد التوسع الاوربي في الخليج العربي خلال القرنيين السابع عشر والثامن عشر، بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ ٢٥ اذار ١٩٧٣.

ـ المصالح البريطانية في الخليج العربي (١٧٤٧ ـ ١٧٧٨) بغداد ١٩٧٧.

الانصاري، شمس الدين، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لايبزك ١٩٢٨.

الانصاري، محمد جابر، تاريخ الحركة الديمقراطية الاولى في الخليج العربي مجلة المؤرخ العربي العدد ١٥ ـ ١٩٨٠.

البحارنة، حسن محمد، دول الخليج العربي الحديثة (بيروت ـ ١٩٧٣).

البغدادي، صفي الدين، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البحاري، ج ١ القاهرة ١٩٥٥.

بن سند، عثمان بن سند البصري الوائلي، وطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود، مخطوط.

بوديل، ل. م، الخليج العربي (بغداد ـ ١٩٧٦) ترجمة مكي حبيب المؤمن.

بيريبي، جان جال، الخليج العربي، (بيروت ـ ١٩٥٩).

بيرين، جاكلين، اكتشاف جزيرة العرب (بيروت ـ ١٩٦٣).
بيل، مس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب (بيروت ـ ١٩٤٩).
تقي زاده، حسن، تاريخ عربستان وقوم عرب ١٣٢٨ ـ ١٣٢٩.
تاهيتين، ديل. ار، التحديات الامنية التي تواجه المملكة العربية السعودية ترجمة منشورات مركز دراسات الخليج العربي ـ جامعة البصرة السلسلة الخاصة ١٥ ـ ١٩٧٩.
جامعة الكويت، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، وثائق الخليج والجزيرة العربية ١٩٧٥ الكويت ١٩٧٩.
جريدة الزوراء اعداد عام ١٨٧١.
جودت، احمد، تاريخ جودت، ج ٢.
حداد، سلمى، «التسليح الايراني والاحلام الامبراطورية» شؤون فلسطينية العدد ٦٢ / كانون الثاني ١٩٧٧.
الحسني، عبد الرزاق، تاريخ الوزارات العراقية، بيروت ١٩٨٢.
حقي، د. عبد المجيد اسماعيل، الوضع القانوني لاقليم عربستان في ظل القواعد الدولية، القاهرة ١٩٧٤.
الحميري، عمر بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس بيروت ١٩٧٥.
خزعل، حسن خلف الشيخ، تاريخ الكويت السياسي، ج ٢، بيروت ١٩٦٥ ج ٣.
الخصوصي، بدر الدين عباس، دراسات في تاريخ الكويت الاجتماعي والاقتصادي ١٩١٣ ـ ١٩٦١ (الكويت ـ ١٩٧٢).
الخطيب، محمد سعيد، القانون الدولي والحق العربي في منع الملاحة الاسرائيلية في المياه الاقليمية العربية (بغداد ـ ١٩٧٩).
خليل، مصطفى، ازمة الطاقة في الولايات المتحدة الامريكية (القاهرة ـ ١٩٧٤).
الداود، د. محمود علي، الخليج العربي والعمل العربي المشترك بغداد ١٩٨٠

محاضرات عن التطور السياسي الحديث لقضية عمان (القاهرة ـ ١٩٦٤).
الواوي، جابر ابراهيم، الحدود الدولية.
الرشيد، عبد العزيز، مغصات اللؤلؤ، مجلة اليقين، ج ٧، السنة الثانية، رجب ١٣٤٢.
الرميحي، محمد غانم، البترول والتغيير الاجتماعي في الخليج العربي (القاهرة ـ ١٩٧٥) قضايا التغيير السياسي والاجتماعي في البحرين ١٩٢٠ ـ ١٩٧٠ (الكويت ـ ١٩٧٦).
ـ حركة ١٩٣٨ الاصلاحية في الكويت والبحرين ودبي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ـ جامعة الكويت السنة الاولى ـ العدد ٤ ـ تشرين الاول ١٩٧٥.
الزياني، امل ابراهيم، البحرين ١٧٨٣ ـ ١٩٧٣ (بيروت ـ ١٩٧٣).
سعيد، د. روزماري، «النزاع حول الجزر العربية في الخليج ١٩٢٨ ـ ١٩٧١» مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ـ السنة الثانية ـ العدد ٦ ـ نيسان ١٩٧٦.
سعودي، د. محمد عبد الغني، الخليج بين مقومات الوحدة وصراع القوى الاعظم مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ـ العدد ٢٠ ـ تشرين الاول ١٩٧٩.
السلمي، عبد الله عبد الزهرة، حقيقة الوضع في عربستان (الاحواز) بغداد ١٩٧٢.
شبر، جاسم حسن، تاريخ المشعشعين (النجف ١٩٦٥).
شملان، سيف مرزوق، من تاريخ الكويت، الطبعة الاولى، القاهرة ١٩٥٩.
شوكت، خورشيد، راوندوزي، الدوافع الخفية وراء مشكلة شط العرب.
صالح، د. زكي، بريطانية والعراق حتى عام ١٩١٤، بغداد ١٩٦٨.
العابد، د. صالح محمد، دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧ ـ

١٨٢٠ ، بغداد ١٩٧٦ .
عبد القادر، خواجة، وقائع منازل روم، بمبي ١٩٦٨ .
العبيدي، ابراهيم خلف، الحركة الوطنية في البحرين ١٩١٤ - ١٩٧١، بغداد - ١٩٧٦ .
العدساني، خالد سليمان، نصف عام للحكم النيابي في الكويت، بيروت - ١٩٤٧ .
العقاد، د. صلاح، الاستعمار في الخليج العربي، القاهرة - ١٩٥٦ .
- معالم التغيير في دول الخليج العربي، القاهرة - ١٩٧٢ .
العلي، د. صالح احمد، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري بغداد ١٩٥٣ .
العوضي، د. بدرية عبد الله، القانون الدولي للبحار في الخليج العربي، الكويت - ١٩٧٦ - ١٩٧٧ .
الفرحان، راشد عبد الله، مختصر تاريخ الكويت، القاهرة - ١٩٦٠ .
فرده هاليداي، المجتمع والسياسة في الجزيرة العربية، الكويت - ١٩٧٦، ترجمة د. محمد الرميحي .
فريد، محمد، تاريخ الدولية العلنية العثمانية .
قاسم، جمال زكريا، الخليج العربي، دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٩١٤ - ١٩٤٥، القاهرة ١٩٧٣ .
القهواتي، د. حسين محمد، دور البصرة التجاري في الخليج العربي ١٨٦٩ - ١٩١٤، بغداد - ١٩٨٠، اضواء على تجارة البصرة في القرنيين الثامن والتاسع عشر، مجلة الخليج العربي، المجلة ١٢، العدد ٢، ١٩٨٠ .
الكاتب، محمد طارق، شط العرب وشط البصرة والتاريخ .
كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب، ج ٢ بيروت .
كبيسي، باسل، حركة القوميين العرب، بيروت - ١٩٧٤ .
كنة، خليل، العراق امسه وغده .
كيهان، مسعود، باللغة الايرانية، جغرافياي مفصل ايران - سياسي

تهران ۱۳۱۱ .
لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج ٥ .
دليل الخليج، القسم التاريخي، ج ٥ .
لونكريك، سنبفن، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، بغداد.
ماهر، سعاد، الاستحكامات الحربية في سلطنة عمان.
مذكرات رضا شه، ترجمة علي البصري، بغداد ١٩٥٠ .
مذكرات ونستون تشرشل.
مذكرات طه الهاشمي، ١٩١٩ - ١٩٤٣ .
محمود، جميل مصعب، القضية الارتيرية، دراسة نظرية وميدانية بيروت - ١٩٨٠ منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية - سلسلة دراسات ٢٢٦ .
مراد، خليل علي، تطور السياسة الامريكية في منطقة الخليج العربي ١٩٤١ - ١٩٤٧، رسالة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الحديث، جامعة بغداد ١٩٧٩ .
مركز دراسات الخليج العربي - جامعة البصرة، من الخليج العربي في الدوريات العربية (السلسلة الخاصة ٩ ١٩٧٩). والبحرين والامارات العربية المتحدة وقطر وسلطنة عمان وامن الخليج العربي (السلسلة الخاصة ٣٧ - ١٩٨٠).
مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة المشروع العماني لامن الخليج العربي في الدوريات العربية (السلسلة الخاصة ٣١ - ١٩٨٠).
مركز دراسات الخليج للدراسات العربية - الشارقة، التقرير السياسي - العدد ٢ - ايلول ١٩٨٠ .
النجار، د. مصطفى عبد القادر، التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية ١٨٩٧ - ١٩٢٥ القاهرة - ١٩٧١ .
- بريطانيا وتحديد السيادة على جزر الخليج العربي في فترة مابين الحربين كما تكشفها الوثائق البريطانية «مجلة الخليج العربي - العدد ٨ - السنة ١٩٧٧».

نخلة، اميل، العلاقات العربية ـ الامريكية في الخليج العربي (مركز دراسات الخليج العربي ـ جامعة البصرة السلسلة الخاصة ٣، ١٩٧٨ ـ ترجمة د. فاروق عمر فوزي).
النفيسي، عبد الله، تثمين الصراع في ظفار (١٩٦٥ ـ ١٩٧٥) بيروت ١٩٧٥. الكويت، الرأي الاخر (لندن ـ ١٩٧٨).
نوار، عبد العزيز سليمان، تاريخ الشعوب الاسلامية في العصر الحديث، ج ١، بيروت ١٩٧١.
ـ المصالح البريطانية في انهار العراق ١٦٠٠ ـ ١٩١٤، القاهرة ١٩٧٠.
ـ تاريخ العراق الحديث ١٩٦٨.
ـ تاريخ العرب المعاصر ج ١.
نوستشي، اندره، الصراعات البترولية في الشرق الاوسط.
نوفل، د. سيد، الخليج العربي او الحدود الشرقية للوطن العربي، بيروت ـ ١٩٦٩.
الهاشمي، رضا، المدخل الاثار الخليج العربي، بغداد ١٩٨٠.
الهاشمي، محمد، اعمال مدحت باشا، مجلة اليقين الحلقة الثانية، ج ٤ السنة الثانية ربيع الثاني ١٣٤٢.
ـ الابطال الثلاثة (فيصل الاول، رضه شاه، وكمال اتاتورك)، بغداد ١٩٤٩.
همي، محمود واخرون، دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠.
هويدي، امين، البحر الاحمر والامن العربي، الاهمية الاستراتيجية، مجلة المستقبل العربي ـ السنة ٢ ـ العدد ١١ ـ كانون الثاني ١٩٨٠.
الهيتي، صبري فارس، الخليج العربي دراسة الجغرافية السياسية، بغداد ـ ١٩٨١.
واولا، ر.، خليج فارس، درعصر استعمار، ترجمة برونسو، شفيع جوادي، طهران ٢٥٣٤.
الوقيان، خليفة، القضية العربية في الشعر الكويت، الكويت ـ ١٩٧٧.
ويلسون، الخليج العربي، ترجمة الدكتور عبد القادر اليوسف، الكويت.

وهبة، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، الطبعة الاولى ١٩٣٥ .
وهيم، طالب محمد، التنافس البريطاني ـ الامريكي على نفط الخليج العربي وموقف العرب في الخليج منه (رسالة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الحديث ـ جامعة بغداد ـ ١٩٨٠).
وزارة الخارجية العراقية ـ حقائق عن حدود العراقية الايرانية .
وزارة الخارجية العراقية ـ تعليق على مزاعم والادعاءات الايرانية حول معاهدة الحدود العراقية الايرانية لعام ١٩٣٧ والوضع القانوني للحدود بين البلدين في شط العرب.
وزارة الاعلام مديرية الاعلام العامة، تاريخ عربستان والوضع الراهن في ايران، بغداد ١٩٧١ .
وثائق جبهة تحرير عربستان محفوظة في وزارة الخارجية العراقية .

المحتويات

تمت كتابة فصول الكتاب من قبل الاساتذة المؤلفين على النحو الآتي :ـــ

تمهيد جغرافي لمنطقة الخليج العربي — **د . حسين محمد حسين القهواتي**

الفصل الاول

الغزو الاوربي والتنافس الدولي في الخليج العربي — **د . حسين محمد حسين القهواتي**

الفصل الثاني

إمارة بندر ريق العربية ودورها في التصدي للأطماع الاجنبية في الخليج العربي — **د . علاء موسى كاظم نورس**

الفصل الثالث

ابعاد السياسة الفارسية في الساحل الغربي للخليج العربي — **د . علاء موسى كاظم نورس**

الفصل الرابع

موقف بريطانيا من نشاط القواسم في الخليج العربي — **د . صالح محمد العابد**

الفصل الخامس

الصراع العثماني البريطاني في الخليج العربي خلال فترة ١٨٧١ــ١٩١٤ — **د . حسين محمد حسين القهواتي**

الفصل السادس

الحركة الوطنية في الخليج العربي — **د . خليل علي مراد**

الفصل السابع

الاطماع الايرانية في الخليج العربي — **د . خليل علي مراد**

الفصل الثامن

امن الخليج العربي — **د . خليل علي مراد**

الفصل التاسع

التطورات التاريخية لقضية شط العرب — **د . مصطفى عبد القادر النجار**

الفصل العاشر

عربستان بين الحق العربي والتسلط الفارسي — **د . مصطفى عبد القادر النجار**

Vali, Ferenc A. ; Politics of the Indian Ocean Region, the Balances of power, New York, 1976.

Wellsted, J. R., Travels to the city of Caliphs along the shores of the p. Gulf and the Mediterranean, (London, 1840), Vol. 1.

Wilson, Precis of the Relations of the British Gorernn with Tribes and Shaiks of Arbstan, (1912).

Yergin, Daniel, U. S. Energy Policy Transilation to what ? The The World Today, March, 1979.

Zabin, S. and S. Chubin, The Foreign Relation of Iran Berkely, 1974.

Zahlan, Rosenarie Said, Origins of the United Arab Emirates, (London, 1978).

Peterson, J. E. : Oman in the Twentieth Century, London, 1978.
Piracies in Shatt Al-Arab, 1900-1914.
F. O./602/14.
Piracies in Persian Gulf Ports, 1906.
FO/602/15.
Ramazani, Rouhollah, K. ; The Foreign Policy of Iran, 1500-1941.
A Developing Nation in World Affairs Virginia, 1966.
———— Iran's Foreign Policy, 1941-1973, Virginia, 1975.
———— The Persian Gulf, Iran's Role Virginia, 1973.
———— Beyond the Arab Israeli Settlement, Washington - D. C., 1977.
———— The Persian Gulf and the Strait of Hormuz the Nether Lands, 1979.
———— Security in the Persian Gulf, Foreign Affairs, Vol. 57, No. 4. Spring, 1979.
Ravinder Amglo-Turkish Aritayanism in the Persian Gulf, Islamic Culture. Vol. XXXVII. No. 2, April, 1983.
Rawlison, Memorandum on the dispute.
Bettween Turkey and Persia, Royal Geograpical Society, (1855-1857).
Sanyhvi, Ramesh, Shat Al-Arab the fact behind the issue, (London, 1969), SIPRI, the Arms trade with the Third World Stockholm, 1971.
Sykes, Sir Percy : A History of Persia-Szvlowicz J. S. 8. B. G. 8 Neill (ed) ; The Energy Crisis and U. S. Foreign Policy, (New York, 1975).
Taheri, Amir, Policies of Iran in the Persian Gulf Region in A. Amiree (ed), The Persian Gulf and Indian Ocean in International Politics Tehran, 1975.
Teiskeira, Pedro, The Travels of Pedro Texira with his King of Harmuz and Extacts from his Kings of Peria, 1902.
Turkish Jurisdiction in Island and Waters of the Persian Gulf and the Arab Littord Lipts, 18 B 126.

1919).

Merid. Reports, No. 70, September, 1978.

Milburn, William, Oriental Commitee, (London, 1813), Vol. 1.

Mughisuddin, M. (ed) ; Confliot and Cooperation in the Persian Gulf, New York, 1977.

Nakhleh, Emile A., Bahrain, Political Development in a Modernizing Society, Tornto, 1976.

———— Labour Markets and Citizenship in Bahrain and Qatar Middle East, Journal, Vol. 31 No. 2. Spring, 1977.

Niebubr Carsten, Travels Through Arabia and other Countries in the East, trans. 1 by R. Heron, Repr., Vol. 11, Edinburgh, 1792.

Outram, James, The Persian Campalgh, London, 1860.

Pahlavi, Mohmmed Reza Shah, Mission for my Country, London, 1961.

Klinghoffer, Arthur ; The Soviet Union International Oil Politics, New York, 1977.

Kourg, Enver M. (ed), The Arabian Peninsula, Red Sea and the Gulf, Strategic Consideration, U. S. A., 1979.

Lackner, Helen, A House built on Saud, A Politic Economy of Saud Arabia. London, 1978.

Layard, Description of the Province of Khuzistan, Journal of the Rohal. Geographical. Society, Vol. (16), 1846.

Lenczowski, Oil and State in the Middle East.

Lorimer, J. G. Gazetter of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia. 2 Volumes Culcutta, 1915.

Low Charles, R History of the Indian, 1613-1868, (London-1877), Vol. 1.

Monesty and Harford Jones. Reporton the Commerce of Arabia and Persia by Samued.

Mansur, Shaikh, History of Syed Said Sultan of Muscat, together with an account of the Countries and people of the Shores of the Gulf translated from the original (Italianm. S., London,

Persian Gulf Piracy, Pt. 1-2, 3209.

F. O. 371/18973, League of Nations Official No. C. 22 M. 10, 1935. VII. Geneva, January 11, 1945.

F. O. 371/20829, E. 4755, British Legation, Tehran to the Right Honourable Anthony Eden, Dated 28th July, 1937.

F. O. 371/21892, E. 961. No. 18. (94-2-38), British Legation, Tehran to the Right H. Anthony Eden. (Dated 21st Jan., 1938.

F. O. 371/21892 E. 462 Mr. Seal, Admiralty to Mr. Baggally No. M. O. 472-1403 (secret) Proposed Shatt Al-Arab Conservanory Convention Dated 24th Jan., 1938.

F. O. 371/21842 E. 1579 No. 84 British Embassy, Baghdad to the Right to the Viscount Hal, Fax. Mar., 1938.

F. O. 371/23255 E. 5810, Shatt Al-Arab A Meeting at Foreign Office on 14th Aug. to discuss the question of a Conservancy and Navigation Convention for the Shatt Al-Arab Aug., 1939.

F. O. 371/23255 E. 6709, No. 544 Secret British Embassy, Baghdad to the Right H. the Viscount Hal. Fax. 22, Sept., 1939.

F. O. 371/23253, No. 239-24-39. E. 7750 Basil Newton British Embassy, Baghdad, Dated 12th Nov., 1939.

Fraser James Biallie, Narrative of Journey in to Khorasan in the years 1822 (London, 1825) Appendix A.

Hopwood, Derek, The Arabian Peninsula. Society and Politics, London, 1972.

Howley Danald, The Trucial States (London, 1970).

Hudson, M. C. ; Arab Politics, The Search for Legitimacy New Haven, 1977.

Hurewitz, Diplomecy in the Near and Middle East.

Kassim, Anis F. ; Conflicting claims in the Persian Gulf,. Journal of Low and Economic Development Vol. IV, No. 11, 1970.

Kelly J. B., British and the P. Gulf, 1795-1880, (Oxford, 1968), Quoted in : Low.

Kemp, Geoffrey, Scarcity and Strategy Foreign Affairs, January, 1978.

Khalifa, Ali M. ; The United Arab Emiratas, Unity, in Fragmentation, London, 1979.

REFERENCES

Abdullah, M. M. The United Arab Emirates, A Modern History, London, 1978.

Abir, M., Oil Power and Politics, London, 1974.

Anthony, John D., Arab States of the Lower Gulf, People, Politics, Petroleum, Washington. D. C., 1975.

Buckingham S. S. Travels in Assyria, Media and Persia, London, 1930.

Baharna, Husain M., The Arabian Gulf States, Beirut, 1975.

Burrell, R. M., Britain, Iran, The Persian Gulf, some a spects of the Situation in the 1920 5 and 1930 5, London, 1972.

The Cambirdge Ancient History, Third edition, Vol. I. Part. 2.

Conant, M. A. & F. A. Gold, the Geopolitics of Energy Colorado, 1978.

Cottrell, Alvin J. ; Iran's Armed Forces under the Pahlavi Dynasty, 1978.

———— Iran, The Arabs and the Persian Gulf, Vol. 17, Part. 3., 1973.

Dickson, H. R. P. ; Kuwait and Her Neighbours, London, 1968.

F. O. 371/1897, E. Perso-Iraqi Frontier Proces-Verbaux of the Conference of Erzerum 30 Jan., 1935.

F. O. 371/18972, F. 2743 Perso-Iraqi Frontier Interpretation Placed on the Explanatory Note, by the various Parties Concerned.

F. O. 371/1872, E. 274? Perso- Iraqi Frontier Dispute : Interpretation placed on the Explanatory Note, by the various Partie Concerned.

F. O. 371/1897, E. 4005, Rights Persian Warships on the Shatt Al-Arab.

F. O. 371/ 1606, E. 1770, Humphrys (Baghdad) to Mr. Rendel Propos Shatt Al-Arab Conservancy Board.

F. O. 371/7842 (1606-1922) Port of Basrah and Shatt Al-Arab River.

F. O. 371/7842 E. 13539, British Legation, Tehran — Percy Lorain, November, 8, 1922 to Foreign Office.

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٥٢٧ لسنة ١٩٨٤

مطبعة جامعة البصرة

THE MODERN & CONTEMPORARY HISTORY

OF

THE ARAB GULF

BY

DR. M. AL-NAJAR **DR. H. AL-KAHWATI**

DR KH. A. MURAD **DR A. NAWRAS**

DR. S. AL-ABID

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٥٢٧ لسنة ١٩٨٤

مطبعة جامعة البصرة

BASRAH - 1984

سعر النسخة ٤٫٢٥٠ أربعة دنانير ومئتان وخمسون فلسا